١

أُسْتَاذُ الكُلِّ
الوَحِيدُ البِهْبَهَانِيُّ

تأليف

العَلَّامَةِ الشَّيْخ عَلِيّ الدَوَانِيّ

تعريب

عَقِيل خُورشَا

الجزء الأول

مركز ماهر للدراسات والبحوث — دار الفرات للبحوث والترجمة

بسم الله الرحمن الرحيم



سلسلة آثار المؤتمر العالمي العلامة المجدد الوحيد البهبهاني

(١)

أستاذ الكل
الوحيد البهبهاني

تأليف

العلامة الشيخ علي الدواني

تعريب

عقيل خورشا

الجزء الأول

مركز كربلاء للدراسات والبحوث دار التراث النجف الأشرف

أُسْتَاذُ الْكُلِّ الْوَحِيدُ الْبِهْبَهَانِيُّ

الْعَلَّامَةِ الشَّيْخ عَلِيٍّ الدَوَانِيّ

تَعْرِيبُ: عَقِيل خُورشَا

سِلْسِلةُ آثَارِ الْمُؤتَمَرِ الْعَالَمِيِّ لِلْعَلَّامَةِ الْمُجَدِّدِ الْوَحِيدِ الْبِهْبَهَانِيّ ﷺ (١)

منشورات: مركز كربلاء للدراسات والبحوث

الإخراج الفنّي: روح الله جلالي

الطبعة: الأولى ١٤٣٦ هـ/ ٢٠١٥ م ـ طبع في ١٠٠٠ نسخة

العنوان: كربلاء المقدسة ـ حي البلدية ـ مقابل مديرية التربية

الهاتف: ٠٠٩٦٤-٧٨١٤١٨٧٦٢٥ ـ ٠٠٩٦٤ـ٧٧١٩٤٩١٢١٠

ص.ب: ٤٢٨

info@c-karbala.com www.c-karbala.com

مراكز التوزيع:

١) كربلاء المقدسة، مراكز المبيعات للعتبة الحسينية المقدّسة،

الهاتف: ٠٠٩٦٤-٧٨٠-١٨٦-٣٣٤١

٢) النجف الأشرف ثورة العشرين، مؤسسة دارالتراث،

الهاتف: ٠٠٩٦٤-٧٨٠-٢٥٩-١٤٤٠

٣) قم، شارع معلم، مجمّع ناشران، الطابق الأوّل، مكتبة العلامة المجلسي ﷺ،

الهاتف: ٣٧٨٤٢٦١٦ ـ الفكس: ٣٧٨٤٢٦١٧ (٩٨٢٥)

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٨٤٨) لسنة ٢٠١٥ م

ـــــــ الدراسات المنشورة لا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر الناشر ـــــــ

جميع الحقوق محفوظة لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأيّ شكل من الأشكال دون إذن خطّي سابق من الناشر

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any from or by any means without prior permission in writing from the publisher.

كَلِمَةُ رَئِيسِ الْمُؤتَمَرِ الْعَالَمِيِّ
لِلْعَلَّامَةِ الْمُجَدِّدِ الْوَحِيدِ الْبِهْبَهَانِيّ

مرّت الحركة العلمية في كربلاء المقدسة بمراحل متعددة بين ازدهار تارة وانحسار تارة اخرى وفقاً للأحوال الاجتماعية والسياسية التي مرت بها المدينة، ففي القرن الرابع الهجري ازدهرت كربلاء وأخذت بالتوسع والعمران ونشطت فيها التجارة فضلاً عن انها أصبحت محط انظار كثير من ارباب العلم والمعرفة بفنونها كافة وعلى الخصوص العلوم الدينية.

وبالرغم من ان نشاط المؤسسة الدينية في بغداد كان هو الأبرز بوجود الشيخ المفيد فيها، إلا ان كربلاء لم تقل أهمية عن بغداد لمكانتها الروحية والعقائدية لدى اتباع الامامية إذ تزعم حميد بن زياد النيبوري الحركة العلمية فيها وانصب سعيه على انشاء جامعة علمية دينية يحاضر فيها العلماء والفقهاء من مختلف البلدان. وبذلك تبوأت كربلاء مكانتها العلمية لمدة ناهزت النصف قرن. ومن ثم نشطت الحركة العلمية في النجف الاشرف على يد الشيخ الطوسي سنة ٤٤٣ هـ .

وخلال هذه الفترة مرّت حوزة كربلاء بمتغيرات عدّة تعرضت من خلالها الى الفتور العلمي الى ان ظهر في ساحتها العلمية وحيد عصره وفريد دهره العلامة البهبهاني في القرن الثاني عشر الهجري فعاد بريقها يشع في سماء العلم والمعرفة على يد هذا المعلم العظيم الذي كان لظهوره الايذان ببدء التغيير في الاتجاه الاصولي بعد ما كان التيار الاخباري في أوج بروزه وامتداده فلقب بـ (مجدد الفقه الامامي). ولقد قال

علي الشرقي بحقه : فكان للشيعة في كربلاء مدرستان تتزاحمان مدرسة الأخباريّة ومدرسة الأصولية وكان الرجحان للمدرسة الأخباريّة، حتى بعث الله ذلك المجدد الكبير، والمصلح الشهير العلامة المعروف بالأغا البهبهاني فبعد ان برز فيها بلغت على يديه الحركة العلمية أوج نشاطها حتى تحولت كربلاء في عهده الى حومة للبحوث العقلية والنقلية ومعهد للدراسات الفلسفية وتتلمذ على يديه كوكبة من المجتهدين والفقهاء والعلماء.

واطلق على عالمنا النحرير (استاذ الكل) و(الأستاذ الأكبر). وقال الشهيد السعيد السيد محمد باقر الصدر في المعالم الجديدة عن عصر البهبهاني: كان عصر الكمال العلمي. ولما كان من مهام مركزنا إحياء تراث كربلاء المقدسة الزاخر بالكنوز الكثيرة فقد انصب سعينا على احياء ذكرى الشيخ محمد باقر البهبهاني الذي ترك بصماته الواضحة في سماء التشيع ، فشرعنا وبدعم لا محدود من قبل سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي (دام عزّه) الأمين العام للعتبة الحسينية المقدسة لعقد مؤتمر عالمي حول شخصية الوحيد البهبهاني فتظافرت الجهود لإعداد المؤتمر منذ اذار عام ٢٠١٣ وليومنا هذا لإظهار المؤتمر العالمي بمستوى يتناسب ومكانة الوحيد البهبهاني، وقد وجدنا في مؤسسة دار التراث في النجف الاشرف خير معين على تحقيق ما نصبوا إليه فلله درّهم على كل ما بذلوه معنا.

عبد الامير عزيز القريشي

مدير مركز كربلاء للدراسات والبحوث

التابع للعتبة الحسينيّة المقدسّة

كَلِمَةُ مُدِيرِ اللَّجْنَةِ الْعِلْمِيَّةِ لِلْمُؤتَمَرِ الْعَالَمِيِّ
لِلْعَلَّامَةِ الْمُجَدِّدِ الْوَحِيدِ الْبِهْبَهَانِيّ ﷺ

الْوَحِيدُ الْبِهْبَهَانِي هَذَا الاسْمُ الْعَظِيمُ ـ كَانَ وَلَا يَزَالُ ـ يُذْكَرُ مَقْرُوناً ـ وَبِكُلِّ إِجْلَالٍ ـ بِمَا لَهُ مِنْ مَسَاعِي مُبَارَكَةٍ وَجُهُودٍ جَبَّارَةٍ قَامَ بِهَا قِبَالَ الْجُمُودِ الْفِكْرِيِّ لِطَائِفَةِ الأَخْبَارِيَّةِ، هَذَا التَّفَكُّرُ المَحْظُورُ الَّذِي هَيْمَنَ عَلَى الْحَوزَاتِ الْعِلْمِيَّةِ الشِّيعِيَّةِ طَوَالَ قَرْنٍ مِنَ الزَّمَنِ تَلَاشَا وَانْمَحَى بِبُزُوغِ نَجْمِ هَذَا الرَّجُلِ الْعَظِيمِ فِي سَمَاءِ الْفَقَاهَةِ وَالتَّفَكُّرِ وَالإِيمَانِ، وَكَانَ لِلتَّصَلُّبِ الْعِلْمِيِّ لِلْمَرْحُومِ الْوَحِيدِ ـ رِضْوَانُ الله تَعَالَى عَلَيهِ ـ وَإِرَادَتِهِ الجَبَّارَةِ أَكْبَرُ الأَثَرِ فِي تَبْيِينِ مَفَاسِدِ الْقَوْمِ وَزَيْفِهِمْ مِنْ جَهَةٍ، وَضَلَالِ هَذَا الطَّرِيقِ وَضَعْفِهِ مِنْ جَهَةٍ أُخْرَى، مِمَّا أَوْجَبَ عَلَيْنَا الْيَومَ أَنْ نُشِيدَ ذِكْرَاهُ وَنَبْحَثُ آثَارَهُ، وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ مَا حَوَاهُ مِنْ خَزَائِنَ عِلْمِيَّةٍ وَافِرَةٍ وَمَا كَانَ لَهُ مِنْ تَوفِيقٍ فِي مَوقِفِهِ ـ وَبِكُلِّ شَهَامَةٍ وَقُدْرَةٍ عِلْمِيَّةٍ وَعَمَلِيَّةٍ ـ فِي مَيَادِينِ التَّطَاحُنِ مَعَ المَدَارِسِ المُنْحَرِفَةِ، بِتَشْيِيدِهِ وَإِحْيَائِهِ تِلكَ المدْرِسَةَ الْفِقْهِيَّةَ الإِمَامِيَّةَ الَّتِي تَمْتَازُ فِي قِبَالِ سَائِرِ المَدَارِسِ بِخُصُوصِيَّةِ التَّعَقُّلِ وَالتَّفَكُّرِ..

وَقَدْ قَامَتْ الْعَتَبَةُ الحُسَيْنِيَّةُ المقَدَّسَةُ مُتَمَثِّلَةً بِـ: «مَرْكَزِ كَرْبَلاء للدِّرَاسَاتِ وَالْبُحُوثِ» بِعَقْدِ مُؤْتَمَرٍ عَالَمِيٍّ حَولَ هَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ الْعَظِيمَةِ بِعُنْوَانِ أَوَّلِ مُؤْتَمَرٍ مِنْ مُؤْتَمَرَاتِهَا حَولَ الْعُلَمَاءِ الْكِبَارِ مِنْ دُفَنَاءِ الْعَتَبَةِ الحُسَيْنِيَّةِ المقَدَّسَةِ، وَذَلِكَ بِمُعَاوِنَةِ «مُؤَسِّسَةِ دَارِ التُّرَاثِ» فِي النَّجَفِ الأَشْرَفِ؛ وَذَلِكَ لِلْأَهْدَافِ التَّالِيةِ؛

الرؤَى والأَهْدَافُ لانْعِقَادِ هَذَا الْمؤتَمَر:

١. التَّعْرِيفُ بالسيرَةِ الذاتِيّةِ مِنْ حَياةِ العَلّامَةِ البِهْبَهانِي.
٢. التَّعْرِيفُ بِآراءِ وأفْكارِ العلّامَةِ البِهْبَهانِي، وَبالعلُومِ الّتِي ابْتكَرَهَا وَنَشَرَهَا.
٣. التَّعْرِيفُ بِمَدْرِسَتِهِ العِلْمِيَّةِ وأساتِذَتِهِ وَتَلامِذَتِهِ.

٤. تكريمُ مَقامِهِ الْعِلْمِيّ وَالأخْلاقِيّ.

٥. تَعْرِيفُهُ بِما هُو قُدْوَةٌ في العِلمِ والثَّقافَةِ لِشبابِ الْيَومِ.

٦. التَّعْرِيفُ بِعُلماءِ الحَوزَةِ الْعِلمِيَّةِ الْمُبارَكَةِ الْكِبارِ فِي كَربلاءِ المقدَّسَةِ وَالْعَالَمِ الإسْلامِيِّ.

٧. التَّعْرِيفُ بِعَوامِلَ السُّمُوِّ إلى القِمَّةِ فِي الحَوزَةِ العِلْمِيَّةِ، وبِعَوامِلَ التَصدِّي إلى إنخِفاضِ الْمُسْتَوى العِلمِي فِي الْحَوزَةِ الْمُبارَكَةِ ـ لا سامَحَ الله ـ.

وقَدْ قامَ مَركَز كربلاء للدراساتِ والبحوث و دَارِ التُّراثِ بِتَشْكِيلِ اللُّجَان الْعِلمِيَّةِ فِي الْعَراقِ وَإيرَانِ وَأُورُوبَا، لِجَمعِ البُحُوثِ وَالمَقَالَاتِ وَالْكُتُبِ، وَلِاسْتِخْرَاج مَحاوِر البَحثِ حَولَ سِيرَةِ الوحيدِ البِهبَهانِي وَ آرائِهِ وَأفكارِهِ؛ فَاسْتَخْرَجنا المَوضُوعَاتِ الكُلِّيّةِ وَالجُزئِيّةِ، ثُمَّ بَدَأنا بِالبَحثِ عَن الخُبَراءِ فِي كُلِّ من مُحاوِرِ المُؤتَمَرِ وَ الَّذِين لَهُم تأليفٌ أو مَقالَةٌ أو دِراسَةٌ حَولَ تِلكَ المحاوِرِ، وَاستَكْتَبْناهُم وَأجابُونا أكثَرُهُم وَزَوَّدُونَا بِبُحوثٍ وَمقالاتٍ وَكُتُبٍ ـ وَلله دَرُّ هُمْ وَعَلَيهِ أَجْرُهُم ـ.

وَالمُحاوِرُ الرَّئِيسِيَّةُ أَرْبَعَةٌ؛ وَهِيَ ما يَلِي:

المِحورُ الأوّل: حَيَاتُه وَآثارُهُ؛ فِيهَا بُحُوثٌ مِثْلُ: شَخْصِيّتِهِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ، وَالْبارِزِينَ مِن تَلامِذَتِهِ وَالْمُؤَثِّرِينَ مِنهُم، وَعَصرِ الوَحِيدِ الْبِهْبَهانِيّ وَأوضَاعِهِ التَّأرِيخِيَّةِ وَالسِياسِيَّةِ، وَتَأثِيرِ التَّحَوُّلاتِ التأرِيخِيَّةِ عَلَى الاتِّجاهَاتِ الْفِكْرِيَّةِ لِلوَحِيدِ البِهْبَهانِي، وَالصِراعِ الْفِكرِي بَينَهُ وَبَينَ الأخْبارِيّين، وَعلمِ الأخلاقِ عِندَهُ اِستِناداً إلى الآثارِ الْمَكتُوبَةِ وَالتَّقارِيرِ التّارِيخِيَّةِ.

المِحورُ الثَّانِي: الآراءُ الفِقْهِيَّةُ وَالأُصُولِيَّةُ لِلوَحِيدِ البِهْبَهَانِيّ؛ فِيهَا بُحُوثٌ عنه مِثْلُ: مَكانَةِ الْقُرآنِ فِي استِدْلَالَاتِهِ، وَالشَّواهِدِ الْقُرآنِيّةِ، وَالْمُقَارَنَةِ بَينَ مَدْرَسَتِهِ الأُصُولِيَّةِ وَسائِرِ المَدارِسِ، وَمَدْرَسَتِهِ الفِقْهِيَّةِ وَتَأثِيرِهَا عَلى الْمُعَاصِرِين لَهُ وَالْمُتَأخِّرِينَ عَنهُ، وَدَورِهِ فِي تَنقِيحِ وَتَطوِيرِ عِلْمِ الأُصُولِ، وَإبدَاعَاتِهِ فِي مَجَالِ الفِقهِ وَالأُصُولِ، وَنُقُودِهِ عَلَى الأخْبارِيِّينَ فِي الْمَسائِلِ الأُصُولِيَّةِ (حُجِّيَّةُ الظَوَاهِرِ الْقُرآنِيَّةِ، حُجِّيَّةُ الإجْمَاعِ، حُجِّيَّةُ

أَدِلَّـةِ الْـبَرَاءَةِ .. وَأَمْثَالُـهَا)، وَشَرَائِـطِ الِاجْتِهَـادِ وَوَظَـائِفِ الْـمُجْتَهِدِ، وَتَرتِيـبِ الـمُرَجِّحَاتِ، وَأَسْبَابِ اخْتِلافِ الحَدِيثِ فِي مُؤَلَّفَاتِهِ، وَالْـمَنْهَجِ الْاجْتِهادِي وَأَسَالِيبِ الِاسْتِنبَاطِ عِندَهُ، وَمَكانَتِهِ وَدَورِهِ فِي تَطَوُّرِ تَارِيخِ عِلمِ الأُصُولِ وَالْفِقْـهِ لَـدَى الشِّـيعَةِ، وَالتَّعَدِّي عَن مَورِدِ النَّصِّ وَمَـوارِدِهِ فِي آثَـارِهِ، وَمَكانَـةِ العُـرفِ فِي اسْـتِنْباطِ الأَحْكَـامِ الشَّرْعِيَّةِ، وَالحُسنِ وَالقُبحِ (التَحسِينُ وَالتَّقْبِيحُ) العَقْلِيَّانِ، وَالإجمـاعِ وَحُجِّيَّـةِ الإجمـاعِ الْـمَنقُولِ، وَتَنْجِيزِ الْعِلمِ الإجْمَالِي عِندَ الْوَحِيدِ البِهْبَهَانِي، وَقاعِدَةُ قُبحِ الْعِقابِ بِلا بَيـانٍ (مِن ابتِكارَاتِهِ فِي عِلمِ الأُصُولِ).

المِحْوَرُ الثالِثُ: الأَفكَارُ الرِجَالِيَّةِ وَالْـحَدِيثِيَّةِ؛ فِيهَـا بُحُـوثٌ مِثْـلُ: مَكَانَـةِ الوَحِيـدِ البِهْبَهَانِيّ فِي تَطَوُّرِ عِلمِ الرِّجَالِ عِندَ الشِّيعَةِ، وَالتَّوثِيقَاتِ العَامَّةِ عِنْدَهُ، وَالْـمُصْطَلَحَاتِ الْـحَدِيثِيَّةِ فِي مُؤَلَّفَاتِه.

المِحْوَرُ الرَّابِعُ: آثارُ الْوَحِيدِ الْبِهْبَهَانِيّ الكَلَامِيَّـةِ؛ فِيهَـا بُحُـوثٌ مِثْـلُ: دِراسَـةِ آثَـارِهِ الكَلَامِيَّةِ (أُصُـولُ الـدِّينِ، الإمَامَـةُ، نَفْـيُ الرُؤْيَـةِ، الجَـبْرُ وَالاِخْتِيـارُ)، وَتـأثِيرِ الآرَاءِ الْكَلَامِيَّةِ عَلى اسْتِنْبَاطِ الْأَحكَامِ الشَّرْعِيَّةِ (آرَاءُ العَلّامَةِ الْوَحِيدِ البِهْبَهَانِيّ أُنْمُوذَجاً).

لَقَدْ تَمَّ إنجَازُ العَدِيدِ مِن الْأَعْمَالِ، وَلَكِنَّ الَّـذِي صَـعَّبَ عَلَيْنَـا العَمَـلُ فِي مَـدَارِ أَعْـمَالِ الْـمُؤْتَمَرِ هُو تَعْرِيبُ جَمِيعِ الآثَارِ مِن الْفارْسِيَّةِ وَالإنْجِلِيزِيَّةِ إلى الْعَرَبِيَّةِ؛ حَيثُ صَارَ الْاتِّفَـاقُ عَلَى إصْدَارِ الأَعْمَالِ بِاللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، فَأَرى مِنَ الوَاجِبِ أنْ أَشْكُرَ كُلًّا من الأُسـتاذِ الـدُّكْتُورِ عَقِيل خُورْشَا والسَّيِّد حَسَنٍ عَلِيٍّ مَطَرِ الهَاشِمِيِّ لِجُهُودِهِمَا فِي تَعْرِيبِ الآثَارِ.

وَأَخِيراً.. صَدَرَ عَنْ إِدَارَةِ الْمُؤتَمَرِ مَا يَلِي مِنَ الأَعْمَالِ حَوْلَ العَلَّامَـةِ المحَقِّـقِ الوَحِيـدِ الْبِهْبَهَانِي ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ:

الأَوَّلُ: الكُتُبُ وَالدِّرَاسَاتُ الْمُسْتَقِلَّةُ

خَصَّصْنَا لِكُلٍّ مِنَ المَحَاوِرِ الرَّئِيسِيَّةِ الأَرْبَعَةِ الْـمُتَقَدِّمَةِ للمُؤْتَمَرِ مُجَلَّدَاتٍ مُسْتَقِلَّةٍ مُرَقَّمَـةً

عَلَى حَسَبِ المَوَاضِيعِ بَادِءً بِحَيَاتِهِ وَخَاتِماً بِدَرَاسَاتِهِ عَلَى حَسَبِ الأَهَمِّيَّةِ؛ فَهِيَ كَمَا يَلِي:

١. أُسْتَاذُ الكُلِّ الْوَحِيدُ البِهْبَهَانِي؛ تَأْلِيفُ: الْـمَرحُومِ الشَيخ عَلِيّ الدَوَانِيّ.

٢. الوَحِيدُ البِهْبَهَانِي رَجُلُ الْعَقْل؛ تَأْلِيفُ: عَبَّاسِ عَبِيرِي؛ تَعْرِيبُ: كَمال السِيِّد.

٣. الوَحِيدُ البِهْبَهَانِي فِي كُتُبِ التَرَاجِمِ؛ تَأْلِيفُ: مَهْدِي صَفَرزَادِه الهَشْتْرُودِي.

٤. أَعلامُ أُسْرَةِالوَحِيدِ البِهْبَهَانِي؛ تَأْلِيفُ: عَبدُالْحُسَين جَوَاهِركَلام.

٥. تُراثُ الوَحِيدِ البِهْبَهَانِي وَأَولادُهُ؛ تَأْلِيفُ: السَيِّدِ جَعفَرِ الحُسَيْنِي الإِشْكوَرِي.

٦. تَلَامِذَةُ الوَحِيدُ البِهْبَهَانِي؛ تَأْلِيفُ: عَبدِالحُسَيْنِ جَوَاهِركَلَام.

٧. دَائِرَةُ الْـمَعارِفِ الْوَحِيدِيَّةُ (بِاللُّغَةِ الإِنْجِلِيزِيَّةِ)؛ جَمْعُ وَتَرْتِيبُ: مُحَمَّد نُورِيّ.

٨. الوَحِيدُ البِهْبَهَانِي وَآرَاؤُهُ الأُصُولِيَّةُ (جَمْعٌ وَعَرْضٌ)؛ تَأْلِيفُ: سَعِيدِ رَزْمجُو.

٩. مَصَادِرُ استِنْباطِ الأُصُولِيِّينِ وَالأَخْبَارِيِّين؛ تَأْلِيفُ: مُحَمَّدِ مُحسِنِ الغَرَاوِيّ.

١٠. الوَحِيدُ البِهْبَهَانِي وَآرَاؤُهُ الأُصُولِيَّةُ (دِرَاسَةٌ وَتَحْلِيلٌ)؛ تَأْلِيفُ: مُحَمَّدِ مُحسِنِ الغَرَاوِيّ.

١١. شَرحُ الوَافِيَةِ فِي الأُصُولِ (مُجَلَّدَانِ)؛ تَأْلِيفُ: السَيِّدِ صَدرِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّد باقِرِ الحُسَينِيّ الرَّضَوِيّ القُمِّيّ النَّجَفِيّ، أُستَاذُ الوَحِيدِ البِهْبَهَانِيّ، مَعَ حَوَاشِي الوَحِيدِ البِهْبَهَانِيّ، وَالمِيرْزَا أَبُو الْقَاسِمِ القُمِّيّ وَالشَّيخِ مُرْتَضَى الأَنْصَارِيّ، تَحْقِيقُ: السَيِّدِ مُحَمَّد حَسَنِ المُوسَوِيّ آلِ قَارُونِ الزَّاهِدِ البَحْرَانِيِّ.

١٢. الوَحِيدُ الْبِهْبَهَانِي وَآرَاؤُهُ الْفِقْهِيَّةُ؛ مُحَمّد مَهدِيّ رَفِيعپُور.

١٣. مُنْتَهَى الْمَرَام فِي صَلَاةِ الْقَصْرِ وَالإِتْمام؛ تَأْلِيفُ: السَيِّدِ صَدرِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّد باقِرِ الحُسَينِيّ الرَّضَوِيّ القُمِّيّ النَّجَفِيّ، أُستَاذُ الوَحِيدِ البِهْبَهَانِيّ، تَحْقِيقُ: السَيِّدِ مُحَمَّد حَسَنِ المُوسَوِيّ آلِ قَارُونِ الزَّاهِدِ البَحْرَانِيِّ.

١٤. الوَحِيدُ البِهْبَهَانِيّ مُحَدِّثاً؛ تَأْلِيفُ: أمِين حُسَينِ بُورِي.

١٥. الوَحِيدُ الْبِهْبَهَانِيّ وَآرَاؤُهُ الرِّجَالِيَّةُ؛ تَأْلِيفُ: رُوحِ اللهِ شَهِيدِيّ.

الثَّانِيُ: المَقَالاتُ وَالْبُحُوثُ

رَتَّبْنَا الـمَقَالاتِ عَلَى حَسَبِ المَحَاوِرِ الأَرْبَعَةِ الـمُتَقَدِّمَةِ فِي مُجَلَّدَاتٍ مُسْتَقِلَّةٍ، ثُمَّ رَتَّبْنَا المَقَالاتِ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْمَحَاوِرِ تَرْتِيباً مَنْطِقِيّاً عِلْمِيّاً عَلى حَسَبِ تَرْتِيبِهَا فِي ذَلِكَ الْـمِحَوَرِ، فَصارَتْ مَجْمُوعَةُ الْـمَقَالاتِ فِي ٨ أجزَاءٍ؛ كَالتَالِي:

١. مَجْمُوعَةُ المَقَالاتِ فِي التَرَاجِمِ وَالبِبْلِيُوجِرافِيَا (مُجَلَّدٌ وَاحِدٌ).

٢. مَجْمُوعَةُ الْـمَقَالاتِ فِي الحَدِيثِ وَالرِّجَالِ (مُجَلَّدٌ وَاحِدٌ).

٣. مَجْمُوعَةُ الرَّسَائِلِ وَالْـمَقَالاتِ الْكَلاَمِيَّةِ (مُجَلَّدٌ وَاحِدٌ).

٤. مَـجْمُوعَةُ الْـمَقَالاتِ الأُصُولِيَّةِ (٣ مُـجَلَّدَاتٍ).

٥. مَـجْمُوعَةُ الْـمَقَالاتِ الْفِقْهِيَّةِ (مُجَلَّدَانِ)

الثَّالِثُ: مَجَلَّةُ الـمُؤْتَمَر

قُمْنا بِطِباعَةِ مَجَلَّةٍ خَاصَّةٍ بِأَخْبَارِ الْـمُؤْتَمَرِ مُنْذُ القِيَامِ بِأَعْمَالِهِ حَتّىٰ زَمَانِ انعِقَادِهِ، كَـمَا أَضَفْنَا عَلَيهِ فَوَائِدَ وَزَوَائِدَ كَثِيرَةٍ حَولَ الوَحِيدِ البِهْبَهَانِيّ، والأَعْمالِ السّابِقَةِ عَـن الْمُؤتَمَر كَمَا قُمْنَا بِطِبَاعَةِ نُصُوصٍ لِقَاءَاتٍ عَدِيدةٍ مَعَ الشَّخْصِيَّاتِ العِلْمِيَّةِ الكَبِيرَةِ حَولَ الوَحِيدِ البِهْبَهَانِي فِي هِذهِ المَجَلَّةِ.

الرّابِعُ: الفِلْمُ الوَثَائِقِيّ

تَمَّ إِنْتَاجُ فِلْمٍ وَثَائِقِيٍّ عَنِ الوَحِيدِ البِهْبَهَانِيّ بَادِئاً بِحَيَاتِهِ وَمُنْتَهِياً بِدُرُوسِهِ وَعُلُومِهِ، وَفِيهِ لِقَاءَاتٌ مَع كَثِيرٍ مِـنْ الشَّخْصِيّاتِ الْعِلْمِيَّـةِ الْـمَعْرُوفَةِ، وَأَفْـلَامٌ مِـن الأَمَـاكِن التَأرِيـخِيَّةِ الَّتِي لَها عَلاَقَةٌ بِهَذَا العَالِمِ الْعَظِيمِ، وَيُنْشَرُ هَذِا الفِلْمُ عَلَى شِكْلِ قُرْصٍ مُمَغْـنَطٍ وَفِي الْيُوتِيُوبِ وَالقَنَوَاتِ الفَضَائِيَّةِ.

وَنَظَراً لأَهَمِّيَّةِ هَذَا المؤْتَمَرِ الدُّوَلِي فَقَدْ سَعَيْنَا جَاهِدِينَ إِلَى تَحصِيلِ مُوَافَقَةِ اللُّجْنَةِ الإِسْتِشَارِيَّةِ الدُّوَلِيَّةِ لِبَرَنَامِجِ ذَاكِرَةِ الْعَالَمِ التَّابِعِ لِمُنَظَّمَةِ الأُمَمِ الْمُتَّحِدَةِ للتَّرْبِيَةِ وَالثَّقَافَةِ

وَالْعُلُومِ الْيُونسْكُو فِي إِدْرَاجِ هَذَا المؤتمَرِ وَكُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ مِنْ مَقَالَاتٍ وَبُحُوثٍ وَدِرَاسَاتٍ وَكُتُبٍ فِي بَرنَامَجِهِ لِلذَّاكِرَةِ الْعَالَمِيَّةِ، وَبَعْدَ جَهْدٍ مُضْنِي وَمَسَاعٍ حَثِيثَةٍ فَقَدْ اسْتَحْصَلْنَا عَلَى مُوَافَقَةِ مُنَظَّمَةِ الْيُونِسْكُو عَلَى ذَلِكَ وَتَمَّ إِرْسَالُ شُعَارِ المنَظَّمَةِ لإِرْفَاقِهِ فِي كَافَّةِ إِصْدَارَاتِ المؤْتمَرِ، وَلله الْحَمْدُ.

شُكْرٌ وَعِرْفَانٌ

وَهُنَا أَرَى مِنَ الْوَاجِبِ أَنْ أَتَقَدَّمَ بِخَالِصِ الشُّكْرِ وَبَالِغِ الاحْتِرَامِ إِلَى كُلِّ مَنْ آزَرَنِي فِي إِنْجَازِ هَذه الْأَعمَالِ مِنَ العَامِلِينَ فِي مَكْتَبَةِ الْعَلّامَةِ الْمَجْلِسِيِّ فِي قُم المُقَدَّسَةِ وَمَرْكَزِ كَرْبَلاءِ لِلدِّرَاسَاتِ وَالبُحُوثِ وَدارِ التُراثِ فِي النَّجَفِ الأَشْرَفِ، وَاللُّجانِ الْعِلْمِيَّةِ لِلْمُؤْتمَرِ، وَالبَاحِثِينَ وَالمؤسَّسَاتِ العِلْمِيَّةِ فِي الْعَرَاقِ وَإِيرَانِ..

وأَخُصُّ بِالذِّكْرِ سَمَاحَةَ حُجَّةِ الإِسْلامِ وَالمسلِمِينَ الشَّيْخِ عَبْدِ المهْدِي الْكَرْبَلَائِيّ (وَكِيلَ المرْجَعِ الدِّينِيّ الأَعْلَى سَمَاحَةَ آيَةِ الله العُظْمَى السَّيِّدِ عَلِيٍّ الحُسَيْنِيِّ السِّيسْتَانِي ـ حَفَظَهُ اللهُ ـ الأَمِينِ العَامِّ لِلْعَتَبَةِ الحُسَيْنِيَّةِ المقَدَّسَةِ)..

كَمَا لَا أَنْسَى جُهُودَ وَمُتَابَعَةَ الأَخِ العَزِيزِ الأُسْتَاذِ الْفَاضِلِ عَبْدِ الأَمِيرِ الْقُرَيْشِي ـ (مُسْتَشَارِ الأَمِينِ العامِّ وَرَئِيسِ مَرْكَزِ كَرْبَلاء للدِّرَاسَاتِ وَالْبُحُوثِ فِي الْعَتَبَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ المقَدَّسَةِ لِشُؤُونِ الإِعْلَامِ وَالْعَلَاقَاتِ الدُّوَلِيَّةِ) الَّذِي لَهُ الْأَيَادِي الْبَيْضَاءُ فِي إِحْياءِ تُرَاثِ مَدِينَةِ الإِمَامِ الحُسَينِ بْنِ عَلِيٍّ صَلَوَاتُ الله عَلَيهِمَا.

حَيَّا اللهُ الْعَامِلِينَ عَلَى إِحْياءِ تُرَاثِ أَهْلِ الْبَيتِ عَلَيهِمُ السَّلامُ وَوَفَّقَهُمْ لِبَثِّ عُلُومِهِمْ وَنَشْرِ مَعَارِفِهِم.

وَكَتَبَ

حَسَنُ الموسَوِيُّ البُرُوجِرْدِيُّ عُفِيَ عَنْهُ

أَوَّلُ رَمَضَانِ المبَارَكِ سَنَةَ ١٤٣٦ هـ

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

ها هو ذا كتاب سيرة أستاذ الكلّ الآقا محمّد باقر الأصفهانيّ المعروف بالوحيد البهبهانيّ يطبع وينشر للمرّة الثالثة تحت عنوان المجلّد التاسع من مفاخر الإسلام. وقد تمّت مراجعة هذه الطبعة وزيدت عليها بعض الإضافات. وسنورد فيما يلي هذه الإضافات والملاحظات التي يجب التذكير بها:

١ ـ لم نكن قد ذكرنا مصادر الكتاب في الطبعتين الأولى والثانية، ولكنّنا تلافينا ذلك تماماً في هذه الطبعة، وأدرجنا كلّ الوثائق والمصادر التي استقينا المعلومات منها، سوى بعض المواضع المتعلّقة بالطبعة الثانية والتي ذكرنا بها.

٢ ـ أدرجنا إضافات هذه الطبعة بين معقوفتين كي يتّضح ويتحدّد الجديد ومقداره.

٣ ـ ظهرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب في عهد مرجعيّة آية الله العظمى البروجرديّ في الحوزة العلميّة في قم عام ١٣٣٧ هـ.ش، حيث حظّي الكاتب باهتمام خاصّ من قبل المرجع المطلق لعالم التشيع إذ قال لي لمرّتين بحضور مجموعة من علماء الحوزة: «استفدتُ،

استفدت»، وتشرّفت باستلام أكبر جائزة للحوزة من يد ذلك العالم الجليل، كما فصّلت ذلك في سرد حياة ذلك المرجع الكبير (المجلّد الثاني عشر من مفاخر الإسلام).

٤ ـ وفضلاً عن ذلك العالم الجليل، فقد قال سماحة الإمام الخمينيّ للمؤلّف بعد مطالعة الكتاب: «أيّها السيّد دوانيّ! لا أذكر أنّني قرأت كتاباً من أوّله إلى آخره، ولكنّني قرأت الكتاب الذي ألّفتموه حول حياة السيّد البهبهانيّ من أوّله إلى آخره، لقد أحسنتم كتابته، جزاكم الله خيراً».

٥ ـ طبع هذا الكتاب ونشر للمرّة الثانية عام ١٣٦٢هـ ش، وجرت عليه مراجعة مختصرة، ومع ذلك فقد أدرجنا في هذه الطبعة المزيد من الإضافات، ولكنّنا حدّدناها كي يكون عملنا في أسلوب الكتابة في سنة ١٣٣٧ش معلوماً بشكل كامل.

٦ ـ كما أدرجنا في ملحقات الكتاب بعض التقاريض وبعض المواضيع الضروريّة التي لم نذكرها في الطبعتين الأوّليين.

٧ ـ ما أوردناه حول مسيرة العلوم والفنون الإسلاميّة وموضوع الأخباريّين في الطبعة الأولى وحتّى الآن لم يك له سابق عهد، أو «لم يسبقني فيه أحد» على حد قول علماء كبار من أمثال العلّامة الحلّيّ، ومع ذلك، فإنّ الكثير ممن مات ضميرهم استندوا إليه على نطاق واسع دون أن يشيروا في آثارهم إلى المصدر الذي سرقوه!

٨ ـ كما فصّلنا القول في المسيرة الجهاديّة للآقا محمّد علي

الكرمانشاهيّ الابن الأكبر للآقا الوحيد البهبهانيّ حيث سيشكل ذلك بدوره كتاباً مستقلاً، ومن المناسب أن يعرف العلماء والفضلاء قدره في ظلّ الأوضاع والظروف الحاليّة حيث وجد الأشخاص المتهتّكون شيئاً من الحريّة، وانتشرت مرّة أخرى الإباحيّة والتلوث بالفساد والانفلات، وهم مدعوون الآن إلى أن يعوا مسؤوليّتهم في توعية أبناء المجتمع وفضح المتهتكين والإباحيّين الذين يعملون تحت غطاء الدروشة والتصوّف وادّعاء الكشف والشهود والسير والسلوك وما إلى ذلك من ادّعاءات واهية وجوفاء.

٩ ـ من المناسب جدّاً أن تسمّى بعض المؤسّسات العلميّة والأماكن الدينيّة والمدارس الدينيّة والحكوميّة والشوارع باسم الأستاذ الوحيد البهبهانيّ وابنه النابغة الآقا محمّد علي الكرمانشاهيّ وذلك في بهبهان وأصفهان والحوزة العلميّة في قم والحوزات العلميّة الأخرى كي تبقى ذكرى هذين العالمين الجليليّن حيّة في أذهان جميع شرائح المجتمع.

١٠ ـ وصف العديد من مؤلّفي تراجم بعض العلماء أو مدّعي العرفان وخاصّة المريدين والأشخاص المرتبطين بهم، بلقب «الآقا» لكنّ كونهم آقوات يرتبط بنظر وادّعاء مريديهم فحسب. وإذا ما أطلقنا نحن هذا اللقب على أستاذ الكلّ فإنّنا لسنا المطلقين عليه هذا اللقب، فقد كان في عصره «الآقا» [السيّد] المطلق، سيّد الفقهاء والمجتهدين الكبار، بحيث إنّ أسرته كانت تعرف هي أيضاً بـ «آل الآقا»، لو عرف جميع أفراد هذه الأسرة منزلتهم!

١١ ـ من المناسب في جمهوريّة إيران الإسلاميّة أن يعاد بناء مرقد للآقا محمّد علي الابن الأكبر للآقا في كرمانشاه بشكل كامل، وأن يكتسب الشكل الجدير به، وبذلك نكرّمه لخدماته الصادقة للإسلام والمسلمين وأهالي كرمانشاه، كي يؤدّي هذا العمل بدوره إلى الحيلولة دون ضلال أصحاب الخانقاه ودراويش تلك المنطقة، ولا يضلّوا الناس أكثر من ذلك ولا يجرّوهم إلى الدروشة والانفلات.

١٢ ـ لقد ذكرنا في هذا الكتاب، لا الآن، بل قبل أربعين سنة ونيّف وفي عهد شبابنا، ماينبغي ذكره من سيرة أستاذ الكلّ وسيّد مراجع التقليد والمجتهدين الشيعة من البداية وحتّى النهاية، والباقيّ يقع على عاتق الضمائر الحيّة لأهل الفكر والقلم وإنصافهم ليعرفوا قدره، وأن لايضيّعوا الحقّ ولا ينسونا بصالح دعواتهم، فهو الحدّ الأدنى من الواجب الإنسانيّ الذي يقع على عاتقهم، كمصداق للحديث الشريف «من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق»، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

طهران: علي دوانيّ

١٤ من شهر مهر ١٣٨٠ ش

١٨ رجب ١٤٢٢ هـ

مقدّمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمان الرحيم

ها هي ذي الطبعة الثانية من كتاب سيرة أستاذ الكلّ الوحيد البهبهانيّ تصدر بعون الله تعالى وفي ظلّ عناية ولي العصر وإمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف بعد سنين عديدة. وقد صدرت الطبعة الأولى منه قبل ٢٤ عاماً بالضبط على يدي في مدينة قم المقدّسة ولكنّ تجديد طبعه كان يواجه التأخير منذ ذلك الحين وحتّى اليوم رغم كلّ الطلبات. وفي الحقيقة فقد كان التقصير منّي ولكنّي تلافيت ذلك التأخير الآن بتوفيق من الله.

وقد كان من المناسب أن تجرى في الطبعة الثانية بعض المراجعات في نصّ الكتاب ونضيف إليه مواضيع أخرى كنّا قد حصلنا عليها خلال أمد طويل. وقد كان أسلوب كتابته وتأليفه بحاجة إلى المراجعة بعد تلك السنين الطويلة والتغيّرات التي طرأت على فنّ الكتابة. وفضلاً عن ذلك فقد كان من المناسب أن نذكر المواصفات الكاملة لمصادر مواضيع الكتاب ووثائقها، لكنّ ذلك لم يتمّ للأسف لأسباب منها عدم توفّر الإمكانيّات.

إلاّ أن كلّ ذلك لا يقلّل من أهمّيّة الكتاب. وليكلّف الباحثون أنفسهم قليلاً عناء البحث في مظانّ المخطوطات والكتب المطبوعة التي حدّدنا مواضعها، كي يعرفوا قدر جهودهم وجهود الآخرين!!

نـاز پـرورد تـنعم نبـرد راه بـه عاشـقی شـيوه‌ی رنـدان بلاكـش

ترى كيف كان علماؤنا وشخصيّاتنا الذين تقرؤون تراجمهم في هـذا الكتاب، يدرسون ويبحثون ويحقّقون؟ هل كانوا يفعلون ذلـك بأسـلوبنا وبالاستناد إلى ما قام به الآخرون، أم كـانوا يكتبـون بأيـديهم ويدرّسـون ويتلقّون التدريس على أساس المخطوطات المغلوطة والمغشوشـة فـي غالبها، ويقومون بالتحقيق والبحث والتأليف والتصنيف؟ لاحظـوا مـدى الاختلاف في الطريقة والأسلوب؟!

لقد أدرجنا في الطبعة الثانية من الكتاب والتي هـي بـين يـدي القـرّاء الكرام، فضلاً عن هذه المقدّمة، شيئاً من التعديل والإصلاح فـي بعـض المواضع وبعض التهميشات وبعض الصفحات من المواضـيع الإضـافيّة في نهاية الكتاب وفيما عدا ذلك تمّ تجديـد طبعـة الكتـاب علـى نفـس الشكل السابق. وأنا أتصـوّر أنّ ذلـك لايخلـو مـن اللطـف حفاظـاً علـى أصالة الكتاب! ورغم أنّنا ذكرنا كلّ شيء تقريباً في مقدّمة الطبعة الأولـى عند تأليف الكتاب، إلا أننا نرى من الضروريّ ذكـر بعـض الملاحظـات للمزيد من التوضيح:

١ ـ عندما عمدت إلى تأليف هذا الكتاب في الحوزة العلميّـة فـي قـم ولِيَ من العمر ٢٥ عاماً وطبعته ونشرته بعد فترة، لم تكن الأرضيّة مهيّـأة لتأليف وتصنيف مثل هذا الكتاب. فلم يكن هنالـك، لا كاتـب يحتـذى بأسلوب كتابته ولم يكن فضلاء الحوزة وعلماؤهـا يقومـون بالدراسـات

في هذه المجالات. بل وكما ذكرنا في مقدّمة الطبعة الأولى، فإنهم كانوا يعتبرون مثل هذه الأعمال دون شأنهم! وأمّا القلائل الذين كانوا يمتلكون بعض المعلومات في هذا المجال فإنّهم لم يكونوا يفكرون في نشر معلوماتهم، في حين أن كتابة تراجم رجال علم الفقه والأصول والحديث كانت ضمن برنامج مفاخر فقهائنا ومجتهدينا ونوّابغنا السابقين (مثل الشيخ الطوسيّ والنجاشيّ والعلّامة الحلّيّ وابن شهر آشوب وأستاذا لكلّ الوحيد البهبهانيّ وغيرهم) وهنا يتّضح مدى الغفلة والتقصير اللذين كانا سائدين ومايزالان في الحوزات العلميّة!

ولقد كانت ولاتزال جهودنا ترتكز على أن نبدع أسلوباً يعتاد عليه ذوو العلاقة وأن نؤلّف حول حياة عظماء الإسلام ونعمد إلى التصنيف في هذا المجال دون التأثر بأسوب هذا وذاك في البحث. وبعبارة أخرى أن نكون مبدعين وسباقيّن، لا مقلّدين وتابعين. وبالفعل فقد حقّقنا بحمدالله هذا الهدف حتّى الآن.

٢ ـ كما أشرنا في مقدّمة الطبعة الأولى من هذا الكتاب وستلاحظونه في نصّ الكتاب أيضاً، فقد تحدّثنا في هذا الكتاب عن قضايا ومواضيع يستحقّ كلّ منها أن يخصّص له كتاب مستقل. وكان قد طُلِب منا مرّات أنّ نقوم بذلك، ولكنّ التوفيق لم يكن حليفنا حتّى الآن للأسف.

ومن جملة هذه المواضيع، مسيرة العلوم والفنون، تاريخ الاجتهاد في الإسلام، نفوذ الدروشة والتصوّف على يد مرتاض هنديّ مجهول الحال

يدعى معصوم علي شاه الدكنيّ الذي قدم من الهند إلى إيران، وأحدثت تحرّكاته الغامضة تفرقة كبيرة بين الناس والكثير من الاضطرابات والفتن.

وقد كان نشر التصوّف في تلك الفترة من جملة سياسات الإنجليز المستعمريّن لإثارة الفرقة، حيث كانوا يستهدفون تشتيت الأمّة الإسلاميّة وإثارة التناحر بينها من خلال نشر المذاهب المنحرفة كي يكون بمقدورهم عبر استغلال الاختلافات القائمة بين المسلمين، تثبيت قواعد استعمّارهم في الهند والبلدان الإسلاميّة الأخرى.

والآن نرى أنّ بعض المدّعين خرجوا من هذا البلد الإسلاميّ أو ذاك إلى جانب حضور بريطانيا في الهند والشرق الأوسط وإذا بكلّ واحد منهم ينشر مذهباً حديث الظهور بين مسلمي المنطقة ومنها على سبيل المثال المذهب الوهّابيّ على يد محمّد بن عبد الوهّاب في نجد والحجاز، والمذهب الصوفيّ الجديد على يد معصوم علي الهنديّ، وتحريكات پادري المسيحيّ، والمذهب القاديانيّ في الهند، والشيخيّة والبابيّة في إيران.

ومتابعة هذه القضايا سوف تلقي الضوء على أرضيّة إدراك حقائق جديدة من تاريخ سيطرة الغرب على البلدان الإسلاميّة ومخطّطاته الاستعمّاريّة المشؤومة لتقسيم البلدان الإسلاميّة وفرض نفوذه السياسيّ والثقافيّ على العالم الإسلاميّ والإتيان بالأنظمة والحكومات والأمراء

المرتبطين به، وإيجاد التفرقة والفتنة والفساد.

٣ ـ بعد نشر الطبعة الأولى من الكتاب، قدّمت نسخة منه إلى المرجع الفقيد للشيعة في العالم آية الله العظمى البروجرديّ قدّس سرّه وطلبت من هذا العالم الجليل بأن يتلطّف عليّ بإشكالاته على الكتاب إن بدت له، كي أسعى بإزالتها ليخلو الكتاب من العيب والنقص.

وبعد بضعة أيّام طلبني المرجع الفقيد وأحاطني برعايته بشكل لم أعهده من قبل وهو ما يشكل بحد ذاته قصّة تاريخيّة تستحقّ الكتابة. وهنا سوف أغضّ النظر ـ رعياً للاختصار ـ عن ذكر مراحم ذلك المرجع الفقيد والآراء التحريريّة والشفويّة لبقيّة الفضلاء والمراجع الكبار في الحوزات العلميّة في قم والنجف الأشرف، وسأكتفي من باب التيمّن والتبرّك بذكر نموذجين من آراء اثنين من مفاخر الطائفة كانا بحدّ ذاتهما خبيرين في هذا الفنّ.

الأوّل هو الرأي الإجماليّ لشيخ العلماء العلّامة الفقيد الشيخ آغا بزرگ الطهرانيّ مؤلّف الكتاب النفيس الذريعة إلى تصانيف الشيعة في ٢٥ مجلّداً، وطبقات أعلام الشيعة الذي طبع منه حتّى الآن ٨ مجلّدات وآثاره القيّمة الأخرى في تراجم رجال الشيعة وأعلامهم وفقهائهم ووآثارهم الفكريّة، ثمّ أذكر التقريظ القصير لنابغة العصر الشهير والعلّامة المعروف آية الله السيّد هبة الدين الشهرستانيّ مؤلّف الكتاب القيّم الإسلام والهيئة وحوالي خمسين كتاباً قيّماً آخر ثمّ أختم كلامي.

ومن المؤمّل أن ترفع مطالعة هذا الكتاب وآثارنا الأخرى في هذا المجال والتي أعددناها ودوّنّاها وطبعناها ونشرناها رغم فقدان الإمكانيّات ومواجهة المشاكل العويصة، والتي نهديها إلى طلّاب العلوم والفنون وآثار أهل بيت النبوّة، من مستوى علمهم وبصيرتهم، وأن لايحرموا المؤلّف خلال المطالعة من صالح الدعوات، وأنا أيضاً بدوري أسأل الله تعالى التوفيق للباحثين المخلصين والأمناء في هذا الطريق. والسّلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وصلّى الله على خير خلقه محمّد وآله الطيّبين الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين من الآن إلى يوم الدين.

طهران: علي دوانيّ

١٣٦١ ش

السادس من صفر ١٤٠٢هـ

مقدّمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمان الرحيم

حمداً لله لانهاية له، حمداً يليق بذات الخالق العليم التي لاتزول، الخالق الذي خلق بقدرته الكاملة عالم الخلق بنهج صحيح ونظم بديع، واختار من بين كلّ العالمين بني آدم، واصطفى من بينهم سلسلة العلماء؛ ﴿**إنّما يخشى الله من عباده العلماء**﴾[1]

ما نتوانيم حق حمد تو گفتن با همه كروبيان عالم بالا

«نحن لا نطيق أداء حقّ حمدك وإن اجتمعت معنا ملائكة الملأ الأعلى»

والصلاة والسّلام على الصادر الأوّل وأوّل معلوم العلم الإلهيّ الرسول المبجّل والنبيّ الأكرم محمّد بن عبدالله ﷺ معلّم البشريّة ومربّي النفوس الآدميّة ومكمّل عقول المجتمع البشريّ

يتيمى كه ناخونده ابجد درست كتب خانه‌ى هفت ملت

وعلى آله الأطهار، علماء الأمّة وترجمان الوحي الإلهيّ ومرشدي الخلق إلى طريق الخالق الواحد الأحد.

ز مشرق تا به مغرب گر امام است علىّ و آل او ما را تمام است

---

(١) فاطر: ٢٨.

وبعد، فإنّ علم الرجال هو أحد العلوم الإسلاميّة التي حظّيت باهتمام خاصّ من قبل المسلمين منذ منتصف القرن الثاني الهجريّ، وألّف منذ ذلك الوقت تلامذة الأئمّة عليهم السلام الكتب في ذلك العلم، وقاموا بدراسة ومعالجة أخلاق رجال الحديث ومعنويّاتهم وأقوالهم وأفعالهم. وبعد الغيبة الكبرى لإمام العصر أرواحنا فداه حيث انتفى موضوع علم الرجال تلقائيّاً وحلّ محلّهم العلماء والمحدّثون، لفت فنّ تراجم العلماء، أي البحث في حياة مفاخر العلماء والفقهاء والمتكلّمين المسلمين، أنظار كبار علمائنا، وبادر علماء كبار مثل الشيخ الطوسيّ، النجاشيّ، العلّامة الحلّيّ، الشهيد الثاني، السيّد علي خان الكبير، العلّامة المجلسيّ، الشيخ الحرّ العامليّ صاحب الوسائل وغيرهم إلى بسط هذا الفنّ وتوسيعه من خلال كتب الرجال والتراجم والفهارس وألّفوا كتباً نفيسة من قبيل الفهرست للشيخ، الفهرست لابن النديم، رجال النجاشيّ، رياض العلماء، لؤلؤة البحرين، الدرجات الرفيعة، أمل الآمل وروضات الجنّات. وبذلك اكتسبت دراسة حياة العلماء أهمّيّة خاصّة.

كما ألّفت في العهود المتأخرة الكثير من الكتب بالعربيّة والفارسيّة في هذا الموضوع، مثل تتميم أمل الآمل، نجوم السماء، تكملة أمل الآمل، الروضة البهيّة، قصص العلماء، فوائد الرضويّة، الكنى والألقاب، تنقيح المقال، أعيان الشيعة وأعلام الشيعة. ويمثّل البعض منها تراجم مستقلة

للعلماء والفقهاء والمجتهدين والمتكلّمين والفلاسفة، وخضع البعض الآخر للدراسة في كتب الرجال، بمعنى أنّ الحديث دار في كتب الرجال حسب المناسبة عن العلماء والفقهاء والمحدّثين وعن رجال الحديث وناقلي الآثار في تراجم العلماء من بعض الجوانب.

ولكنّ هذا العلم (تراجم العلماء) أهمل للأسف منذ فترة من الزمان وحتّى اليوم رغم أهميّته. حتّى إنّ الكثير من الفضلاء تجاهلوه وقصّروا في هذا المجال أيّما تقصير ظانّين أنّ بذل الجهد في هذا الفنّ لايزيد من علمهم وفضلهم ! أو آخذين بعين الاعتبار أنّ دراسة حياة العلماء بحاجة للعناء والتتبّع الواسع والصبر والتحمّل البالغ غايته، وحدث العكس من ذلك، فقد بادر إلى هذا النوع من التأليف الأشخاص غير المتخصّصين فيه فارتكبوا بالتالي الأخطاء نتيجة عدم اطّلاعهم وحطّوا من شأن هذا العلم الشريف.

وقد اطّلعت مؤخّراً في مجلة كانون وكلاء العدد ٥٧ على مقالة للسيد محمود سرشار نائب رئيس مركز المحامين تحمل العنوان «طريقة اكتشاف الانتحال في العصر الحاضر»، وسنذكر قسماً منها لتأييد ما ذهبنا إليه، فقد كتب سرشار قائلاً:

لقد كان الإيرانيّون يتبوّؤون في التاريخ مكانة رفيعة وشامخة للغاية وكانوا يعتبرون مهد حضارة البشريّة وكانوا يعدّون في صدر الإسلام وما بعده مبتكري فنون العصر وعلومه من أمثال:

سيبويه، واضع علم النحو
الشريف الرضيّ، واضع علم الصرف
الفارابيّ، في الحكمة
الشيخ مرتضى الأنصاريّ وعلم الهدى، في الأصول
العلّامة وصاحب الجواهر، في الحكمة والطبّ.

في حين أنّنا نعلم كلّنا أنّ سيبويه لم يكن واضع علم النحو كما أنّ الشريف الرضيّ كان عربيّاً لا إيرانيّاً وحتّى إذا خلط بينه وبين الشيخ الرضيّ فإنّ الأخير لم يكن هو أيضاً واضع علم الصرف، كما أنّ الفارابيّ كان من أهالي تركستان. ولو ذكر ابن سينا بدلاً منه لكان ذلك أكثر مناسبة. ومن الملفت للنظر أنّ الشيخ مرتضى الأنصاريّ وعلم الهدى حيث كان الأوّل من علماء العصر الأخير وعلم الهدى الذي هو الشريف المرتضى كان عربيّاً هو أيضاً. والأطرف من ذلك هو ابتكارات العلّامة وصاحب الجواهر في الحكمة والطبّ! ففضلاً عن أنّهما كلاهما عربيّان إلّا أنّ أيّ أحد لايعتبرهما حكيمين وطبيبين ويبدو أنّ شرح التجريد للعلّامة وكتاب جواهر الكلام أدّيا إلى خطئه.

والملاحظة الملفتة للنظر أنّ السيّد سرشار يبدو عديم الاطّلاع إلى هذا الحدّ على أبسط المعلومات التاريخيّة الإسلاميّة وكان قد تدخّل قبل فترة في الأحكام الفقهيّة أيضاً والتي هي من تخصّص المجتهدين الكبار في حفل لاتّحاد النساء، وذلك كما ذكرت صحيفة اطّلاعات وقال: «إنّ

الّذين يعتبرون النساء ضعيفات على خطأ كبير، لأنّ الإسلام اعتبر المرأة بالغة اعتباراً من سنّ التاسعة، في حين حدّد بلوغ الرجل في سنّ الخامسة عشرة» وقد تحمّست النساء لهذه الكلمة القيّمة فأطلقن أيديهنّ بالتصفيق الطويل، وربّما يعدّ هذا الكلام فيما بعد من الكلمات والحكم القصار!

ومع ذلك فعلينا أن نقدّم له الشكر لأنّه كرّم وقدّر كلّ عظماء رجال الإسلام وإيران ولم تدفعه الأغراض والأذواق ــ كما فعل بعض الكتّاب المعروفين الذين هم من أساتذة جامعة طهران ــ في الترجمة لعلماء الشيعة المعروفين، فلم يعتبر كما اعتبر أحدهم محقّقاً كبيراً مثل المقدّس الأردبيليّ جافّاً وقشريّاً، وعدّ الآخر العلّامة المجلسيّ وحجّة الإسلام الأصفهانيّ متظاهريّن وظالمين واعتبر الثالث الشهيد الأوّل والشيخ البهائيّ والمجلسيّ الأوّل صوفيّي النزعة والمسلك ومن الدراويش وما إلى ذلك، ولأنّهم لم يروا من يقف عقبة في طريقهم كما يقال:

مهر درخشنده چو پنهان شود شب پره بازيگر ميدان شود

«حينما تختفي الشمس المشرقة، تأتي الخفافيش لتصول وتجول»

فلقد ارتكبوا كلّ ما يحلو لهم من أغراض وأغلاط في الترجمة لعلماء الشيعة الكبار ولم يألوا جهداً في الاستخفاف بهم وهتك حرمتهم.

ومن جانب آخر، فإنّ علماءنا المتخصّصين في هذه الفروع الساحة خالية انشغلوا في الفقه والأصول إلى درجة بحيث غفلوا عن كلّ ما

يحدث وتركوا الساحة خالية لهم كي يجعلوا بدافع من أهوائهم مكانة مفاخر المذهب الشيعيّ الذين ارتبط بقاء دين الله بهم في كلّ عصر، مسرحاً لأهوائهم وهوسهم وأخطائهم ويثيروا بالتالي الكراهيّة في نفوس الجيل الشابّ لهؤلاء العظام والانزجار من الدين!

***

لقد كنتُ منذ التفاتي إلى هذا الموضوع أتحيّن الفرص دوماً كي أضع بين أيدي المسلمين كتاباً عظيماً حول حياة مفاخر علماء الشيعة بلغة عصريّة مبسّطة يفهمها الجميع ولا يكون مغلقاً ككتب التراجم العربيّة والفارسيّة الأخرى حتّى يعرفوا قدر علمائهم من خلال دراسة أحوال أولئك الرجال الأجلّاء ويجلّوا آثارهم وكتبهم وأفكارهم ويدركوا حقّ الإدراك قدرة الإسلام وإيران على إنجاب مثل هؤلاء النوّابغ العظام.

وعندما صدر أوّل كتب المؤلّف وهو شرح حياة جلال الدين دوانيّ، كان الكثير من العلماء الذين استحسنوا أسلوبه، يقولون إنّ من المستحسن أن تنشر تراجم علماء الشيعة وفقهائهم وحكمائهم بالأسلوب نفسه.

ولأنّ هذا العمل بحاجة إلى الكثير من الوقت ورأس مال كاف، فمن أجل أن يتمّ تأمينه إلى حدّ ما بمصداق المقولة المعروفة «ما لايدرك كلّه لايترك جلّه» فقد ذكرنا في هذا الكتاب ـ المخصّص لسيرة أحد كبارهم ـ غالبيّة علماء الشيعة بشكل إجماليّ وتفصيليّ.

***

ويعدّ العلّامة الكبير الآقا محمّد باقر الأصفهانيّ المعروف بالوحيد البهبهانيّ ﷺ الذي خصّصنا هذا الكتاب لاستعراض سيرته، أحد أكبر علماء الشيعة، حيث كان هو وتلامذته وأولاده وأحفاده وأسباطه منذ مائتي سنة المحافظين دوماً على الدين الإسلاميّ الحنيف والمدافعين عن المذهب الشيعيّ النزيه.

ولقد تحمّلنا الكثير من المعاناة وقمنا بالأسفار وتعرضنا لكثير من المشاكل في إعداد مصادر هذا الكتاب، حتّى استطعنا بتوفيق الله أن نحصل على المصادر والوثائق اللازمة وأن نسلّط الضوء على النقاط المبهمة لسيرة أستاذ الكلّ الوحيد البهبهانيّ وخاصّة الترجمة المفصّلة والجديرة بالقراءة لابنه النابغة الآقا محمّد علي وأولاده الأجلّاء.

لقد كان هذا الكتاب تحت الطبع لمدّة سنة. وحدث كثيراً أنّنا كنّا نعثر أثناء الطبع على إحدى الوثائق التي كان من الضروريّ الاطّلاع عليها، فكنّا نضطر إلى إيقاف الطبع لنتوجّه إلى المدينة التي كانت توجد فيها تلك المخطوطة وكنّا نستنسخ المعلومات اللازمة من تلك المخطوطة، رغم كلّ المحاذير، ولذلك فقد بلغ حجم الكتاب ضعفي ما كنّا نتوقّعه، ورغم أنّ تكاليفه كانت تحمّلني عبء ثقيلاً! ولكنّني أشعر بالسعادة لأنّ مثل هذا الكتاب الجامع والشامل أصبح أخيراً في متناول أيدي عامّة الناطقين بالفارسيّة.

وعلى الرغم من أنّ هذا الكتاب هو باسم أستاذ الكلّ الوحيد البهبهانيّ، ولكنّه يشتمل على تراجم الكثير من مشاهير علماء الشيعة ومجموعة من علماء السنّة، فضلاً عن التواريخ ذات العلاقة والحكايات اللطيفة والملاحظات الأدبيّة والأحداث المهمّة التي وقعت طيلة تاريخ حياتهم.

وفضلاً عن ذلك، فلأنّ الفرق الضالّة ومنها الصوفيّة قد انتشرت أخيراً وانبرت لإضعاف الروح الدينيّة للمسلمين، وعكفت على بناء الخانقاهات في المدن المختلفة ونشر بدعهم وضلالاتهم مثل البوق والجلود والكشكول والشارب ومن تشاء بتحريك من الأجانب، فقد كتبنا شرحاً مفصّلاً عن حادثة قمع رؤوسهم من شأنها أن تفضح حقيقة الصوفيّة عملاً بما قاله النبيّ ﷺ: «إذا ظهرت البدع في أمّتي فليظهر العالم علمه وإلّا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[1]، كما أوضحنا بالتفصيل الاختلاف بين المدرستين الأخباريّة والأصوليّة وقيمة ادّعاء الأخباريّين. كي يكون بإمكان كلّ شخص وحسب فهمه واستعداده أن ينتفع من هذا الكتاب.

***

وكما سيأتي في هذا الكتاب، فقد كان أستاذ الكلّ علّامة العلماء، الآقا

---

(١) سفينة البحار: في لفظة الباء. وقال في حديث آخر: إذا ظهرت البدع في أمّتي فليظهر العالم علمه، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله (الكافي١: ٥٤).

محمّد باقر الأصفهانيّ المعروف بـ «الوحيد البهبهانيّ» من أكبر حملة مشعل علم أصول الفقه، حيث هبّ في عصر مظلم للمحافظة عليه وحمايته وأحيى اسمه الذي كاد أن يندثر من جديد وأرسى قواعده مرّة أخرى.

بحيث لم يحدث منذ ذلك العصر وحتّى اليوم فتور في أساس الاجتهاد والتقليد الذين هما أفضل الطرق لاستنباط الأحكام والأوامر الإلهيّة وحسب بل كان نطاقهما يزداد اتّساعاً وأسسهما رسوخاً مع مرور الأيّام.

ولذلك فعلى الرغم من أنّ هدفنا في هذا الكتاب الترجمة لحياة ذلك العلّامة الكبير، ولكن ولأنّ حياته مرتبطة بسلسلة من الموضوعات المتعلقة بعلوم الفقه والأصول والدراية والرجال ولابدّ أن يدور الحديث عن الأحاديث والأخبار والاجتهاد والتقليد وتمييز الأصوليّ عن الأخباريّ، فقد رأينا أنّ من المناسب أن ندرس ونستعرض قبل التطرق إلى أصل الموضوع خلاصة حول مسيرة أحكام الفقه الإسلاميّ وظهور علم الأصول وأسباب تفرّع الأخباريّين عن الأصوليّين والعصور التي اجتازها الأخباريّون حتّى الآن، كي يستكمل الكتاب مواضيعه من جميع الجهات ولكي يتعرف القرّاء عند المطالعة على هذا النوع من المصطلحات ولا تتبقى أمامهم نقطة غامضة.

ونحن نأمل أن تتقبّل الذات المقدّسة للبارىء تعالى هذه الخدمة

المتواضعة، وأن يهدي الكاتب والقاريّء إلى الطريق الذي قطعه هؤلاء العظام وأن يثبتوا على هذا الطريق، ويحشرهم معهم.

﴿ربّنا إنّنا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنّا، ربّنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفّر عنّا سيّئاتنا وتوفّنا مع الأبرار﴾[1]

قم ـ علي دوانيّ
١٢ من شهر آذر ١٣٣٧ ش
الموافق للثاني والعشرين من
جمادى الأولى ١٣٧٨ هـ

---

(١) آل عمران: ١٩٣.

تخليداً لذكرى العلّامة الفقيد الشيخ آغا بزرگ الطهرانيّ

دار الإيمان، قم ـ سماحة السيّد دوانيّ المحترم (سلّمه الله)

بسم الله وله الحمد

... حينما أرسلتم قبل فترة ترجمة أحوال المحقّق الدوانيّ، قدّمت لكم الشكر على وصوله، حتّى بعثتم النسخة الشريفة لترجمة الوحيد البهبهانيّ، فما كان منّي أنا الحقير إلا أن عبّرت عن سروري البالغ، ولكنّني لا أدري لماذا لم يصلكم؟[1]

وكيف يفترض أنّني لم أقدّر خدمتكم العظيمة هذه لأكبر علماء الإسلام؟ وبالطبع فقد لاحظتم أنني أنا الحقير كتبت في الترجمة لهذا الشخص الجليل ما يقرب من ثلاث صفحات في مجلّد كرام البررة[2] فأين ذاك من هذا المجلّد النفيس الكبير المشتمل على ما يقرب من

---

(١) كان العلّامة الفقيد قد كتب شرحاً في الإشادة شادة بتأليف كتاب سيرة حياة جلال الدين دوانيّ الفيلسوف الشهير وهو أوّل تأليفاتي، وكان قد كتب شرحاً آخر بوصفه تقريضاً على كتاب الوحيد البهبهانيّ ولكنّه لم يصلنا. وتاريخ إرسال الرسالة هو ١٣٣٨/٤/١٥ ش.

(٢) أعلام الشيعة، الكرام البررة ٢: ١٧١.

خمسمائة صفحة والذي كتبه سماحتكم؟ فكيف لي مع قصر باعي أن أقوم بتقريض هذا الكتاب الجليل؟

ليس بمقدوري أن أؤدي حقّه مهماً كتبت ولأنّ الكتاب نفسه باللغة الفارسيّة السلسة فإنّ كلّ شخص ملمّ بالقراءة الفارسيّة سيدرك فوائده ومزاياه... والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

من الفانيّ: آغا بزرگ الطهرانيّ

كلمة للعلّامة الشهرستانيّ

بسم الله وله الحمد

من دواعي مزيد سروري وبهجتي أنّني اطلعت على هذا الكتاب الكريم المسمّى بـ «الوحيد البهبهانيّ» والذي يتمتّع من كلّ الجوانب بعلوّ المرتبة والأهمّيّة، سواء من حيث الموضوع التاريخيّ والشخصيّة المرموقة للآقا الوحيد البهبهانيّ والفريد بلا ثاني و سواء من حيث سعة الباع وكثرة الاطّلاع وإحاطة مؤلّفه الفاضل العالم المحترم حضرة السيّد علي دوانيّ، وحلاوة تلاوة عباراته المباركة ومعانيه البارزة التي تستحقّ عظيم التمجيد...

ولذلك فإنّني وفضلاً عن الإشادة بهذا المؤلّف القيّم وتقدير المجهود المحمود للمؤلّف الفاضل، أمّد يدي للدعاء له بالخير، وأطلب من الله الواحد الأحد الثواب له على هذه الخدمة الكبيرة[1]

هبة الدين الحسينيّ الشهرستانيّ

٧ رمضان ١٣٧٨ هـ

---

(١) كتب آية الله الشهرستانيّ حول موضوع انتسابه إلى أستاذ الكل الوحيد البهبهانيّ رسالة لي ذكرتها في موضعها.

كيف كان المسلون في عهد النبيّ صلى الله عليه وآله يؤدّون واجباتهم؟

يقوم الدين الإسلاميّ الحنيف الناسخ لكلّ الأديان الإلهيّة وأكملها، على أصلين أساسيّين:

الأوّل هو أصول الدين التي لا مجال فيها للتقليد ويجب الاعتقاد بها بالدليل والبرهان العقليّين. وأصول الدين الإسلاميّ خمسة هي:

١ ـ الاعتقاد بوحدانية إله العالمين.

٢ ـ الاعتقاد بأنّ الله عادل ويعادي الظالمين بشدة.

٣ ـ الاعتقاد بنبوّة كلّ الأنبياء والرسل من آدم وحتّى النبيّ الخاتم صلى الله عليه وآله.

٤ ـ الاعتقاد بأنّ أمير المؤمنين علياً عليه السلام وأبناءه الأحد عشر هم الخلفاء الحقيقيون للنبيّ صلى الله عليه وآله.

٥ ـ الاعتقاد بأنّ الله يبعث من في القبور يوم القيامة وأنه يثيب المحسنين ويعاقب المسيئين. ويسمّى العدل والإمامة بـ «أصول الذهب» باعتبارهما موضع خلاف بين الشيعة والسنّة.

والثاني هو فروع الدين ويقع من حيث الأهمّيّة في الدرجة الثانية من الدين بمعنى أنّ من الواجب أوّلاً الاعتقاد بتلك الأصول الخمسة ثمّ الاعتقاد بعد ذلك بفروع الدين، لأنّ الأصول تعني الجذور والفروع شعبها. وفروع الدين هي حسب الترتيب التالي: الصلاة، صيام شهر

رمضان، الخمس، الزكاة، الحجّ، الجهاد، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وموالاة محبّي أهل البيت عليهم السلام ومعاداة أعدائهم (التولّي والتبرّي). وهنا يعدّ الفرعيّن وهما موالاة محبّي أهل البيت ومعاداة أعدائهم من الفرائض في المذهب الشيعيّ وأهل السنّة لا يعتقدون بهما.

وفروع الدين هي الأعمال التي تميّز كلّ مسلم ولايسقط التكليف بها لمجرّد الاعتقاد. وكلّ أحكام الدين الإسلاميّ سواء ما بيّن منها في القرآن أوما وصلنا من سنّة النبيّ صلى الله عليه وآله وأحاديث أهل البيت عليهم السلام تدور كلّها حول محور فروع الدين التي هي الأمور الثمانية الأولى.

والّذين كانوا يعتنقون الإسلام في عهد النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وكانوا يعيشون في عهده لم يكونوا يواجهون المشكلات كثيراً من حيث العمل بأحكام الدين، فقد كانوا يرجعون إلى النبيّ صلى الله عليه وآله نفسه ويؤدّون واجباتهم الدينيّة بعد استفسارهم عنها منه صلى الله عليه وآله. ولذلك فإنّ المسلمين لم يكونوا بحاجة في ذلك الوقت إلى أيّ من العلوم والفنون الإسلاميّة التي ظهرت فيما بعد. ويجب أن نعلم أنّ طرق استنباط الأحكام والعمل بها كانت في عهد النبيّ صلى الله عليه وآله على نحوين:

١ ـ الكتاب: بمعنى أنّه كلّما كان النبيّ صلى الله عليه وآله يُسأل في الأحكام الفرعيّة التي هي نفس الواجبات الدينيّة، وكانت هنالك آية من القرآن الكريم في ذلك المجال، فقد كان النبيّ صلى الله عليه وآله يتلو تلك الآية ويدعو المسلمين إلى الامتثال بما أمر به الله والابتعاد عمّا نهى عنه. وقد نزلت آيات في هذا

الخصوص بشكل إجماليّ تبلغ ما يقرب من خمسمائة آية وتسمّى آيات الأحكام.

٢ ـ السنّة: وتنحصر في ثلاثة أشياء قول المعصوم وفعل المعصوم وتصويبه وتسمّى هذه الثلاثة في علم الدراية بقول المعصوم وفعله وتقريره.

وقد كان قول المعصوم يتمثّل في أنّ المسلمين في عهد النبيّ ﷺ كانوا ـ على سبيل المثال ـ يحتاجون إلى حكم من أحكام الدين ولم يكن قد بلغهم حكم من القرآن إجمالاً أو تفصيلاً، فكان النبيّ ﷺ يصدر الحكم بنفسه ويحدّد الواجب. فكما أنّ النبيّ ﷺ كان ترجمان الوحي ومفسّر الشريعة الإلهيّة فقد كان يتمتّع أيضاً بالتخويل من الله تعالى بأن يضع التشريع بنفسه في الحالات اللازمة. ولذلك فإنّ سنّة النبيّ ﷺ التي هي الأحاديث والأخبار، لا تختلف عن الكتاب بإجماع المسلمين.

فنصوصه حجّة كنصوص القرآن ويتمّ الاستناد إليهما كليهما في مقام استنباط الأحكام الشرعيّة. والاختلاف الوحيد هو أنّ سند القرآن قطعيّ ويقينيّ، ولكنّ قطعيّة سند السنّة بحاجة إلى البحث والدراسة.

وقد كان فعل النبيّ ﷺ بشكل بحيث إنّه كان يقوم بعمل ما على سبيل الاستحباب أو الوجوب فكان بذلك يعلّم المسلمين كيف يجب أداء الواجبات والفرائض الدينيّة، وعلى سبيل المثال فقد أدّى ﷺ الصلاة ثمّ قال لأصحابه: (صلّوا كما رأيتموني أصلّي).

كما كان تصويبه أو تقريره بشكل بحيث إذا كان أحد الصحابة يؤدّي عملاً ما في حضوره وكان عمله متّفقاً مع ما جاء في الشريعة فإنّه ﷺ لم يكن يمنعه من ذلك وكان يصادق على عمله.

بعد النبيّ ﷺ

بعد وفاة النبيّ الأعظم ﷺ لم تكن دائرة الإسلام قد اتّسعت بعد ولم يكن المسلمون كثيري العدد بحيث يواجهون المشاكل في حالة احتياجهم لأحكام الدين وحاجتهم إلى معرفتها، وإذا ما احتاجوا إلى ذلك فقد كانوا يرجعون إلى كبار الصحابة الذين كانوا يوضّحون لهم الأحكام في كلّ باب وكل عمل رأوه عند النبيّ ﷺ أو سمعوا به عنه، وكان المسلمون بدورهم يتقبلون أحكامهم دون فحص وبحث لأنهم كانوا يؤمنون بوثاقتهم وعدالتهم وفهمهم ودرايتهم ويعملون كما يشيرون به. وظلّ الحال على هذا المنوال حتّى تجاوزت الجيوش الإسلاميّة حدود الجزيرة العربيّة واستولت بفضل شجاعتها على مناطق بأكملها ودخل الناس في دين الله أفواجاً فأخذ عدد المسلمين بالتزايد.

وظهرت منذ ذلك الحين موضوعات وحدثت قضايا جعلت الصحابة يواجهون المصاعب في مجال تحديد الواجب الشرعيّ. بمعنى أنّهم لم يكن بمقدورهم فعل شيء بشأن حل تلك القضايا وإصدار الأحكام حتّى رأوا أخيراً أنّ الحل يكمن في توظيف روح التشريعات الإسلاميّة والمصادر الأوّليّة (الكتاب والسنّة) من أجل تحديد الحكم وإصدار

الفتوى كما سيأتي ذلك باختصار.

ويسمّى هذا العصر الذي استمر حتّى ما بعد مائة عام تقريباً بعد وفاة الرسول الأعظم ﷺ بعصر الصحابة. وفي هذا العصر لم يكن طريق استنباط الأحكام عسيراً بالمرّة على إثر وجود أشخاص كانوا قد أدركوا النبيّ ﷺ وتلقوا منه الأحكام والتشريعات.

ويأتي بعد عصر الصحابة عصر التابعين الذين كانوا قد تلقوا علومهم ومعلوماتهم من الصحابة وكانوا يعتبرون في الحقيقة تلامذتهم وجاء من بعدهم تابعو التابعين وكلّما كان الإسلام يزداد اتّساعاً وتمرّ مدّة أكثر من عهد النبيّ ﷺ كانت الحاجة تزداد إلى تعيين مايجب فعله وفهم التشريعات والاستناد إلى الكتاب والسنّة.

ومن جهة أخرى وعلى إثر الانشقاق الذي حدث بين المسلمين بعد وفاة النبيّ ﷺ والذي أدىّ إلى أن ينقسم المسلمون إلى فئتين إحداهما توالي أمير المؤمنين عليه السلام والأخرى تناصر أبا بكر بن أبى قحافة؛ أعرض غالبيّة المسلمين عن باب مدينة علم النبيّ ثمّ قطعوا بعد ذلك علاقتهم مع أولاده المعصومين ولذلك فقد كانوا يقعون في حيرة عجيبة عند فهم حكم من أحكام الدين. ومن جهة أخرى فقد عمدت فئة إلى تدبير الدسائس والمؤامرات وانتحلت أخباراً باسم النبيّ ﷺ وأدخلتها الأحاديث والروايات وزادوا بذلك من تعقّد المشكلات ووخامة الأوضاع.

انتحال الحديث نقلاً عن الله والنبيّ صلى الله عليه وآله

لقد بدأت حركة انتحال الأحاديث والكذب على الله ورسوله منذ عهد النبيّ صلى الله عليه وآله، وذلك بأنّ مجموعة من اليهود والمنافقين الذين أخفقوا في مواجهة النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله أظهروا عداءهم له عن طريق انتحال الأحاديث كي يوقعوا المسلمين في الشك في تعيين أحاديث النبيّ صلى الله عليه وآله وتمييز الصحيح والسقيم منها ويقوّضوا دعائم نظام الحكم الذي كان النبيّ صلى الله عليه وآله قد أقامها وينتقموا بذلك منه صلى الله عليه وآله.

وفضلاً عن ذلك، فإنّ جماعة من الّذين التحقوا بجبهة أتباع أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية في ساحة تنافس الخلفاء مع أمير المؤمنين علي عليه السلام، بادرت إلى انتحال الكثير من الأحاديث في أصول الدين وفروعه على لسان النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وأدخلوها ضمن الأحاديث النبويّة وذلك من أجل أن لا يعلم الناس بفضائل أهل بيت العصمة عليهم السلام ولاتتزلزل دعائم حكم الخلفاء وخلافتهم التي اغتصبوها.

وقد نقل الشيعة والسنّة في كتبهم أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله ارتقى المنبر ذات يوم وقال: «وإنّ الحديث سيفشو عنّي، فما آتاكم عنّي يوافق القرآن فهو عني وما خالف القرآن فليس منّي»[1].

وحسب هذا الحديث فقد شاع منذ تلك الفترة، أيّ منذ وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله انتحال الأحاديث في الإسلام وظهر أوّل آثاره في حادثة اغتصاب فدك

---

(١) الكافي ١: ٦٩.

وتضييع حقّ فاطمة الزهراء عليها السلام. ذلك لأنّ أبا بكر وعمر انتحلا على لسان النبيّ ﷺ رواية وادّعيا أنّه ﷺ قال: «نحن معاشر الأنبياء لا نورّث، ماتركناه صدقة»، في حين أنّ ذلك مخالف لنصّ القرآن الصحيح حيث يقول تعالى: ﴿**وورث سليمان داود. فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب**﴾[1].

وبعد وفاة النبيّ الأعظم ﷺ وحادثة سقيفة بني ساعدة وتولّي أبي بكر للخلافة وحادثة اغتصاب حقّ بنت رسول الله ﷺ وإنكار خلافة أمير المؤمنين عليه السلام بعد النبيّ ﷺ مباشرة والذي تمّ كلّه من خلال انتحال الأحاديث على لسان النبيّ ﷺ، تجرّأ الكثير من الناس على انتحال الأحاديث، وأخذت الأحاديث المنتحلة تتدفّق وظهر أشخاص كان عملهم انتحال الأحاديث والكذب على الله والرسول والأئمّة.

وقد خصّص العلّامة الكبير الحاج الشيخ عبد الحسين الأمينيّ النجفيّ في المجلّد الخامس من كتابه النفيس الغدير مائة وخمساً وسبعين صفحة للكذّابين والوضّاعين ومنتحلي الأحاديث وقام ببسط الحديث في هذا الموضوع من خلال تقديم الوثائق الكافية من كتب أهل السنّة وذكر أسماء المفترين الذين انتحلوا الأحاديث واستنتج أنّ هؤلاء الأشخاص انتحلوا أربعمائة وثمانين ألفاً وثلاثمائة وأربعة وعشرين حديثاً مزوّراً لا أصل له ومقلوباً في فضل أبي بكر وعمر وعثمان

---

(١) النمل: ١٦.

ومعاوية وعبيدة بن الجرّاح (حفّار القبور المعروف في مكة) وأبي حنيفة وآخرين ونشروها وهي مسجّلة ومضبوطة اليوم في كتب أهل السنّة!!

وفضلاً عن ذلك، فقد ذكر أسماء ستمائة وعشرين من المزوّرين والسرّاق ومنتحلي وجاعلي الأحاديث وهو يستشهد بعدد لا حصر له من كتب أهل السنّة اعتبرت أحدهم في أحد المواضع بأنّه «كذّاب يضع الأحاديث» أو «دجّال يضع الحديث» وقالت عنه في موضع آخر بأنّه «مزوّر يضع الحديث» أو «معروفاً بسرقة الأحاديث»! ولو افترضنا أن كلّ واحد منهم انتحل ما مقداره عشرة أحاديث لبلغ عدد الأحاديث المزوّرة مليون حديثاً انتحلها أنصار أبي بكر وعمر وعثمان وأبي حنيفة بين المسلمين. [فضلاً عن ما انتحله الزنادقة وأصحاب الإسرائيليّات ونشروه.].

وممّا زاد من جرأة المنتحلين للحديث العقيدة التي يحملها أهل السنّة بشأن الصحابة. ذلك لأنّهم يعتبرون جميع الصحابة عدولاً ومصيبين لأنّهم رأوا النبيّ ﷺ وتشرّفوا بحضوره، ويقولون إنّ «الصحابة كلّهم عدول» ومن الطريف أنّ هذا الحديث نفسه منتحَل، ولذلك فإنّهم لا يجيزون أيّ نوع من الشك في رواياتهم ويأخذون بما رووا دون أيّ نقّاش.

وعلى سبيل المثال فإن روي حديث عن الصحابة يتعارض مع موازين الشريعة ونصّ القرآن فإنّهم ينسبون انتحاله إلى الرواة الذين

نقلوه عن الصحابة لأنّهم يعتبرون الصحابة عدولاً ومبرّئين من الكذب والافتراء والتهمة، كما حدث بالنّسبة إلى أبي هريرة فقد برّؤوه من كلّ تلك الروايات المزيّفة ونسبوها إلى طبقة الرواة اللاحقين.

وقد وصلت مبالغاتهم في هذا المجال حدّاً بحيث إنّهم اعتبروا أشخاصاً فاسقين ومنافقين وكافرين كمعاوية بن أبي سفيان ومروان بن الحكم وثمرة بن جندب والمغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص وأبي هريرة عدولاً ومتّقين وموثّقين لأنّهم رأوا النبيّ ﷺ وسمعوا أحاديثه، في حين وصلتنا الكثير من الروايات عن النبيّ ﷺ في لعن الأشخاص المذكورين وقدحهم وتفسيقهم وتكفيرهم، كما اعترف بذلك كبار علمائهم. ومن أجل أن نراعي الاختصار، فإنّنا سنذكر شخصاً واحداً منهم من باب (الغيض من الفيض) ونختصر الكلام من خلال حديث مختصر عنه لنتجاوز ذلك إلى موضوع آخر.

وهذا الشخص المعروف أكثر من الجميع عند أهل السنّة، وكانت له الحصّة الأكبر من الأحاديث المنتحلة، هو أبو هريرة الذي يعتبر عند أهل السنّة من أكثر أصحاب النبيّ ﷺ توثيقاً. وفي هذا المجال كتب آية الله الفقيد السيّد شرف الدين العامليّ في كتاب أبو هريرة قائلاً:

«تتجاوز الروايات التي نقلها أبو هريرة عن النبيّ مجموع الروايات التي رواها الخلفاء الأربعة وكلّ رجال بني هاشم ونسائهم عن النبيّ ﷺ! فكيف يمكن الوثوق بصحة كلّ هذه الروايات في حين أنّ إسلام أبي

هريرة تأخّر عن سائر الصحابة وكانت لقاءاته بالنبيّ أقلّ؟»[1].

لقد أسلم أبو هريرة في السنة الثامنة من الهجرة ولم يدرك النبيّ صلى الله عليه وآله سوى سنة واحدة وتسعة أشهر، في حين أنهم أسلموا قبله بمدّة طويلة وكانوا يلازمونه صلى الله عليه وآله في معظم الأوقات لم ينقلوا واحداً بالآلف من روايات أبى هريرة عنه صلى الله عليه وآله. لقد كان أبو هريرة حريصاً على مصلحته هو نفسه، فبعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله كان أبو هريرة من بين المبايعين المتحمّسين لأبي بكر ثمّ تبع عمر من بعده وعند محاصرة عثمان كان من جملة الّذين كانوا في بيت عثمان ولذلك فقد حظّي باهتمام بني أميّة وثقتهم.

والتحق بمعاوية بعد موت عثمان وعيّن حاكماً على المدينة من جانب عامله ووثّق علاقته بمعاوية بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام وانتحل ما استطاع الأحاديث على لسان النبيّ صلى الله عليه وآله في مدح بني أميّة وذمّ بني هاشم وكان يقرؤها للمسلمين على الأشهاد. ولقد انتهج أبو هريرة أسلوب انتحال الأحاديث منذ عهد أبي بكر، ولكنّه بلغ ذروة ذلك في عهد معاوية ولقد اتبعه الآخرون في ذلك وكلّف معاوية المجاميع الكبيرة من الكذّابين لاختلاق الأحاديث مما يضيق المقام عن ذكر ذلك كلّه.

وكان أبو هريرة ينتحل في عصر كلّ واحد من الخلفاء وبني أمية الروايات المتوافقة مع أهوائهم وكان يهدف من وراء ذلك بشكل رئيس

---

(١) السيّد شرف الدين العامليّ، أبو هريرة، الطبعة الأولى: ٤٢.

إلى محو الفضائل الخاصّة بأهل البيت عليهم السلام، فلقد كان يختلق في مقابل كلّ حديث مرويّ عن النبيّ ﷺ في فضل أهل البيت، حديثاً بنفس السياق والمعنى في فضل أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية وغيرهم كي لا تقتصر تلك الفضائل على أهل البيت وحدهم.

ومن جملة تلك الروايات ما جاء في كتاب أبو هريرة نقلاً عن الخطيب البغداديّ بإسناده عن أبي هريرة: «خرج النبيّ ﷺ متّكئاً على علي بن أبي طالب فاستقبله أبو بكر وعمر، فقال: «ياعلي أتحبّ هذين الشيخيّن؟ قال: نعم. قال: أحببهما تدخل الجنّة!!»[1].

وينقل في نفس ذلك الكتاب من كتب أهل السنّة أنّ أبا هريرة قال: سمعت النبيّ ﷺ يقول: «لكلّ نبيّ رفيق في الجنّة، ورفيقي فيها عثمان!!»[2].

وينقل أيضاً في نفس ذلك الكتاب عن ابن عساكر وابن عدي ومحمّد بن عائذ ومحمّد بن عبد السمرقنديّ ومحمّد بن مبارك الصوريّ والخطيب البغداديّ بطرق كثيرة عن أبي هريرة أنه قال سمعت النبيّ ﷺ يقول: «إن الله ائتمن على وحيه ثلاثة أنا وجبرئيل ومعاوية»[3]،

---

(١) السيّد شرف الدين العامليّ، أبو هريرة، الطبعة الأولى: ٢٩.

(٢) المصدر: ١٨.

(٣) المصدر: ٢٦. كما جاءت هذه الأ حاديث الثلاثة المنتحلة كلها في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوريّ، تحت عنوان «فضل أبي بكر وعمر».

ونحن نعوذ بالله من هذه الأكاذيب التي نسبوها إلى رسول الله ﷺ (فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون).

ولم يكن أبو هريرة وسائر الوضّاعين ومنتحلي الأحاديث يفترون الحديث في القضايا المتعلّقة بالخلافة والمعتقدات، بل إنّهم نشروا شيئاً فشيئاً الكثير من الأحاديث في الفروع والأحكام الفقهيّة أيضاً ولأنّها كانت تختلط مع الأحاديث الصحيحة التي كانت قد وصلت عن النبيّ ﷺ وكانت تتعارض وتتناقض في الغالب مع صريح القرآن ونصوص السنّة، فقد وضعت المسلمين وخاصّة فقهاء الإسلام في وضع عجيب بحيث سادت حالة من الكساد في نشاطهم.

وفي هذا الخصوص كان أتباع أهل البيت عليهم السلام أي الشيعة وكما كان المسلمون يرجعون في عهد النبيّ ﷺ لتعيين واجباتهم ومعرفة أيّ حكم من أحكام الدين في كلّ آمر من الأمور إلى النبيّ ﷺ نفسه، فإنّهم كانوا يرجعون أيضاً في كلّ عصر إلى الأئمّة الطاهرين الذين و رثوا علوم النبيّ ﷺ كاملة وكانوا وبتصدّيق كافّة المسلمين أعلم الناس في زمانهم لمعرفة المصادر الساميّة للقرآن وأحكام الدين ويسألون عن الحكم في كلّ حالة ويعملون به دون أيّ تردّد، كما سنفصّل القول في ذلك.

وأمّا سائر المسلمين الذين كانوا يتّبعون الخلفاء ولم يكونوا يهتمون بأهل البيت عليهم السلام فقد رأوا أنّ العلاج الوحيد في ظلّ هذه الظروف حيث شاعت الأحاديث المنتحلة ولم يكونوا يعلمون بمدى وثاقة ناقلي الآثار،

هو أن يضعوا قانوناً من أجل إحراز الحقيقة والخلاص من هذه الحالة كي يكون معيار العمل ووثيقة الحكم في كلّ موضع. وكان هذا القانون عبارة عن «الرأي» و«القياس» و«الاستحسان» في حين أنّ هذا الحلّ كان بحدّ ذاته مشكلة أضيفت إلى المشاكل الأخرى!.

الرأي والقياس وتاريخ ظهورهما

عمد الّذين توسّلوا بالرأي والقياس من أجل رفع المحذور، إلى اختلاق الأحاديث هم أيضاً لكي لايعتبر المسلمون عملهم بدعة ولا يقولوا إنّ من غير الممكن الوثوق بشيء لم يكن في عهد الصحابة، فانبروا بانتحال الأحاديث في هذا الشأن وأشاعوا من خلال نشر بعض الأحاديث أنّ هذا العمل كان معمولاً في عهد الصحابة أيضاً وكانت له سابقة في ذلك العهد.

وقد قيل إن عمر بن الخطّاب كان أوّل من فتح باب الاجتهاد في الفقه الإسلاميّ. ودليلهم في هذا المجال الكتاب الذي كتبه عمر إلى أحد عمّاله وأمر فيه عامله (ماهو معناه) بأن يرجع أوّلاً إلى القرآن في كلّ أمر من أمور الدين، فإن وجد دليلاً في القرآن فليعمل به وإلا فلينظر في سنّة رسول الله، وإن لم يجد دليلاً من السنّة، فليرجع إلى عمل الصحابة وإجماع الأمة، فإن لم يجد الدليل في أيّ منها، فليقس ذلك الأمر بأشباهه ونظائره ليستنبط حكم القضية المشكوك فيها. ويرى ابن حزم الأندلسيّ الذي يعتبر من كبار علماء أهل السنّة في كتاب المحلّى أنّ هذا

الحديث الذي تمسّك به أهل القياس والذي يمثل دليلهم الوحيد إنّما هو منتحل ومزيّف ويقول في هذا المجال: «برهان كذبهم أنّه لاسبيل لهم إلى وجود حديث عن أحدالصحابة أنّه أطلق الأمر بالقول بالقياس أبداً إلّا في الرسالة المكذوبة الموضوعة على عمر فإن فيها: وأعرف الأشباه والأمثال وقس الأمور»[1].

وهذه الرسالة لم يروها إلّا عبد الملك بن معدان عن أبيه، وهو ساقط بلاخلاف وأبوه أسقط منه أومن هو مثله في السقوط فكيف وفي هذه الرسالة نفسها أشياء خالفوا فيها عمر.

ومن جملة ماقاله عمر في ذلك الكتاب «والمسلمون عدول بعضهم على بعض إلّا مجلوداً في حدّ أوظنيناً في ولاء أونسب» وهم لايقولون بذلك. وكلّ أتباع القياس من مذاهب أهل السنّة الأربعة لا يعترفون اليوم برأي عمر هذا، أي إنّهم لا يعتبرون المسلمين كلّهم عدولاً. فكيف يحتجّون بقول عمر في باب القياس، ولكنّهم لايعملون بقسم من قوله في تلك الرواية نفسها؟

ثمّ يأتي ابن حزم بشواهد من أبي بكر وعمر وعثمان وأمير المؤمنين عليه السلام وعبدالله بن عبّاس وعبدالله بن مسعود ومعاذ بن جبل ذمّوا فيها كلّهم العمل بالرأي والقياس ويستنتج أخيراً أنّ الرأي والقياس ظهرا في الأزمنة المتأخرة ولم يعمل بهما في عهد الصحابة.

---

(١) المحلّى بالآثار ١: ٥٨.

ولكن يستفاد من المصادر الأخرى لأهل السنّة وبعض الشواهد من خطب نهج البلاغة وغيره أنّ العمل بالرأي والقياس كان معمولاً به إلى حدّ ما اعتباراً من عهد الصحابة ولكنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يعارضه، علماً أنّه لم يكن بالجدّية التي تداوله بها فيما بعد أبو حنيفة وتلامذته حيث اعتبروه دليلاً مستقلّاً ومن مواضيع باب الاجتهاد، وكما سنذكر فإنّ رأي معظم الصحابة كان الاجتهاد في الغالب، لا الرأي المرادف للقياس الذي لا يستند إلى الدليل الشرعيّ. وعلى هذا وعلى حدّ قول أحد العلماء، فإنّ ادّعاء أهل السنّة بأن عمر هو أوّل من فتح باب الاجتهاد ليس صحيحاً، وإذا كان قصدهم من اجتهاد عمر تحريم حجّ التمتّع والزواج المؤقت للنساء وقول «حي على خير العمل» في الأذان هذه الأمور التي كانت حلالاً على عهد النبيّ ﷺ وحرّمها عمر فيجب القول إنّ مثل هذه الموضوعات ليست اجتهاداً فحسب بل هي بدعة واجتهاد في مقابل النصّ وهوما لا شك في حرمته.

والآن وقد اتضح الأمر إلى حدّ ما فعليا أن نرى ماهو القياس وسبب معارضة الشيعة له؟ فنقول في هذا المجال إنّه إذا تمّ إلحاق أمر ما لم ينصّ عليه الشرع إلى الأمر المشابه له والذي ورد النصّ على حكمه هو قياس وبعبارة أخرى فإنّ القياس عبارة عن تنفيذ حكم الأصل في الفرع بلحاظ القدر الجامع بينهما والذي هو سبب ثبوت الحكم. وقد اعتبره أنصار القياس من جملة أدلّة استنباط الأحكام الشرعيّة وتمسّكوا بالأدلّة

الأربعة، أي الكتاب والسنّة والعقل والإجماع من أجل إثبات شرعيّته، وقد عمد علماؤنا في كتب الأصول إلى نقض أدلتهم الواحد تلو الآخر ورفضوها كلّها.

وأما الاستحسان الذي هو «استثناء أمر جزئيّ من حكم كلّيّ أو العدول عن حكم الدليل إلى العبادة، من أجل مصلحة الناس» فهو حرام كالقياس.

ويعتبر أبو حنيفة أوّل من اتّخذ القياس والاستحسان مستنداً للحكم وملاكاً للعمل وأصدر الفتوى بشكل علنيّ استناداً إليهما وسار على منهجه من بعده تلامذته وأتباع أحمد بن حنبل وقد وردت في أخبار أهل بيت العصمة عليهم السلام الكثير من الروايات في منع القياس والاستحسان والعمل بهما وسنكتفي هنا بذكر ثلاث روايات لمجرّد أن يطّلع عليها القرّاء.

١ ـ ينقل الميرزا القمّيّ في كتاب القوانين، باب القياس عن كتاب المحصول[1] أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «تفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة أعظمهم فتنة على أمتيّ قوم يقيسون الأمور بآرائهم فيحلّون الحرام ويحرّمون الحلال».

٢ ـ روى ابن حزم الأندلسيّ[2] في كتاب المحلّى عن الإمام

---

(١) المحصول في علم الأصول، تأليف الفقيه الجليل السيّد محسن الأعرجيّ أحد التلامذة المعروفين للوحيد البهبهانيّ والذي سنتعرف عليه.

(٢) كان ابن حزم الأندلسيّ المتوفى عام ٤٥٦ من العلماء والفقهاء الجريئين لأهل السنّة.

أميرالمومنين عليه السلام أنّه قال: «إنّ السّنة لاتقاس، ألاترى أنّ المرأة تقضي صومها ولاتقضي صلواتها؟ يا أبان إنّ السّنة إذا قيست مُحقّ الدين» !![1].

٣ ـ روي في الكافي عن أبان بن تغلب عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال: «لوكان الدين بالرأي لكان أسفل الخفّ أولى بالمسح من أعلاه»[2].

وفي الحقيقة فإنّ البحث والتحقيق في هذا المجال ليسا من اختصاص هذا الكتاب، ومن أراد المزيد من الاطّلاع فعليه الرجوع إلى كتب الأصول.

---

(١) المحلّى ١: ٦١.

(٢) أصول الكافى ١: ٩٩.

الشيعة والعلوم الإسلاميّة

ذكرنا فيما سبق أنّ طريق استنباط الأحكام والعمل بها كان في غاية السهولة في عهد النبيّ ﷺ، إلا أنّ بعض الحالات حدثت بعد وفاته ﷺ عجز فيها الصحابة عن حلّها رغم كلّ الجهود التي كانوا يبذلونها من أجل حفظ الأحكام وضبطها وتلقّيها عن الرسول الأعظم ﷺ حتّى بلغ بهم الأمر حدّاً بحيث تدخّل القياس فابتليت أمّة النبيّ ﷺ بمثل هذا البلاء. والآن نريد أن نرى كيف كان ردّ فعل الشيعة في هذا المجال وماذا كان موقف الأئمّة؟

وحسب الرواية المتواترة التي نقلها السنّة والشيعة فقد قال النبيّ ﷺ في المرّة الأخيرة التي ارتقى فيها المنبر وهو مريض مخاطباً الناس: «إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»[1].

والمراد من أهل البيت كما ورد في الروايات الكثيره، فاطمة الزهراء وأمير المؤمنين وأبناؤهما المعصومون الأحد عشر الذين هم ترجمان الوحي ومفسرو القرآن الكريم وورثة علوم النبيّ ﷺ.

---

(١) مسند ابن حنبل ٥: ١٨٢.

ويروي ثقة الإسلام الكلينيّ في كتابه القيّم الكافي بإسناده عن سليم ابن قيس الهلاليّ أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال: «فمانزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله آية من القرآن إلاّ أقرأنيها وأملأها عليّ فكتبتها بخطّي وعلّمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها وخاصّها وعامّها ودعا الله أنّ يعطيني فهمها وحفظها فما نسيت آية من كتاب الله ولا علماً أملأه عليّ وكتبته منذ دعا الله لي بمادعا، وماترك شيئاً علّمه الله من حلال ولاحرام ولا أمر ولانهي كان أويكون ولاكتاب منزل على أحد قبله من طاعة أومعصية إلّاعلمنيه وحفظته فلم أنس حرفاً واحداً، ثمّ وضع يده على صدري ودعا الله لي أن يملأ قلبي علماً وفهماً وحكماً ونوراً فقلت: يا نبيّ الله بأبي أنت وأمّي منذ دعوت الله لي بما دعوت لم أنس شيئاً ولم يفتني شيء لم أكتبه أفتتخوّف عليّ النسيان فيما بعد؟ فقال: لا لست أتخوّف عليك النسيان والجهل»[1].

ويستفاد من هذه الرواية وعشرات الروايات المشابهة لها والتي شحنت بها كتب الفريقين أنّ علوم النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله حصل عليها كلّها أمير المؤمنين عليه السلام. وبناء على ذلك وكما أثبت علماؤنا في كتب الكلام، فإنّ الخلافة المباشرة للنبيّ هي حقّ أمير المؤمنين عليه السلام المسلّم به الذي كان البحر الزاخر بالعلوم والفنون والكمالات والخصال والصفات المحمّديّة صلى الله عليه وآله، ونحن الشيعة نرى أنّ كلّ هذه العلوم والأوصاف

---

(١) الكافي ١: ٦٤.

والكمالات انتقلت بعده عليه السلام إلى ابنيه المطهّريّن الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام، وبلغت بعد الإمام الحسين عليه السلام إلى الأئمّة التسعة من ذريته على التناوب، حتّى اليوم حيث يعدّ بقيّة الله إمام العصر أرواحنا له الفداء وارثه وحامل علومه.

واستناداً إلى الرواية المذكورة وبموجب ماقاله النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله في حجّة الوداع: إني و الله لا أعلم عملا يقربكم من الجنة إلا و قد أعلمتكم به و لا أعلم عملا يقربكم من النار إلا و قد حذرتكم عنه[1]، نقول إن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بيّن عموم الأحكام وقوانين الشريعة وأرجع فهمها إلى أهل البيت عليهم السلام. وبعبارة أخرى فإنّه صلى الله عليه وآله بيّن مايحتاجه المسلمون في أمر الدين والدنيا، ولكن لم يكن هنالك بين الصحابة من حفظه ووعاه سوى أمير المؤمنين عليه السلام، ولذلك فإنّ علياً باب مدينة علم النبيّ بحيث جاء في كتب الشيعة والسنّة أنّ عمر بن الخطّاب الذي كان عالماً بأحكام الفقه في الإسلام على ما يقول أهل السنّة قال في سبعين موضعاً: «لولا علي لهلك عمر»[2] وقال: «لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن»[3].

ومع ذلك فقد افترق المسلمون بعد النبيّ صلى الله عليه وآله عن علي عليه السلام وقطعوا فيما بعد علاقتهم مع الأئمّة الحقيقين وبذلك اختلقوا بدعة الرأي

---

(١) دعائم الإسلام ٢: ١٤.

(٢) انظر مصادره في كتب العامّة في هامش كتاب فروغ هدايت، ترجمة المؤلف: ٤٧، والأربعين للفخر الرازيّ: ٤٦٦، والرياض النضرة للمحب الطبريّ ٢: ١٩٦.

(٣) الغدير ٦: ٩٣، ١٠٣، ١٠٦ و ١٧٣.

والقياس والاستحسان نتيجة لشدة حيرتهم وجهلهم بأمر الدين، وحرّفوا بالتالي مسيرة أحكام الإسلام عن المحور الأصلي وضيّعوا بذلك السبيل إلى الدين، ولكن أولئك الذين لم يتخلّوا عن علي وآله منذ اليوم الأوّل، لم يتردّدوا أبداً في أمر الدين لأنّهم كانوا قد وقفوا في خندق الإيمان المنيع، ولأنّهم كانوا قد وجدوا طريقهم إلى ينبوع العلم والحكمة، فإنّهم لم يشعروا أبداً بالعطش ولم يتسلل الحزن إليهم.

از همه بدبخت‌تر خفاش بود كه عدوى آفتاب فاش بود

تقدّم الشيعة في علم الحديث

كتب جلال الدين السيوطيّ في كتاب تدريب الراوي قائلاً: «وأما ابتداء تدوين الحديث فإنّه وقع في رأس المائة في خلافة عمر بن عبدالغريز بأمره»، ولكنّ العلّامة الفقيد السيّد حسن الصدر ردّ هذا الرأي في كتاب تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام وقال: «أوّل من جمع الحديث النبويّ في الأسلام هو أميرالمومنين عليه السلام وأوّل من دوّن الحديث من شيعة أميرالمومنين بعده أبورافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وصاحب مال أميرالمومنين عليه السلام وأوّل من صنف في الآثار مولانا أبوعبدالله سلمان الفارسيّ رضيّ الله عنه الذي صنّف حديث الجاثليق الروميّ والآخر أبوذر الغفاريّ الذى صنّف كتاب الخطبة الذي شرح فيه الأمور التي وقعت بعد النبي صلى الله عليه وآله والآخر أصبغ بن نباته الذي كتب عهد أميرالمؤمنين لمالك الأشتر ووصيّته عليه السلام إلى ابنه محمّد بن الحنفية. والآخرون عبدالله ابن أبي رافع والحرث بن عبدالله الهمدانيّ وسليم بن قيس الهلاليّ

وعلي بن أبي رافع وميثم التمّار وكلّهم شيعة وكلّ منهم خلّف آثاراً حول قضايا أميرالمومنين عليه السلام وحوادث صدر الإسلام»[١].

وجاء الدور بعد ذلك للإمام زين العابدين عليه السلام الذي وضع في متناول أيدي المسلمين الصحيفة السجادية أي دورة كاملة من العلوم الإسلاميّة العالية والتعاليم الدينيّة، وخرّج تلامذة حافظوا على أحكام الدين الإسلاميّ من غِيَر الزمان ونشروها بين أهلها.

تقدّم الشيعة في علم الرجال

ذكرنا في الصفحات السابقة أن أعداء أهل بيت العصمة انتحلوا الكثير من الأحاديث وأدخلوها أحاديث النبيّ صلى الله عليه وآله. ونضيف هنا أنّ هنالك أشخاصاً ظهروا بين الشيعة سلكوا هذا الأسلوب الشيطانيّ القبيح وانتحلوا روايات على لسان الإمام محمّد الباقر والإمام جعفر الصادق عليهما السلام ونشروها بين الشيعة. وكان أشهرهم المغيرة بن سعيد، حيث قال الإمام الصادق عليه السلام لأصحابه بشأنه: «لا تقبلوا علينا حديثا إلا ما وافق القرآن والسنة أو تجدون معه شاهدا من أحاديثنا المتقدمة، فإن المغيرة بن سعيد لعنه الله دسّ في كتب أصحاب أبي أحاديث لم يحدث بها أبي، فاتقوا الله و لا تقبلوا علينا ما خالف قول ربنا تعالى و سنة نبينا»[٢].

ولكن ما هو مسلّم به أنّ الروايات المختلقة التي انتشرت بين الشيعة

---

(١) المحلّى بالآثار ١: ٥٨.

(٢) رجال الكشيّ، طبعة النجف: ١٩٥.

ليست لها علاقة بما نشره أهل البيت. وفضلاً عن أن نسبة الكذّابين ومختلقي الأحاديث والأشخاص اللاأباليّين الذين ظهروا بين الشيعة إلى هذه الطبقة من أهل السنّة هي نسبة واحد في المائة.

وقد أدّى وجود هذا النوع من الأشخاص الوضيعين والمحتالين، سواء بين الشيعة، أم السنّة، إلى أن يحذّر الأئمّة الأطهار أصحابهم من قبول أيّ حديث وخبر يصلهم باسم النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله أو أحد الأئمّة عليهم السلام، إلّا إذا تفحّصوا في البدء حول سلسلة سنده، وعرفوا الرواة الذين نقلوه. بمعنى أنّ المعصوم إذا كان قد مدحهم بالعدالة والأمانة والصدق فليقبلوه وإلّا فليردّوه.

لقد بذل علماؤنا الأجلّاء الجهود المضنية كي يجمعوا أسماء الأشخاص المجهولي الحال أوالمعلومي الحال أو الرواة الذين امتدحهم الأئمّة الأطهار معاً وأن يكتبوا ما جاء حول كلّ طائفة بشكل مستقل في ترجمة كلّ واحد منهم فوضعوا بذلك علم الرجال.

وقد جاء في كتاب تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: «يعتبر أبو محمّد عبدالله بن حيّان بن جبلة بن بحر الكنانيّ أوّل من أسّس علم الرجال حيث صنّف الرجال، كما هو مضبوط في رجال النجاشيّ ضمن أسماء مصنّفي الشيعة».[1] ويقول النجاشيّ: «كان عبدالله بن جبلة فقيهاً ثقة

---

(١) رجال الكشيّ، طبعة النجف: ٢٣٢.

ومشهوراً. وقد توفّي في سنة ٢١٩»[١].

وكتب السيوطيّ في كتاب الأوائل: «كان (شعبة) أوّل من تكلّم في علم الرجال وكان من علماء أهل السنّة»[٢]، في حين أنّ شعبة توفي سنة ٢٦٠ وعبدالله بن جبلة مقدّم عليه. وبناء على ذلك يجب القول إن قصد السيوطيّ أنّه أوّل شخص من أهل السنّة، لا أوّل شخص بين المسلمين. وقد بادر بعض أصحاب الإمام جعفر الصادق عليه السلام بعد عبدالله بن جبلة إلى تأليف الكتب في هذا العلم الشريف، مثل عبدالله البرقيّ وأبي القاسم الكوفيّ وأبي جعفر اليقطينيّ وأبي يعلى العلويّ وثقة الإسلام الكلينيّ ووالشيخ الصدوق والشيخ أبي عمرو الكشّيّ والشيخ الطوسيّ والشيخ النجاشيّ، حيث ألّف كلّ منهم كتاباً مستقلّاً في الرجال. ثمّ واصل العلماء والفقهاء الآخرون التأليف في هذا الفرع فقدّموا كتباً أكثر تفصيلاً من جملتها منهج المقال للأستراباديّ والفوائد الرجاليّة للوحيد البهبهانيّ ومنتهى المقال للشيخ أبي علي الحائريّ وتنقيح المقال للمامقانيّ في عصرنا.[٣]

لقد فصّلنا الحديث في هذا القسم كي يتعرف القاريء الكريم على مدى الجهود التي بذلها علماء الشيعة من أجل حفظ آثار النبيّ

---

(١) رجال النجاشيّ: ٢١٦.

(٢) تأسيس الشيعة: ٢٣٣.

(٣) قاموس الرجال، للمحقّق الشوشتريّ في عصرنا هذا.

الأعظم ﷺ وأهل بيت العصمة ورواياتهم، كي لا يكون بمقدور المحتالين البروز وبيع متاعهم الفاسد للمسلمين ونشر الأحاديث المزيّفة والمختلقة بين الخلق باسم الله والنبيّ والإمام، ويتسبّبوا بذلك في إضلال شيعة أمير المؤمنين عليه السلام ومحبّيه وذلك من خلال التعريف بالرواة ذوي السمعه الطيّبة الأتقياء، بحيث يمكننا الآن بعد ألف وثلاثمائة سنة تحديد صحة أو سقم أيّ حديث من خلال كتب علم الرجال، وهل هو منتحل ومختلق أم معتبر مرويّ عن المعصوم. ويمكننا العمل بمفاده دون أيّ شك. وهنا بالضبط يمكننا أن ندرك المكانة الساميّة لفقهاء الشيعة ومجتهديهم وحقّهم علينا. فجزاهم الله عن الإسلام خيراً.

تقدّم الشيعة في علم الدراية

وكما قلنا فإنّ علماً باسم علم «الرجال» قد وضع بهدف تعيين حال الشخص الذي نقل خبراً ما، كي تتمّ الدراسة والتحقيق بشأن حالات رجال الحديث ونفسيّاتهم وسوابق ولواحق أعما لهم فإن تبيّنت براءتهم من الكذب والتهمة وسوء السابقة أُخذ بحديثهم وإلّا لم يؤخذ به.

والآن يجب أن نعلم ونحن بصدد الحديث حول حالات الرواة وناقلي الآثار أنّه قد ظهر أيضاً علم آخر باسم «الدراية» زاد من كلّ جهة من أهمّيّة علم الحديث واعتباره. ويعود سبب تسمّية هذا العلم بالدراية إلى أن الرواية الواحدة قد يكون لها أكثر من راو عن الإمام. وعلى سبيل المثال فإن إسماعيل بن مهران روى عن الحسن بن علي بن أبي حمزة عن الحسين

ابن أبي علاء عن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام ولأن الأوّل روى للثاني والثاني للثالث وهكذا وأحال بعضهم البعض بما كانوا قد ضبطوه حسب التسلسل فقد سمّي ذلك بالدراية. فالدراية جاءت في اللغة بهذا المعنى.

وقد قسّمت الرواية في علم الدراية إلى أقسام مختلفة باعتبار أحوال الرواة من حيث الإيمان والعدالة والضبط أو عدم المواظبة في الضبط.

ونذكر هنا قبل أن نعمد إلى شرح قسم منها، بأن الشيعة لهم حقّ التقدّم على سائر فرق المسلمين في هذا العلم أيضاً مثل كسائرالعلوم الإسلاميّة.

وقد جاء في كتاب تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام قوله: «قال السيوطيّ إن أوّل من رتّب أنواع الحديث في علم الدراية كان ابن الصلاح الشهرزوريّ الشافعيّ الذي كان من علماء أهل السنّة، وإذا ما صحّ من أنّ ابن الصلاح كان يعيش في القرن السابع وأنه توفي سنة ٦٤٣ ونحن نعرف أحد علماء الشيعة المعروفين كان يعيش في القرن الرابع أي قبل ثلاثة قرون منه قام بتدوين هذا العلم.

ويقول في كشف الظنون في باب «حرف الميم» «معرفة علوم الحديث» : «كان الحاكم أبو عبدالله محمّد بن عبدالله الحافظ النيسابوريّ المتوفى سنة ٤٠٥ أوّل من فكر بهذا العلم. وكتابه في هذا العلم خمسة أجزاء ويشتمل على خمسين قسماً من أنواع الحديث. ثمّ اتبعه ابن

صلاح وذكر في كتابه ستة وخمسين قسماً من الحديث»[١].

ويستفاد من هذا النصّ بوضوح أنّ ابن الصلاح ليس الأوّل في تدوين علم الدراية وترتيبه وحسب بل إنه أضاف بعد مائتي سنة ستّة أقسام فقط إلى ما ذكره الحاكم النيسابوريّ. ثمّ وسّع العالم الجليل السيّد ابن طاووس المتوفّى سنة ٦٧٣ والذي يعدّ من مفاخر علماء الشيعة، هذا العلمَ. وألّف من بعده في هذا العلم تلميذه العلّامة الحلّيّ والسيّد عبد الحميد الحسنيّ النجفيّ والشهيد الثاني وتلميذه الشيخ الحسين بن عبد الصمد وابنه الجليل الشيخ بهاء الدين العامليّ.

وسنسرد للقراء الأعزاء الآن بشكل مختصر تعريف علم الدراية وأقسام الحديث. يقول الشيخ البهائيّ في الرسالة الوجيزة: «علم الدراية هو العلم الذي يبحث فيه عن سند الحديث ونصّه وكيفيّة ضبطه وآداب نقله. و«الحديث» هو الكلام الذي يحكي قول المعصوم وفعله وتقريره... و«الخبر» قد يطلق أحياناً على ما وصل من غير المعصوم أيضاً مثل الصحابة والتابعين وغيرهم، وقد يطلق على مرادف الحديث، وهو الأكثر. وإذا قيل إن الحديث عبارة عن قول المعصوم أو حكاية قوله وفعله وتقريره، فليس ذلك بمستبعد، ولكنّ فعل المعصوم وتقريره يطلق اسم «السنّة» لا الحديث. وبناء على ذلك فإن السنّة أشمل

---

(١) تأسيس الشيعة: ٢٩٤.

من الحديث، فكلّ سنّة حديث ولكنّ كلّ حديث ليس سنّة»[1]. ثمّ يقول في الفصل الأوّل من الرسالة المذكورة: ما يرتبط به معنى الحديث هو «النصّ» وتسمّى سلسلة رواته حتّى المعصوم «السند». وعلى هذه فإن بلغت سلاسل الحديث في كلّ طبقة حدّاً بحيث نأمن تواطأهم على الكذب سمّيت «متواترة». ومعنى ذلك أنّه يؤدي من تلقاء ذاته إلى القطع والجزم بصدقه. فإن لم يكن الحديث متواتراً فهو «الخبر لواحد» لايفيد سوى الظنّ.

وإن روى الخبر الواحد أكثر من ثلاثة أشخاص في كلّ مرّة سمّي «مستفيضاً» وإن رواه في كلّ مرّة شخص واحد فقط قيل له «غريب» وإن عرف كلّ الّذين رووه سمّي ««مسنداً» وإذا ما سقط في أوّل السلسلة شخص واحد أو كلّهم قيل له «معلّق» وإن سقط من آخر السلسلة شخص واحد أو أكثر عرف بـ «المرسل» وإن سقط شخص واحد أطلق عليه اسم «المنقطع» وإن سقط أكثر من شخص قيل له «المنفصل».

وإن تكرّر لفظ «عن» في سلسلة السند سمّي «المعنعن» وإذا لم يذكر اسم المعصوم قيل له «المضمر» وإن كانت سلسلة السند قصيرة يسمّى «عالياً» وإذا ما كان الرواة الذين نقلوا الرواية شركاء في الاسم وكذلك كانت روايتهم الحديث الأوّل الذي رووه عن الإمام بمزايا خاصّة فهو «المسلسل» فإن خالف المشهور فهو «شاذ».

---

(١) الوجيزة: ١.

وحسب التقسيم الآخر لسلسلة السند أي الرواة، فإن كانوا على المذهب الإماميّ وامتدح الإمام عدالتهم فإنّ الحديث الذي رووه «صحيح» وإذا ما لم يتمّ تعديلهم بشكل صحيح أو لم يأت مدح بشأنهم كلّهم أو البعض منهم ولكن امتدحهم آخرون بالعدالة سمّي «حسناً» أو سكت عن مدحهم أو ذمّهم فهو «قويّ» وإن لم يكن كلّهم أوبعضهم اثني عشر أماميّ ولكن كانت عدالتهم محرزة، سمّي الحديث بـ «الموثّق» وإذا ما لم يكن من الأقسام الأربعة الأخيرة، قيل له «ضعيف». وإذا اشتهر العمل بمضمونه فهو «مقبول».

ويجب أن نعلم أنّ أقسام الأخبار والأحاديث أكثر من ذلك، ولكن ولأننا انتهجنا الاختصار، فإنّنا اكتفينا بذكر قسم منها يحظّى بالاهتمام عند مطالعة الكتب الدينيّة.

تقدّم الشيعة في علم أصول الفقه

إنّ ما ذكرناه حتّى الآن هو مقدّمة هذا المبحث والمبحث الذي يأتي بعده، لأنّ هدفنا من كتابة المواضيع السابقة بيان الأسباب والعوامل التي أدّت إلى ظهور الاجتهاد والتقليد في الإسلام، وأن يتعلّم المسلمون أحكام الدين من خلال هذا الطريق ويعملوا بها. وبناء على ذلك فإنّنا نلفت انتباه القرّاء إلى المواضيع التالية:

لاشك في أنّ مابيّنه مشرّع الإسلام حول تفسير القرآن الكريم واحتّياجات المسلمين، لم يكن لأهل ذلك العصر فحسب، بل إن

أحاديث النبيّ ﷺ وأقواله في مجال المسائل الفرعيّة والتشريعات الفقهيّة شأنها شأن القرآن الكريم هي تعليمات عامّة ولأهل كلّ زمان تضمّ الفوائد والمصالح الفرديّة والاجتماعيّة والحقوقيّة والجزائيّة والتي يجب أن ينتفع منها المسلمون في كلّ عصر.

ومن الواضح أنّ المحافظة على مثل هذه الآثار التي يجب أن تكون ملاك عمل المسلمين حتّى نهاية العالم مهمّة الغاية ولكن وكما قلنا فإنه ونظراً للأحداث المريعة التي حدثت في العالم الإسلاميّ بعد وفاة النبيّ ﷺ فإنّ أهمّيّة هذا الموضوع زالت للأسف بشكل بحيث إن بعض الجاهلين وبدلاً من العمل بالكتاب والسنة، أصدروا الأحكام والأوامر الدينيّة وعملوا بما يتعارض مع الكتاب والسنّة استناداً إلى آرائهم وأفكارهم.

وفي النصف الأوّل من القرن الثاني الهجريّ وشيوع الأحاديث الملفّقة، دفعت بعض العوامل كبقاء حال ناقلي الآثار مجهولاً، عدم معرفة الناس بأمورمن أمثال العموم والخصوص، المنطوق والمفهوم، المجمل والمبيّن، الناسخ والمنسوخ، المطلق والمقيّد من الكتاب والسنّة، والتعادل والترجيح والتعارض بين الأخبار والبحث حول فيما إذا كان القياس والاستحسان من مسائل الدين أم إنّهما مردودان وباطلان، كلّ ذلك دفع الشيعة الطالبين للحقيقة إلى أن يهرعوا وليلوذوا بالإمام محمّد الباقر عليه السلام من أجل إحراز الواقع وبلوغ الهدف النهائيّ

للشارع المقدّس وأن يلتمسوا الحلّ عند وارث علم النبوّة الذي كان أعلم أهل زمانه بمصالح المسلمين.

ولحسن الحظّ فقد كانت أوضاع ذلك العصر مؤاتية للإمام الخامس عليه السلام، ولذلك فقد سنحت الفرصة للإمام الباقر عليه السلام كي يبذل جهده من أجل تربية تلامذة شهيرين مثل محمّد بن مسلم وزرارة والفضيل بن يسار وغيرهم. ومن خلال هذه الطليعة من الرجال المخلصين، أخرج حقائق الإسلام من وراء ستارالخفاء، وعمل على تحقيق هدف جدّه العظيم خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله، ويقول مايجب قوله من خلال تعريف الناس على المجاهدة والسعي في ترويج الأسلام والاجتهاد في الدين وإنقاذ طالبي الحقيقة من الحيرة وإيصالهم إليها. واستناداً إلى الدراسات التي قام بها علماؤنا، فإنّ علم أصول الفقه تأسّس في هذا العصر لأوّل مرّة على يد الإمام محمّد الباقر عليه السلام.[1]

جاء في كتاب تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: «كان الإمام محمّد الباقر عليه السلام أوّل من أسّس أصول الفقه وفتح باب هذا العلم للناس وشرح مسائله، ثمّ جاء من بعده ولده الإمام جعفر الصادق عليه السلام. وقد أملى هذان

---

(١) لاحظوا هذه الفقرة الملفتة للنظر من وصيّة الإمام الخميني رحمه الله حيث كتب من جملتها: «و نحن لنا الفخر أنّ باقر العلوم الذي يمثّل الشخصيّة الأسمى في التاريخ والذي لم يستطع أحد إدراك مكانته سوى الله تعالى والرسول' والأئمّة المعصومين عليهم السلام ولايمكن لأحد أن يدركها، هو منّا».

الإمامان قواعد علم الأصول لتلامذتهما وجمع هؤلاء التلامذة بدورهم مسائله ورتّب المتأخرون منهم تلك المسائل بالروايات التي كانت سلسلة سندها تنتهي إلى ذينك الإمامين، والحمد لله فإن الكتب التي روت مسائل هذا العلم عن هذين الإمامين، في متناول أيدينا».

ويضيف الكاتب قائلاً: «وكان هشام بن الحكم إمام متكلّمي الشيعة وأصوليّيهم، أوّل من صنّف في علم الأصول فألف كتاب الألفاظ ومباحثها الذي يعدّ من أهم مباحث علم الأصول»[1] وبناء على ذلك فإنّ ماكتبه جلال الدين السيوطيّ في كتاب الأوائل[2] من أن الشافعيّ كان أوّل من ألّف كتاباً في علم الأصول ليس صحيحاً، لأنّ هشام بن الحكم الذي كان التلميذ المعروف للإمام السادس عليه السلام مقدّم عليه. ثمّ ألّف في هذا العلم يونس بن عبد الرحمان الذي كان من التلامذة المعروفين للإمام موسى الكاظم عليه السلام، ككتاب اختلاف الحديث ومسائله الذي يدور موضوعه حول تعارض الحديثين، كما أنّه يبحث في المسائل المتعلقة بالتعادل والترجيح في الحديثين المتعارضيّن، وهو أيضاً مقدّم على الشافعيّ.

---

(١) تأسيس الشيعة: ٣١٠.

(٢) كتب جلال الدين السيوطيّ المتوفى عام ٩١٠هـ كتاب الأوائل كي يثبت أنّ العلماء السّنة كانوا أوّل من ألّف الكتب في كل علم، ولكنّ السيّد حسن الصدر الكاظميّ المتوفى سنة ١٣٢٥ أحد علماء الشيعة، أثبت في كتاب تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام أنّ الشيعة كانوا المؤسّسين في كلّ علم والمؤلفين للكتب.

ومن مشاهير أئمّة أهل الأصول الآخرين، أبو سهل النوبختيّ الذي كان من كبار الشيعة على ما يقول ابن النديم. واعتبر النجاشيّ في رجاله كتاب الخصوص والعموم[١] من تصنيفاته، علماً أن الخاصّ والعامّ من المباحث المهمّة في علم أصول الفقه.

والكتاب الآخر ــ كما ذكر ابن النديم في الفهرست هو إبطال القياس ثمّ كتاب نقض اجتهاد الرأي حيث إن موضوع هذين الكتابين من مباحث علم الأصول أيضاً، كما لا يخفى على العلماء. ويعدّ أبو سهل النوبختيّ من الذين التقوا الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام وكان حاضراً عند وفاته عليه السلام[٢] والآخر هو الحسن بن موسى النوبختيّ ابن أخت أبي سهل الذي كان من العلماء المبرّزين في علم الكلام على ما ذكر النجاشيّ. واعتبره ابن النديم في الفهرست هو وكلّ آل نوبخت شيعة[٣] ومن جملة تصنيفاته كتاب الخبر الواحد والعمل به وكتاب الخصوص والعموم وكلاهما في علم الأصول.

ومرادنا من ذكر أسماء هؤلاء العلماء الكبار هو رد ادّعاء أهل السنّة الذين اعتبروا الشافعيّ أوّل من ألّف كتاباً في علم الأصول. ومن الجدير بالذكر طبعاً بما أنّ علماء الشيعة كان بمقدورهم الالتقاء بالأئمّة

---

(١) رجال النجاشيّ: ٣١.

(٢) توفي أبو سهل النوبختيّ سنة ٣١١. وقد كتبنا ترجمته بالتفصيل هو وابن أخته الحسن بن موسى في المجلد الثاني من مفاخر الإسلام.

(٣) ابن النديم، الفهرست: ٢٥١.

الأطهار عليهم السلام فقد كانت أبواب العلوم مفتوحة أمامهم آنذاك ولذلك لم يكونوا يشعرون بحاجة كبيرة إلى علم الأصول وشرح وتفصيل قوانينه. ولذلك نرى أن هذا العلم اكتسب الأهمّيّة في عصر الغيبة الصغرى لإمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف حيث لم يكن بمقدور عامّة الناس الاتصال به ومنذ تلك الفترة أخذ فقهاء الشيعة يولون الاهتمام الكبير للأصول. وبناء على ذلك، فعلى الرغم من أن رسالة أصول الفقه للشافعيّ بحثت في مسائل مختلفة من الأصول ورتّبتها على أساس منظّم، ولكن ولأن كبار الشيعة بحثوا قبله في بعض مباحث علم الأصول وألّفوا الكتب في بعض أقسامه، فمن من غير الممكن اعتبار الشافعيّ أوّل مصنّف في هذا العلم، فضلاً عن أنّ محمّد بن الحسن الشيبانيّ وأبا يوسف القاضي تلميذي أبي حنيفة واللذين تتلمذ الشافعيّ على أيديهما، صنّفا في هذا العلم، فهما مقدّمان عليه من هذه الناحية.

لقد كان هذا مختصراً حول تاريخ علم الأصول وتقدّم الشيعة في هذا المجال، ولكن ما هي أصول الفقه، وما فائدة هذا العلم، وما حاجة الإسلام إليه؟ كلّ هذه المواضيع سنبحثها إن شاء الله في مبحث «الاجتهاد وفوائده».

تقدم الشيعة في علم الفقه

رغم أنّ تاريخ ظهور علم الفقه مقدّم على الأصول ولذلك كان من المناسب أن يكون البحث حوله مقدّماً على الأصول، ولكن ولأنّ

الأصول اعتبرت مقدّمة الفقه، فقد أخذنا هذا الجانب بنظر الاعتبار، وقدّمناها. وفيما يتعلّق بمن كان أوّل من ألف كتاباً في أحكام الفقه، فهنالك اختلاف أيضاً بين الشيعة والسنّة.

كتب السيوطيّ في الأوائل قائلاً إنّ أبا حنيفة كان أوّل من ألّف كتاباً في الفقه، ولكنّ ما سنذكره فيما يلي للقرّاء، سيثبت أنّ أبا حنيفة لم يكن أوّل من قام بالتدوين في علم الفقه، بل إنّ الشيعة كانوا مقدّمين على السنّة في هذا العلم أيضاً. وقد أثبت العلّامة الفقيد السيّد حسن الصدر الذي كان من مفاخر فقهاء أهل الشيعة في النصف الأوّل من القرن الماضي، والذي ذكرناه مراراً في هذا الكتاب، أثبت في كتابه القيّم تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام بأدلة محكمة ووثائق لا يرقى إليها الشك أن الشيعة كانوا المؤسّسين لكلّ العلوم الإسلاميّة، ولم يسبقهم أحد من سائر فرق المسلمين في أي علم وفنّ، كما ذكرنا آنفاً قسماً من ذلك في علوم الحديث والدراية والرجال والأصول.

وقال المؤلّف في الكتاب المذكور عند حديثه عن تقدّم الشيعة في علم الفقه، أوّل من دوّن كتاباً في هذا العلم، علي بن أبي رافع الذي كان من فقهاء الشيعة ومن خواصّ أمير المؤمنين عليه السلام وكاتبه وشهد معه كلّ حروبه عليه السلام. وينقل عن النجاشيّ أنّه قال: هو تابعي ومن خيار الشيعة، وقد جمع كتاباً في فنون الفقه ومعرفة أحكام الوضوء والصلاة وأبواب العبادة الأخرى، حيث تلقّاها من أمير المؤمنين عليه السلام ودوّنها في زمان

حياته عليه السلام، وكان الشيعة يجلّون ذلك الكتاب[1].

وبناء على ذلك، فقد أخطأ السيوطيّ حينما قال إنّ أبا حنيفة كان أوّل من ألّف كتاباً في الفقه، لأنّ ولادة أبي حنيفة كانت في ٩٠ هـ وكانت وفاته في سنة ١٥٠هـ. ولذلك لايمكن اعتباره أوّل من صنّف في هذا العلم. إلّا إذا كان قصد السيوطيّ أنّه كان أوّل شخص بين علماء أهل السنّة، حيث لايتنافى هذا مع تقدّم الشيعة عليه.

وهنالك أيضاً القاسم بن محمّد بن أبي بكر وسعيد بن المسيّب وأبو خالد الكابليّ حيث اعتبر الأوّلان تابعيّين ومن فقهاء المدينة السبعة وكانوا ثلاثتهم من الشيعة والمخلصين للإمام زين العابدين عليه السلام وباختصار وكما سبق القول، فلأنّ الشيعة كانوا على اتصال بالأئمّة الأطهار عليهم السلام في كلّ عصر بواسطة وبدون واسطة؛ وكانت تلك الذوات المقدّسة قد ورثت علومها من النبيّ صلى الله عليه وآله، ومع الأخذ بنظر الاعتبار التمتّع بملكة العصمة والإمامة، فإنّ أيّ نسيان وتقصير في أمر الدين لم يكن ينفذ إلى وجودهم بأي شكل من الأشكال، ولذلك فإن اعتبرنا الشيعة متقدّمين في كلّ فرع من العلوم وروّاداً في طريق إحراز الواقع وتحقيق الأهداف الدينيّة المقدّسة، فإنّنا لا نكون بذلك قد بالغنا في القول. ولحسن الحظّ، فإنّ أهل السنّة أنفسهم يقرّون بذلك، وحَد ذكروه في كتبهم، إلا أنّ ضيق المجال يحول دون ذكر ذلك.

---

(١) تأسيس الشيعة: ٢٩٨.

الفقهاء ورؤساء المذاهب الأربعة لأهل السنّة

بما أنّنا سنتحدّث في الموضوعات القادمة حول فقهاء الشيعة ومجتهديهم والفرق بينهم وبين الأخباريّين، وفوائد الاجتهاد والتقليد، فإنّا لا نرى أنّ من غير المناسب أن نتحدّث بشكل مختصر قبل التطرق إلى ذلك الموضوع عن فقهاء أهل السنّة ورؤساء مذاهبهم الذين يتّبعهم جميع أهل السنّة اليوم في الفروع الفقهيّة، كي يتعرّف القرّاء أيضاً على أسلوبهم الفقهيّ ويقارنوه مع منهج أئمّة مذهب الشيعة ليروا مدى الاختلاف الكبير بينهم في النهج والأسلوب.

وبعد عهد الصحابة حيث جاء دور تلامذتهم أي التابعين، تبوّأ مرجعيّة المسلمين سبعة فقهاء في المدينة يتمّ الرجوع إليهم في الشؤون الدينيّة، وكانوا يسمّون «الفقهاء السبعة». وهم: عبيد الله بن عبدالله الذهليّ، عروة بن الزبير بن العوام، القاسم بن محمّد بن أبي بكر، سعيد ابن المسيّب، سليمان بن يسار، أبي بكر بن عبد الرحمان المخزوميّ وخارجة بن زيد بن ثابت الأنصاريّ.

وكان هؤلاء الأشخاص يعيشون في المدينة في عصر واحد ويفتون

للناس. وكان فقه العامّة ينتهي إليهم[1] كما أنّهم كانوا يعتقدون بهم اعتقاداً أكيداً، كما أشار إلى هذا المعنى الشاعر العربيّ السنّيّ في بيتين ذاكراً أسماءهم، حيث يقول:

ألا كلّ من لا يقتدي بأئمّة فقسمته ضيزى عن الحقّ

فمنهم عبيد الله عروة قاسم سعيد سليمان أبو بكر خارجة

ومن الصدفة أن معظم هذه المجموعة توفوا في سنة واحدة، وكانت سنة ٩٤ هـ حيث توفي الإمام زين العابدين عليه السلام في نفس تلك السنة أيضاً ولذلك سمّيت بـ «سنة الفقهاء».

ولأن عامّة أهل السنّة لم يكن يعنيهم أمر أهل بيت العصمة، فقد كانوا يتّبعون الفقهاء المذكورين قبل أبي حنيفة، ولكن تبوأ مرجعيتهم من بعد ذلك كلّ من أبي حنيفة المتوفّى سنة ١٥٠هـ، مالك بن أنس ١٧٩، محمّد بن إدريس الشافعيّ ٢٠٤ وأحمد بن حنبل ٢٤١ واختارت كلّ طائفة من السنّة اتّباع أحدهم، ولأن آراء وأقوال هؤلاء الأربعة كانت متضادّة ومختلفة وأدّت إلى النزاعات وإثارة الصخب، فقد جمع الخليفة القادر بالله العبّاسيّ في القرن الرابع الهجريّ أتباعهم وأمر بأن يوضحوا

---

(١) مصطلح «العامّة» أي أهل السنّة، في مقابل «الخاصّة» الذي يراد به الشيعة. ولأن تعبير «أهل السنّة» يحمل بالنسبة إلينا نحن الشيعة مفهوماً سلبيّاً فمن الأفضل أن نسمّيهم «العامّة» الذين يشكلون غالبيّة المسلمين، ونسمي الشيعة «الخاصّة». وفي الحقيقة فإنّا أولى منهم بأخذ السنّة عن النبي، لأنّ الشيعة أخذوا سنّة النبي من أئمّة أهل البيت، وأهل البيت أدرى بما في البيت.

أساليبهم في فروع الفقه، كي لا تتأجّج الاختلافات في الآراء وتتشتّت الكلمة أكثر من ذلك ولا تتفاقم هذه الاختلافات.

ثمّ اجتمع فقهاء أهل العامّة وعلماءهم وقضاتهم، واختارت كلّ طائفة مسلك أحد الفقهاء المذكورين وأعلنت اتباعها له، واكتسبت منذ ذلك اليوم المذاهب الأربعة لأهل السنّة الصفة الرسميّة، وماتزال كلّ منها على المذهب الذي اختارته وعرفت بأسماء: الحنفية، المالكية، الشافعيّة والحنبلية، وسنقدم فيما يلي تعريفاً بكلّ من رؤسائها:

أبو حنيفة

هو النعمان بن ثابت بن الزوطي بن ماه المعروف بابي حنيفة أحد الأئمّة الأربعة لأهل السنّة وأهمّهم وأشهرهم وينسب المذهب الحنفيّ إليه. وهو إيرانيّ الأصل وكان جده مجوسيّاً، ثمّ أسلم. ويعتبر أهل السنّة أبا حنيفة أهم فقيه برز بينهم، والحقّ معهم في ذلك فنحن لم نر فقيهاً مثله بالمزايا التي يختصّ بها!!

وقد أسّس أبو حنيفة مذهبه في الفروع على أساس الرأي والقياس وكان غيرمبالياً إلى درجة كبيرة بحفظ الأخبار وضبطها والدقّة في القول، بحيث إن الفتاوى التي أصدرها والأقوال التي صدرت منه لا تفصلها مسافة بعيدة عن حريم الديانة وحسب، بل إن مثل تلك الأقوال لا تصدر من أيّ عاقل، ومع ذلك فإنّه يعتبر إمام الملايين من السنّة ويعرف بالإمام الأعظم ويذكر محاطاً بالاحترام والإجلال.

كان أبو حنيفة معاصراً للإمام الصادق عليه السلام وقد تتلمذ على يديه ونهل من علمه قبل أن يطرح نفسه في مقابله، ولكن ولأنّ خلفاء بني العبّاس كانوا يحاولون الحيلولة دون نفوذ الأئمّة الأطهار عليهم السلام، فقد دفعوا أبا حنيفة إلى أن يطرح نهج الرأي والقياس ويقدم على إصدار الفتاوى.

وكان الإمام الصادق عليه السلام يحذّره مراراً من الإفتاء من تلقاء نفسه والعمل بالرأي والقياس، وكان يذمّ ذلك كثيراً. كما أنّ تلامذة الإمام عليه السلام تباحثوا معه مراراً وغلبوه. ومع ذلك فإنّ أبا حنيفة لم يكفّ عن نهجه ومضى بعيداً في تطرّفه حتّى طعنه ولعنه وفسّقه وكفّره فقهاء العامّة والعلماء من بعده. وسنذكر فيما يلي خلاصة لما قاله فقهاء أهل السنّة وكبارهم بشأنه:

كتب صاحب روضات الجنّات قائلاً: «قال الزمخشري في باب علم الكتاب في ربيع الأبرار: ردّ أبو حنيفة على رسول الله صلى الله عليه وآله أربع مائة حديث أو أكثر» وقال الغزّاليّ: «أجاز أبوحنيفة وضع الحديث على النبيّ صلى الله عليه وآله وفق مذهبه»[1].

ونقل عن يوسف بن أسباط أنّ أبا حنيفة قال: «لو أدركني النبيّ لأخذ بكثير من قولي!!»، وجاء في تاريخ بغداد أنّ شعبة قال: «كفّ من تراب خير من أبي حنيفة»، وقال الشافعيّ: «نظرت في كتب أصحاب أبي حنيفة فإذا فيها ثلاثون ورقة خلاف الكتاب والسنّة!». كما قال سفيان

---

(١) روضات الجنّات٨: ١٦٩.

الثوريّ ومالك بن أنس وحماد عجرد والأوزاعيّ والشافعيّ: «ما ولد في الإسلام أشأم من أبي حنيفة!!».

كما قال مالك: «فتنة أبي حنيفة أضرّ على الأمّة من فتنة إبليس»، وكتب الغزّاليّ في كتاب المنخول قائلاً: «لقد قلب أبو حنيفة الدين، وأخل بطريقته، وغيّر نظامه، وجعل كلّ تشريعاته في أصل (القياس) كي يقوّض دين النبيّ ﷺ بهذا الأصل!!».

ويرى أبو حنيفة إنّ الرجل إنّ جامع أمّه وأخته وابنته، فإنّه لم يزن ولا حدّ عليه!! ويقول: إذا لُفّ على إحليله حريرة ثمّ أولجه في قبل امرأة لم يكن زانياً، ولا يجب عليه الحدّ!! (وعلى هذا فإنّ الواقي الذكريّ يعتبر وسيلة مثلى!) وقال: إنّ الرجل إذا لاط بغلام، فأوقبه لم يجب عليه الحدّ، ولكن يردع. ويقول: إنّ شرب النبيذ المسكر حلال طلق وهو سنّة وتحريمه بدعة!![1]

مالك بن أنس

يعتبر مالك بن أنس من رؤساء مذاهب أهل السنّة الآخرين، وينسب المذهب المالكيّ إليه. ولد مالك في المدينة وكان يعيش فيها وتوفي فيها أيضاً. ويرى أهل السنّة أنّ مالكاً كان في بطن أمّه ثلاث سنوات!! وكان مالك كأبي حنيفة يصدر الفتوى بالرأي والاجتهاد من عنده. وكان فقيه المدينة وكتاب الموطأ أحد أكثر كتب فقه أهل السنّة قيمة، من

---

(١) روضات الجنّات ٨: ١٧٠-١٧٦.

تأليفه. وينظر الشيعة والسنّة إلى مالك بعكس ما ينظرون إلى أبي حنيفة. فقد كتب الوحيدالبهبهانيّ في كتاب التعليقات الرجاليّة قائلاً: «نقل الشيخ الصدوق في كتابه الكثير من الأخبار عن مالك ويبدو أنّه كان يتردّد كثيراً على الإمام الصادق عليه السلام ولم يكن مثل أبي حنيفة» كما يروي عنه ابن أبي عمير الذي كان أحد تلامذة الإمام السابع.

وقد جاء في الروضات عن مالك أنّه قال: «ما رأت عين ولاسمعت أذن ولاخطرعلى قلب بشر أفضل من جعفر الصادق فضلاً وعلماً وعبادة وورعاً. ويقول أيضاً: وكان عليه السلام لايخلو من إحدى ثلاث إمّا صائماً وإمّا قائماً وإمّا ذاكراً وكان من عضماء العباد، وأكابرِ الزهاد الذين يخشون الله عزّوجلّ وكان كثير الحديث، طيّب المجالسة، كثيرالفوائد»[1].

ومع ذلك فقد كان مالك يقدم على إصدار الفتوى بشكل مستقل في العصر الذي كان فيه الإمام الصادق عليه السلام يعيش في المدينة، وكان يدعم من جانب بني العبّاس. وينقل صاحب روضات الجنّات عن أبي عبد الرحمان القعنبيّ أنّه قال: «دخلت على مالك بن أنس في مرضه الذي مات فيه، فسلّمت عليه، ثمّ جلست فرأيته يبكي، فقلت: يا أبا عبدالله، مالذي يبكيك؟ فقال لي: يابن قعنب ومالي لا أبكي؟ ومن أحقّ بالبكاء منيّ والله لوددت أنيّ ضربت لكلّ مسألة أفتيت فيها برأيي مائة ألف

---

(١) روضات الجنّات ٧: ٢٢٦.

سوط، وقد كانت لي السعة فيما قد سبقت إليه، وليتني لم أفت بالرأي»[١].

محمّد بن إدريس الشافعيّ

هو رئيس الفرقة الشافعيّة من أهل السنّة. كان الشافعيّ تلميذ محمّد ابن الحسن الشيبانيّ ومالك. وقيل إنه كان يحفظ كتاب الموطأ بحيث إنّه عندما قدم على مالك قرأ عليه هذا الكتاب عن ظهر القلب وأثار تعجبه وتعجب الحاضرين. كان الشافعيّ يعبّر عن حبّه الكبير للأئمّة الأطهار والشيعة، وله الكثير من الأشعار في مدح أمير المؤمنين عليه السلام، حتّى اعتبر شيعيّاً في الباطن، ولكن مهماً يكن من أمر فقد ابتعد هو أيضاً عن الأئمّة الأطهار كما فعل مالك وأبو حنيفة وتزعّم أخيراً أهّم فرق أهل السنّة. وذنبهم الأعظم أنهم اتبعوا هوى النفس والباطل رغم ظهور الحقّ لهم، ولم يحيلوا الناس إلى أهل الحقّ.

يقول الآقا محمّدعلي الابن الأكبر للآقا الوحيد البهبهانيّ في كتاب مقامع الفضل: وقد أجمعت العامّة العمياء على أن الإمام الشافعيّ بقي في بطن أمّه أربع سنين انتظاراً لموت إمامهم الأعظم أبي حنيفة ! فولد في يوم وفاته، وعدّوا ذلك من كرامتهما، بل المشهور عندهم كما تقدّم أنّ مدّة حمل إمامهم المالكي أيضاً كانت ثلاث سنين ولم أدر ماكان

---

(١) روضات الجنّات ٧: ٢٢٥.

انتظاره في هذه المدّة وأكثر حمل الآدميّ عند الإماميّة تسعة أشهر وعند بعضهم وبعض أهل السنّة سنة[١].

أحمد بن حنبل

كان تلميذ الشافعيّ واستقل في بغداد بعد أن ذهب الشافعيّ إلى مصر. ويعد مسند أحمد بن حنبل أحد كتب أهل السنّة المعتبرة والمهمّة، ويشتمل كما قال ابن النديم على أربعين ألف حديث. ينحدر نسب أحمد إلى «ذي الثدية»، الذي كان رئيس فرقة الخوارج. ولذلك فقد كان من المعروف أنّ أحمد كان كجدّه يبغض مولى المتّقين عليه السلام، ولم يكن يتورع من معاداته عليه السلام وكان قد ورث هذه العداوة من جدّه، حتّى قيل: إرث الأب يصل إلى الابن.

ولمالك والشافعيّ وأحمد بن حنبل فتاواهم الخاصّة بهم والتي لا تقلّ عن ما قاله أبو حنيفة، ورغم كلّ الاختلاف بين أقوالهم إلا أنهم مشتركون في الانحراف عن طريق السداد. كما أن من المسلّم به بين الشيعة والسنّة أنّ الفقهاء الأربعة المذكورين تلقّوا علومهم من أهل بيت العصمة وخاصّة الإمام الصادق عليه السلام، باستثناء ما قالوه من تلقاء أنفسهم مدفوعين بهوى النفس.

وقد جاء في الروضات نقلاً عن كتاب التبر المذاب للسيد أحمد بن الحافي الحسينيّ بأنّه حينما ينقل فضائل أمير المؤمنين عليه السلام يقول:

---

(١) مقامع الفضل، الطبعة الحجريّة: ١١٦.

وجميع العلوم أهلها تنتمي إليه، أي الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام فالفقهاء الأربعة يرجعون إليه، أما الإمام أبوحنيفة فهو تلميذ الصادق جعفر بن محمّد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وأما الأمام الشافعيّ فإنّه قرأعلى محمّد بن الحسن الشيبانيّ تلميذ أبى حنيفة، وعلى مالك بن أنس، فيرجع فقهه إليه، وأمّا الإمام مالك فقرأ على اثنين أحدهما ربيعة الرأي تلميذ عكرمه وهو تلميذ ابن عبّاس، وهو تلميذ علي عليه السلام والثاني جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام، وأمّا الإمام أحمد فقرأ على الشافعيّ فيرجع فقهه إليه[1] ومع ذلك فقد كان كلّ منهم صاحب مسند ومنصب وكان مرجع المسلمين ومفتيّهم في عصر الأئمّة الأطهار عليهم السلام، ولكنّ الإمام جعفر الصادق عليه السلام والأئمّة الآخرين كانوا مراقبين ومقيّدين!![2] وكما قبل:

جان را عادت ديرينه اين است كه با آزادگان دائم به كين است

«ومن عادة الدهر معاداته الأحرار دوماً»

---

(١) كما يعتبر ابن أبي الحديد في مقدّمة شرح نهج البلاغة فقهاء المذاهب الأربعة للعامّة تلامذة أميرالمؤمنين عليه السلام بواسطة ودونها.

(٢) روضات الجنّات٧: ٢٦٠.

مشاهير فقهاء الشيعة
في عصر الأئمّة الأطهار عليهم السلام

ذكرنافيما سبق أنّ الشيعة مقدّمون على سائر الفرق الإسلاميّة في كلّ علوم الإسلام وفنونه. والآن فإنّنا سنعمد في هذا القسم إلى بيان التحوّل الذي أوجده الشيعة في العلوم الإسلاميّة تأييداً لما ذكرناه حتّى الآن، ونذكر بأنّ علوم الفقه والحديث كانت آنذاك تستأثر بالأهمّيّة أكثر من العلوم الأخرى، حيث تقدّم الشيعة في هذا المجال إلى درجة بحيث إنّ التعرّف على ذلك سيثير دهشتنا.

وكما قلنا فعلى الرغم من أنّ خلفاء بني أميّة وبني العبّاس لم يكونوا مستعدّين لأن يسمحوا للإمام زين العابدين أو الإمام محمّد الباقر أو الإمام جعفر الصادق وسائر الأئمّة عليهم السلام بنشر حقائق الدين وفضائل أهل البيت بحريّة، ومع ذلك فقد سنحت بعض الفرص في أواخر عهد الإمام محمّد الباقر وخاصّة في عهد الإمام السادس عليه السلام استطاع الشيعة من خلالها نشر حقائق المذهب الشيعيّ في البلاد الإسلاميّة عبر النهل من فيض أولئك الأئمّة الأطهار عليهم السلام، وأن يملؤوا أسماع العالم بالصوت المحبّب للعبارتين «قال الباقر» و«قال الصادق».

وقد أدّت هذه الفرصة المناسبة التي كانت تتعلق في الغالب بالنزاع

والصراع بين بني أميّة وبني العبّاس على الخلافة إلى أن يقترب الآلاف من المتعطشين للعلوم من المنهل العذب لعلوم أهل البيت عليهم السلام في الوقت الذي كان فيه أولئك الحكام منشغلين في الصراع والتقاتل بينهم، وأن يرووا عطشهم من خلال اكتساب الفضائل والسنن وأحكام دين الله الحقيقيّة ويمتعوا الآخرين بماء الحياة.

وقد جاء في كتاب تأسيس الشيعة: «قال الإمام الطبرسيّ الفضل بن الحسن في كتابه أعلام الورى: قد تضا فرالنقل بأنّ الذين رووا عن أبي عبدالله جعفر بن محمّد الصادق من مشهوري أهل العلم أربعة آلاف إنسان، وصنف عنه أربعمائة كتاب معروفة عندالشيعة تسمّى الأصول، رواها أصحابه، وأصحاب ابنه موسى عليه السلام»[1].

كما يقول المحقّق الأوّل صاحب الشرائع في كتاب المعتبر: «وكذا الحال في جعفر بن محمّد عليهما السلام فإنّه انتشرعنه العلوم الجمة مابهر العقول حتّى علافيه جماعة وأخرجوه إلى حدّ الإلهيّة وروى عنه من الرجال ما يقارب أربعة آلاف رجل» حتّى يقول: «حتّى كتب من أجوبته مسائل أربعمائة مصنف سموها أصولاً»[2].

وكتب الشيخ المفيد في كتاب الإرشاد عندما ذكر الإمام الصادق عليه السلام قائلاً: «ونقل الناس عنه من العلم ماسارت به الركبان، وانتشر ذكره في

---

(١) تأسيس الشيعة: ٢٨٧.

(٢) المعتبر، المقدمة: ٥.

البلدان، ولم ينقل عن أحدمن أهل بيته العلماء مانقل عنه ولالقي أحد منهم من أهل الآثار ونقلة الأخبار، ولانقلوا عنهم كما نقلوا عن أبي عبدالله عليه السلام، فإن أصحاب الحديث قدجمعوا أسماء الرواة عنه من الثقات، على اختلافهم في الآراء والمقالات، فكانوا أربعة آلاف رجل»[1].

كما كتب الشهيد الأوّل في كتاب الذكرى: «كتب أربعة آلاف نفرمن أهل العراق والحجاز والشام وخراسان أجوبة مسائل الأمام الصادق عليه السلام وكذلك عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام»[2]، ثمّ يقول الشهيد: «وسائر رجال الحديث (وهم غير الّذين ذكرناهم والذين بلغ عددهم أربعة آلاف) كانوا مشاهير وظلّ اسمهم باق وكانت لهم تصانيف معنونه»، ويقول المحدّث الجليل الشيخ الحرّ العامليّ في آخر الفائدة الرابعه من كتاب الوسائل: «ماروى عنه عليه السلام ولم يصرح باسمه كثير وكما ذكرفي كتب الرجال وضبطناه هو أكثر من ستة آلاف وستمائة كتاب»[3].

ويمكننا أنّ نستنتج مما قلناه أن الحركة والنهضة التي أوجدتهما مدرسة الإمامين الخامس والسادس في أفكار الناس، كانتا أكثر مما سمعناه، ذلك لأن هؤلاء الأربعة آلاف الذين ذكروا باعتبارهم أصحاب

---

(١) إرشاد الشيخ المفيد: ٢٧٠.

(٢) الذكرى: ٧.

(٣) وسائل الشيعة ٣: ١٦٥.

الإمام الصادق عليه السلام، كانوا على ما ذكر الشيخ المفيد ثقاة تلامذة الإمام ونخبته فقط. وإذا ما اعتبرنا سائر رجال الحديث الذين لم يبلغوا شأو هذه الجماعة وكانوا مع ذلك من تلامذة الإمام الصادق عليه السلام، فسنرى كثرة عددهم آنذاك. وعلى سبيل المثال فقد ذُكر أنّ الحسن بن علي الوشاء، التقى في وقت واحد تسعمائة شخص في مسجد الكوفة كان كلّهم يقولون حدّثنا جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام !!

وهؤلاء الرجال المنزهة أصولهم الذين نالوا سعادة التشرّف بلقاء الإمام محمّد الباقر والأمام جعفر الصادق والإمام موسى الكاظم والإمام الرضا عليهم السلام، لم يكن لهم نظير في عصور تاريخ الإسلام من حيث الورع والتقوى والفضيلة والسعي في طريق الدين وتعزيز دعائم التشيّع والمحافظة على آثار آل النبيّ صلى الله عليه وآله. ويظهر بوضوح من خلال الأوصاف والتقديرات التي نطق بها الأئمّة الأطهار عليهم السلام بحقّهم أن ما من أحد بلغ منزلتهم وفضلهم إلا القليل من الشيعة.

ذلك لأنهم لو لم يكونوا قد شمّروا عن ساعد الجد في ذلك العصر المظلم، ولم يسجّلوا تعاليم أئمتنا الذين كانوا مراقَبين دوماً، ولم ينشروها في المدن والأقطار النائية والدانية ويحفظوها من غَيرِالزمان، لما بقي اليوم اسم للشيعة وكلام عن فضائل أهل البيت وجاههم وجلالهم ولم يتبق أثر من الأحكام والتعاليم الدينيّة. ومن أجل التعريف بهؤلاء الرجال العظام فإنّنا سنذكر بعضاً من مشاهيرهم كي يتبين حال الآخرين منهم أيضاً.

جابر الجعفيّ

أحد أشهر تلامذة الإمام محمّد الباقر، هو جابر بن يزيد الجعفيّ الذي كان حامل أسرار أهل البيت عليهم السلام وعلومهم على ما ذكر الحاج الشيخ عبّاس القمّيّ في كتاب تحفة الأحباب، وكان في بعض الأحيان يظهر بعض المعجزات التي لم يكن الناس يحتملون سماعها، فكانوا يتهمونه في عقله.

يقول جابر: حدّثني أبوجعفر عليه السلام بسبعين ألف حديث لم أحدّث بها. ويقول إنّه قال للإمام عليه السلام «(ماهو معناه): قلت للإمام عليه السلام فديتك نفسيّ لقد ألقيت على عاتقي عبئاً ثقيلاً بهذه الأحاديث، لم أتمكن من حملها، يجيش في صدري بحيث أحسّ بأنيّ سأجنّ!! قال الإمام الباقر عليه السلام: كلّما تعرّضت لمثل هذه الحالة، اذهب، إلى الصحراء واحفر حفرة وأنزل رأسك فيها وقل: حدّثني محمّد بن علي بكذا وكذا»[1].

محمّد بن مسلم

من مُفاخر تلامذة الإمام محمّد الباقر والإمام جعفر الصادق عليهما السلام وكان يتبوّأ مكانة سامقة عند هذين الإمامين وكان ممتازاً بين الأصحاب من حيث الفقه والورع، ومن الّذين بشّروا بالجنة، ومن أصحاب الإجماع أيضاً.

وقد جاء في الحديث أنه توقّف في المدينة الطيّبة أربع سنوات،

---

(١) تحفة الأحباب للمحدّث القمّيّ: ٤٠.

ونهل الأحكام المذهبيّة والمعارف من الإمام محمّد الباقر عليه السلام، وانتفع بعده من علم الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

يقول محمّد بن مسلم: «أخذت من الإمام الباقر عليه السلام ثلاثين ألف حديث وستة عشر ألفاً من الإمام الصادق عليه السلام» ولذلك فإنّ هذا الرجل الكبير يبلغ الغاية في عظم الشأن والجلالة في نظر علماء الشيعة. وقد روي أنّ عبدالله بن أبي يعفور الذي كان من الثقاة العظام، قال للإمام الصادق عليه السلام: «ليس بإمكانيّ أن التقيك وكثيراً مايسألنى أحد الشيعة مسالة لا أعرف جوابها. فماذا أفعل؟ قال الإمام: لم لاترجع في الأحكام إلى محمّد بن مسلم؟ لأنّه أخذ الأحكام من أبى وكان يعظمه»[1].

زُرارة بن أعين

كان هو أيضاً من أصحاب الإجماع ومن التلامذة الأجلاء للإمامين محمّد الباقر وجعفر الصادق عليهما السلام ولم يكن له نظير بين كلّ تلامذة الأئمّة الأطهار عليهم السلام في الفقه والدين والوثاقة والعلم والفضل.

ويكفي في فضل شخصيّته أنّ يونس بن عمّار نقل عنه عن الإمام الخامس حديثاً في باب الإرث أنّ الإمام عليه السلام قال إنّه لايجوز أن نردّ ما نقله زرارة عن الإمام الباقر !!.

وروي أن الإمام عليه السلام قال للفيض بن المختار: «إذا أردت حديثنا فعليك

---

(١) تحفة الأحباب للمحدّث القمّيّ: ٣٥١.

بهذا الجالس وأومأ إلى رجل من أصحابه فسألت أصحابنا عنه فقالوا زرارة بن أعين»[١].

وجاء في منهج المقال: «لولازرارة ونظرائه لاندرست أحاديث أبي عليه السلام»[٢].

بُرَيد العجليّ

كان هو أيضاً من أصحاب الإجماع ومن التلامذة الأجلّاء للإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، وكان فقيهاً كبيراً وثقة معتمداً وذا مكانة كبيرة عند الأئمّة الأطهار عليهم السلام. وقد جاء في رجال الكشّيّ أنّ جميع علماء الشيعة يصدّقونه بالعدالة وصحة القول ويذعنون لفقهاته[٣].

أبو بصير المراديّ

اسمه الليث بن البختريّ المراديّ. من حواريى الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، وهوالشخص الذي ضمن له الإمام جعفر الصادق عليه السلام الجنّة، وهو الذي اقتدى به محمّد بن مسلم بذلك الفضل الذي كان يتمتّع به مع جماعة آخرين في طريق مكة وصلّوا خلفه. وعلينا أن لا نخلط بين أبي بصير هذا وبين أبي بصير آخر كان هو أيضاً من أصحاب الصادق عليه السلام وكان مكفوفاً.

---

(١)تحفة الأحباب للمحدّث القمّيّ: ١٠.

(٢) منهج المقال، الطبعة الحجرية: ١٣٤.

(٣) رجال الكشيّ: ٢٣٨.

ولكنّه أنفق هذه الثروة بمرور الأيّام في سبيل الديانة. وفي عهد هارون الرشيد أمر هذا الحاكم السنديّ بن شاهك بضرب ابن أبي عمير مائة وعشرين جلدة وسجنه بتهمة تشيّعه. ففدى ابن أبي عمير نفسه بمائة وواحد وعشرين ألف درهم وخلص نفسه من السجن. وجلد في مرّة أخرى مائة وعشرين جلدة لأنه امتنع عن إخبار الخليفة بأسرار شيعة العراق واطّلاعه على أسمائهم، حيث نفدصبره وضاق ذرعاً من ذلك.

سجن مرّة لأربع سنوات متوالية. فوضعت أخته كتبه في غرفة، فخر المطر عليها وتلفت كلّها. ومع ذلك فإن ابن أبي عمير كان يروي الحديث حفظاً! كما أنه جمعها مرّة أخرى من مخطوطات الآخرين الذين كانوا قد استنسخوها قبل إتلاف كتبه. ولذلك فقد كان معظم حديثه مرسلاً. بمعنى أنه كان يقول عند نقل الحديث: أروي عن الإمام الرضا عليه السلام، ولم يكن يذكر سلسلة السند كي يكون الحديث مسنداً.

ومع ذلك فإن العلماء الشيعة يعتبرون أحاديثه المرسلة بمنزلة المسندة نظراً إلى عظمة روحه وعدالته التامة وفضله. وقالوا: «مرسلة ابن أبي عمير في حكم المسندة»، أي كأنه قال: أنقل عن فلان عن فلان عن الإمام الرضا عليه السلام.

الفُضيل بن يسار

من الرواة الثقاة والفقهاء العظام والتلميذ الجليل للإمامين الباقر

والصادق عليه السلام، كما كان من أصحاب الإجماع. وقد جاء في رجال الكشّيّ كان أبو عبد الله عليه السلام إذا رأى الفضيل بن يسار قال: بشر المخبتين من أحب أن يرى رجلا من أهل الجنة فلينظر إلى هذا[١] كما جاء في ذلك الكتاب أن الإمام عليه السلام قال: إن فضيلا من أصحاب أبي و إني لأحب الرجل أن يحب أصحاب أبيه[٢].

جميل بن الدرّاج

يقول النجاشيّ في رجاله: «...أبومحمّد، شيخنا ووجه الطائفة، ثقة، روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام. أخذ عن زرارة وأخوه (نوح بن الدرّاج) القاضي»[٣].

وجميل من الطبقة الثانية لأصحال الإجماع. وقد جاء في رجال الكشّيّ: «قال دخلت على محمد بن أبي عمير، و هو ساجد فأطال السجود، فلما رفع رأسه ذكر له الفضل طول سجوده، فقال: كيف لو رأيت جميل بن دراج، ثم حدثه أنه دخل على جميل فوجده ساجدا فأطال السجود جدا، فلما رفع رأسه قال له محمد بن أبي عمير أطلت السجود! فقال: كيف لو رأيت معروف بن خرّبوذ»[٤].

---

(١) رجال الكشيّ: ٢١٣.

(٢) المصدر.

(٣) المصدر: ١٢٦.

(٤) المصدر: ٢٥٢.

حُمران بن أعيَن

أخو زرارة ومن ثقاة أصحاب الإمامين محمّد الباقر وجعفر الصادق عليهما السلام. ويكفيه فضلاً أنّ الإمام الصادق عليه السلام قال له: «أنت شيعتنا في الدنيا والآخرة» !. وذكر المحدّث الجليل الحاج الشيخ عبّاس القمّيّ في كتاب سفينة البحار قائلاً: «انه كان موالي الصادق عليه السلام عنده يناظرون و حمران بن أعين ساكت، فقال عليه السلام : مالك لا تتكلم يا حمران؟ فقال: يا سيدي اني لا أتكلم في مجلس تكون أنت فيه، فقال عليه السلام: اني قد أذنت لك في الكلام فتكلم»[1]. وقد أثنت كتب الرجال على حمران على أحسن وجه ولكنّنا مضطرون إلى أن نتجنب ذكر ذلك خشية الإطالة.

صفوان بن يحيى البَجلّي

كان أوثق الناس في عصره كما أيّدت كتب الحديث ذلك، ولم يكن له نظير في جلالة القدر وعظمة الروح وكان من أصحاب الإجماع أيضاً.واعتبره الشيخ الكشّيّ من تلامذة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام وذكر النجاشيّ في رجاله أنه من كبار أصحاب الإمام الرضا والإمام محمّد التقي عليهما السلام ووكيلهما، ويقول: «لقد بلغ مرتبة رفيعة في الزهد والعبادة وكانت له منزلة ساميّة لدى الإمام الثامن»[2]. وقد أثنى الإمام الرضا على

---

(١) سفينة البحار، طبعة أسوه ٢: ٢٤٢.

(٢) تحفة الأحباب: ١٤٧.

صفاء باطنه في رواية أخرى فقال: لايحبّ صفوان الرئاسة[1][توفي صفوان في ٢١٠]

صفوان بن مهران الأسديّ

جاء في الحديث أنّ صفوان بن مهران عرض إيمانه وعقائده حول الأئمّة الأطهار على الإمام الصادق عليه السلام فقال عليه السلام: رحمك الله. وهو ثقة جليل ومن تلامذة الإمام السادس عليه السلام. وقد روي أنّ صفوان كان جمّالاً (ولذلك سمّي صفوان الجمّال) وقد أجّر جماله للخليفة العبّاسيّ هارون الرشيد للحجّ. وعندما وفد على الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام قال الإمام: «يا صفوان كل شيء منك حسن جميل ما خلا شيئا واحدا! قلت جعلت فداك أي شيء قال إكراؤك جمالك من هذا الرجل يعني هارون قلت: و الله ما أكريته أشرا و لا بطرا و لا لصيد و لا للهو، و لكني أكريه لهذا الطريق يعني طريق مكة، و لا أتولاه بنفسي و لكن أنصب معه غلماني، فقال لي: يا صفوان أ يقع كراؤك عليهم قلت: نعم جعلت فداك، قال: فقال لي: أ تحب بقاءهم حتى يخرج كراؤك قلت نعم، قال: فمن أحب بقاءهم فهو منهم و من كان منهم كان ورد النار، قال صفوان فذهبت و بعت جمالي عن آخرها، فبلغ ذلك إلى هارون، فدعاني فقال لي يا صفوان بلغني أنك بعت جمالك قلت: نعم، فقال: لم قلت: أنا شيخ كبير و أن الغلمان لا يفون بالأعمال، فقال: هيهات أيهات إني لأعلم من

---

(١) رجال النجاشيّ: ١٩٦.

أشار عليك بهذا أشار عليك بهذا موسى بن جعفر، قلت: ما لي و لموسى بن جعفر! فقال: دع هذا عنك فو الله لو لا حسن صحبتك لقتلتك.»[1].

وصفوان هو الذي روى زيارة وارث وزيارة الحسين في يوم الأربعين ودعاء علقمة عن الإمام الصادق عليه السلام. كما جاء بالإمام كراراً من المدينة إلى الكوفة وخرج معه عليه السلام لزيارة سيّد الشهداء. كما جاء في الحديث أنه وفّق لزيارة ذلك الإمام المظلوم لعشرين سنة.

أصحاب الإجماع

من أجل التعريف بالرواة الكبار ومشاهير تلامذة الأئمّة الأطهار عليهم السلام والذين حافظوا على أحكام الدين وتشريعاته وأوصلوها إلينا، فمن الضروريّ أن تتوفر لنا فرصة أخرى كي يكون بالإمكان ذكر الحدّ الأدنى من مشاهيرهم والتعريف بكلّ منهم، ولكنّ هذا الكتاب لا يستوعب كما ذكرنا أكثر من ذلك. ولذلك نحيل القرّاء إلى كتب الرجال، ونكتفي هنا بذكر أصحاب الإجماع الذين كانوا من أصفياء الأئمّة الأطهار عليهم السلام.

وكلّما قيل إنّ الراوي الفلانيّ من أصحاب الإجماع فهذا يعني أنّ كلّ علماء الشيعة يجمعون ويتفقون على أنّ كلّ حديث رواه هؤلاء الأشخاص بسند صحيح، فهو صحيح فيصدقونه ويتلقونه بالقبول،

---

(١) رجال الكشّيّ: ٤٤١.

وعلى حدّ قولهم فإنّه «أجمعت العصابة على تصحيح ما يصح عنهم وتصدّيقهم لما يقولون» على أنّ هذه العبارة فسّرت كثيراً في علم الدراية، وقدّمت عنها عدة تفسيرات. والمعنى الظاهر والقريب إلى فهمها، هو أننا لو افترضنا أن هناك روايات نقلت عن زرارة أو محمّد بن مسلم أو سائر أصحاب الإجماع، فإنّ علماء الشيعة يعتبرونها صحيحة ولا يلاحظون ما بعد السند إلى المعصوم.

وعلى سبيل المثال، فإن نقل صفوان الذي هو من أصحاب الإجماع رواية ووقع شخصان آخران في سلسلة السند منه وحتّى الإمام محمّد الباقر عليه السلام، ولم نعرف هذين الشخصين، فإنّ ذلك لا يضرّ بصحة الحديث وسلسلة السند، ذلك لأنّ أصحاب الإجماع كانوا قد بلغوا في التقوى والفضل والعلم والعدالة وحفظ الحديث وضبطه درجة بحيث إنّهم لم يكونوا ينقلون الرواية ما لم يتحرّوا ويتحقّقوا من صحة الحديث وجهات نقله.

وفضلاً عن ذلك، فإنّ كلّ المدح والوصف والأقوال النفيسة التي وصلتنا من الأئمّة الأطهار عليهم السلام بشأنهم، تمنع علماءنا وفقهاءنا من أيّ شك وترديد بشأن صحة أحاديثهم. فقد جاء في تلك الروايات أنّهم حفظوا حقائق دين الله والفقه وفضائل آل محمّد صلى الله عليه وآله على مرّ العصور وتناقلوها حتّى بلغت أهلها، لتبقى بمأمن من خطر الزوال والنسيان. وأصحاب الإجماع ثمانية عشر شخصاً قسّمهم علماؤنا وفقهاؤنا إلى

ثلاث مجموعات، كلّ مجموعة تضم ستّة أشخاص وتكون مقدّمة على التي تليها من حيث الرتبة والمكانة. وقد ذكرنا تسعة منهم في الصفحات السابقة، لكنّنا سنذكرهم من جديد كي يتعرّف القرّاء على حقيقة الأمر بشكل أفضل.

المجموعة الأولى ـ من تلامذة الإمام محمّد الباقر والإمام جعفر الصادق عليهما السلام. وهم: زرارة بن أعين، بريد بن معاوية العجليّ، محمّد بن مسلم، أبو بصير المراديّ، الفضيل بن يسار والمعروف بن خربوذ.

المجموعة الثانية ـ من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام ورتبتهم أدنى من المجموعة الأولى كما قال العلّامة بحرالعلوم، وهم جميل بن الدرّاج، أبان بن عثمان، عبدالله بن مسكان، عبدالله بن المغيرة، حماد بن عيسى وحماد بن عثمان.

المجموعة الثالثة ـ من تلامذة وأصحاب الإمامين موسى بن جعفر والرضا عليهما السلام. وهم: صفوان بن يحيى، يونس بن عبد الرحمان، الحسن ابن محبوب، محمّد بن أبي عمير، عبدالله بن بكير وأحمد بن أبي نصر البزنطيّ.

ويذكر الشيخ الكشّيّ في رجاله أنّ العلماء قالوا: إن أعلم المجموعة الأولى بفقه آل محمّد صلى الله عليه وآله وأحكام الدين، زرارة بن أعين وأعلم المجموعة الثانية جميل بن الدرّاج وأعلم المجموعة الثالثة يونس بن عبد الرحمان وصفوان بن يحيى.

وذكر الكشّيّ، الأسديّ (المكفوف) في المجموعة الأولى بدلاً من أبي بصير المراديّ وقال: «ذكر العلماء في المجموعة الثالثة الحسن بن علي ابن الفضال وفضّالة بن أيّوب بدلاً من الحسن بن محبوب. وذكر البعض عثمان بن عيسى بدلاً من فضّالة».

وفي الحقيقة فإنّ ما ذكرناه يوافق رأي العلّامة بحرالعلوم الذي صنّفهم في الأشعار التالية ونظمهم شعراً من حيث الرتبة والمقام والاسم كما أثنى عليهم بأفضل الأوصاف، فقال:

قد اجمع الكل على تصحيح ... يصح عن جماعة فليعلما
وهم أولوا النجابة ورفعة ... أربعة وخمسة وتسعة
فالستة الأولى من الأمجاد ... أربعة منهم من الأوتاد
زرارة كذا بريد قد أتى ... ثم محمّد وليث يا فتى
كذا فضيل بعده معروف ... وهو الذي ما بيننا معروف
والستة الوسطى أبو الفضائل ... رتبتهم أدنى من الأوائل
جميل الجميل مع أبان ... والعبد لان ثم حمادان
والستة الأخرى هم صفوان ... ويونس عليهم الرضوان
ثم ابن محبوب كذا محمّد ... كذاك عبد الله ثم أحمد
وما ذكرناه الاصح عندنا ... وشذ قول من به خالفنا

تشريع أحكام الدين

لقد كانت بعثة كلّ الأنبياء العظام ونزول كافّة الكتب السماويّة كي يدلّوا أفراد المجتمع على طاعة الله وتجنّب معصيته، ويعرفوهم

بواجباتهم الفردية والاجتماعية والمسؤوليات التي قرّرها الخالق لهم، كي يميّزوا الحلال عن الحرام والطهارة عن النجاسة، ويرشدوهم إلى المصالح والمنافع الفرديّة والاجتماعيّة وما يؤدي إلى بقاء الجنس البشريّ وإصلاح الفرد وتهذيب الأخلاق، ويحذّروا من كلّ ما يؤدي إلى الفناء والاضمحلال والإخلال في أمر المعاش والمعاد.

لكي يخرج بذلك أفراد المجتمع البشريّ من عالم التشتّت والتمزق والتوحّش والضلالة، ويسيروا في طريق الهدى والحضارة. وتسمّى مجموعة هذا الواجبات بالدين. ذلك لأنّ الدين ماهو إلا الأوامر والتشريعات السماويّة والإلهيّة التي انتشرت في العالم على يد الأنبياء العظام وبلغت القاصي والداني.

الحاكم، القاضي، المفتيّ

أوجب الشارع المقدّس للإسلام أن يعيّن بين أفراد المجتمع البشريّ قائداً وزعيماً ويلزمهم باتّباعه وذلك من أجل أن تبقى نواميس ونفوس المجتمع البشريّ محفوظة من الأخطار في كلّ مراحل تاريخ الدنيا. ويسمّى هذا المعنى حسب تعبير الشرع بالحاكم والمدبّر والسياسيّ. (طبعاً السياسة التي هي عبارة عن تنفيذ الأحكام والحدود والتعرّف على كيفية صدورها).

وواجب الحاكم من وجهة نظر الإسلام أن يحكم وفقاً لأوامر الشريعة، ويسعى من أجل المحافظة على حدود بلاد الإسلام وثغورها

وحراسة أرواح أفراد المجتمع وأموالهم وأعراضهم ونواميسهم وحقوقهم، ويحول دون الإجحافات والسرقات والظلم والقتل والإبادة والحروب وسفك الدماء، كي لا تعمّ الفوضى ويواصل أفراد المجتمع حياتهم بكلّ هدوء واستقرار.

ولأن من الممكن أن يعتدي أفراد المجتمع على أموال وحقوق بعضهم البعض وأن يؤديّ هذا الاعتداء إلى الحرب والصراع، فقد أصدر أمر «القضاء» من أجل الحيلولة دون وقوع هذا النوع من المفاسد الاجتماعيّة وقدّم شخصاً آخر إلى المجتمع باسم «القاضي» كي يحكم هذا القاضي في مرافعات الناس ونزاعاتهم، ويحلّ خصوماتهم. وبذلك يتحقّق النظام الأتمّ والأحسن المؤدّي إلى بقاء المجتمع، على أحسن وجه، ويسود السّلام والصفاء العالم.

ولأن من واجب المسلمين في كلّ عصر وزمان أن يؤدّوا واجباتهم الدينيّة كي يجسّدوا مراتب عبوديتهم للخالق، كما أنّ معرفة الناس بحاجة إلى الدعوة والتعليم والتعلّم، وإذا ما أراد كلّ أفراد المجتمع القيام بهذه الأمور والاطّلاع بشكل كامل على مصادر الأحكام والأوامر الدينيّة، فإنّهم سوف لا يكون بمقدورهم القيام بالأمور الدنيويّة والشؤون الاجتماعية، لينتهي الأمر أخيراً باختلال النظام، ولذلك فقد أرشد الشارع المقدّس الناس بأن يرجعوا إلى فقيه جليل يعرف أسرار الحلال والحرام ومزايا أحكام الإسلام وتشريعاته، وأن يذعنوا له في هذه المجالات.

ويسمّى مثل هذا الفقيه حسب تعبير الشرع بالمفتيّ أي مُصدِر الفتوى.

وهذه المناصب الثلاثة عبارة عن: الحكم والقضاء والإفتاء، ورغم أن كلّاً منها مستقل ومحدّد، ولكن من الممكن أن يشغل هذه المناصب الثلاثة شخص واحد في آن واحد، ذلك لأنّ كلّاً من الحاكم والقاضي والمفتيّ يجب أن يكونوا متمكنين من أحكام الشريعة كي يمكنهم أن يؤدّوا هذه المسؤولية الخطيرة على أكمل وجه. وبناء على ذلك، فإنّ المجتهد يجمع بين كونه حاكم شرع وقاض ومفتٍ، لأنّ الشروط التي يجب أن تتوفر في الحاكم والقاضي والمفتيّ مجموعة فيه. كما فصّلت ذلك الكتب الفقهيّة.

ماهو الفقه ومن هو الفقيه؟

لاشك في أن كلّ أفراد المسلمين سواء من حيث العلم بأحكام الدين. وعلى سبيل المثال، فإنّنا مسلمي هذا العصر لا نختلف أيّ اختلاف عن مسلمي عهد النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله الذين كانت توجّه إليهم الخطابات الإلهيّة وآيات القرآن. ولذلك فلأننا شركاء معهم في كلّ الفرائض الدينيّة وأداء الأوامر الإلهيّة ونعلم أنّ الدين الإسلاميّ الحنيف باق ما دام العالم باق كما يقول الحديث الشريف «حلال محمّد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة فما حُلّل لهم أوحُرّم، فإنه يحلّل ويحرّم علينا أيضاً»[1].

---

(١) الكافي ١: ٥٨.

ونحن نعلم أنّنا لسنا كلّنا متمكنين من كلّ أحكام الشريعة ومحيطين بها ولذلك فعلينا أن نأخذ المسائل التي نحتاج إليها من أهلها وهم الفقهاء الأجلّاء والمجتهدون العظام كي يمكننا أن نمتثل لأوامر إله العالمين ونفارق هذه الدنيا بإيمان كامل. كما جاء في الحديث من أنّ الناس لا يمكنهم أن يستغنوا عن المسائل التي يحتاجونها، إلا إذا سألوا بشأنها. وورد في رواية أخرى أن سبب هلاك الناس وضلالهم عدم السؤال حول أحكام الدين. وكما قال السيّد الوحيد البهبهانيّ في أوّل رسالة الاجتهاد والأخبار «الفقهاء هم متاريس الإسلام» حيث يجب على الآخرين اللجوء إليهم.

ويرى مجتهدونا وفقهاؤنا أنّ لربّ العالمين حكماً في كلّ واقعة وعلى العباد قبوله والعمل به. يقولون إن جميع شؤون الحياة والأعمال اليومية وحركتنا وسكوننا كلّ ذلك ينطبق مع أحد الأحكام الخمسة وهي :الواجب والحرام والمستحبّ والمكروه والمباح. وبناء على ذلك، فكلّ عمل نقوم به في كلّ آن وكلّ موضع لايخرج عن هذه العناوين الخمسة.

كما أنّ أيّة معاملة أو عقد أو نكاح لا يتمّ إلّا وكان للشرع فيه حكم صحة أو فساد، أي إنّ تلك المعاملة أو العقد لا تخرج عن حالتين، فإمّا أن تكون صحيحة أو فاسدة. وكما سبق القول فإنّ كلّ هذه الأحكام الجزئيّة والكلّيّة أوكلها الله ـ تعالى ـ إلى نبيّه، وعرفها النبيّ ﷺ بدوره عن

طريق الوحي أو الإلهام، وبيّن معظمها لأصحابه كي ينشروها بين الناس. ومع هذا لم يذكر الكثير من الأحكام، أولم يكن لديه مجال لذكرها أو كان هنالك موانع وأسباب أدت إلى عدم نشرها في ذلك الوقت. ولذلك فقد أودعها عند أمير المؤمنين عليه السلام كي يودعها بدوره عند أولاده المعصومين عليهم السلام لينشروها في الفرص المناسبة. كما حدث ذلك في عصر كلّ من الأئمّة محمّد الباقر وجعفر الصادق وموسى بن جعفر والرضا عليهم السلام وقيل ما كان ينبغي أن يقال حتّى تحوّل إلى أربعمائة كتاب (الأصول الأربعمائة) وأخذ الفقهاء يستندون إليه.

وحينما يقال إن العالم الفلانيّ فقيه فإنّ هذا يعني أنّه أستاذ وعارف بعلم الفقه. وعلم الفقه هو العلم بالأحكام الشرعيّة الفرعيّة على أساس أدلّتها التفصيليّة التي تمّ بيانها في علم الأصول.

وموضوع علم الفقه هو حول الأحكام التكليفية مثل: الوجوب، الحرمة، الاستحباب والكراهيّة والإباحة وتسمّى الأحكام الخمسة، والأحكام الوضعية مثل الملكيّة، الزوجيّة، الشرطيّة، المالكيّة، الصحة والفساد وكلّها من شؤون أفعال المكلّفين.

وتدور كلّ أحكام الدين حول محور هذين الحكمين التكليفيّ والوضعيّ. وعلى هذا فإنّ الفقيه هو الذي يمكنه بجدارة أن يستنبط كلّ حكم سواء كان تكليفيّاً أم وضعيّاً على أساس الأصول والشروط والأسّس الصحيحة ويفتي بها.

وقد جعل الفقهاء كلّ مسائل الفقه تحت أربعة عناوين: العبادات، المعاملات، الإيقاعات والأحكام، ويشتمل كلّ واحد من هذه العناوين بدوره على بضعة كتب. وكلّ دورة من الفقه تبلغ ما مجموعه ٥٢ كتاباً، وهي: العبادات ١٠ كتب، المعاملات ١٩ كتاباً، الإيقاعات ١١ كتاباً، الأحكام ١٢ كتاباً.

الفقيه، الأصوليّ، المجتهد

يسمّى العالم الفقيه بالأصوليّ أيضاً. ذلك لأنّ علم الأصول هو مقدّمة علم الفقه، ولذلك فإنّ كلّ مجتهد فقيه مضطر قبل أن يبدأ بتعلم الفقه إلى أن يتعلّم طريق استنباط الأحكام في علم الأصول. ولذلك قيل: «العلم بالقواعد الممهدة لاستنباط الأحكام الشرعيّة»[1] وموضوعه كيفيّة مصادر وأدلّة استنباط أحكام الدين والبحث حول ذلك. وهذه المصادر والأدلّة تقتصر في رأي مجتهدي الشيعة على أربعة أشياء:

١ ـ الكتاب: أي القرآن الكريم الذي يتضمن خمسمائة آية في الأحكام. وما يتعلّق بعلم الأصول من الكتاب ويتمّ بحثه ودراسته، هو عشرة أمور على ما ذكر العلّامة الحلّيّ في كتاب القواعد: «العامّ والخاصّ، المطلق والمقيّد، المحكم والمتشابه، المجمل والمبيّن، الناسخ والمنسوخ»[2] وكذلك البحث حول حجّيّة أو عدم حجّيّة ظواهر

---

(١) كفاية الأصول، طبعة مؤسّسة آل البيت عليهم السلام: ٢٣.

(٢) قواعد الأحكام ٢: ٢٠٢.

آيات القرآن والتي هي موضع اختلاف بين الأخباريّين والأصوليّين تعتبر أيضاً من مباحث علم الأصول.

٢ ـ السنّة: تعتبر السنّة الموضوع الثاني الذي يبحث في علم الأصول. وكما سبق القول فإنّ السنّة هي فعل المعصوم وسلوكه وتقريره (الخبر المتواتر والخبر الواحد)، سواء كان من النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله أم من الأئمّة الأطهار عليهم السلام ولكنّ السنّة عند العامّة تقتصر على قول النبيّ صلى الله عليه وآله وفعله وتقريره.

٣ ـ الإجماع: الإجماع هو الموضوع الثالث من علم الأصول. ونحن الشيعة نرى أنّ ما من عصر يخلو من وجود الإمام المعصوم الحافظ للتكليف، ذلك لأنّه رئيس الفقهاء ومرجع أهل الحلّ والعقد وإجماع علماء الشيعة.

وإجماع فقهاء الشيعة واتفاقهم حجّة لأنّه إما أن يكشف عن قول الإمام المعصوم أو أن يحصل عن طريق الحدس واليقين، ذلك لأن كلّ فقهاء الشيعة الذين أفتوا استناداً إلى أقوال أهل البيت وأخبارهم ولم يقولوا شيئاً من عندهم لم يخطأوا. وبناء على ذلك فإنّ اتفاق علماء الشيعة على حكم من أحكام الدين هو حجّة. والإجماع على نوعين: المنقول والمحصّل حيث دار الحديث في الكتب الفقهيّة بشكل مفصّل حول كلّ منهما.

٤ ـ دليل العقل: إن لم يكن دليل من الكتاب والسنّة والإجماع

بخصوص معرفة حكم أمر من الأمور، فيجب على الشخص المكلّف أن يعمل بما يحكم به العقل، فقد قيل في تعريفه: دليل العقل هو حكم عقليّ يكون وسيلة للوصول إلى الحكم الشرعيّ، بحيث يحصل العلم بهذا من العلم به. وقد قسّم علماء الأصول دليل العقل إلى نوعين: الأوّل أن يحكم العقل من تلقاء ذاته ودون لحاظ حكم الشرع حول أمر من الأمور، كأن يحكم بقبح الظلم وقتل النفس، وحسن ردّ الأمانة وقضاء الدين والعدل والإنصاف.

ويسمّى هذا النوع من الأحكام العقليّة «المستقلات العقليّة»، لأنّ العقل مستقل في الحكم بهذه الأمور. والثاني أن يحكم بواسطة خطاب شرعيّ. مثل المفاهيم، مقدّمة الواجب وغير ذلك. ويسمّون هذا القسم «الاستلزامات العقليّة».

وقد اختصر الأصوليّون دورة الأصول في قسمين: فيبحثون في القسم الأوّل حول الأصول اللفظية والتي تسمّى أيضاً «مباحث الألفاظ»، وتشتمل على أربعة مباحث، وهي: الحقيقة الشرعيّة، الصحيح والأعم، الاشتراك اللفظي، المشتق؛ وخمسة أبواب هي: الأوامر، النواهي، المفاهيم، العموم والخصوص، المطلق والمقيّد.

والقسم الثاني في الأصول العقليّة التي تبحث في اللفظ، وتتعلق بمرحلة عمل المكلّف؛ ولذلك تسمّى «الأصول العملية». كما ستبحث الأصول العقليّة في ثلاثة مقامات: مقام القطع، مقام الظنّ، مقام الشك،

ذلك لأنّ الإنسان عندما يلتفت إلى حكم من أحكام الدين بشكل إجماليّ، إمّا أن يكتسب القطع واليقين بذلك الحكم أو يحصل له الظنّ، أو الشك والترديد.

وفضلاً عن ذلك، فإنّه قد تمّ تأسيس أربعة أصول يصدّقها العقل والشرع في مقام الشك، كي يتمسّك بها المكلّف عند العمل من أجل إزالة حيرته. وهذه الأصول الأربعة هي كالتالي: البراءة، التخيير، الاحتياط والاستصحاب. وقد استنبطت واستخرجت على أساس هذه الأصول كلّ الأوامر المذهبيّة والأحكام الدينيّة التي يذكرها مراجع التقليد في رسائلهم العمليّة لمقلّديهم. وهذا هو الطريق العقليّ والشرعيّ الوحيد الذي وجده علماء الإسلام باسم الاجتهاد في الأمور الدينيّة، في غيبة وليّ العصر عجّل الله فرجه من أجل المحافظة على أحكام الشرع وبهدف توضيح واجبات المسلمين. وكما سنذكر، فإنّ هذه الطريقة كانت متداولة ومعمولاً بها منذ عهد النبيّ صلى الله عليه وآله وعصر الأئمّة الأطهار عليهم السلام، وبالطبع فعلينا أنّ نعلم أن هذا الاجتهاد يختلف كثيراً عن اجتهاد العامّة ورأيهم وقياسهم.

وبناء على ما قلناه، فليس هنالك فرق بين المفتيّ والفقيه والمجتهد، والمقصود هو العالم العارف بأحكام الدين ألا وهو المجتهد الجامع للشرائط. وما ذكرناه في هذا المجال ليس سوى فهرس مختصر، ذلك لأن المؤلّف لايطيق التحقيق والبحث في مباحث الاجتهاد والتقليد وعلم

الفقه والأصول والتي طرح مسائلها الفقهاء والأصوليّون بشكل كاف منذ ألف عام وحتّى اليوم. وفضلاً عن ذلك، فإنّ هذا المختصر لايمكن أن يستوعب كلّ تلك المباحث العلميّة، ولا يتيسر لكلّ شخص فهمه. وبناء على ذلك فإنّنا نكتفي بهذا المختصر.

الاجتهاد والتقليد

يعني الاجتهاد في اللغة تحمّل المشقة، وهو في اصطلاح علم الأصول: «استفراغ الوسع في تحصيل الظنّ بالحكم الشرعيّ» وبتعبير آخر هو«ملكة يقتدر بها على استنباط الحكم الشرعيّ من الأصل فعلاً، أوقوة قرينة»[1] وبناء على ذلك فإن الشخص الذي يمتلك مثل تلك القدرة الملكوتيّة، وكان قادراً من خلال الإحاطة والموهبة الفائقة، والمعاناة والسعي الحثيث، والعلم والاطّلاع الكامل على كلّ مصادر أحكام الدين ووثائقها، على أن يفهم أحكام زمانه ويستنبط حكم كلّ حالة ويعيّن تكليف المكلّفين من خلال الأدلّة التي ذكرناها، فهو مجتهد.

وبعبارة أوضح، فإنّ المجتهد هو الذي يكون بمقدوره عند معرفة الحكم الشرعيّ أو بيانه أن يستخرج الحكم ويصدر الفتوى دون توقّف (بالفعل) أو عبر قليل من مراجعة الكتب ذات العلاقة والوثائق اللازمة «بالقوة».

---

(١) كفاية الأصول ٢: ٥٢٨.

ومن أجل أن يمكن لشخص ما أن ينال درجة الاجتهاد العالية ويبلغ الكمال في هذا الفرع، فمن الواجب من الناحية الأصوليّة ـ فضلاً عن القوة القدسيّة والقريحة الملكوتيّة الذاتيّة ـ أن يتعلّم أيضاً العلوم والفنون التي سنذكرها فيما يلي وخاصّة أن يتعلم البعض منها بالتمام والكمال.

وهذه العلوم هي حسب الترتيب الذي ذكره الميرزا القمّيّ في المجلّد الثاني من كتاب القوانين: علم اللغة، علم الصرف، علم النحو، علم الكلام، علم المنطق، علم الأصول، علم التفسير، علم الحديث، علم الرجال، علم المعاني، علم البيان، علم البديع، بعض من مسائل علم إلهيّئة، قسم من مسائل الطبّ، وكذلك بعض من مسائل الهندسة والحساب (الرياضيّات)؛ وهي من شرائط ومقدمات حصول الاجتهاد وكماله فما لم يتعلم المجتهد العلوم المذكورة بالمستوى اللازم، فإنّه سوف لا يبلغ درجة الإفتاء ومرجعيّة الناس وتعيين واجبات المسلمين.

كما تتوفر في الشخص المجتهد شرائط من جملتها أن يكون بالغاً، عاقلاً، مؤمناً، عادلاً، ورجلاً. وبناء على ذلك، فإن لم تتوفر فيه الشرائط المذكورة، فلايجوز تقليده. وقد قسّم الاجتهاد في علم الأصول إلى نوعين:

الاجتهاد المطلق: إن كان أحد العلماء قادراً بعد بلوغ درجة الاجتهاد على أن يستنبط ويستخرج كلّ أحكام الشرع بواسطة الأمارات أو الأصول المعتبرة، فهو المجتهد المطلق.

اجتهاد التجزيّ: ولكنّه إن كان لا يمكنه الاستنباط إلّا في بعض الأحكام؛ فهو المجتهد المتجزّى. ويمكن تقليد المجتهد المطلق، وهو الذي يجب أن يصدر الفتوى في مهمّات الأمور الدينيّة ويبيّن أحكام الشرع للناس، ويتخذ الناس من رأيه ملاكاً لعملهم، ولكنّ المجتهد المتجزّى لايمكن أن يكون مرجعاً للتقليد بناء على المشهور، نظراً إلى أنه لا يحيط باستنباط كلّ أحكام الدين.

ومن شرائط المجتهد المرجع للتقليد أن يكون حيّاً بناء على المشهور، بمعنى أن يكون حيّاً عند تقليد الناس له. ولذلك فإنّ معظم المجتهدين لا يجيزون تقليد الميّت، إلّا فيما يتعلق بالمسائل التي عمل بها في زمان حياته، حيث يمكن للشخص المقلّد البقاء في تقليده على تلك المسائل فقط. كما يجب أن يكون مرجع التقليد أعلم أهل زمانه وأفضلهم وأتقاهم استناداً للمشهور، كما تمّ تفصيل ذلك في الرسائل العمليّة.

التخطئة والتصويب: كما ذكرنا آنفاً أنّ المجتهد المطلق الذي تجتمع فيه شرائط المرجعيّة، ويمتلك الصلاحية لأن يقلّده المسلمون، هو الشخص الذي يمكنه أن يقوم جيداً بمهمّة استنباط أحكام الدين وحل المسائل الفقهيّة العويصة. كما فإننا نحن الشيعة نرى أن لإله العالم أحكاماً في كلّ مسألة كما ذكرنا، تسمّى «الحكم الواقعي المحفوظ»، ونعتقد أن من الممكن أن يبلغها المجتهد وقد لا يبلغها ويخطأ فيها.

ولذلك فقد قال مجتهدو الشيعة بالتخطئة ونحن نسمّيهم «المخطئة».

ذلك لأنّ الشيعة يعتقدون أن المجتهد يبذل جهده، فإن بلغ الواقع فهو مصيب، وإلّا فإنّه بريء من التقصير وهو ومقلّده معذوران. ولكنّ العامّة يرون في هذا المجال عكس ما يرى الشيعة. فهم يرون أن كلّ ما يدركه المجتهد ويفتي به، هو الحكم الحقيقيّ بعينه، وأنّ الله يصوّبه، ويعتقدون بأنّ رأي المجتهد صائب في كلّ وقت. ولذلك يسمّي السنّة مجتهديهم بـ «المصوّبة»، ولا يجيزون بشأنهم أيّ خطأ واشتباه.

الاجتهاد في عصر النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله

ذكرنا خلال المباحث السابقة بأنّ الاجتهاد كان معمولاً به في عهد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وصدر الإسلام. وهنا سنبحث في هذا الموضوع بشكل مفصّل ونقول إنّ الصحابة وعلى الرغم من أنّهم كانوا يرجعون إلى شخص النبيّ صلى الله عليه وآله في كلّ موضع من أجل تعيين واجباتهم ولذلك لم يكونوا بحاجة إلى أن يسأل بعضهم البعض، ولكنّ الاجتهاد والإفتاء وإبداء الرأي في الشؤون الدينيّة كان معمولاً به بين الصحابة اعتباراً من زمان حياة النبيّ صلى الله عليه وآله وذلك حسب الوثائق التي وصلتنا حيث سنكتفي هنا بذكر موضع واحد من أجل إثبات ما ذهبنا إليه اختصاراً:

روى العلماء ومن جملتهم الشيخ الطوسيّ عليه الرحمة في كتاب «عُدّة الأصول» أنّ النبيّ عندما أراد إنفاذ معاذ بن جبل من جانبه إلى اليمن قال له: «بما ذا تقضي؟ قال: بكتاب الله، قال: فان لم تجد في

كتاب الله ؟ قال: بسنّة رسول الله ﷺ قال : فان لم تجد؟ قال: اجتهد رأيي، فقال: الحمد لله الّذي وفّق رسول رسول الله لما يرضاه رسول الله ﷺ»[1].

وبالطبع فإنّ من نافلة القول أن نذكر أن المراد من الاجتهاد والعمل بالرأي في هذه الرواية، ليس ما يخالف الكتاب والسنّة، وإلّا لما امتدح النبيّ ﷺ رأي معاذ أبداً ولما صوّبه، بل لمنع بشدّة هذا النمط من التفكير.

وباختصار وكما سبق القول، فإنّ هذا المعنى كان قبل وفاة خاتم الأنبياء ﷺ متداولاً ومعمولاً به بشكل كامل بين الصحابة، بحيث إنّ المسلمين ومن أجل تعيين واجباتهم في كلّ أمر من الأمور كانوا يرجعون إلى أولئك الصحابة الكبار الذين كانوا معروفين ومتميّزين من حيث العلم والاطّلاع والتقوى والعدالة، وكانوا بدورهم يفتون حسب ماسمعوه عن النبيّ ﷺ أو رأوه منه عملاً، وكان المسلمون يذعنون لفتاواهم ويعملون على ضوئها أيضاً.

وبعد أن تحقّقت الانتصارات للمسلمين شيئاً فشيئاً، وانتشر الدين الإسلاميّ، أخذ المسلمون واحتّياجاتهم بالازدياد، اضطر أنصار الخلفاء الذين لم يكن يعنيهم أمر أهل البيت عليهم السلام، وكانوا يقعون في الحيرة في مقام فهم أحكام الدين، كما لم يكونوا يفهمون شيئاً من الكتاب والسنّة،

---

(١) عدة الأصول: ١٣٨. يبدو لي أن هذا الحديث لأمير المؤمنين عليه السلام الذي وجّهه النبيّ إلى اليمن للدعوة، لا معاذ بن جبل الذي لم يكن له مثل هذا الشأن.

اضطروا إلى اللجوء للرأي والقياس والإفتاء من عندهم، حيث ذكرنا أنّ ذلك يختلف كلّ الاختلاف عن الاجتهاد حسب مفهوم الشيعة ولذلك فأنّ الأئمّة الاطهار عليهم السلام لم يمنعوا أصحابهم من الإفتاء، بل أمروهم في الكثير من المواضع بالإفتاء وأوصوا الناس باتباعهم، حيث سنذكر تفصيل ذلك في موضعه.

ولآية الله الفقيد والعلّامة الكبير الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء ـ طاب ثراه ـ كلام قيّم في هذا المجال في كتابه النفيس أصل الشيعة وأصولها وقد رأينا أن من الضروريّ أن ننقله إكمالاً لما سبق وأن نذكره، ونختم هذا الفصل بذلك. حيث ذكر رحمه الله في الكتاب المذكور قائلاً: «فقد يذكر النبي عاما، ويذكر مخصصه بعد برهة من حياته، وقد لا يذكره أصلا، بل يودعه عند وصيه إلى وقته. ثم أن الأحاديث التي نشرها النبي صلى الله عليه وآله في حياته قد يختلف الصحابة في فهم معانيها على حسب اختلاف مراتب أفهامهم وقرائحهم [أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها].

ولكن تأخذ الأذهان منه على قدر القرائح والفهوم

ثم إن الصحابي قد يسمع من النبي في واقعة حكما، ويسمع الآخر في مثلها خلافه، وتكون هناك خصوصية في أحدهما اقتضت تغاير الحكمين، غفل أحدهما من الخصوصية أو التفت إليها وغفل عن نقلها مع الحديث، فيحصل التعارض في الأحاديث ظاهرا، ولا تنافي واقعا.

ومن هذه الأسباب وأضعاف أمثالها احتاج حتى نفس الصحابة الذين فازوا بشرف الحضور في معرفة الأحكام إلى الاجتهاد والنظر في الحديث، وضم بعضه إلى بعض، والالتفات على القرائن الحالية، فقد يكون للكلام ظاهر ومراد النبي خلافه، اعتمادا على قرينة كانت في المقام، والحديث نقل والقرينة لم تنقل. وكل واحد من الصحابة ممن كان من أهل الرأي والرواية.. إذ ليس كلهم كذلك بالضرورة تارة يروي نفس ألفاظ الحديث للسامع من بعيد أو قريب، فهو في الحال راو ومحدث، وتارة يذكر الحكم الذي استفاده من الرواية أو الروايات بحسب نظره واجتهاده، فهو في هذا الحال مفت وصاحب رأي، وأهل هذه الملكة مجتهدون، وسائر المسلمين الذين لم يبلغوا إلى تلك المرتبة إذا أخذوا برأيه مقلدون. وكان كل ذلك قد جرى في زمن صاحب الرسالة، وبمرأى منه ومسمع، بل وربما رجع بعضهم إلى بعض، على أن الناس من هذا بإزاء أمر واقع لا محالة. وإذا أمعنت النظر فيما ذكرناه، اتضح لديك أن باب الاجتهاد كان مفتوحا في زمن النبوة وبين الصحابة، فضلا عن غيرهم، وفضلا عن سائر الأزمنة التي بعده...»[1].

الاجتهاد في عصر الأئمّة الأطهار عليهم السلام

وكما ذكرنا فيما مضى أنّ تاريخ الإجتهاد يعود إلى زمان حياة الشارع

---

(١) أصل الشيعة وأصولها: ١٤٦، طبعة القاهرة، سنة ١٣٧٧.

المقدّس خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله، وفي هذه الحالة فإنّه كان قائماً بطريق أولى في عصر الأئمّة الأطهار عليهم السلام. وخلافاً لادّعاء العلماء الأخباريّين، فإنّ الاجتهاد ليس ظاهرة جديدة أحدث أنصارها بدعة، بل إنّ هذا الإشكال وارد على معارضيّ الاجتهاد والأخباريّين وهو أنهم لماذا اجتنبوا مما كان متداولاً ومعمولاً به في عهد النبيّ صلى الله عليه وآله وزمان الأئمّة الأطهار عليهم السلام، وكان أفضل الطرق للانتفاع من أقوال تلك الذوات المقدّسة؟!

إن ما هو مسلّم به هو أنّ الاجتهاد كان جارياً بين الشيعة في كلّ العصور الإسلاميّة بل إنّ من سيرة العقلاء وعقلانيّة الأصول أن يراجع الناس العلماء في كلّ شؤون حياتهم وأمور دنياهم ويستعلموا الموقف منهم ومن البديهيّ أنّ الأمر لو لم يكن كذلك لاختلّ نظام الحياة.

على أنّ أنصار الاجتهاد لا يقولون شيئاً غير ذلك أيضاً، فلأنّ كلّ أبناء الأمّة لا يلمّون بشكل كامل بالأحكام ومصادرها وكيفيّة الاستنباط والاستناد إلى الأحكام كما أنّ الاحتّياط ليس بممكن، فمن الواجب أن يرجعوا في هذا الخصوص إلى الخبير والأستاذ والعالم في هذا الفنّ، ألا وهو «المجتهد». وإلاّ لاختلّ نظام الحياة، ولوقع الناس في العسر والحرج ولتعطّلت أحكام الدين، بالتفصيل الذي تمّ بيانه في مقدّمات دليل الانسداد، وهو ما لا يخفى على أحد طبعاً.

ويرى أنصار الاجتهاد أنّ باب الاجتهاد مفتوح دوماً (خلافاً للعامّة الذين يعتبرون باب الاجتهاد مسدوداً بعد أئمّة مذاهبهم الأربعة) ويرون

أنّ الاجتهاد بالمعنى المعروف اليوم بين الشيعة، كان في عصر الأئمّة الأطهار عليهم السلام أيضاً، واستناداً إلى الروايات التي وصلتنا والتي يأخذ بها معارضو الاجتهاد أي العلماء الأخباريّين أيضاً، فقد كان الأسلوب الذي ارتضاه الأئمّة عليهم السلام أنّهم كانوا يحيلون عامّة الشيعة في الأمور الدينيّة إلى المجتهدين من تلامذتهم، وكانوا يؤكدون عليهم أن يعملوا وفق ما يقولونه ويفتون به.

على أنّ دائرة الاجتهاد اتسعت في عصرنا إلى حدّ كبير، ولكنّ كلّ هذه الجهود والمشاق لم تكن مطلوبة في ذلك العصر، ومع ذلك كانت حقيقة الاجتهاد والاستنباط والتي هي إرجاع الفروع إلى الأصول وتمييز صحة الحديث عن سقمه، وتحديد الناسخ والمنسوخ وتقديم الخاصّ على العامّ والجمع بين الأخبار في مقام التعارض بينها، أو الترجيح بواسطة المرجحات وغيرها، كلّ ذلك كان معمولاً به.

ويشترك في ذلك قدماء المجتهدين، أي الذين كانوا في عصر الأئمّة الأطهار عليهم السلام والمتأخرون منهم الذين جاؤوا بعد الغيبة الكبرى وحتّى عصرنا، ولايختلفون في شيء من هذه الناحية.

وسنقوم هنا بذكر بعض الروايات من أجل اتضاح الموضوع، ونحيل تفصيل ذلك إلى كتب الأصول والحديث، وستتعرفون عن قريب على تحقّقه في هذا الكتاب نفسه على لسان أستاذ الكلّ الوحيد البهبهانيّ.

١ ـ روي عن الإمام الحسين عليه السلام أنّه قال: «مجاري الأمور والأحكام

بيد العلماء الأدلاء على الله والأمناء على حلاله وحرامه»[١].

٢ ـ من جملة الروايات التي تدلّ على أنّ الاجتهاد والإفتاء كانا سائدين على عهد الأئمّة الأطهار عليهم السلام، قول الإمام محمّد الباقر عليه السلام لأبان ابن تغلب: «اجلس في مسجد المدينة وافتي الناس فإنيّ أحب أن يرى في شيعتي مثلك»[٢].

٣ ـ الرواية التي نقلها ابن إدريس من كتاب هشام بن صالح عن الإمام الصادق عليه السلام من أنّه قال: «إنّما علينا إلقاء الأصول وعليكم أن تفرّعوا ولا يكون الفقيه فقيهاً حتّى يلحن له في القول فيعرف ما يلحن له». أي عندما ينقل إليه كلام المعصوم، فإنّه يكشف عن قصد المعصوم بمقتضى القواعد اللّفظية، ولعلّ من نافلة القول أن نذكر أن ليس بمقدور كلّ شخص استخراج فروع الأحكام من الأصول، بل إنّ ذلك من شأن الفقيه والمجتهد.

٤ ـ رواية داود بن فرقد الذي قال إنّه سمع الإمام الصادق عليه السلام يقول: «أنتم أفقه الناس إذا عرفتم معاني كلامنا. إنّ الكلمة تنصرف على وجوه فلو شاء إنسان لصرف كلامه كيف شاء ولا يكذب». ومن الواضح أنّ تشخيص صورة قصد الإمام في كلامه، عن سائر الصور المتصوّرة، بحاجة إلى الدقّة وإمعان النظر وهو أيضاً من مهمّة المجتهد في الشرع.

---

(١) تحف العقول ١: ٤٢٤.

(٢) رجال النجاشيّ، تحت عنوان «أبان بن تغلب».

٥ ـ الرواية التي أجاب فيها الإمام الصادق عليه السلام على شعيب العرقوقيّ الذي كان قد سأل: ما أفعل حينما أحتاج إلى أحكام الدين ولا أجدكم؟ فقال عليه السلام: «عليك بالأسديّ».

٦ ـ الرواية التي يقول فيها الإمام الرضا عليه السلام لعلي بن المسيّب: «عليك بزكريا بن آدم المأمون على الدين والدنيا».

٧ ـ ينقل الشيخ الصدوق في كمال الدين أنّ إمام العصر عجل الله فرجه أجاب إسحاق بن يعقوب على سؤاله حول ما يفعله الشيعة في غيبته الكبرى، وذلك في توقيع شريف صدر عنه عليه السلام: «وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا فإنّهم حجّتيّ عليكم وأنا حجّة الله»[1].

من الواضح هنا أيضاً أنّ القصد من رواة الأحاديث، الشخص الذي كان يتمتّع بصلاحيّة النقل والنظر في الأحاديث وفهم الأحكام واستنباطها، ويمتلك ملكة الاجتهاد وله المكانة العلميّة والعملية الشامخة، كي يكون بالإمكان اعتباره حجّة من جانب حجّة الله، ومثل هذا الشخص هو «المجتهد» بطبيعة الحال.

٨ ـ وجاء في الاحتجاج للطبرسيّ أن الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام قال في حديث طويل: «فأمّا من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلّدوه».

٩ ـ مقبولة عمر بن حنظلة التي هي أشهر من الروايات الأخرى

---

(١) كمال الدين ٢: ٤٨٤.

ودلالتها على المدّعى أقوى، فقد قال الإمام الصادق عليه السلام في تلك الرواية: «أنظروا إلى من كان منكم قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوه حاكماً فإنيّ قد جعلته عليكم حاكماً».[1]

وما يدلّ على المدّعى من هذه الرواية دلالة صريحة على أنّ القصد من مثل هذا الشخص هو المجتهد الجامع للشرائط، العبارات «ونظر في حلالنا وحرامنا» و«عرف أحكامنا» و «جعلته عليكم حاكماً»، فمن المسلّم به أنّ هذا النظر هو النظر الاجتهاديّ المستند إلى العلم والاطّلاع والدالّ على نهاية الدّقة والاحتياط.

كما أنّ الشخص الذي يعرف أحكامنا هو أيضاً ليس إلّا المجتهد، لأنّ الآخرين وعلى إثر نقصهم وقصورهم ليسوا قادرين على معرفة الأحكام حقّ معرفتها، وحتّى إذا عرفوها فإنّهم ليسوا كالمجتهد القادر على معرفتها، وبناء على ذلك فإن الراوي ليس هو المقصود بل المجتهد الذي يمتلك قريحة المعرفة والنظر في روايات أهل البيت عليهم السلام بشكل أفضل من الآخرين، وإلّا فإنّ الإمام لا يحكم كلّ شخص على الناس لمجرّد أنه كان من أهل الرواية!

وهنالك أيضاً آية النَفَر: ﴿**فلولا نفر من كلّ فرقة منهم طائفة ليتفقّهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلّهم يحذرون**﴾[2].

---

(١) كمال الدين ٢: ٤٨٤، احتجاجات الإمام الحسن العسكري عليه السلام، والكافي ١: ٦٧.

(٢) التوبة: ١٢٣.

وآية السؤال: ﴿**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾[١] رغم أنّ المراد من «أهل الذكر» خصوص أهل البيت عليهم السلام على ميبدو و كما وصلتنا الكثير من الروايات عن الأئمّة الأطهار عليهم السلام بمضمون الآيات المذكورة، كإحالة الإمام الصادق عليه السلام الفيض بن المختار إلى زرارة، وعبدالله بن يعفور إلى محمّد بن مسلم، وإحالة الإمام الرضا عليه السلام عبد العزيز المهتديّ إلى يونس بن عبد الرحمان حيث مرّت ترجمة كلّ منهم وكذلك الأحاديث التي وردت في مدح العلماء وإجلالهم، مثل: «مجاري الأمور بيد العلماء» و«علماء أمّتي كأنبياء بني إسرائيل»[٢].

والروايات التي وصلتنا عن الإمام الصادق عليه السلام في أصل البراءة، وماورد عن الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام في حجّيّة الخبر الواحد، والأخبار التي وصلتنا بشأن وجوب اجتناب الشبهة المحصورة والاستصحاب والتعادل والترجيح وغير ذلك عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، وأمثالها فإنّها كلّها في شأن الفقيه وتتعلق بالمجتهد الجامع للشرائط. كما أنّ صلاحية التدخل فيها وفهم معانيها وبيانها واستنباط الأحكام والاستفادة منها لا تليق إلا بمكانته، حيث يتمتّع بدرجة الاجتهاد الرفيعة التي هي أعلى من كلّ الدرجات والمناصب الدينيّة والمرجع الوحيد الذي يمتلك الصلاحية الدينيّة. على أنّ ما قلته ليس إلّا غيض من فيض.

---

(١) النحل: ٤٥.

(٢) بحار الأنوار ٢: ٣٢.

الاجتهاد في العصور التي تلت عصور الأئمّة الطاهرين عليهم السلام

رغم أنّ للاجتهاد وإبداء الرأي في أمور الدين خلفية تاريخة تمتد بين المسلمين اعتباراً من عهد النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله كما أنّ كبار الفقهاء كانوا يقدمون على إصدار الفتوى في عصر الأئمّة الأطهار عليهم السلام بأمر من تلك الذوات المقدّسة وباختصار فإنّ الاجتهاد كان معمولاً به إلى حدّ ما، ولكن مما هو مسلّم به أنّ هذا العلم لم يكتسب الأهمّيّة بين الشيعة ولم يحظّ باهتمام علمائنا بشكل رسميّ إلّا عندما حلّت الغيبة الكبرى لإمام العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف ولم يعد بإمكان العلماء الوصول إليه.

وقد بادرت منذ ذلك الوقت مجموعة من المحدّثين إلى الاعتراض على علم الأصول وتحريمه آخذين بنظر الاعتبار أنّ الأصول والاجتهاد كانت في الغالب متداولة بين العامّة، كما أنّ الأئمّة عليهم السلام منعوا رؤساء مذاهب العامّة وفقهاءهم من الإفتاء والعمل بالرأي والقياس، في حين أنّ الاجتهاد الذي يريده فقهاء الشيعة، كان ومايزال يختلف اختلافاً كلّياً عن الرأي والقياس والاستحسان المعمول بين العامّة والذي كانوا قد سمّوه بالاجتهاد. ثمّ إنّ علم الأصول والاجتهاد في أحكام الدين لا يتنافى مع العمل بالأخبار فحسب، بل إنّ هذا العلم ظهر أساساً لتهذيب الأخبار وتصحيحها والتمييز بين صحّتها وسقمها وتعزيز مبانيها، كي لا يبقى مجال للشبهة والشك للمكلّفين في مقام العمل، ويمكنهم على أفضل وجه أن يؤدّوا واجباتهم الدينيّة.

مشاهير مجتهدي الشيعة من بداية الغيبة الكبرى وحتّى عصر الوحيد البهبهانيّ وأشهر الكتب التي ألّفوها في الفقه والأصول

تحدّثنا سابقاً بالتفصيل حول تقدّم الشيعة في علميّ الأصول والفقه وذكرنا مشاهير المصنّفين في هذين العلمين الشريفين وتصنيفاتهم. والآن ومن أجل أن تتّضح لنا الأوضاع والّذين أسهموا في هذا المجال والكتب التي ألّفوها بعد الغيبة الكبرى حيث حظّي الفقه والأصول بالاهتمام،فإننا سنتحدّث باختصار حول هذا الموضوع، وللاطّلاع أكثرنحيل القرّاء إلى الكتب المفصّلة[1]

وقد كان الشيخ الجليل الحسن بن علي بن أبي عقيل العماني أوّل من هذّب الفقه في بداية الغيبة الكبرى ونظر فيه وفصل بين مبحثي الأصول والفروع، حيث ألّف كتاب التمسك بحبل آل الرسولﷺ. وهو أستاذ الشيخ الأجل جعفر بن محمّد قولويه القمّيّ، ومحقّق الفقه ومؤسّسه، ولأنه أوّل شخص استند إلى مسائل علم الأصول في استنباط أحكام

---

(١) أنظر أعيان الشيعة، وتأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، والذريعة، وتقريرات الأصول لآية الله الشيخ محمّد علي الكاظميّ طاب ثراه.

الفقه واستمّد منه، فإن اعتبرناه أوّل مجتهد بالمعنى المصطلح، فإنّنا لم نكن بذلك قد قلنا جزافاً.

ومن بعد ابن أبي عقيل، سلك طريقه ابن جنيد الإسكافيّ واستحسن آراءه وقوّاها وهذّبها. وقد ألّف كتباً في الفقه باسم المختصر الأحمديّ للفقه المحمّديّ وهو مختصر كتابه الآخر تهذيب الشيعة لأحكام الشريعة الذي كان يبلغ حوالي عشرين مجلّداً، وكتاب النصريّ لأحكام العترة. وعلى حدّ قول تأسيس الشيعة فإنّ ابن جنيد نقل أوّلاً في كتبه الفروع الفقهيّة للعامّة، ثمّ بيّن رأي الشيعة وفتوى فقهائنا.

«وقد كتب العلّامة بحرالعلوم ـ نوّر الله مضجعه ـ في ترجمة ابن جنيد قائلاً إنه كان من أعيان الطائفة وأعاظم الفرقة وأفاضل السلف من العلماء. وكان علمه وفقهه وأدبه وتصنيفه أكثر من كلّ علماء العصر، وكان تحريره أفضل ونظره أدقّ». توفي ابن جنيد سنة ٣٨١هـ في الريّ. وقد خلط بعض العلماء بينه وبين أبي علي محمّد بن همام الكاتب الإسكافيّ المعاصر للشيخ الكلينيّ، وبين أبي جعفر عبدالله المعتزليّ المتوفّى سنة ٢٤١ الذي كان إسكافيّاً هو أيضاً، وأخطؤوا في ترجمتهم.

ومن بعد ابن جنيد، قام تلميذه الشيخ المفيد بجرح وتعديل آراء أستاذه، وأضفى صورة أخرى على الفقه والأصول، وألّف كتاباً مختصراً اشتمل على كلّ مباحث الأصول، وأسّس مدرسة تخرّج منها علماء كبار مثل علم الهدى الشريف المرتضى المتوفى في٤٣٦ الذي كان ركن

الطائفة الإمامية ومعلّمها على حدّ قول العلّامة الحلّيّ، ومجدّد مذهب الشيعة في رأس القرن الرابع الهجريّ على ما ذكر ابن الأثير، وشيخ الطائفة أبي جعفر محمّد بن الحسن بن علي المعروف بالشيخ الطوسيّ ٤٦٠، وسالار الديلميّ ٤٣٦ صاحب كتاب التقرير في الأصول، أبي الفتوح الكراجكيّ مصنّف كنز الفوائد وغيرهم. وألّف الشريف المرتضى الذريعة في علم الأصول والذي ماتزال موضوعاته معروفة في كتب الأصول وبين الفقهاء.

وظهر من بعدهم الشيخ الطوسيّ المتوفّى في ٤٦٠ والذي اعتبره العلماء زعيم المجتهدين ورئيس فقهاء الشيعة وشيخ الطائفة وألّف الكتب في جميع الفنون والعلوم الإسلاميّة من فقه وأصول وتفسير وحديث ورجال وكلام وأدب وغير ذلك، حيث استند في ذلك إلى آراء أستاذه الجليل الشيخ المفيد والشريف المرتضى من بعده. وصنّف الشيخ كتاباً باسم عدّة الأصول وقد وصلنا هذا الكتاب بعد تسعمائة سنة ومايزال أسلوبه ورصانته موضع إعجاب الفقهاء والمجتهدين وتحسينهم.

وعلى حدّ قول الوحيد البهبهانيّ في التعليقة فإن أكثر من ثلاثمائة من مجتهدي الشيعة والسنّة كانوا من تلامذة الشيخ حيث تلقوا علومهم منه وتخرّجوا من مدرسته. وهؤلاء هم غير التلامذة الذين نهلوا من علم هذا الشيخ الجليل في الفروع الأخرى، ولم يبلغوا درجة الاجتهاد. وصنّف

الشيخ في الفقه كتب تهذيب الأحكام والنهاية والمبسوط والخلاف وغيرها.

كان الشيخ مجلّلاً ومعزّزاً إلى درجة كبيرة لدى أستاذه الشيخ المفيد والشريف المرتضى وبين الشيعة، بحيث حضى برئاسة الشيعة بعد الشيخ والشريف ورغم أنّه كان يعيش في عصر الخلفاء العبّاسيّين، إلّا أنّ الخليفة كان يجلّه لمكانته العلميّة، وخصّص له مقعداً لتدريس علم الكلام ولكنّ النزاع بين الشيعة والسنة شبّ في تلك الأثناء، وأججّ علماء العامّة الذين كانوا يضمرون الحسد للشيخ بسبب شخصيّته ونبوغه نار الخلافات، وألّبوا الناس ضدّه.

وخلال ذلك الصراع تمّ إحراق مقعد تدريسه وكتبه. كما ترك الشيخ بغداد وتوجّه إلى النجف الأشرف التي لم تكن آنذاك على قدر كبير من الأهمّيّة، وأمضى بقيّة عمره في تلك الأرض المقدّسة منشغلاً بالتدريس والبحث والتأليف والتصنيف وتوفي فيها أخيراً ودفن إلى جوار مرقد أمير المؤمنين عليه السلام. يعتبرّ كتابي التهذيب والاستبصار من كتب الشيعة الأربعة المعتد بها وهما من تأليف الشيخ الطوسيّ.

وأدّت إقامة الشيخ في النجف الأشرف إلى أن يقبل عليه التلامذة والشيعة من كلّ صوب وحدب وما تزال حوزة النجف الأشرف ورغم مرور أكثر من تسعمائة عام على تأسيسها، دوماً مركز نشر أنوار حقائق المذهب الشيعيّ وأحكام أهل البيت وفضائلهم وسننهم، حيث قدّمت

للمجتمع المئات من المجتهدين المبرّزين ومراجع التقليد.

ولم يضف مجتهدو الشيعة الذين كانوا من تلامذة شيخ الطائفة وتلامذة تلامذته شيئاً على آرائه وأقواله وتحقيقاته احتراماً له، بل كانوا يجتهدون بطريقته ويؤلّفون ويصنّفون بنفس الأسلوب وكان من بينهم العالم الفقيه القاضي عبد العزيز بن البرّاج (٤٨١) والعالم الفاضل الكامل عماد الدين بن حمزة المعروف بالعماد الطوسيّ (أوائل ٥٠٠) وكانا كلاهما من تلامذة الشيخ، والشيخ الفقيه سديد الدين محمود الحمصيّ.

وكان الفقيه الكامل، العالم الفاضل السيّد أبو المكارم بن زهرة الحسينيّ (٥٨٥) من مشاهير مجتهدي هذا العصر. وكان له الكثير من التصنيفات في الفنون العديدة والعلوم المختلفة. ومن تصنيفاته المعروفة كتاب غنية النزوع إلى علميّ الأصول والفروع. وعلى حدّ قول المحدّث القمّيّ في هديّة الأحباب، فإنّه هو ووالده وجدّه وأخوه عبدالله وابن أخيه محمّد بن عبدالله من أكابر فقهاء الإمامية، ولكنّ المجتهدين من بعد الشيخ لم يضيفوا ـ كما قلنا ـ شيئاً على ماكان الشيخ قد أسّسه ولم يمتازوا امتيازاً خارقاً للعادة، حتّى ظهر العالم الشهير محمّد بن إدريس الحلّيّ (٥٩٨) الذي كان مجتهداً محقّقاً وفقيهاً مدقّقاً وصنّف الكتاب الشهير السرائر الحاوي لتحرير الفتاوى، وحطّم الرقم القياسيّ الذي كان قد تحقّق خلال قرن بعد الشيخ في علم الاجتهاد وفتح الطريق أمام الأجيال القادمة للبحث والتحقيق والتخطئة والتصويب لآراء السابقين.

وكان المحقّق الأوّل (٦٧٦) صاحب الشرائع من جملة الّذين سلكوا طريقه واستحسنوا مسلكه والذي كان تلميذ الفقيه المتبحّر ابن نما والسيّد فخار الموسويّ والذي كان بدوره تلميذ ابن إدريس بواسطة واحدة. وقد ألّف المحقّق في الأصول كتاب نهج الوصول إلى معرفة الأصول وكتاب المعارج، وفي الفقه المختصر النافع والمعتبر. وعلى حدّ قول المحدّث القمّيّ في كتاب هديّة الأحباب: «فإنّ حاله في العلم والفضل والفقه والجلالة والتحقيق والتدقيق والفصاحة والشعر والأدب والإنشاء وجميع العلوم والفضائل أشهر من أن يذكر».

وذكر صاحب تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام بعد نقل كلام المحدّث الفاضل الحاج النوريّ حول المحقّق والذي اعتبره كشّاف حقائق الدين، رئيس العلماء، فقيه الحكماء، شمس الفضلاء، بدر العرفاء وغير ذلك، «قائلاً إنّ أنامل البيان عاجزة عن وصف شخص من أمثاله وبصير الزمان بصير بعلمه» !!.

ثمّ ظهر آية الله على الإطلاق، العلّامة الحلّيّ ابن أخت المحقّق (٧٢٦). وكلّ ما قيل عن درجاته العلميّة والعمليّة، علومه وفنونه، تحقيقاته وتدقيقاته، رشده ونبوغه وخدماته للمذهب الشيعيّ قليل وما قيل عنه ما هو إلّا خلاصة من أوصافه التي تربو على الإحصاء، فمن الأفضل إذن أن نختصر الكلام ونتجاوز ساحل هذا البحر اللامتناهي. ولقد أسّس العلّامة قواعد علم الأصول على قاعدة متينة، ورسّخ دعائمه.

كان العلّامة أستاذاً في كلّ العلوم والفنون، وألّف الكتب في كلّ فرع. ولكنّ أستاذيّته كانت في الفقه والأصول في الغالب. وكما ذكروا وكما هو مشهور فقد كان العلّامة مجتهداً مسلّماً به قبل بلوغه! وكان الناس ينتظرون بلوغه كي يقلّدوه! وقد ألّف العلّامة الكثير من الكتب في الفقه والأصول ومنها في الفقه تحرير أحكام الشريعة، تذكرة الفقهاء، إرشاد الأذهان، قواعد الأحكام، مختلف الشيعة وتبصرة المتعلمين. وفي الأصول، منتهى الوصول، غاية الوصول، النكت البديعة ونهج الوصول.

وكان العلّامة تلميذ الفيلسوف الكبير الشيخ نصير الدين الطوسيّ قدّس سرّه، وكان في المنقول أفضل تلامذة خاله المحقّق الحلّيّ صاحب الشرائع، وقد تَخرّج على يديه تلامذة يعدّ كلّ منهم فحلاً شهيراً، مثل ابنه الجليل فخر المحقّقين محمّد (٧٧١) والسيّد عميد الدين الحسينيّ (٧٥٤) والسيّد ضياء الدين الحسينيّ (كان هذان الأخوان ابنا أخت العلّامة) والأمير جمال الدين الحسينيّ الأسترآباديّ. ولكلّ من هؤلاء شروح على تهذيب الأصول ومؤلّفات العلّامة الأخرى. كما شرح فخر الدين بعضاً من كتب والده الأخرى في الفقه والأصول مثل: شرح مبادىء الأصول، شرح تهذيب الأصول، إيضاح الفوائد في حل مشكلات القواعد وغيرها.

ومن فقهاء هذا العصر ومجتهديه الآخرين الشيخ نجيب الدين بن سعيد الهذلي الحلّيّ (٦٨٩). ويعد كتابا الجامع للشرائع في الفقه

والمدخل في الأصول من تصنيفاته. وقد كان جامعاً للفنون وعلوم الفقه والأصول والأدب وكان وحيد عصره في الأدب والورع والزهد والتقوى، وكان أيضاً ابن عمّ المحقّق وسبط ابن إدريس.

وبعدالعلّامة حتىٰ زمن الشهيد الأوّل (٧٨٦) كان مدار الدرس والبحث والتأليف والتصنيف في الفقه والأصول يدور على كتبه. وقد كتب الشهيد الأوّل كتاباً تحت عنوان جامع البين في الأصول وجمع فيه بين شرح عميدالدين وأستاذه ضياء الدين الحسينيّ على تهذيب العلّامة. كما صنف الذكرى، الدروس، التهذيب، القواعد، الألفية، النفلية واللمعة في الفقه.

وقد كتب الشهيد في الإجازة التي كتبها لتلميذه ابن الخازن قائلاً: «أنا أروي عن أربعين من علماء مكة والمدينة وبغداد ومصر ودمشق وبيت المقدّس ومقام الخليل كلّهم من علماء العامّة» !.

كما أشاد به المحدّث الجليل الشيخ الحرّ العامليّ في أمل الآمل قائلاً: «كان عالماً ماهراً فقيهاً محدّثاً، ثقة متبحّراً كاملاً، جامعاً للفنون العقليّة والنقليّة، زاهداً عابداً ورعاً، شاعراً أديباً منشئاً، أوحد الدهر ومنقطع النظير في عصره...». كما كتب قائلاً: «ألّف كتاب اللمعة الدمشقية في السنة التي كان سجيناً خلالها في قلعة الشام في سبعة أيّام!!! في حين لم يكن له من كتب الفقه سوى كتاب المختصر النافع».

وقد أفرج عن الشهيد من السجن بعد سنة وقتل بالسيف بفتوى

المفتيّ المالكيّ ثمّ صلب ورجم وأحرق بعد ذلك! وهو أوّل عالم من الشيعة لقّب بـ «الشهيد».

وكان الفقيه الأصوليّ الشيخ عبد العالي الكركيّ العامليّ المعروف بـ «المحقّق الثاني» (٩٤٠) من مفاخر المجتهدين الآخرين وقد وصل إلى إيران في عهد الشاه طهماسب الصفويّ وكانت له المرجعيّة وأدّى خدمات جليلة في نشر المذهب الشيعيّ. ومن تصنيفاته في علم الفقه جامع المقاصد، صيغ العقود، شرح ألفيّة الشهيد وهي معروفة بين الفقهاء.

وهنالك أيضاً الفقيه العظيم الشأن والعالم الجليل القدر، الزاهد الكامل، زين الدين علي بن نور الدين بن أحمد العامليّ المعروف بـ «الشهيد الثاني» والذي نال هو أيضاً شرف الشهادة في (٩٦٦) على إثر وشاية علماء العامّة.

ويقال إنّه ألّف ما يقرب من ألفين مجلّد من الكتب وقد كان البعض من تأليفاته قد كتبها هو نفسه فيما كان الباقيّ للآخرين وكتب مائتي مجلّد منها بخطّه. من بين العشرات من كتبه اشتهرت كتبه العديدة هذه في الفقه وهى روض الجنان أوّل تصنيفاته، ثمّ تمهيد القواعد شرح ألفيّة الشهيد الأوّل، شرح نفليته، المسالك وشرح اللمعة والذي ألفه خلال ستة أشهر وستة أيّام وهو آخر مؤلّفاته، وأهم الكتب الدراسنية في السنوات الأربعمائة الماضيّة حيث مايزال ضمن البرنامج الدراسيّ لطلّاب العلوم الدينيّة.

ومن فقهاء الشيعة المعروفين الآخرين فخر المجتهدين العلّامة المحقّق المقدّس الأردبيليّ (٩٩٣) والذي بلغ من الشهرة مبلغاً بحيث يغنينا عن أي نوع من الوصف له. وقد صنّف المحقّق الأردبيليّ الكتب التالية في الفقه والأحكام: شرح إرشاد العلّامة، آيات الأحكام، التعليقات على مختصر الأصول للعضديّ والتعليقات على الخراجية للمحقّق الثاني.

ومن الفقهاء المعروفين الآخرين الملّا عبدالله التوني صاحب الوافية. والفقيه النبيه الآخر هو العالم الجليل، السيّد محمّد العامليّ صاحب المدارك (١٠٠٩) ابن أخت الشهيد الثاني، والمحقّق الشهير الشيخ الحسن بن زين الدين العامليّ (١٠١١) ابن الشهيد المعروف بـ صاحب المعالم حيث ألّف الأخير فضلاً عن كتاب معالم الدين في الأصول والذي كان منذ عصر مؤلّفه وحتّى اليوم جزءاً من البرنامج الدراسي للحوزات العلميّة الشيعية ومدار بحث الفقهاء والمجتهدين وتحقيقهم، ألّف شرح ألفية الشهيد الأوّل، مشكاة القول السديد في مسألة الاجتهاد والتقليد والاثني عشرية أيضاً في الفقه والأصول.

ومن العلماء الآخرين الشيخ الجليل، العلّامة الفاضل، الجامع لجميع العلوم والفنون، بهاء الدين محمّد العامليّ (١٠٣٠) المعروف بـ «الشيخ البهائيّ» مصنّف الجامع العبّاسيّ، الحبل المتين في أحكام الدين في الفقه، وزبدة الأصول فضلاً عن تعليقاته الكثيرة على كتب الفقه والأصول.

وهنالك أيضاً الفيلسوف المحقّق، الميرالداماد (١٠٤١) الذي لقّب بـ «ميرداماد» أي «الأميرالصهر» لأنّ أباه كان صهر المحقّق الثاني (تصوّر البعض أن الداماد كان صهر الشاه عبّاس وهو خطأ مسلّم به)، ومن آثار الميرالداماد شارع النجاة وضوابط الرضاع في الفقه.

ومن العلماء الآخرين الفقيه الكبير سلطان العلماء الأصفهانيّ (١٠٦٤) صاحب الحواشي على شرح اللمعة والمختلف وزبدة الأصول للشيخ البهائيّ. والآخر العالم الربّانيّ والفاضل الصمدانيّ الملّا صالح المازندرانيّ (١٠٨٠) صاحب شرح المعالم والحاشية على شرح اللمعة وشرح زبدة الأصول للشيخ البهائيّ.

والآخر، الفاضل النقّاد، العالم المحقّق الحكيم المتكلّم الملا محمّد باقر الخراسانيّ المعروف بـ «المحقّق السبزواريّ» (١٠٩٠) ومن تصنيفاته كتاب ذخيرة المعاد والكفاية في الفقه.

ومن المشاهير الآخرين، العلّامة الربّانيّ والمحقّق الشهير الملّا الميرزا الشيروانيّ (١٠٩٧) صاحب الحاشية على المعالم، والآخرالعالم المدقّق، الحكيم المحقّق الآقا حسين الخوانساريّ (١٠٩٨) مصنّف كتاب مشارق الشموس في شرح دروس الشهيد الأوّل والحاشية على شرح اللمعة، ونجله الفاضل الفقيه المتكلّم الحكيم آغا جمال الخوانساريّ (١١٢٥) صاحب تعليقات على المعالم وشرح الشرائع وشرح مختصر الأصول وغيرها. والعالم الفهّام،الفقيه المسدّد، أوحد زمانه، إمام أهل الإيمان

محمّد بن الحسن الأصفهانيّ، المعروف بالفاضل الهنديّ صاحب كتاب كشف اللثام حيث نقل المحدّث القمّيّ في فوائد الرضويّة أن العلّامة الفقيه الشيخ محمّد حسن صاحب الجواهر كان قد اعتمد على كشف اللثام إلى درجة بحيث إنه لم يكن يكتب شيئاً من جواهر الكلام ما لم يكن ذلك الكتاب بين يديه !!

كان الفاضل الهنديّ من الآيات الإلهيّة، كما يقول هو في شرح ديباجة القواعد من أنّه عندما فرغ من تحصيل المعقول والمنقول لم يكن قد أكمل الثالثة عشرة، وحينما بدأ بالتصنيف لم يكن قد أكمل الحادية عشرة، وأنّه صنّف كتاب منيّة الحريص ولم يكن قد تجاوز الخامسة عشرة!!

ومن مشاهير فقهاء الشيعة ومجتهديهم الآخرين بعد الفاضل الهنديّ، الشيخ جعفر القاضي، الملّا محمّد شفيع الأسترآباديّ والملّا محمّد أكمل الأصفهانيّ والد أستاذ الكلّ الوحيد البهبهانيّ.

كان هذا فهرساً لمشاهير مجتهدي الشيعة من بدء الغيبة الكبرى وحتّى عصر الوحيد البهبهانيّ. ويجب أن نعلم أنّهم لا يمثّلون سوى مشاهير فقهاء الشيعة ومجتهديهم والذين ذكرناهم على شكل فهرس مع بعض كتبهم في الفقه والأصول وكانت في متناول الفقهاء وما تزال موجودة والتي هي معروفة بين الفضلاء، وإلّا فكلّ واحد منهم كان له تلامذة كان عددهم يبلغ أحياناً المئات وألّفوا هم أنفسهم وتلامذتهم

المئات من الكتب في كلّ فروع العلوم والفنون الإسلاميّة.[١]

وفضلاً عن ذلك، وكما ذكرنا في عنوان هذا الفصل، فقد كانوا فقهاء ظهروا منذ بداية الغيبة الكبرى وحتّى عصر الوحيد البهبهانيّ وإلّا فقد ظهر منذ عصر الوحيد وحتّى العصر الحاليّ مجتهدون وفقهاء ربّما يكونون أكثر من الذين كانوا في القرون الثمانية قبل الوحيد. ولأننا سنبحث مفصّلاً في هذا الكتاب في الشخصيّة الأولى التي يمثّل صاحبها أستاذ الكلّ والمقدّم عليهم كلّهم وندرس خلال المباحث مجملاً وتفصيلاً تراجمهم والتحوّل الذي أوجدوه في علميّ الفقه والأصول خلال القرنين الماضيّين، فإننا سنكتفي بما ذكرناه ونتجاوز هذا الفصل أيضاً.

---

(١) ذكرنا التراجم المفصّلة للعلماء المذكورين في المجلّدات ٣، ٤، ٧، ٨ من مفاخر الإسلام. كما بلغنا بعددهم في المجلد ١٢ من مفاخر الإسلام (شرح حياة آية الله البروجرديّ) إلى ١٠١ شخص.

الحديث والرواية

الأصول الأربعمائة

ذكرنا فيما سبق أن أصحاب الإمامين الصادق و الكاظم عليهما السلام ألّفوا من مجموع الأحاديث التي وصلتهم، أربعمائة كتاب يقال لها «الأصول الأربعمائة». وهنالك نقّاش طويل بشأن سبب تسمّيتها بالأصول وما هو الفرق بين الأصل والكتاب وقد قام الوحيد بالبحث والدراسة في هذا المجال في فوائد تعليقات منهج المقال ويستنتج أخيراً أن المراد من الأصل ــ في علم الرجال ــ الكتاب الذي أدرج فيه مصنّفه الأحاديث التي رواها عن المعصوم والراوي.

وبناء على ذلك، فإن الأصول الأربعمائة كانت قسماً من الآثار العلميّة لتلامذة الأئمّة الأطهار عليهم السلام، وإلّا فإنّه يبدو بوضوح من فهرس كتب الأصحاب التي ضبطها الشيخ الكشّيّ والشيخ الطوسيّ والنجاشيّ وابن النديم والآخرون، أنّ بعض الأصحاب ألّفوا مائة كتاب وألّف البعض الآخر حتّى مائتي كتاب، ليصل مجموعها الآلاف من الكتب.

الجوامع الأوّلية

ثمّ إن يونس بن عبد الرحمان،صفوان بن يحيى، عبد الرحمان بن

المغيرة، أبا محمّد العجليّ، الحسن بن محبوب وغيرهم الذين كانوا من أصحاب الإمام موسى بن جعفر والإمام الرضا عليه السلام ألّفوا بالاستناد إلى الأصول الأربعمائة كتباً ونظّموا ورتّبوا وبوّبوا رواياتها. وتسمّى تلك الكتب التي قاموا بتأليفها «الجوامع الأوّلية».

الجوامع الثانوية ـ الكتب الأربعة

كانت تلك الجوامع وبعض من الأصول الأربعمائة في متناول يد الشيعة منذ زمان تدوين الجوامع الأوّليّة وحتّى بداية الغيبة الكبرى لإمام الزمان عجّل الله فرجه، وكانوا يستخرجون فقه آل محمّد صلى الله عليه وآله على أساسها ويعملون به، وإذا ما احتاجوا إلى شيء أو عرضت لهم شبهة وإشكال، فإنهم كانوا يسألون الأئمّة عليهم السلام حتّى زمان الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام، وكانوا يسألون إمام العصر ـ عجّل الله فرجه ـ طيلة غيبته الصغرى التي بدأت من عام (٢٦٠هـ) وانتهت حتّى سنة (٣٢٩)، بواسطة نوّابه عليه السلام الذين كانوا أربعة وهم: عثمان بن سعيد العمريّ، ابنه محمّد بن عثمان[١] (٣٠٤) أو (٣٠٥)، الحسين بن الروح النوبختيّ (٣٢٦)، والشيخ أبو الحسن الصيمريّ (٣٢٩) وكانوا بذلك يؤدّون مسؤولياتهم الدينيّة.

ولكن ولأن الجوامع الأوّليّة وقسماً من الأصول الأربعمائة والتي كانت قد بقيت بمأمن من غِيَر الزمن، لم تكن تسدّ حاجة الشيعة، فقد أدرك كبير علماء الشيعة محمّد بن يعقوب بن إسحاق المعروف بـ «الشيخ الكلينيّ» ـ نوّر الله مضجعه ـ المتوفّى سنة (٣٢٩) هذا المعنى

فألّف كتاب الكافي الشريف. وقد أيّد كلّ علماء الشيعة أنّ الأحاديث المسندة والصحيحة في الكافي، لا توجد في أيّ من كتب أخبارنا ولم يؤلّف أحد حتّى اليوم كتاباً في الحديث بهذا الإحكام والإتقان.

ويشهد كتاب الكافي هذا بجلالة قدر الكلينيّ وعظمة مكانته. وقد ألّف الكلينيّ هذا الكتاب خلال أسفاره وفي غضون عشرين عاماً، ويبلغ مجموع أحاديثه ١٦١٩٩ حديثاً، حيث يفوق مجموع أحاديث كتب الحديث الستّة المعتبرة لأهل السنّة وهي «الصحاح الستّة»، بعد حذف مكرّراتها طبعاً.

وظهر من بعد الكلينيّ رئيس المحدّثين محمّد بن علي بن الحسين ابن موسى بن بابويه القمّيّ ـ رحمه الله ـ (٣٨١) المعروف بـ «الشيخ الصدوق» حيث ألّف كتاباً آخر في الأحاديث الفقهيّة باسم من لا يحضره الفقيه. ويتضمّن هذا الكتاب ٤٩٦٣ حديثاً. وقد ألّف الشيخ الصدوق ما يبلغ من ثلاثمائة كتاب ولم يبلغ أحد شأوه في حفظ الحديث بين كبار محدّثي قم، بل بين كافّة علماء الشيعة.

وجاء من بعد الصدوق، الشيخ الطوسيّ ـ عطّر الله مرقده ـ والذي هو تلميذ الصدوق بواسطة واحدة (كان الشيخ تلميذ الشيخ المفيد وكان هو تلميذ الصدوق) وصنّف كتابين معتبرين هما التهذيب والاستبصار حيث يشتمل الأوّل على ١٣٥٩ والثاني على ٥٥١١ حديثاً.

وهذه الكتب الأربعة تكاد تكون خلاصة الجوامع الأوّلية وبعض من

الأصول الأربعمائة التي وصلت مؤلّفيها وأبدعوا هذه الكتب الأربعة التي هي مصدر ومستند فقهاء الشيعة ومجتهديهم ومحدّثيهم.

ويعتبر البعض من العلماء كتاب معالم الدين وهو الكتاب الآخر للشيخ الصدوق والذي فقدت نسخته للأسف منذ عدة قرون، من الكتب الأربعة وعدّوه الجامع الثانويّ الخامس. ويجب أن نعلم أنّ مؤلّفي الكتب الأربعة يسمّون بـ «المحمّدين الثلاثة الأوائل»، لأنّهم كلّهم يحملون اسم محمّد، كما أنّ مؤلّفي الجوامع الأخيرة كانوا يحملون هذا الإسم أيضاً. ولذلك يسمّون بـ «المحمّدين الثلاثة الأواخر». وسنذكر أسماءهم فيما يلي:

الجوامع الأخيرة

فضلاً عن الكتب الأربعة المذكورة والتي هي المصادر الصحيحة والمعتبرة لأخبار أهل البيت عليهم السلام، فهناك في العصور الأخيرة ثلاثة كتب أخرى فضلاً عن الكتب الأربعة هي أكثر جامعيّة وتفصيلاً وهي حسب التسلسل:

١ ـ الوافي تأليف الحكيم العارف المتكلّم الفقيه، المحدّث المتتبّع، العالم المتبحّر، محمّد بن المرتضى المعروف بـ «الملّا محسن الفيض الكاشانيّ» المتوفّى سنة ١٠٩١. وقد جمع الملّا محسن روايات الكتب الأربعة في كتاب الوافي ورتّبها بأسلوب جذّاب في غاية الذوق، وأوضح جهاتها وفسّر الآيات المتعلّقة بها.

٢ ـ بحار الأنوار تأليف العالم العظيم الشأن الملا محمّد باقر الأصفهانيّ المعروف بـ «العلّامة المجلسيّ» ـ أعلى الله مقامه ـ في العام ١١١٠ حيث سنترجم له بشكل مفصّل ومستقل مع ذكر مزايا بحار الأنوار.

وسائل الشيعة تأليف محمّد بن الحسن بن علي المشغريّ المعروف بـ «الشيخ الحر العامليّ» عليه الرحمة الذي كان عالماً جليلاً وفاضلاً كاملاً ومحدّثاً خبيراً وفقيهاً قديراً. والوسائل ثلاث مجلّدات[١] ويكاد يضم معظم الأخبار. والوسائل آخر كتاب جامع لأحاديث أهل البيت عليهم السلام وقد حظّي باهتمام فقهاء الشيعة ومحدّثيهم ويشكل مصدراً لهم[٢].

المسلك الأخباريّ

يجب أن نعلم أنّ هدفنا الأكبر من بسط المقال من أوّل الكتاب وحتّى هذا الموضع، كان مقدّمة هذا البحث، أي التعرّف على المسلك الأخباريّ، ذلك لأنّ الأستاذ الوحيد البهبهانيّ الذي ألّفنا هذا الكتاب بشأن أحواله، هو ـ كما ذكرنا ـ الشخص الذي قوّض دعائم الأخباريّين ومذهبهم وكرّس كلّ حياته تقريباً لمحاربة هذا المسلك الذي كان

---

(١) وقد طبع في السنوات الأخيرة في ٢٠ مجلداً.

(٢) ذكرنا ترجمة الملا محسن الفيض، الشيخ الحر العامليّ، العلّامة المجلسيّ والفاضل الهنديّ في المجلد ٨ من مفاخر الإسلام.

مزدهراً في عصره وكان أمر أتباعه قد استفحل إلى حدّ كبير وألّف الكتب في الرد عليهم. ولذلك فإنّنا سنتناول هذا الموضوع هنا بكلّ اختصار وبشكل مركز.

ويمكن القول إنّ المسلك الأخباريّ أُخذ من العامّة ويجب تتبّع جذوره بينهم. بحيث إنّ ابن خلدون كتب في مقدّمته قائلاً إنّه وبعد أن انتشر في العراق العمل بالرأي والقياس الذي كان قد ظهر منذ عهد أبي حنيفة وعلى يده، فقد هبّت مجموعة من علماء العامّة لمعارضة أساسه واعتبروا العمل به باطلاً، وتسمّى هذه المجموعة بـ «الظاهريّة» وإمامها داود بن علي وابنه محمّد. كما أنّ ابن حزم الأندلسيّ يعتبر من مشاهير محدّثي الظاهريّة وعلمائها.

كما أنّ مالك بن أنس وأحمد بن حنبل اللذين كانا يتزعمان الظاهريّة قبل داود بن علي، كانا على المسلك الظاهريّ من الناحية العملية، لأنّهما كانا يستندان أيضاً إلى العمل بالحديث وخاصّة أحمد بن حنبل الذي كان يهتمّ بالحديث ولا يأبه بالرأي والقياس إلى درجة بحيث إن الطبريّ لم يعتبره في كتاب اختلاف الفقهاء من الفقهاء.

وعلى أيّ حال، فإن طريقة أحمد والفرقة الظاهريّة تكاد تكون المسلك الأخباريّ نفسه والتي ظهرت بين الشيعة. ولذلك يسمّى الأخباريّون بالظاهريّة أيضاً، وينقل صاحب الجنّات عن شمس الدين الأصفهانيّ في شارح الطوالع قائلاً إنه قال في شرحه على ذلك الكتاب:

«ان الحشوية هم الذين قالوا الدين يتلقى من الكتاب والسنة وهذا أيضاً عن مقالة الأخبارين من أصحابنا، فيكون لفظ الحشوية مرادف الظاهرية ما ترجمناها قبل»[١].

ولكنّ الفرق بين الظاهريّة وأخباريّينا أنّ الظاهريّة لمّا كانوا يرون أنّ العمل بالرأي والقياس شاع بين أتباع أبي حنيفة ولا يولى الاهتمام بالكتاب والسنّة، فقد انبروا لمعارضته، ولكن هل كان الأخباريّون كذلك؟ هل كان فقهاء ومجتهدون مثل الشيخ الطوسيّ والعلّامة الحلّيّ والشهيد وغيرهم لا يكترثون بالأخبار؟ وهل أتوا بما يخالف الكتاب والسنة؟ هنالك الكثير من الملاحظات الدقيقة للغاية!

وقد اتّخذ الأخباريّون ذلك المسلك نفسه دون الالتفات إلى أسباب معارضة الظاهريّة لأتباع الرأي والقياس وساووا بين علماء كرّسوا أعمّارهم في التحقيق والبحث حول الكتاب والسنّة وأخبار أهل البيت، وبين أبي حنيفة ومن ذهب مذهبه، ونسبوا إلى مجتهدي الشيعة الأجلّاء جهلاً أو بهدف خدع عامّة الناس ما قاله الأئمّة في ذمّ أهل الرأي والقياس. ونسوا بالكلّيّة أو تجاهلوا كلّ تلك الوثائق والتاريخ وخلفية الاجتهاد والإفتاء والتي ذكرنا خلاصة منها.

وقد استند الأخباريّون في مقابل المجتهدين الذين يعتبرون أدلّة الاستنباط واستخراج الأحكام الشرعيّة أربعة أمور هي: الكتاب، السنة،

---

(١) روضات الجنّات ٣: ٣٠٣.

العقل، والإجماع، وذهبوا إلى أنّ الكتاب والسنة كافيان لفهم الأخبار واستنباط الأحكام، بل إن البعض منهم تجاوزوا ذلك ـ كما سنذكر ـ فلم يجيزوا العمل بظواهر الكتاب ورأوا أنّ ظواهر الكتاب ليست حجّة، وبناء على ذلك فإنهم يعتبرون الأخبار وحدها مناط تحصيل الأحكام الشرعيّة ومستندها.

وقد افترق الأخباريّون إلى حدّ كبير عن المجتهدين على إثر معارضتهم. وقد ذكر السيّد نعمة الله الجزائريّ (١١١٢) في كتاب منبع الحياة، والسيّد رضا القزوينيّ (١١٥٣) في كتاب لسان الخواص أغلب الفروق بين الأخباريّين والأصوليّين. ويذكر صاحب الروضات قائلاً إن الشيخ عبدالله بن الحاج صالح البحرينيّ يورد في كتاب منية الممارسين في أجوبة أسئلة الشيخ ياسين أربعين فرقاً بين الأصوليّين والأخباريّين.

كما ألّف الشيخ جعفر الكبير (كاشف الغطاء) كتاباً باسم الحقّ المبين ودرس معظم الفروق بين الأخباريّ والمجتهد. وذكر الميرزا محمّد الأخباريّ أيضاً في كتاب الطهر الفاصل الذي رأيت مخطوطته بخطّ العلّامة المتتبّع الشيخ علي أكبر النهاونديّ ـ طاب ثراه ـ، تسعة وخمسين فرقاً. وألّف مؤخّراً السيّد محمّد الدزفوليّ كتاباً باسم ـ فاروق الحقّ ـ في هذا الخصوص واستخرج من مجموع الكتب المذكورة ستة وثمانين فرقاً. وقد طبع هذا الكتاب في حاشية الحقّ المبين لكاشف الغطاء. ويمكن للقرّاء مراجعة ذلك الكتاب للمزيد من الاطّلاع.

ولكنّ علينا أن نعلم أن بعض هذه الفروق لا سند لها في الواقع، وبعبارة أوضح فإنّها من تلفيقات العلماء الأخباريّين الذين أرادوا توسيع نطاق الاختلافات مع المجتهدين وأن يضخّموا من أهمّيّة مسلكهم ويكتسبوا وجهة الحقّ في نظر العوام. وعلى سبيل المثال فإنّ الشيخ عبدالله بن الحاج صالح الذي كان من العلماء الأخباريّين يعتبر ـــ نقلاً عن السيّد محمّد الدزفوليّ ـــ في كتاب منية الممارسين أن علماء الأصول يعتبرون اتباع المجتهد واجباً كالإمام، في حين لا يجيزون الخطأ على الإمام، ولكنّهم يعتبرون المجتهد جائز الخطأ.

ولم يكن هذا الشيخ الأخباريّ ملتفتاً أو لم يشأ أنّ يلتفت مريدوه الأخباريّون إلى أن المجتهدين يعتبرون الإمام معصوماً ولا يعرفون شخصاً غيره بهذه الصفة ويعتبرون وجوب طاعة الإمام واتباعه في حال الاختيار وأمراً واقعياً، ولكنّهم يوجبون اتباع المجتهد في الظاهر وحالة الاضطرار وفي مجال عدم إمكانيّة الاتصال بالإمام.

كما اعتبر الميرزا محمّد الأخباريّ السابق الذكر في كتاب الطهر الفاصل المجتهدين أناساً من العوام !! وقال إن للأخباريّين خصائص وامتيازات لا حصر لها. ومن جملتها اعتقادهم بأن أوّل الدين معرفته، وكمال معرفته التصدّيق به وكمال التصديق به توحيده.... وكما تلاحظون فإنّ هذا الشخص الأخباريّ أدرج بحماس الخطبة الأولى من نهج البلاغة التي ألقاها أمير المؤمنين عليه السلام في التوحيد الذي هو معتقد كلّ

المجتهدين وكلّ مسلم، واعتبرها من امتيازات الأخباريّين، وكأن المجتهدين وأتباعهم وسائر المسلمين الذين هم ليسوا بأخباريّين، لا يعتبرون معرفة الله أوّل الدين!!!

والأدهى من ذلك أنّه يقول إنّ من جملة خصائص الأخباريّين عقيدتهم بأنّ الواجب الأوّل هو التكليف بالإقرار بتوحيد الله لأنّ النبيّ ﷺ قال في بدء دعوته: «قولوا لا إله إلّا الله تفلحوا»!، وعلى أيّ حال فقد افترى الأخباريّون في كتبهم الكثير من هذه الاتّهامات على المجتهدين ولذلك فقد منعوا طائفة كبيرة من الشيعة عن اتّباع المجتهدين وأسّسوا فرقة باسم «الأخباريّة» في مقابل أتّباع المجتهدين (الأصوليّين)، وتسبّبوا في الكثير من النزاعات والعداوات والمفاسد، وباختصار فإنّ معظم العلماء الأخباريّين لا يمتلكون براهين متّقنة وحتّى إذا افترضنا أنّهم يمتلكون ذلك، فإنّ العلماء والمجتهدين ردّوا عليهم، بحيث لم يتّبق وزن للمسلك الأخباريّ من الناحية العلميّة.

مواضع الاختلاف بين الأخباريّين والأصوليّين

رغم أنّ المسائل موضع الخلاف بين الأخباريّين والأصوليّين كثيرة؛ ولكنّا اخترنا من بينها بعض المسائل التي يمكن لغير أهل العلم فهمها، كي يدرك القرّاء إلى حدّ ما حقيقة الأخباريّين بعد بلوغنا هذا الحدّ في الحديث عنهم ويستبصروا في هذا المجال أيضاً. كما أنّ هنالك ملاحظة جديرة بالاهتمام وهي أنّنا حينما نتحدّث عن «الأصوليّين» في جميع

المواضع، فإنّ المراد منهم المجتهدون وإذا ما دار الحديث عن «الأخباريّين» قصدنا العلماء الأخباريّين، لا عوامهم! والسبب في أنّ المجتهدين وأتباعهم يسمّون بالأصوليّين هو أنّهم يعتبرون علم الأصول الذي شرحناه فيما سبق أساس الاجتهاد، وهناك في مقابلهم الأخباريّون الذين لا يكترثون إلّا بالأخبار حيث يرون أنّ العلوم الأخرى لا قيمة لها!!

ولأنّ الوحيد البهبهانيّ كان المجاهد الأوّل في ساحة الصراع ضد الأخباريّين، بحيث إنّ كتبه حافلة بالرد والإشكال على العلماء الأخباريّين، وأنّ معارضاته وكفاحه هما اللذان أدّيا إلى اضمحلال المسلك الأخباريّ بشكل كامل، وفقدانه لقيمته وأهمّيّته، ولذلك فإنّنا ومن أجل التعرّف على نمط فكر الوحيد ومنطقه في محاربة هذه الفرقة، فإنّنا سندرج قسماً من أقواله في نهاية الفروق التي نذكرها، كي ينتفع منها أهل الفضل ويستبصر منها القرّاء أيضاً:

١ ـ يعتبر الأصوليّ العقل حجّة في إدراك حسن الأشياء وقبحها، خلافاً للأخباريّ الذي لايعتبره حجّة!

٢ ـ يرى الأصوليّ أنّ أدلّة أحكام الدين أربعة هي: الكتاب والسنّة والعقل والإجماع، ولكنّ الأخباريّ لا يراها سوى الكتاب والسنّة، بل إنّ البعض يحصرها في السنّة فقط!

٣ ـ يحرّم الأصوليّ تقليد الميّت، ويقول إنّ الشخص الذي فارق الحياة لا رأي له، وأنّ اجتهاده يزول بموته، ولذلك فإنّ الناس لا يجوز

لهم تقليده على أساس رسالته التي كتبها في زمان حياته، ولكنّ الأخباريّ يجيز تقليد الميّت ويقول إنّ الحقّ لا يتغيّر بالموت والحياة!!

٤ ـ يعتبر الأصوليّ الاجتهاد واجباً عينيّاً أو كفائيّاً؛ ولكنّ الأخباريّ يحرّمه!

٥ ـ يدّعي الأخباريّ أنّ أخبار الكتب الأربعة قطعيّة الصدور. بمعنى أنها كلّها قد صدرت عن المعصوم دون استثناء، ولا إشكال في صحّتها، وبناء على ذلك فإنّنا لسنا بحاجة إلى علم الرجال، ولكنّ الأصوليّ يعتبر الحاجة إلى علم الرجال لازمة.

٦ ـ يرى الأصوليّ أنّ ما من أحد سوى المجتهد الجامع للشرائط بإمكانه الإفتاء وفهم الحديث وأنّ عليه من أجل بلوغ درجة الاجتهاد أن يتعلّم على خير وجه العلوم الستّة عشرة التي سبق ذكرها كي يكتسب صلاحيّة هذه الدرجة، ولكنّ الأخباريّ يرى أنّ معرفة مصطلح أهل البيت كافٍ، ولا يوجب العلوم الأخرى!

٧ ـ يعتبر الأصوليّ ظواهر الكتاب (القرآن) حجّة خلافاً للأخباريّ!

٨ ـ يقول الأصوليّ إنّ من الواجب اتباع ظنّ المجتهد حينما لا يحصل العلم وذلك بلوغاً للواقع، ولأنّ ظنّ المجتهد يستند إلى الأدلة العلميّة والآيات وأخبار أهل البيت عليهم السلام فإنه بمنزلة العلم، ولكنّ الأخباريّ يدّعي أن لافرق بين ظنّ المجتهد وغيره وأنّ من المتعيّن حصول العلم القاطع بالواقع في كلّ المواضع.

٩ ـ يقدّم الأصوليّ الدليل العقليّ عند حدوث التعارض بين الدليلين العقليّ والنقليّ خلافاً للأخباريّ الذي يرجّح الدليل النقليّ على العقليّ.

١٠ ـ أصل الإباحة حجّة عند الأصوليّ، ولكنّ الأخباريّ لا يعتبره حجّة.

١١ ـ لايعتبر الأخباريّ الخبر الواحد حجّة لأنّه لايفيد القطع واليقين.

ما قاله الوحيد في الردّ على العلماء الأخباريّين

قد تتداخل بعض الفروق المذكورة مع بعضها البعض وتعود جميعها إلى بضعة فروق، ولكنّنا ذكرناها بشكل مختصر وموجز كما وجدناها في كتب الطرفين أو كما نقلنا منها، وبعد أن تلاحظوا الآن حديث أستاذ الكلّ الوحيد البهبهانيّ في الردّ على معظم ادّعاءاتهم، فإنّكم ستدركون حقّ الإدراك القيمة الحقيقية للادّعاءات المذكورة.

اعتبر الآقا الوحيد في الفصل السابع من كتاب الاجتهاد والأخبار الذي يعدّ من أفضل مصنّفاته، احتياج المجتهد إلى علم الأصول أمراً لازماً وبديهيّاً ويقول بعد إثبات هذا الموضوع: «قال الأخباريّون إن هذا العلم (الأصول والاجتهاد) ظهر بعد زمان الأئمّة عليهم السلام، ونحن نجزم بأن قدماء الأصحاب ورواة الأحاديث والّذين جاؤوا بعدهم، كانوا يجهلونه، رغم أنّهم كانوا على علم واطّلاع على الأحاديث التي كانت في متناولهم، ولم ينقل عن أيّ من الأئمّة أنه منع العمل بالأخبار، بل نقل أنّ الأئمّة كانوا يقرّرون الروايات للرواة، واستمرّت هذه الطريقة بين الشيعة حتّى زمان ابن أبي عقيل وابن جنيد الإسكافيّ ـ رحمهما الله ـ وظهر منذ ذلك

الحين هذا العلم (الأصول والاجتهاد) بين الشيعة، وبناء على ذلك فإنّنا لسنا بحاجة إلى هذا العلم الحديث التأسيس (كانت تلك خلاصة ادّعاء العلماء الأخباريّين)».

ويقول الوحيد في الإجابة على الأخباريّين: «قولهم إنّ هذا العلم ظهر بكلّ مسائله بعد عصر الأئمّة عليهم السلام، وادّعاءات العلم بهذا الموضوع، ليس صحيحاً وهو موضع نظر، لأنّ الحكم الموضعي الذي لم يصلنا من الشرع نصّ فيه مثل كتعارض الأدلّة، القياس، الاستصحاب، الناسخ والمنسوخ، المحكم والمتشابه، العامّ والخاصّ، الإفتاء والتقليد، وهل الرواية جائزة على سبيل النقل بالمعنى، أم لا دون الإجازة، كيف هي الشبهات بشأن الحكم الشرعيّ وما حالها؟ كما أنّ بعض الأصول مثل أصالة الصحة، أصالة الحقيقة وأمثالهما (وكلّها من مسائل علم الأصول والاجتهاد) تتحصل من الروايات حيث كانت في عصر الأئمّة الأطهار عليهم السلام في صور مختلفة وحسب حاجتهم إليها آنذاك.

وأمّا فيما يتعلّق بما إذا كان الخبر الواحد حجّة أم لا (علماً أنّ ذلك من مسائل علم الأصول والاجتهاد والأخباريّ لا يعتبره حجّة) وليس بإمكاننا أيضاً أن نذعن إلى أنها ظهرت بعد عصر الأئمّة عليهم السلام، لأنّ القدماء ادعوا الإجماع بأنّ علماء الشيعة منعوا العمل بالخبر الواحد، كما يبدو من أقوال متكلّمي الأصحاب المعاصرين للأئمّة عليهم السلام، ولا يخفى على المطّلع.

ومن جهة أخرى فإنّ شيخ الطائفة ادّعى الإجماع على جواز العمل

بالخبر الواحد، كما وصلنا من محدّثي الأصحاب، وسترد الإشارة إليه عن قريب في مبحث الحاجة إلى علم الرجال. ولكن ما هو طريق حجّيّة الكتاب (والتي هي من مسائل علم الأصول)؟ وكما يستفاد من الأخبار، فقد كانت في زمان الأئمّة عليهم السلام أيضاً، وأما فيما إذا كان الأمر والنهي يجتمعان في موضع واحد أم لا، فإنّ ذلك يمثّل مسألة لايمكن القول إنّها لم تكن موجودة في زمان الأئمّة، فقد نسبوا إلى الشيعة منعها، وكلام الفضل بن شاذان مشهور في هذا الباب.

وكذلك البحث حول ما إذا كان الأمر وجوباً أم لا، وهل الأمر فوري أم لا، وما إلى ذلك حيث ورد ادّعاء الإجماع على أحد طرفي المسألة.

وفضلاً عن ذلك فإنّنا نقول إنّ مجموع الأحاديث يبلغ حوالي خمسين ألف حديث رغم أنّنا إذا ألقينا نظرة على علم الرجال وغيره فإنّنا سنرى أنّ الكثير من أصحاب الإمام الواحد رووا أكثر من خمسين ألفاً أو ثلاثين ألفاً على الأقلّ. كما نرى أنّ أصحاب الإمام الواحد كانوا الآلاف ولذلك فقد تكون في الأحاديث الساقطة رواية كانت تدلّ على سبيل المثال على موضع أمر الحقيقة[1].

أو أنّ هنالك حادثة أدّت إلى سقوط الحديث، أو أنّ شهرة ذلك الموضوع أدّت إلى سقوط الحديث المرتبط به، بحيث كانوا في غنى عن تلك الرواية، ولم يهتمّوا بضبطها. وهكذا الحال ـــ على سبيل

---

(١) اجتهاد الأخبار، الفصل السابع: ٤٠.

الفرض ــ في الرواية التي لم تكن تدّل ــ مثلاً ــ على عدم اجتماع الأمر والنهي ونعتبر مصدر سقوطها حادثة ما، أو كانت الحاجة إليها في غاية القلّة، أو لم تكن هنالك حاجة إليها أصلاً، لأن الأصحاب لم يكونوا يقصدون معصية الله وعدم الامتثال لأمره (أي لم يكونوا يرتكبون المعصية في الموضع الذي كانوا فيه مأمورين كي يتحقّق اجتماع الأمر والنهي) خاصّة بلحاظ الآية الكريمة: ﴿**إنّما يتقبّل الله من المتّقين**﴾[1].

وفضلاً عن ذلك، فكلّما كانت المصلحة تقتضي وكان في استطاعة الأئمّة الأطهار عليهم السلام، فقد كانت المسائل الشرعيّة تصدر من تلك الذوات المقدّسة تدريجيّاً وكانت طريقتهم أنّهم كانوا يبيّنون الأحكام الدينيّة لجماعة خاصّة، وكانت من جملة المسائل التي كانت التكاليف تتوقّف عليها، مثل الشروط، الأجزاء والموانع، وأن الناس ليسوا سواء في التكليف، بل إنّ الشخص الواحد ليس على حال واحدة من حيث التكليف في زمانين، وبناء على ذلك فإنّ من الممكن أن يكون الأئمّة قد بيّنوا هذا النوع من الأخبار لخواصّ أصحابهم ولخواصّ خواصّهم...»[2].

وهو يستنتج من هذا البحث أنّ الأخباريّين الذين يقولون إن مسائل علم الأصول لم تكن في عصر الأئمّة عليهم السلام لأنّ الروايات لا تتكفّل ببيانها، من أين لهم أن يعلموا أنّهم توصّلوا إلى كلّ أخبار الأئمّة وأحاديثهم وأنّ

---

(١) المائدة: ٢٧.

(٢) اجتهاد الأخبار: ٤٢.

ما قالوه قد وصلنا، فقد يكونون قد شرحوا أقساماً من مسائل علم الأصول والاجتهاد في الأحاديث والتي لم يكن الرواة آنذاك في حاجة كبيرة إليها فلم تصلنا بالتالي، ثمّ يقول:«وبالجملة فإنّ المسألة التي يمكن العلم بحدوثها بين الشيعة هي أنّ الحقيقة الشرعيّة ثابتة أم لا؟، وبعض ما ماثل هذه المسألة، بناء على علمهم باصطلاحهم، وعدم حاجتهم إلى العلم باصطلاح زمان الرسول صلى الله عليه وآله، فتأمّل.

نعم يمكن العلم بحدوث تفاصيل هذه المسائل وتحقيقاتها المبسوطة، كما أنّ الحال في فروع الفقه أيضاً كذلك؛ فإنّ البسط والتحقيق الذي حصل في حكم صلاة الجمعة، ومسائل الحيض والقصر والإتمام وغيرها لم يكن في زمن الرواة جزماً، بل وترى الفقهاء ربّما كتبوا في حديث: «إقرار العقلاء على أنفسهم جائز»، و«المسلمون عند شروطهم»، و «لاضرر ولا ضرار»، و«البيّنة على المدّعي واليمين على من أنكر» وأمثالها، فما المانع من أن يكتبوا في الأحاديث الواردة في هذه المسائل؟ مع كونها في الأصول شطراً ممّا كتبوا في تلك الأحاديث مع كونها في الفروع، مع أنّ أسباب الاختلال، وموجبات تحقيق الحال والبسط في المقال، فيما ورد في الأصول ليس بأنقص منها فيما ورد في الفروع، فتأمّل.

سلّمنا حدوث هذه المسائل بعضاً، بل وكلّاً بعد عصر الأئمّة عليهم السلام، لكن نقول:«أيّة ملازمة بين حال زماننا وحالنا وحال الرواة؟ بأنّهم إذا

كانوا مستغنين، فيلزمنا أن نكون نحن أيضاً مستغنين، فهل يتفوّه طفل بهذا الكلام ويتوهّم هذه الملازمة؟! مع أنّه بديهي أنّ زمان الحضور تيسّر العلوم، ولو لم يتيسّر أحياناً فيسهل العلم بالعلاج.»[١].

أسباب الحاجة إلى علم الرجال والردّ على قول العلماء الأخباريّين

كما اعتبر في الفصل السابع علم الرجال أحد العلوم التي يحتاج المجتهد إليها ويقول: «وهنا شكوك: الأوّل: وهو ماذهب إليه الفاضل مولانا محمّد أمين الأسترآباديّ: أنّ العلم بأحوال الرجال غير محتاج إليه؛ لأنّ أحاديثنا كلّها قطعيّة الصدور عن المعصوم عليه السلام، فلا نحتاج إلى ملاحظة سنده...»[٢].

ثمّ يقول بعد نقل سائر إشكالات وشبهات الملّا أمين: «إعلم أنّ الأخباريّين من علمائنا حكموا بقطعيّة أحاديثنا كما ذكره، وهذا الفاضل من جملتهم، وبسبب حكمهم هذا حرّموا الاجتهاد في المسائل الفقهيّة، ومنعوا عن العمل بالظنّ في نفس الأحكام الشرعيّة، بناء على أنّ بعض تلك الأحاديث ناصّ على المنع والتحريم، ودال على عدم العمل ووجوب التوقّف إذا لم يمكن العلم والتفهيم، بل عدّوا الاجتهاد تخريب الدين، والعامل بالظنّ تابع المخالفين، ففارقوا بذلك فقهاءنا المجتهدين، وتحاشوا أن يكونوا من فرقهم محسوبين، وإليهم

---

(١) اجتهاد الأخبار: ٤٣.

(٢) المصدر: ٧٤.

منسوبين.

ولمّا كان المقام من مزالّ الأقدام، ومضطرب العلماء الكرام، كان حريّاً بالبسط التام، وزيادة النقض والإبرام، ومن الله الهداية وبه الاعتصام.»[١].

ولأنّ هذا المبحث هو من الأبحاث المشكلة التي تعد من مزالق العلماء وقد يؤدّي إلى حيرتهم، فإنّ من المناسب أن نفصّل القول في هذا المجال، وأن نتحدّث عن نقضه وإبرامه بشكل كاف[٢] ثمّ إنّه يتطرق ويعمد بعد ذلك إلى تحقيق وتحليل ادّعاء الأخباريّين الذين يعتبرون كلّ الأخبار قطعيّة ألصدور وجميع الرواة موثّقين وعدولاً وإثبات هذا المعنى وهو أنّ الكثير منهم كانوا كاذبين ومنتحلين للحديث وأنّ رواياتهم غير مقبولة ويجب أن تخضع للبحث قائلاً: «ما ادّعيت من حصول القطع من القرائن بأنّ الراوية ثقة... إلى آخره (ولاحاجة إلى أيّ بحث وتفحّص في أحوال الرواة وصدقهم وكذبهم وأن الروايات التي نقلوها كلّهم صحيحة وصادرة عن المعصوم كما يعتقد الأخباريّ بذلك)، ممنوع ولا نجده منك إلا مجرّد دعوى خالية عن شاهد، بل عن مؤيّد، وهلّا أشرت إلى موضع من المواضع حتّى ينظر إليه الخصم المنازع؟ وكيف اكتفيت بمجرّد الدعوى عن دليلك القاطع؟ بل عند التأمّل دعواك مصادرة بل مكابرة؛ إذ القرائن التي ادّعيت ليست لازمة

---

(١) اجتهاد الأخبار: ٤٧.

(٢) المصدر.

بيّنة لتصوّر ما يفهم من أساميّ الرواة بالبديهة (من الرواة الجاعلين للأحاديث والمتهمين والمجهولي الحال وغيرهم).

وإن أردت أنّها في سلسلة السند قبل ذكر كلّ اسم أو بعده، أو في متن الرواية أنّ كلّ واحد من السلسلة ثقة، فهو أيضاً مخالف للمشاهدة.

نعم في نادر الروايات: فلان عن فلان الثقة، فمع كونها في غاية الندرة ليس إلّا بالنسبة إلى بعض السلسلة، ومع ذلك عدم قطعيّته قطعيّ بلا مزية، فتعيّن أن تكون تلك القرائن من خارج الرواية.

فنقول: وجودها ليس بديهيّ العقل، ولا بديهيّ الدين بالبديهة، فيحتاج إلى البحث والفحص، فكيف قلت: (لاحاجة إلى العلم بأحوال الرواة)؟ إلّا أن يكون مرادك أنّه لا حاجة إلى علم الرجال لحصول تلك القرائن من جهة أخرى (بل لحصول القطع والاطّلاع على عدالة ووثاقة هذه الفئة القليلة فإنّنا مع ذلك بحاجة إلى علم الرجال فما بالك بالرواة المجهولي الحال وما نقلوه موضع تأمل ويمكن الشك فيه)...

فبملاحظة جميع ما ذكرنا كيف يمكن دعوى القطع بالنسبة إلى الكلّ أو الجلّ؟! بل لايبقى بعد إخراج جميع ماذكر إلّا قليل، ومع ذلك لا نسلّم عدم مدخليّة الرجال في حصول القطع بالنسبة إليه، لا من ملاحظة متّبع ولا من السماع من العارفين به بالنحو الذي أشرنا إليه، ومن أين لا يكون حالة المستدلّ (يعني الملا أمين الأسترآباديّ الذي جلس في مكانه ثمّ فكر وادّعى أنّ كلّ أخبارنا قطعيّة الصدور والسند) في هذه الحالة حالة

الذي سمعت من الثقة أنه خرج من بيته في أصفهان في يوم شديد البرد غاية الشدة فتألّم فرجع إلى بيته فدخل تحت اللحاف والكرسي المعمول عندهم، فلمّا استدفأ وزال عنه أثر البرودة قال: الحمد لله انكسر الهواء وزالت شدّتها وصارت الدنيا دافئة؛ يقول هذا وهو تحت الكرسي؟»[1].

ثمّ يتابع الوحيد هذا المبحث حتّى آخر الكتاب في خلال صفحات تبلغ الثلاثين ويردّ من خلال ذكر الأدلة المتقنة والشواهد المحكمة على رأي الأخباريّين القائلين إن رواياتنا قطعيّة من حيث السند والصدور ويستنتج أنّ من الواجب التتبّع في أحوال الرواة بواسطة علم الرجال ومعرفة المزوّرين والأشخاص المغرضين الذين انتحلوا الأخبار ضدّ الأئمّة وعلى أساس أغراض وآراء خاصّة، وأدخلوها في كتبنا، كي يمكننا بذلك الحصول على العلم بقطعيّة الصدور والسند بخصوص بعض الأخبار ونستخرج الأحكام استناداً إليها.

المفاسد المترتّبة على ادّعاء الأخباريّين

كما فصّل الحديث في الفصل الخامس من الكتاب المذكور حول عدم جواز عمل الشخص المكلّف لمجرّد الاستماع إلى آية ما أو حديث بحجّة أنه قد فهم القصد منها (كما أطلق الأخباريّون هذا الادّعاء

---

(١) اجتهاد الأخبار: ٤٨.

نفسه، فهم يعملون على أساس فهمهم) ويقول بعد بحوث وافية: «على أنّا قد أشرنا إلى أنّه لابدّ من الممارسة في الأحاديث والأنس بها وإلى غير ذلك مما يظهر من الفصلين لأجل معرفة المعاني والاصطلاحات كما عرفت. ثمّ إنّه على تقدير حصول العلم باصطلاح المعصوم عليه السلام لابدّ أن يحصل العلم باصطلاحه بالنسبة إلى جميع ألفاظ ذلك الحديث، ومع ذلك أيضاً لايكون حال الحديث حال ما أتيت به من النظير، بل قياسه عليه قياس مع الفارق بوجوه شتّى، بل لاتعدّ ولا تحصى...»[1].

ثمّ يشرح بعد هذا الموضوع حالة الفوضى والمفاسد المترتّبة على ادّعاء الأخباريّين قائلاً: «ومن عجائب الاتفاقات أنّه تزوّج في بلادنا في هذا القرب رجل بابنة أخيه، وعقد عليها لنفسه فلمّا سمعنا ذلك منعناه وحكمنا بالتفريق بينهما ولله الحمد ما كان سمع ما ذكرتم من الدليل، وما عارضنا (نحن المجتهدين) بأن يقول: ليس المفروض إلّا طاعة الله ورسوله والأئمّة عليهم السلام (ولا يجب اتّباع الآخرين)؛ وقد قال الله تعالى: **﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم﴾** الآية[2]. وهو عامّ، ولا عليّ أن أتفحّص عن المخصّص، فتأمّل.

(وعلى هذا فإنني أنا أيضاً لا أتخلّى عن ابنة أخي. كلّا، لم يقل ذلك بل إنّه امتثل لحكمنا وانفصل عن زوجته بمجرّد أن سمع أنّنا مجتهدون

---

(١) اجتهاد الأخبار، الفصل الخامس: ١٧.

(٢) النور: ٣٢.

ونعتبر هذا العمل غير مشروع).

وما أظنّ أنّ أحداً من المسلمين يرضى بأن لا يمنعه عن هذه المزاوجة ولا يحكم بالتفريق بينهما، بل يحكم بصحّة عقده ومناكحته، ولو كان في الواقع عذره ذلك.

ثمّ إنّ ما أشرنا إليه حال التخصيص، وقس عليه التعارض، ووجود أمارات التجوز، ومغلوطية النسخة وغيرها من أسباب الاختلال التي يجري ماذكرنا فيها، فإذا اجتمعت جميع تلك الحالات بالنسبة إلى ذلك المكلّف بالنحو الذي ذكرنا فانظر كيف يصير حال الاختلال في التزويج والتناسل، وإذا كان سائر أفعال المكلّف وأحكامه على قياس مزاوجته (فيقول إن التقليد حرام ولا حاجة إلى المجتهد) فانظر كيف يصير مذهب هذا المكلّف.

ثمّ إنّه إذا كان سائر المكلّفين على قياس هذا المكلّف فانظر كيف يصير حال الشريعة المنوّرة، بل ربما يوجد في بلدة في يوم بل في ساعة، ألف ملّة وأين هذا من مذهب المفرّطين من الحشويّة؟ بل لا ترضى أن تنسب المزدكيّة إلى هذه الطريقة، فكيف الفرقة الناجية الإثني عشريّة والطائفة المحقّة العدلية القائلين بالمحاسن والقبائح العقليّة؟ بل في الحقيقة تضمحلّ صورة الشرع بالمرّة ولا يبقى رسم الملّة البيضاء الحنفيّة، بل كاد يرتفع إذن فائدة البعثة بل ويتبدّل فائدتها بالمفاسد الكثيرة، والقبائح الفضيحة، والخبائث الركيكة، سيّما إذا انضمّ إلى ما ذكر

ما سنشير إليه من بقيّة المفاسد وتتمّة الفضائح!»[١][٢].

«وهذه الآية عامّة وليس علي أنا أيضاً الفحص عن المخصّص (وعلى هذا فإنّني أنا أيضاً لا أتخلّى عن ابنة أخي. كلّا، لم يقل ذلك بل إنّه امتثل لحكمنا وانفصل عن زوجته بمجرّد أن سمع أنّنا مجتهدون ونعتبر هذا العمل غير مشروع) وأنا لا أظنّ أنّ المسلم يرضى مهمّا كان أن لايمنعوه من هذا النوع من الزواج ولا يُحكم بالفصل بينهما، ويكون مستعدّاً لأن يُحكم بصحة العقد والزواج الذي سمع أنّه حرام شرعاً، ويُحَلّ له.

وما قلناه كان حول عدم معرفة الأناس العاديين لتخصيص العامّ. وقيسوا أنتم على ذلك، التعارض بين الروايات ووجود أمارات كون المخطوطة التي كتبت الرواية فيها مسموحاً بها ومغلوطة وغير ذلك ممّا يوجب حدوث المفاسد والاختلال والذي بيّنا قسماً منه.

والآن فلنفترض أنّ كلّ هذه الحالات ــ الموانع والمشاكل ــ تظهر مرّة واحدة للمكلّف الذي يريد كالأخباريّين العمل من عنده مدّعياً فهم الأحاديث (ليقول إنّ التقليد حرام ولا حاجة إلى المجتهد)، في هذه الحالة هل يمكننا أن نتصوّر مدى الاختلال الذي سيحدث في أمر الزواج والتناسل؟ وإن كانت سائر أفعال المكلّف والأحكام التي يريد العمل على ضوئها كزواجه، فما هو الوضع الذي ستنتهي إليه الشريعة الغرّاء؟

وتصوّروا أيضاً إن كان المكلّفون الآخرون يريدون العمل بهذه الطريقة،

---

(١) اجتهاد الأخبار: ٢٢.

(٢) النور: ٣٢.

ترى ما هو الوضع الذي ستبتلى به الشريعة الغرّاء؟ فمع هذا الوضع قد تظهر في مدينة ما آلاف الطرق والمسالك في خلال يوم بل ساعة واحدة؛ وهو ما لا يمكن أن يحدث حتّى في مذهب غلاة الحشوية!»[١].

ثمّ يخاطب الأخباريّين قائلاً: «ومما أشرنا إليه يتّضح أنّه لو وجد مكلّف يكون جاهلاً (مثل الأخباريّ المتشدّق) بجميع ما أشرنا إليه غافلاً عمّا نبّهنا عليه ولا يتفطّن بأمر بالمرّة، ومع ذلك يستنبط الحكم الشرعيّ من الآيات والأخبار بالنحو الذي ذكرتم ورخصتم (يريد العلماء الأخباريّين)، فلو اطّلع العقلاء والعرفاء على أمره، ليتبادرون إلى منعه، بل يوجبون على أنفسهم ردعه ويقبّحون المسامحة في المنع والمساهلة في الردع»[٢].

وهنا يشرح الوحيد المناظرات التي أجراها مع العلماء الأخباريّين والتي أدانهم فيها وأعجزهم، حيث سنوردها بإذن الله خلال الترجمة له. فليراجَع ذلك الموضع.

الأخباريّ لا يعرف مصطلح الأئمّة

وكتب في الفائدة السادسة من كتاب الفوائد الحائريّة[٣] الذي هو من

---

(١) اجتهاد الأخبار: ٢٢.

(٢) المصدر: ٢٤.

(٣) ألّف أستاذ الكل الوحيد البهبهانيّ هذا الكتاب ردّاً على كتاب الفوائد المدنيّة للملّا محمّد أمين الأسترآباديّ، وعلى شكلين: الفوائد الحائريّة القديمة والفوائد الحائريّة الجديدة.

المؤلّفات القيّمة والمعروفة، قائلاً: «توهّم بعض: عدم جواز العمل بالظنّ في نفس الأحكام الشرعيّة، وفي موضوعاتها مطلقاً، وآخر بجوازه فيهما كذلك.

وذهب الأخباريّون إلى جوازه في موضوعات الأحكام الشرعيّة التي ليست بعبادة، دون نفس الأحكام، وماهيات العبادات.

والمجتهدون إلى عدم جوازه مطلقاً (لا في الأحكام ولا في موضوعاتها)، إلا ظنّ المجتهد الحيّ المستجمع لشرائط الفتوى، والمقلّد له في المسائل الاجتهاديّة.

ويدل على بطلان التوهم الأوّل ما مر في الفائدة الرابعة من: أنّ المعتبر اصطلاح الشرع لا اصطلاحنا الآن.

واصطلاحنا منه ما نعلم أنّه اصطلاح الشرع، ومنه ما نظنّ، ومنه ما نشكّ، ومنه ما نظنّ أنّه ليس اصطلاحه، ومنه ما نجزم».

ثمّ يتابع الوحيد الموضوع ويقول بعد صفحتين: «وبما ذكرنا ظهر فساد مختار الأخباريّين أيضاً.

مضافاً إلى أنّ عدم تجويزهم الظنّ إن كان من جهة الأدلّة الدالّة على المنع منه فلا وجه لتجويزهم العمل بكلّ ظنّ يكون في الموضوعات، وإن كان تجويزهم ذلك من جهة أنّ عدم العمل به يلزمه سدّ باب إثبات الأحكام ففيه أنّه على هذا لم تفرّقون بين نفس الحكم وموضوعه؟ ولم تشددون النكير على المجتهد، وتحرمون عليه الاجتهاد، بل وترمونه

بالفسق؟ مع أنكم تدرون أنه أعلم منكم، وتتبّعه أكثر، وتدرون أنه صادق في عدم حصول العلم له.

وأيضاً لم لا تدّعون أن الظنّ في الموضوع علم شرعيّ لا ظنّ، كما تدّعون في نفس الحكم؟ فتدّبر».

ويستنتج من هذا البحث أنّ العلماء حينما يتبادلون الآراء وتتطور أفكارهم على هذه الشاكلة بحيث يدركون في كلّ مرّة شيئاً لم يكونوا قد أدركوه في المرّة السابقة، وأنّ الأخباريّ الفلانيّ الذي لم يبلغ درجة الاجتهاد، لم يتوصّل إلى شيء من مطالعة الأخبار وملاحظتها. وبناء على ذلك، فإنّ ظنّهم ليس حجّة ولايمكن الاعتماد على ظنّ أيّ شخص، بل إنّ الظنّ الوحيد الذي يجب العمل به هو ظنّ المجتهد الجامع للشرائط والذي يمكن العمل بظنّه الذي يعتبر حجّة والذي هو العلم بالأحكام، وذلك على أثر الممارسة والدقّة والتحقيق في علوم الأخبار وفقه آل محمّد ـ عليهم السلام ـ.

لايمكن الاعتماد على رأي الأخباريّ

ويقول في الفائدة السابعة من ذلك الكتاب نفسه: «اعلم أنّ بعض متأخري الأخباريّين لما رأوا فساد مذهبهم، وشناعته الواضحة رجعوا القهقرى، وادّعوا أنّ مرادنا من العلم واليقين (الذي نقول إنّه يظهر لنا في الأحكام) ما هو الظنّ، ونزاعنا لفظيّ مع المجتهدين.

وفيه نظر من وجوه:

الأوّل: أن المجتهدين ليس عملهم واعتمادهم على الظنّ، بل هذا كذب عليهم، نعم الظنّ في طريق صغرى دليلهم، يقولون: هذا ما أدى إليه ظنّي، وكل ما أدى إليه ظنّي فهو حكم الله في حقّي يقيناً وحقّ مقلّدي فالصغرى يقينية وجدانيّة، والكبرى[1] ستعرفها في الفائدة التاسعة فاعتمادهم في الحقيقة على اليقين، ولولا كبراهم اليقينيّة لما عملوا بالظنّ أبداً.

والأخباريّون ليس لهم كبرى يقينيّة، بل اعتمادهم على نفس ظنّهم الذي يسمّونه علماً كما ستعرف.

مثلا: شهادة العدلين حجّة، لا لأجل الظنّ الحاصل من قولهما، بل لما ثبت بالدليل اليقينيّ أنّه حجّة، ولولاه لم يكن فرق بينها وبين الظنون الحاصلة من شهادة الفاسقين، والرمل، وغيره، فالحجّة في الحقيقة:

هي ما دلّ على قبول شهادتهما لا نفس الشهادة. وقس عليهما حال اليد، والحلف، والأنساب، وغير ذلك. وعمل المجتهد بالخبر الواحد

---

١ والصغرى والكبرى والنتيجة من مسائل علم المنطق وتسمّى القياس. فبإمكاننا تشكيل القياس لإثبات أيّ موضوع. وعلى سبيل المثال فإنّ المجتهد يستند في هذا العصر إلى القانون العقليّ ويشكل القياس لإثبات أن لديه ظنّاً وأنّ ظنّه بمنزلة العلم واليقين، فيقول ـ مثلاً ـ إنّ عدم جواز تقليد الميّت هو مسألة وصل إليها ظني بعد الاجتهاد والسعي الحثيث (و تسمّى هذه بالصغرى) وكل ما يصل إليه ظنّي بعد الاجتهاد هوالحكم اليقينيّ لله في حقي (و هو ما يسمىّ بالكبرى) وعلى هذا فإنّ عدم جواز تقليد الميّت هو حكم الله اليقينيّ في حقيّ (و هو ما يسمّى النتيجة).

وأمثاله من دليله اليقينيّ...»[١].

ويقول في الفائدة الثامنة من ذلك الكتاب نفسه: «قد عرفت أنّ مناط الفرق بين الأخباريّ والمجتهد هو نفس الاجتهاد ـ أي العمل بالظنّ ـ فمن اعترف بالعمل به فهو مجتهد، ومن ادّعى عدمه، بل كون عمله على العلم واليقين فهو أخباريّ، ولذا لا يجيز الأخباريّ تقليد غير المعصوم عليه السلام وفي الحقيقة هو مانع عن التقليد، لأنّ تقليد المعصوم عليه السلام ليس تقليداً،...

ويستندون في ذلك إلى ما دلّ على ذم التقليد، والعمل بالظنّ، وهو نوع من الظنّ. ويدل على بطلان ذلك: أن النصّ الصريح ورد في جواز التقليد ـ رواه في الاحتجاج ـ وآية (فلو لا نفر) ظاهرة فيه كما لا يخفى.

والأخبار الدالّة على جواز الفتوى صريحة فيه، والأخبار كثيرة، وكذلك الأخبار الدالّة على جواز المحاكمة، والتحاكم إلى الفقيه، وهي كثيرة: منها: ما أشرنا: أنّ واحداً من الأربعة في الجنة.

وبالجملة: تتبّع الأخبار يكشف عن جوازه بحيث لا يبقى تأمل.

مع أنّه في الرجال أيضاً يظهر ذلك، ويؤيده أنّ طائفة كانوا زراريّة، وطائفة كانوا يعفوريّة، وهكذا. وكثيرا ما أمروا بأخذ معالم الدين عن فلان وفلان.

مع أنّه من البديهيّات أنّ النساء والعوّام ـ في أعصار النبيّ صلى الله عليه وآله

---

١ اجتهاد الاخبار: ٤٣.

والأئمّة عليهم السلام ــ كان بناؤهم على التقليد.»

ويقول في الفائدة التاسعة: «وخرج من جميع ذلك ظنّ المجتهد بالاجماع وقضاء الضرورة (لا مثل ظنّ الأخباري الذي هو صرف ادعاء)، إذ المسلمون أجمعوا على أنّ من استفرغ وسعه في درك الحكم الشرعيّ، وراعى عند ذلك جميع ما له دخل في استحكام المدرك وتشييده وتسديده، وحصل ما هو أحرى يكون ذلك حجّة عليه، والضرورة قاضية بأنه لو كان ظنّ حجّة فهذا حجّة، وكذا لو كان لا بد من العمل بالظنّ (جاز التعويل على ذلك)».

ويقول في أخر هذه الفائدة نفسه: «لأنّ الظنّ لو كان حجّة مطلقاً (كما يقول الأخباريّ) لزم أن يكون ظنّ الأطفال والنساء والجهال حجّة، وهذا يدل على أنّ الظنّ ــ من حيث أنه ظنّ ــ ليس بحجّة».

وما ذكر ــ من عدم حجّيّة سوى متون الآيات والأخبار ــ فسيظهر لك حجّيّةالإجماع والاستصحاب وغيرهما.

وماذكره من عدم مدخلية شئ فقد ظهر فساده من الفوائد السابقة، وسيظهر لك أيضاً.

ووضع الكتاب لذكر ما له دخل، بحيث لو لم يعرف، ولم يراع يلزم تخريب الفقه.

ومما ذكر ظهر أنّ كل ظنّ له مدخلية في فهم الآيات والأخبار يكون حجّة، وأنّ الحجّة منه ظنّ المجتهد خاصّة. «(طبعاً بعد بذل كلّ ما في المستطاع في طريق تحصيله)».

الأخباريّ يعتبر فهمه حجّة وفهم الآخرين مغلوطاً

ويقول في الفائدة التاسعة من كتاب الفوائد الحائريّة الجديدة اعلم: أنّ جمعاً يدّعون أنّهم أخباريّون، ويشنعون عليهم في ادعائهم علميّة الأخبار، وعدم حجّيّة القرآن، لكنّ ينفون شرائط الاجتهاد، ويقولون:

إنّ الحجّة ليست إلا الآية والأخبار، وإنّه يجب الاقتصار على نفس متونهما، وبناؤهم على العمل بالظنّ من حيث هو ظنّ، ولو سئلوا عن دليل حجّيّة الظنّ ربما يجيبون بظنّ آخر، أو شك آخر، أو وهم آخر، ولا يتأملون في أن الدليل ليس بأضعف من المدلول، ولا مساو له في الاحتياج إلى الدليل، إلّا أن ينتهي إلى القطع، ففي الحقيقة الدليل هو القطعيّ.

ويدل على فساد طريقهم الآيات والأخبار الدالة على حرمة العمل بالظنّ، وما ليس بعلم أو يقين، وهي من الكثرة بمكان، وكذا التهديدات البالغة، والتحذيرات الهائلة فيها، وفي الفتوى بغير ما أنزل الله، وغير ذلك مما أشرنا إلى بعضها في الفائدة الأولى...».

ثمّ يشرح ماقاله الأخباريّ المذكور قائلاً: «وأيضاً إجماع جميع المسلمين على أنّه في نفسه ليس بحجّة، ولذا كل من يقول بحجّيّة ظنّ يقول بدليل، فإن تمّ، وإلا فينكر عليه، ويقال بعدم الحجّيّة.

وأيضاً ما استدلوا به على عدم حجّيّة العقول في الأحكام الشرعيّة يدل عليه أيضاً. وأيضاً الأصل عدم حجّيّة الظنّ. وأيضاً العقل يمنع من الاتكال على مجرّد الظنّ في الدماء والفروج والأنساب والأموال

وغيرها. وأيضاً ظنّ الرجل أمر، وحكم الله أمر آخر، وكونه هو بعينه، أو عوضه يحتاج إلى دليل حتى يجعل هو إياه أو عوضه شرعاً. وخرج من جميع ذلك ظنّ المجتهد بالإجماع وقضاء الضرورة، إذ المسلمون أجمعوا على أنّ من استفرغ وسعه في درك الحكم الشرعيّ، وراعى عند ذلك جميع ما له دخل في استحكام المدرك وتشييده وتسديده، وحصل ما هو أحرى يكون ذلك حجّة عليه، والضرورة قاضية بأنّه لو كان ظنّ حجّة فهذا حجّة، وكذا لو كان لا بد من العمل بالظنّ (جاز التعويل على ذلك).

وأيضاً بقاء التكليف إلى يوم القيامة يقينيّ، وسدّ باب العلم معلوم كما عرفت.

ومن استفرغ وسعه في جميع ما له دخل في الوثوق والمتانة، وحصل ما هو أقرب لا يكلّفه الله أزيد من ذلك يقيناً، لقوله تعالى لا يكلّفُ الله نفساً إلّا وسعها، وقوله وما جعل عليكم في الدين من حرج وما ورد: من أنّه تعالى لا يكلف ما لا يطاق. ولعلّ القطع بحجّيّة مثله ــ فيما نحن فيه ــ يظهر من تتبّع الأخبار والأحكام أيضاً. وأيضاً العقل حاكم بحجّيّته حينئذ قطعاً. وأيضاً جميع العلوم والصنائع المحتاج إليها في انتظام المعاد والمعاش يكون الحال فيها كما ذكرنا بلا شبهة، والعلة التي فيها جارية فيما نحن فيه أيضاً قطعاً.

وبالجملة: فنأخذ قياساً هكذا: هذا ما أدىّ إليه اجتهادي واستفراغ

وسعي، وكلّ ما أدّى إليه اجتهادي واستفراغ وسعي فهو حكم الله يقينا في حقّي، فالصغرى يقينيّة، وكذا الكبرى، فالنتيجة قطعيّة يقينيّة.» ؟!.

وبالجملة: خروج ظنّ المجتهد مما ذكر قطعيّ بلا تأمل. وأما كلّ ظنّ يكون، لا قطع بخروجه، بل ولا ظنّ أيضاً.

مع أنّك عرفت حال الظنّ وعدم نفعه أصلاً، وكونه محتاجاً إلى دليل، وأنّه لا يكون حجّة حتى ينتهي إلى القطع، لاستحالة الدور والتسلسل.

مع أنّ من لم يراع الشرائط، ولم يستفرغ وسعه حين ما حصل له ظنّ ــ يحتمل أن يكون بعد ما يراعي ويستفرغ ــ يزول ذلك الظنّ عنه، ويتبدّل بخلافه، ويظهر عنده أنّ حكم الله تعالى خلاف ذلك، بل ربما يحصل له القطع بأنه ليس حكم الله تعالى، فكيف يكون ما حصل له بداراً حجّة له؟ مع تمكّنه من معرفة كونه حكم الله، أو عدم كونه حكم الله، أو أنّ الظاهر أنه ليس حكم الله، بل الأدلّة تقتضي عدم كونه حجّة، كما أنّ الحال في سائر العلوم والصنائع المحتاج إليها كذلك، لأن ما دلّ على دم الحجّيّة في العلوم والصنائع، بل والمنع عن العمل به شامل لما نحن فيه، بل ما نحن فيه كذلك بطريق أولى ــ كما لايخفي ــ وظهر وجهه أيضاً.

وأيضاً لو تمّ ما ذكره لزم حجّيّة ظنّ كل عامّيّ جاهل، أو امرأة، أو صبي، لاشتراك الدليل والمانع. والظاهر أنّه لا يقول بحجّيّة ظنون هؤلاء.

وأيضاً قد عرفت ــ من (الفائدة الثامنة) ــ جواز التقليد وصحّته

عموماً، خرج المجتهد بالاجماع والأدلّة المذكورة، وأنّ ظنّه أقوى في نظره من ظنّ تقليد غيره، بخلاف كل ظانّ فإنّ الأمر فيه بالعكس، إذ لا شكّ في أنّ الظنّ الحاصل من تقليد العارف الماهر المراعي جميع ما له دخل في المتانة، والمستفرغ وسعه في ذلك أقوى من ظنّ من لم يكن كذلك، ولم يراع مطلقاً، كما هو الحال في العلوم، والصنائع، لكنّ درك ما ذكرنا موقوف على الإنصاف والتخلية الكاملين.

وبالجملة: هؤلاء يراعون في كلّ علم، بل وفي كلّ أمر من الأمور أنّ المرجع قول المجتهد في ذلك العلم وذلك الأمر، والتقليد لهم ــ لا أنّ كل ظنّ حصل يكون حجّة ــ سوى الفقه، مع أنّ الخطر فيه أعظم بمراتب، والإضلال فيه أكثر بمراتب شتّى. هذا مع أنه ورد النهي عن العمل بما خالف القرآن، وما وافق العامّة، وبما حكامهم وقضاتهم إليه أميل، وما خالف السنة، أو غير المشتهر بين الأصحاب، وما رواه غير الأعدل والأفقه والأورع إلى غير ذلك، وكذا ورد الأمر بمعرفة العامّ والخاصّ والمحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ، وورد (عليكم بالدرايات دون الروايات) إلى غير ذلك.

مع أنّ أكثر أحكامنا من الجمع بين الأخبار، فلا بدّ من معرفة ما هو العذر في الجمع وأنحاء الجمع.

وأيضاً، تلك الأنحاء مبنية على الظنون فلا بدّ من معرفة ما هو حجّة، وما ليس بحجّة، إلى غير ذلك مما ستعرفه.

لأنّ الظنّ لو كان حجّة مطلقاً لزم أن يكون ظنّ الأطفال والنساء والجهال حجّة، وهذا يدل على أنّ الظنّ ــ من حيث أنّه ظنّ ــ ليس بحجّة.

وما ذكر ـ من عدم حجّيّة سوى متون الآيات والأخبار ــ فسيظهر لك حجّيّة الإجماع والاستصحاب وغيرهما.

وما ذكره من عدم مدخلية شئ فقد ظهر فساده من الفوائد السابقة، وسيظهر لك أيضاً.

«ووضع الكتاب لذكر ما له دخل، بحيث لو لم يعرف، ولم يراع يلزم تخريب الفقه.

ومما ذكر ظهر أنّ كل ظنّ له مدخليّة في فهم الآيات والأخبار يكون حجّة، وأنّ الحجّة منه ظنّ المجتهد خاصّة...» ؟!.

ماذا سيفعل الأخباريّ في مقابل هذه الإشكالات؟

ويثبت في الفصل الأوّل من كتاب الاجتهاد والأخبار ومن خلال ذكر الكثير من الآيات وروايات أهل البيت عليهم السلام أنّنا نحن المسلمين مكلّفون بتكاليف يجب تحصيلها ولايمكننا أن نهملها ونتسامح ونقصّر فيها، بل نحن مضطّرون إلى أن نلمّ بتكاليفنا، ثمّ يقول إنّ من الواجب بمقتضى ما قيل أن نحصّل علماً أو ظنّاً يكون اعتباره ثابتاً من ناحية الشريعة.

ثمّ يشرح في الفصل الثالث الأسباب التي أدّت إلى أن يكون ظنّ المجتهد حجّة وأنّه هو وحده من يجب أن يحصّل العلم أو الظنّ بهذا الحكم ويقول: «أخذ الحكم من الشارع مشافهة، محال عادة بالنسبة إلى

أمثال زماننا، وليس الأحكام الفقهيّة بديهيّة فلا بدّ من الفحص والتجسّس عن الطرق الموصلة إلى معرفة الأحكام، ويشير إليه أيضاً ما شاع من الفقهاء الماهرين في الفقه والأئمّة المتبحّرين في هذا الفنّ، من أنّ الطرق متعددة.

ثمّ إنّه لا بدّ من ملاحظة حال الطرق، وأنّها موصلة أم لا، وأيضاً لها بعنوان القطع أو الظنّ وإذا كان بالظنّ فهل يكون دليل على اعتباره أم لا؟

منها: أنّ في الآيات والأخبار عامّاً وخاصّاً لا إلى نهاية، وناسخاً ومنسوخاً، ومحكماً ومتشابهاً، وحفظاً ووهماً، إلى غير ذلك من الأسباب التي سنشير إلى بعضها في الفصل الآتي وكلّ واحد منها تحقّقه في الأخبار كثير.

و منها: اختلاط الصحيح مع السقيم من الضوابط ـ التي بناء فهم الأحاديث، ومدار الأخذ والاستنباط عليها في أمثال زماننا ـ مثل أصل العدم وغيره...

و منها؛ امتزاج الجديد من الاصطلاحات بالقديم منها، مثل:

الاصطلاح الناشئ من خصوص المتفقّهة، والمتشرعة باصطلاح الشارع، والعرف، واللغة...

ومنها؛ وجود التعارض بين تلك الطرق غالباً، بل وكليّاً، وعدم سهولة العلم بالعلاج، بل عدم تحقّقه غالباً، وهو غير خفي على أحد ممّن له اطّلاع ما.

و منها؛ كون جلّ الطرق، بل وكاد أن يكون كلّها دلالة كلّ واحد منها بمعونة الآخر وبملاحظته... ومنها؛ سدّ باب العلم إلّا نادراً وانحصار الطريق في الظنّ غالباً والاحتياج إلى ظنون شتّى مثل قول اللغويّ، والنحويّ، والصرفيّ، وأصالة العدم وأصالة البقاء، وأمثال ذلك مع عدم تيسّر حصول العلم بحجّيّة أمثالها واعتبارها شرعاً لكلّ واحد.

و منها؛ الإجمال والاختلال الواقعان في متن الكتاب والسنّة، فيحتاج الفهم وتعيين المعنى إلى استنباط وبذل جهد زائد مثل تعيين معنى الغناء، ومعنى الصعيد في حكاية التيمم، والكعبين في الوضوء، وحدّ المسافة في القصر، والرطل في الكرّ، والمدّ والصاع أيضاً في المقام.

ومن تلك الجملة؛ أنّ كثيرا من معاني الألفاظ واصطلاحاتها؛ تعرف بالممارسة في الأحاديث والأنس بها، ومن الاستماع من المشائخ والقراءة عندهم، والمزاولة فيهما، بل وبعض منها من المعرفة بأقوال الفقهاء وسلوك المحدّثين والمهارة بهما، ومن هذا ترى أنّ من لم يكن له تلك الممارسة والأنس والمزاولة ويكون عارياً؛ ربما يفهم من الحديث ما يمجّه آذان الفقهاء، ويشمئزّ عنه قلوبهم...

و من تلك الجملة؛ أنّ القياس عندنا حرام بالبديهة...

ومن تلك الجملة؛ أنّ كثيراً من أحاديثنا ورد تقيّة، وورد النهي عن العمل بأمثالها والأمر بمخالفتها...

و من تلك الجملة؛ أنّ الشارع ربما كان حكمه منوطاً بخصوصيّات لا

تظهر إلّا بعد بذل الجهد.. إلى غير ذلك من أسباب الاختلال وموانع حصول العلم وموجبات خفاء الحال، على أنّا نقول: الظاهر أنّه بسبب ذلك لا يحصل العلم إلّا لمن بلغ رتبة الاجتهاد؛ إذ بملاحظة ما أشرنا إليه يظهر أنّه لا بدّ [له] من مادّة وقابلية لفهم مقاصد العلماء، ومعرفة الخلل والمفاسد الّتي في الأدلّة، والاقتدار على التمييز بين الصحيح والسقيم، ومعرفة اصطلاح الجديد من القديم، وعدم الغفلة عن ذلك، والاطّلاع على أطراف الكلام، والمقدّمات والموانع وسائر الأمور الّتي لها دخل في المقام...».

ثمّ يستنتج بعد شروح مفصّلة أنّ الحلّ الوحيد في غيبة إمام العصر ــ عجّل الله فرجه ــ استناداً إلى هذه الجهات والملاحظات والإشكالات هو اتباع أصل الاجتهاد والتقليد وأن يراجع غير المجتهد شخص المجتهد الجامع للشرائط وأن يقلّده، كي يرفع المسؤولية عن نفسه ويؤدّي واجبه براحة بال.

ثمّ يلوم بشدّة الأخباريّين الذين يتكلّمون ويذمّون المجتهدين إلى هذا الحدّ ويقول: «الّذي لم يبلغ درجة الاجتهاد ــ بعد تخلية نفسه من الشوائب وخلوصها عن المعايب ــ إذا لاحظ التهديدات البالغة من الشرع وغيرها ــ مما أشرنا إليه في الفصل السابق ــ واطّلع على المضايقات الشديدة الظاهرة، والتحذيرات الهائلة الصادرة عن الفقهاء الماهرين في الفقه، المتبحّرين فيه، المطّلعين عليه بحقّه وحقيقته،

المتّقين الورعين الّذين هم أطبّاء الأديان والمؤسّسون لمذهبنا في غيبة مولانا صاحب الزمان، المروّجون له على رؤوس المئين في الأزمان؛ الّذين عليهم المدار في جميع الأقطار، وإليهم المرجع في الأعصار والأمصار، وهم خلفاء الرسول المختار صلى الله عليه وآله والمتكفّلون لأيتام الأئمّة الأطهار عليهم السلام، المنقطعين عنهم بالغيبة والاستتار، خزنة دين القيّمة بعد الرسول والأئمّة عليهم السلام، وحفظة طريقة الفرقة الناجية من فرق الأمّة؛ إذ هؤلاء قد شاع وذاع منهم بحيث ما خفي على أحد أنّ الحكم والفتيا في أمثال هذه الأزمان ــ لبعد العهد عن المعصوم عليه السلام وسدّ باب العلم غالباً، وتوافر أسباب الشبهة والحيرة، وتكاثر موانع حصول العلم بسهولة، وموجبات الخطأ والضلالة ــ خطير غاية الخطر ومتحذّر منه نهاية الحذر، ولا يحلّ إلّا لمن اجتمعت فيه الشرائط المعهودة...».

«و بالجملة، الرجل المذكور قطعه ببطلان ذلك حينئذ فساده لا يحتاج إلى البيان والإظهار، سيّما ومع ملاحظة أنّهم مع مهارتهم وتبحّرهم يحتاطون في مقام الإفتاء غاية الاحتياط، ويبالغون في التأمّل نهاية التأمّل، كما هو معلوم منهم في كتبهم الاستدلاليّة، وكتب فتاويهم وغيرها...».

قياس الفكر الأخباريّ وقوّة تشخيصه

ويضيف قائلاً: «وبملاحظة جميع ذلك كيف يدّعي عاقل أنّه حصّل العلم بسهولة مع أنّ جميع ذلك ليس بحيث يخفى على أحد، فضلاً عن

الرجل الذي يريد أن يعرف الحكم عن الأدلّة بنفسه في أمثال هذه الأزمان، ولو ادّعى أحد مع ذلك حصول العلم له فالظاهر عندي أنّ حاله حال النساء اللاتي تراهنّ يداوين المرضى بعقولهن الضعيفة، متى ما رأين التهاباً من الحمّى قلن: داووا بالرقّي فإنّه بارد يسكّن الحرارة !!.

وهنّ في اعتقادهنّ في غاية الصلابة، مع أنّ الرقّي ربما يكون سمّاً قاتلاً له وكثير من المرضى يقتلون بأمثال ما ذكرنا من مداواتهنّ مع أنّهن يسمعن أطبّاء الابدان يقولون: معرفة المرض ومداواته في غاية الإشكال وهما من خصائص الحذّاق من الأطبّاء ويطّلعن على مبالغتهم في النهي عن مداواة غير الطبيب وسيّما عن مداواة النساء، بل ربما يستهزئن بمداواة الطبيب إذا لم تكن مطابقة لرأيهنّ، وينسبن الطبيب إلى مثل ما ينسب هؤلاء فقهاءنا إليه، وعندي أنّ تلك النساء حالهنّ أحسن من حال هؤلاء؛ إذ لم نجد من تلك النساء الاعتقاد ببطلان شيء مع ادعائهنّ عدم اطّلاعهنّ عليه أصلاً، ونجد هذا من هؤلاء؛ إذ ربّما يحكمون ببطلان قواعد المجتهدين مع اعترافهم بعدم اطّلاعهم على حالها أصلاً، فضلاً عن اطّلاعهم على أدلّتها، وأعجب من ذلك أنّ ديدنهم في الفقه محض تقليد المجتهدين، حتّى أنّ مدارهم في فهم الحديث وفي مدارسة الحديث وفي أخذ الحكم من الحديث ليس إلّا تطبيق الحديث على فتاوى المجتهدين وتأويلهم إيّاه إليها، بل لو وجدوا قولاً شاذاً منهم بل واحتمالاً ضعيفاً احتمله نادر منهم، لم يتجرؤوا على عدم الاحتياط

بالنسبة إليه، بل ومع اعترافهم بأنّه ليس عليه دليل وأنّه بعيد...».

ويقول في ذلك الكتاب نفسه في «مبحث حجّيّة الخبر الواحد» بعد الرد على كلام العلماء الأخباريّين الذين يقولون إن سند الأخبار ودلالتها يفيدان العلم وبيان المفاسد المترتبة على ادعائهم، فيقول: «نعم، ربما يتفطّنون بالمخالفة فيبادرون بالتوجيه والتأويل ولو بالتوجيهات البعيدة والتأويلات الركيكة، حتى أنّه صار التوجيه والتأويل عندهم أهون شيء، بل وأظهر قاعدة في فهم الأخبار واستنباط الحكم منها، بل وربّما تصير بسبب كمال أنسهم بالتوجيه وزيادة الفهم بالتأويل الاحتمالات البعيدة عندهم قريبة والتأويلات الركيكة في غاية الملاءمة، وربّما تصير عندهم ـ على ما نشاهد ـ تلك الاحتمالات والتأويلات احتمالات متساوية للظاهر، ومعان مشاركة للمتبادر.

و بالجملة؛ مذاكرة هؤلاء في الحديث، ومدارستهم إيّاه إنّما هي تطبيق الحديث على فتوى المجتهدين وقواعدهم لا غير.

نعم ربّما يبني طائفة من هؤلاء أمره على الاجتهاد، وهم وإن كان ديدنهم في استنباط الحكم تقليد المجتهد على التفصيل الذي أشير إليه، إلاّ أنّهم ربّما يتنبّهون في بعض المسائل فيبنون أمرهم على فهمهم ورأيهم، فيصدر منهم أمثال ما أشرنا إليه من المزخرفات.

و من لطف الله تعالى على عبيده ومحافظته لشرعه ودين نبيّه صلى الله عليه وآله ومنهاج خلفائه عليهم السلام عن أن يضمحل بالكلّيّة ويتبدّل بالمفاسد الشنيعة أنّه

سلط على أمثال هؤلاء الغفلة عدم التفطّن، وإلاّ فلو كانوا يتنبّهون في كل مسألة فكان يصدر منهم في جميعها أمثال ما عرفت، فما كنّا ندري أ يبقى من الدين اسمه أم لا؟ أ فتظنّ إذن كان يوجد من الشرع رسمه؟ كلاّ، هذا حال علمائهم، وأمّا عوامهم ففهمهم الأحاديث وأخذهم الحكم منها في أمثال زماننا من دون تقليد غيرهم، ومن غير البناء على قول من سواهم محال عادة، وإن شئت فلاحظ. على أنّا نقول: ثبت ممّا تقدّم ومسلّم عند الكلّ، أنّ المناط في صحّة الحكم وجواز الفتوى العلم بكون ما حكم به حكم الله الواقعيّ أو الظاهريّ، فعلى هذا حصول العلم ممّا ذكرتم ــ على تقدير التسليم ــ فإنّما هو بالنسبة إلى أمثالكم من الماهرين بمأخذ الفتاوى وأحوال الأصول والقواعد، العارفين بكيفيّة الاحتياج والاستغناء والبالغين درجة الاجتهاد، وأمّا غيركم فلا يحصل له ممّا ذكرتم وهم، فضلاً عن العلم، لرسوخ بطلان مثل ما ذكرتم في خواطرهم، حتّى أنّه عندهم من قبيل بديهيّ الدين بل بديهيّ عقولهم، حتّى أنّي ذكرت ذلك لعالمهم فتعجبَ واشمأز واستنكر، وأظهرته لغير العالم فضحك وتحيّر وتنفّر، على أنّه على تقدير أن يحصل لغيركم ــ بزعمه ــ العلم، ففي كونه مناطاً تأمّل يظهر من التأمّل فيما ذكرنا آنفاً، وسيظهر التفصيل فيه إن شاء الله.

ثمّ إنّ ما ذكرتم بقولكم «(نعم لو فرضنا أنّ متكلّماً... إلى آخره) يمكن أن يقال فيه: بأنّ ما أشرنا إليه في الفصل الثاني عامّ يقتضي المنع من العمل بالظنّ مطلقاً، فلو كان يخرج ظنّ ليخرج بدليل، ولم نجد

دليلاً على خروج محل النزاع منه؛ إذ لا إجماع، لو لم نقل بالإجماع على عدمه، وما ذكرتم من الدليل ظهر حاله.

و أمّا أصالة الحقيقة فلا تكفي بمجرّدها في مثل ما نحن فيه، بل لا بدّ من ضميمة أصل العدم أو أصل البقاء وأمثالهما، وعلى تقدير حجّيّتها فإنّما هي بعد بذل الجهد كما هو الحال في أصل البراءة، فتدبّر.

و ممّا ذكرنا ــ في هذا الفصل مع الفصول السابقة ــ ظهر صحّة طريقة المجتهدين ووضح غاية الوضوح. وبالتأمّل فيها تندفع جميع الشكوك والشبهات، بل ويظهر أنّها شبهات في مقابل البديهة».

كان ذلك مختصراً لما كتبه أستاذ الكلّ الوحيد البهبهانيّ نوّر الله مرقده في الردّ على آراء وادّعاءات العلماء الأخباريّين في كتبهم. وكما قلنا فقد اخترنا مقاطع منه كي يكون زيادة في العلم ويتمكن الأشخاص من غير رجال الدين والذين لا علم لهم بعلوم الفقه والأصول والحديث وغيرها من الانتفاع منها. وليرجع الفضلاء والعلماء إلى كتب ذلك العلّامة الكبير والتي ذكرنا بعضاً منها للمزيد من الاطّلاع، وخاصّة رسالة الاجتهاد والأخبار. ذلك لأن الوحيد استنفد الرد على كلّ ادّعاءات الأخباريّين ولم يبق شيئاً لهم.

ويجب العلم أنّ الفرقة «الشيخيّة» هم أيضاً أخباريّون في الفروع وهم في الحقيقة فرع من الأخباريّين. وقد ألّف مؤخّراً زعيمهم الحالي أبو القاسم خان الكرمانيّ كتاباً باسم الاجتهاد والتقليد وجمع في هذا الكتاب

ما لفّقه الأخباريّون في كتبهم، وحمل على المجتهدين على ما يدّعي!! ولأنّه لم يضف شيئاً إلى ما قاله الأخباريّون فإنّنا لم نتطرق إليه. فكلّ جواب قدّمناه إلى الأخباريّين وكلّ رد وجّهناه إليهم فقد أجاب هو وردّ عليه أيضاً.

ولكن ماهي الفرقة الشيخيّة؟ إن كانوا أخباريّين فلماذا إذن سمّوا أنفسهم بالشيخيّة؟ وماهو مدى قيمتهم الحقيقية؟ يجب القول إن هذا الموضوع له شجون كثيرة، ولذلك فإنّنا سنعرض عنه، ونحيله إلى مناسبة أخرى!

ونحن نرى أن غالبيّتهم التي تعتبر نفسها أخباريّة، لجأت إلى المسلك الأخباريّ لأنّها لم تكن ترى في نفسها الاستعداد لدراسة الفقه والأصول وتحمّل مشاقها ولأنّها كانت تشعر بالعجز واليأس من تعلّم الفقه والأصول كما لم تكن تريد في نفس الوقت التخلّف عن المجتهدين، فحرّموا أوّلاً الاجتهاد والتقليد ثمّ واجهوا المجتهدين، فهم عند العوام كالأنعام كما أنّ الأناس السذّج أقدموا على التحدّث بالسوء عن المجتهدين وعلماء الأصول ومايزالون (كان معظم العلماء الأخباريّين المتأخرين على هذه الشاكلة).

وإلّا فإنّ الشخص الذي يشعر بامتلاكه القوة والاستعداد والرغبة في دراسة علم الأصول ولايفكر في الرئاسة وتحقيق الشهرة، فإنّه لا يرجّح أبداً طريق الاستدلال واستخدام قوة العقل والفكر الذي يوظّفه الأصوليّ

في طريق دراسة العلوم الإسلاميّة، على الجمود الفكريّ وخدع عوام الناس والتظاهر بالتديّن! وبعبارة أوضح، فقد سلكوا طريق الأسطورة لأنهم لم يروا الحقيقة.

مشاهير العلماء الأخباريّين

يعتبر الأخباريّون محدّثين كباراً مثل الشيخ الكلينيّ والشيخ الصدوق ووالده علي بن بابويه وابن قولويه القمّيّ وغيرهم رضوان الله عليهم أخباريّين ويعدونهم من رؤسائهم، ولا يلتفتون إلى أنّهم كانوا محدّثين أوّلاً لا أخباريّين وحتّى إن كانوا كذلك فإنهم كانوا أخباريّين بالمعنى الأعمّ لا بالمعنى الأخصّ بحيث يشمل حتّى الشيخ الأخباريّ من القرية الفلانيّة. ثمّ إنّ علم الأصول والاجتهاد لم يكن قد شاع كثيراً في زمانهم بين الشيعة، كي يهبّوا لمعارضته ويحرّموه بشكل مطلق.

والشيء الذي أدّى إلى أن يعتبر الأخباريّون كبار العلماء المذكورين أخباريّين، هو أنّهم كانوا ينظرون إلى لفظ الحديث في مقام الإفتاء فحسب. بمعنى أنّهم كانوا يفتون طبقاً لكلّ حديث ويكتفون بنقله، كما يقول الشهيد الأوّل في كتاب الذكرى: «وقد كان الأصحاب يتمسكون بما يجدونه في شرايع الشيخ أبي الحسن بن بابويه رحمه الله عند إعواز النصوص لحسن ظنّهم به وأنّ فتواه كروايته وبالجملة تنزل فتاويهم

منزلة روايتهم...»[١] ولذلك فإنّ طريقة هؤلاء العلماء الأجلّاء كانت دوماً تحظّى باحترام الفقهاء والمجتهدين وماتزال. لأنّ كلّ واحد منهم كان في الحقيقة مجتهد عصره وكان طريق بيان الأحكام والاستفادة منها بين الشيعة آنذاك بنفس الطريقة التي كانوا يعملون بها تقريباً. وبناء على ذلك لا يمكن اعتبارهم في مصاف الملّا أمين والميرزا محمّد الأخباريّ.

وإذا ما تجاوزنا هذه المجموعة فإنّنا لا نجد عالماً معتبراً حتّى ما قبل سنة ألف للهجرة سار على الطريقة الأخباريّة سوى ابن أبي جمهور الأحسائيّ المعاصر للمحقّق الثاني حيث انتهج المسلك الأخباريّ في كتبه ومن جملتها عوالي اللئالي ولا يستبعد أن يكون فكره مؤثراً في ظهور الأخباريّين المتأخّرين.

واستناداً إلى الرسالة التي كتبها العلّامة المجلسيّ ـ طاب ثراه ـ في جواب الملّا خليل القزوينيّ فإنّ شهرة الأخباريّين انتشرت منذ زمان الملا محمّد أمين الأسترآباديّ (المتوفّى سنة ١٠٣٦). وعلى حدّ قول المجلسيّ فقد ألّف الملّا أمين كتابه المعروف الفوائد المدنيّة في مكة وبعثه إلى إيران والعراق وأصبح معظم علماء إيران والعراق الأصوليّين أخباريّين على إثر مطالعته!

وكان الملا أمين تلميذ الميرزا محمّد الأسترآباديّ (١٠٢٨) صاحب الرجال الكبير (منهج المقال) وكان هو نفسه من العلماء الأخباريّين

---

(١) الذكرى، ص٤.

وعلى حدّ قول الملّا أمين، فإنّ الميرزا محمّد هو الذي صيّره أخباريّاً، كما ألّف كتاب الفوائد المدنيّة بأمره. ويعتبر الملّا أمين أوّل من تجرّأ على طعن الفقهاء والمجتهدين وتقريعهم بكلّ ما أوتي من قوّة وانتقد واستهزأ بأقوال أولئك العلماء الكبار، وشقّ للأجيال القادمة طريق التفرقة والنفاق.

وقد كتب صاحب الحدائق الذي كان هو نفسه من العلماء الأخباريّين في كتاب لؤلؤة البحرين خلال الترجمة له قائلاً: «وهو أوّل من فتح باب الطعن على المجتهدين وتقسيم الفرقة الناجية إلى أخباريّ ومجتهد، وأكثر في كتابه الفوائد المدنيّة من التشنيع على المجتهدين، بل ربّما نسبهم إلى تخريب الدين، وما أحسن وما أجاد، ولا وافق الصواب والسداد، لما قد ترتب على ذلك من عظيم الفساد وقد أوضحنا ذلك بما لامزيد عليه في كتابنا الدرر النجفيّة...»[1] كما اعتبر صاحب الروضات الملا أمين مخرّب الدين ومقيم أساس الفرقة والخلاف بين الشيعة بسبب تأليفه كتاب الفوائد المدنيّة والكلام القبيح الذي نسبه إلى المجتهدين.

ومن بين العلماء المعروفين الذين مالوا إلى هذا المسلك في إيران بعد الملا أمين الأستراباديّ: الملا محسن الفيض صاحب الوافي، الملا محمّد طاهريّ القمّيّ مؤلّف كتاب تحفة الأخيار في الرد على الصوفيّة (١٠٩٨) الملا خليل القزوينيّ (١٠٨٩) صاحب شرح أصول الكافي،

---

(١) لؤلؤة البحرين: ١١٧.

تلميذه آقا رضيّ القزوينيّ (١٠٨٩)، الشيخ الحرّ العامليّ صاحب الوسائل (١١٠٤) والسيّد نعمة الله الجزائريّ صاحب الأنوار النعمانيّة (١١١٢).

ورغم أن هذه المجموعة كانت تنتهج المسلك الأخباريّ، ولكنّنا لا نجد في أقوالها الاعتراضات والإشكالات على المجتهدين إلّا نادراً. ولقد كان هؤلاء العلماء الكبار من مفاخر محدّثي الشيعة وكبار علمائهم حيث أدّوا الخدمات الجليلة إلى مذهب الحقّ. وكان البعض منهم يحمل مسلكاً معتدلاً، بحيث لا يمكن اعتبارهم أخباريّين قلباً وقالباً.

وبعد تأليف كتاب الفوائد المدنيّة وتحوّل الكثير من علماء إيران والعراق إلى أخباريّين، نفذ هذا المسلك إلى البحرين أكثر من أي مكان آخر. وعلى حدّ قول صاحب الحدائق في لؤلؤة البحرين، فإنّ المحدّث المتتبّع الشيخ علي بن سليمان البحرانيّ (١٠٦٢) هو أوّل من نشر علم الحديث في البحرين ثمّ نشر هذا المسلك من بعده في بلاد البحرين الفقيه الشيخ سليمان الماحوزيّ البحرينيّ، بحيث أصبحت البحرين مركز الأخباريّين، ولم يتبق من بين كلّ حشود العلماء التي كانت تعيش في البحرين أو الذين نهضوا منها سوى بضعة أشخاص كانوا مجتهدين وأصوليّين، وأما ما تبقّى من العلماء فقد كانوا كلّهم على المسلك الأخباريّ.

وكان أكثرهم تعصّباً الشيخ عبدالله بن الحاج الصالح السماهيجيّ البحرينيّ الذي كان تلميذ الشيخ سليمان السابق الذكر. وقد كان الشيخ

عبدالله معارضاً للمجتهدين إلى درجة بحيث أنّ نطاق الاختلاف في المسلك تطوّر إلى مرحلة الخصومة والعناد والحقد وأورد في كتبه الكلام القبيح والركيك بحقّ المجتهدين أكثر من الملّا أمين نفسه في الفوائد المدنيّة.

وقد كتب صاحب الحدائق الذي رآه هو نفسه في سنّ العاشرة في لؤلؤة البحرين قائلاً: «وكان... أخباريّاً صرفاً كثير التشنيع على المجتهدين، وعكسه الوالد (الحاج صالح) فقد كان مجتهداً صرفاً، كثير التشنيع على الأخباريّين...كتاب منية الممارسين في أجوبة الشيخ ياسين، وهو أحسن ماصنّفه وقد كان والدي (الشيخ عبدالله) يعترض عليه في مواضع عديدة من هذا الكتاب. وقد استكتبه لقصد تصنيف كتاب في ردّ ما اختار ردّه في بلدة القطيف ثمّ عاجلته المنيّة، وحالت بينه وبين تلك الأمنية، وكان يعترض عليه بأنّه لشدة الاستعجال في التصنيف وحبّ كثرة المصنّفات كانت مصنّفاته خالية من التحقيق غير مهذّبة ولا محرّرة منقّحة، وهو كذلك...»[1].

ويذكر صاحب الروضات قائلاً: «وعندنا أيضاً رسالة كتبها بأمر والده الصالح في المسائل الضروريّة التي لا غنى عنها في مرحلتي الأصول والفروع، يقول في أوّلها بعد الحمد والصلاة: فيقول خادم المحدّثين وتراب أقدام العلماء الأخباريّين... وله أيضاً أشعار في ذمّ علم الأصول

---

(١) لؤلؤة البحرين: ٩٦.

والاجتهاد وقدح المجتهدين ومدح الأخباريّين تدلّ كلّها على غاية تصلبه في المسلك الأخباريّ ومعاداته للمجتهدين.»[١]

وقد هاجر الشيخ عبدالله بعد استيلاء الخوارج على البحرين (١١٣٠) حيث غادر معظم علماء هذا البلد وطنهم، من تلك المدينة وأقام في مدينة بهبهان. وتوفّي أخيراً في هذه المدينة سنة ١١٣٥.

ومن مشاهير العلماء الأخباريّين الآخرين، المحدّث الفقيه الشيخ يوسف البحرانيّ مؤلّف الكتاب المعروف الحدائق والذي ذكرنا كتابه مراراً فيما سبق. ورغم أنّه كان على المسلك الأخباريّ واعتبر في عداد رؤساء الأخباريّين، ولكنّه وكما سنذكر في قسم «معاصرو السيّد الوحيد»، كان أكثر العلماء الأخباريّين اعتدالاً وكان يميل إلى المجتهدين بشكل ملفت للنظر ويتبرّأ بنفس المقدار من الأخباريّين وخاصّة بعض علمائهم المتطرّفين، كما أشرنا إلى ذلك في الصفحات السابقة وكما سنذكر تفصيل ذلك في ترجمته.

وهناك أيضاً محمّد بن عبد النبيّ النيسابوريّ المعروف بـ«الميرزا محمّد الأخباريّ». وكان رجلاً لبق اللسان وجدلياً ومتطرّفاً ولم يكن يألو جهداً في معاداة الفقهاء والمجتهدين وذمّهم وتوجيه التهم والافتراءات إليهم، بحيث إنه كان يفتخر بذلك. وقد جاء في الروضات: «وقد كتب في بداية ملحقات رجاله في باب» المحمّدون«حيث يذكر محمّد أمين

---

(١) روضات الجنّات ٤: ٢٥٠.

الأسترآباديّ قائلاً: وكان محمّد أمين الأسترآباديّ أوّل من جرى لسانه بذم وملامة المجتهدين وقد تطق بكلام حسن ومستدل.» !![1]

و من بعده فقد اعترض عليهم المحدّث الكاشانيّ (الملا محسن الفيض) فى كتاب سفينة النجاة باختصار، حيث لم يشف غليل يوسف المريض (الأخباريّ). وقدها جم المحدّث العامليّ صاحب الوسائل المجتهدين بحيث لم يطفىء ضمأ الأخباريّين وذلك فى كتاب فوائد الطوسيّة، ثمّ استخدمها الشيخ الحسين بن شهاب الدين العامليّ فى هداية الأبرار وقد تبعه الشيخ أبوالحسن الغرويّ وأكمل ذمّه للمجتهدين. ومن بعده ذمّ مولانا رضيّ الدين القزوينىّ المجتهدين فى لسان الخواص بالدليل والبرهان وسابعهم أنا العبد الذليل.

وبشكل عامّ فإنّ النزاع بين الأصوليّين والأخباريّين نجم في الغالب عن هؤلاء الأشخاص الثلاثة: الملّا أمين الأسترآباديّ، الشيخ عبدالله بن الحاج صالح، الميرزا محمّد الأخباريّ، ولذلك فإنّ ما ألّفه معظم المجتهدين في الردّ على الأخباريّين كان أغلبه في الردّ والإجابة على هؤلاء الأشخاص الثلاثة.

وكما سنذكر بالتفصيل، فإنّ الأخباريّين كانوا قد بلغوا ذروة قوّتهم في عصر الوحيد. وكانت العتبات المقدّسة وخاصّة كربلاء تحفل بالأخباريّين، وكان علماؤهم مراجع للخواص والعوام على عكس

---

(١) روضات الجنّات ٤: ١٣٨.

المجتهدين الذين كانوا قد فقدوا هيبتهم، وكانوا لايتمتّعون بقيمة لدى العوام، ولكن ومع ظهور الوحيد البهبهانيّ في كربلاء، فقد تشتّت جمعهم وانهار صرحهم على إثر صموده وكفاحه. وخاصّة بعد وفاة الشيخ يوسف البحرانيّ صاحب الحدائق، حيث استقلّ الوحيد، وزالت قيمة الأخباريّين بشكل كامل وهدأ الضجيج!

وبعد وفاة الوحيد بذل الميرزا محمّد المذكور كلّ جهده من أجل أن يعيد للأخباريّين انتشارهم ويفرض على الناس بضاعتهم الفكريّة الجامدة في سوق المنطق والاستدلال، ولكنّ جهوده لم تتمخّض عن أيّة نتيجة. بحيث إنّه هو نفسه انتهى به الأمر إلى التشرّد والتشتّت في الآفاق وقتل أخيراً وبمقتله تمّ القضاء على ما تبقّى من فلول الأخباريّين. ومن أجل المزيد من الاطّلاع فليراجع القرّاء ترجمة الشيخ جعفر كاشف الغطاء في هذا الكتاب.

ولم يظهر بعد الميرزا محمّد عالم معتبر بين الأخباريّين على إثر تأسيس مذهب الاجتهاد من قبل الوحيد البهبهانيّ وبسبب وجود التلامذة الذين كانوا قد تخرّجوا على يديه، ولم يبرز من بين الأخباريّين عالم معتدبه بعد ذلك وكان الشيخ أحمد الأحسائيّ الأخباريّ الوحيد الذي كان يتمتع بشهرة، حيث أسّس مدرسة أخرى في العالم الإسلاميّ باسم «الشيخيّة» بدلاً من أن يعزّز دعائم المسلك الأخباريّ وبذلك فقد «زاد في الطنبور نغمة» كما يقال، وغطّى على تيّار الأخباريّين بحيث

نسي هذا التيار تماماً!!

بحيث لم يتبقّ حتّى اليوم لهم أي عالم معروف وحسب، بل أصبح عدد أتباعهم بعددالأصابع، ورغم أنهم امتزجوا مع الشيخيّة إلّا أن الضربة التي تلقّوها من مدرسة الوحيد وتلامذته كانت من القوة بمكان بحيث لم تقم لهم قائمّة إلى اليوم!

كان هذا خلاصة للمواضيع التي رأينا أن من الضروريّ ذكرها في هذا الكتاب، وسنتطرّق من الآن فصاعداً إلى أصل الموضوع بعد أن اطّلع القرّاء الكرام على المواضيع السابقة، أي الترجمة لأستاذ الكلّ، علّامة العلماء الآقا محمّد باقر بن محمّد أكمل الأصفهانيّ المعروف بـ «الوحيد البهبهانيّ» ــ عطّر الله مرقده وجعل الجنّة مثواه ــ والحمد لله ربّ العالمين وصلّ الله على محمّد وآله الطاهرين.

حياة أستاذ الكلّ: الآقا الوحيد البهبهانيّ

العلّامة المجلسيّ (الأوّل)

هو الملّا محمّد تقي بن الملا علي الأصفهانيّ المعروف بالعلّامة المجلسيّ الأوّل، والد العلّامة المجلسيّ الثاني صاحب بحار الأنوار وجدّ علّامة العلماء أستاذ الكلّ الوحيد البهبهانيّ من أمه، والذي كان من أعاظم مشاهير علماء الشيعة في العهد الصفويّ، والرجل الكبير الذي ازدهر بهمّته وجهوده المذهب الشيعيّ أيّما ازدهار ونهل الشيعة ومحبّو مولى المتّقين من بركة وجوده كلّ النهل.

يقول صاحب أمل الآمل: «مولانا الأجل محمّد تقي المجلسيّ. كان فاضلاً عالماً محقّقاً متبحراً زاهداً عابداً ثقة متكلماً فقيهاً.»[1].

وذكر صاحب حدائق المقرّبين المير محمّد صالح الخاتون آباديّ الذي كان صهر العلّامة المجلسيّ الثاني في كتابه نقلاً عن فوائد الرضويّة: «كان الملا محمّد تقي تلميذ الملا عبدالله التستريّ والشيخ بهاء الدين (العامليّ) رحمهما الله. وكان يفوق أهل دهره في علم الفقه

---

(١) أمل الآمل ٢: ٢٥٢.

والتفسير وتالي تلو أستاذه الملا عبدالله في الزهد والتقوى والعبادة والورع وترك الدنيا، وكان دائم الانشغال في أيام حياته بالرياضات والمجاهدات وتهذيب الأخلاق والعبادات وترويج الأحاديث والسعي في حوائج المؤمنين وهداية الخلق، وانتشرت أحاديث أهل البيت عليهم السلام بيمن همت، واهتدى خلق كثيرون بنور هدايته.»[١].

وجاء في فوائد الرضويّة أيضاً أن المجلسيّ قال في شرح الفقيه في باب صلاة الميّت (مامضمونه):«... والحمد لله رب العالمين فقد كنت أعرف كل ذلك وأنا في الرابعة من عمريّ، أي كنت أعرف الله والصلاة والجنة والنار، وكنت أقيم صلاة الليل في مسجد الصفا وصلاة الصبح جماعة، وكنت أنصح الأطفال بالآية والحديث، بتعليم والدي رحمه الله.»[٢]

وكتب العلّامة الجليل الآقا أحمد بن الآقا محمّد علي حفيد الآقا الوحيد البهبهانيّ، في الكتاب النفيس مرآة الأحوال جهان نما مجملاً عن تراجم كبار أسرته ومنهم جدّه من أمّه الملا محمّد تقي المجلسيّ، حيث ذكر قائلاً: «كانوا المروّجين للدين والمشيّدين لشريعة سيّد المرسلين أباً عن جد. ويتّضح من إجازاته أنّ أمه العالمة الصالحة ابنة الملا درويش محمّد الأصفهانيّ الفاضل العامل والمقدّس الكامل من تلامذة الشهيد الثاني، ووالد درويش محمّد، المجتهد الكامل الأوحديّ الشيخ الحسن

---

(١) الفوائد الرضوية ٢: ٤٣٩.

(٢) المصدر: ٤٤٠.

العامليّ، ووالده الملّا مقصود علي[١] وكان عارفاً صاحب كمال ومقدّساً حسن المقال». وكان يجيد نظم الشعر ويتخلّص بـ «المجلسيّ»، ولذلك عرفت سلالته بلقب «المجلسيّ».

كان الملا محمّد تقي تلميذ الشيخ البهائيّ والملا عبدالله التستريّ وغيرهما... وقد سعى في اكتساب الأخلاق والتهذيب الباطني إلى درجة بحيث اتّهم بالتصوّف. كما كان له ثلاثة أبناء على ماقال الآقا أحمد. وكان ابنه الأكبر العالم الفاضل الملا عزيز الله والأوسط الملا عبدالله والأصغر الملا محمّد باقر «المجلسيّ الثاني» كما كان له أربع بنات الأولى آمنة بيگم زوجة الملا صالح المازندرانيّ شارح المعالم وأصول الكافي (هذه السيّدة جدّة الوحيد)، الثانية زوجة العلّامة الفاضل الملا محمّد علي الأسترآباديّ، الثالثة زوجة المحقّق المدقّق الملا ميرزا الشيروانيّ، والرابعة زوجة الميرزا كمال الدين محمّد الفسائيّ شارح الشافية[٢]

وقد كان أولاد المجلسيّ الأوّل من أبناء وبنات علماء ورعين ومخلصين. وأحفاده من أبناء وبنات كانوا حتّى عصرنا في عداد أشهر علماء الشيعة على الدوام، ولو لم يكن من بينهم سوى العلّامة المجلسيّ الثاني وأستاذ الكلّ الوحيد البهبهانيّ، العلّامة بحرالعلوم، وصاحب

---

(١) كان اسم والد المجلسي الأوّل في الدراسة التي قمنا بها، الملّا علي لا مقصود علي.

(٢) مرآة الأحوال جهان نما، تحقيق علي دوانيّ: ٦٨.

الرياض وغيرهم، لكان ذلك كافياً للتعرف على بركة ذرية المجلسيّ الأوّل وغزارة النفع والنيّة الخالصة وإيمانه الكامل.

واليوم حيث نقدّم هذا الكتاب وتمرّ ثلاثمائة سنة على وفاة الملا محمّد تقي المجلسيّ، فإنّ زعيم ملايين الشيعة في العالم سماحة آية الله العظمى السيّد البروجردي أدام الله بركات وجوده هو من أسباط العلّامة المجلسيّ الأوّل أيضاً، حيث يتولّى مرجعيّة عالم التشيّع[1].

التحق المجلسيّ بالرفيق الأعلى سنة ١٠٧٠ في سن السابعة والستين، وهذا الشطر من الشعر يمثّل مادة تاريخ وفاته:

«أفسر شرع أوفتاد وبي سر وپا گشت فضل»، ومعكوس هذا البيت، هو تاريخ وفاة الشيخ البهائيّ! ومن التأليفات المهمّة للمرحوم المجلسيّ الأوّل شرح من لايحضره الفقيه بالعربيّة والفارسيّة، شرح التهذيب، شرح الزيارة الجامعة، حاشية على أصول الكافي وشرح الصحيفة الكاملة.

العلّامة المجلسيّ (الثاني)

اسمه المبارك هو محمّد باقر الملقّب بـ «العلّامة المجلسيّ». ورغم أن

---

(١) انظر: كتاب ترجمة حياة آية الله البروجردي حيث عرض هذا المرجع الفقيد شرحاً عن حياته بناء على إصرار الكاتب فيما يتعلق بتأليف كتاب الوحيد البهبهانيّ، وقمت أنا بتفصيله ونشرته في أربعينية ذلك المرحوم، وتم أخيراً تجديد طبعته الرابعة على شكل المجلد الثاني عشر من مفاخر الإسلام.

والده الفاضل يلقّب بـ «المجلسيّ» أيضاً، لكنّ العلّامة المجلسيّ المطلق هو الملا محمّد باقر، ولذلك يسمّى الأب والابن المجلسيّ الأوّل والمجلسيّ الثاني على التوالي تمييزاً لهما عن بعضهما البعض. وقد دار الكثير من الكلام عن المكانة الشامخة للعلّامة المجلسيّ والبركات التي كانت من نصيب المذهب الشيعيّ من ناحيته بحيث إننا ذكرنا شيئاً عن حياة والده العلّامة الملا محمّد تقي، وذكرنا خلاصة عن فضل ابنه العظيم الشأن وأحلنا تفصيل ذلك إلى الكتب المفصّلة.

وقد أشاد المحقّق الكبير الحاج محمّد الأردبيليّ الذي كان بدوره من تلامذة العلّامة المجلسيّ بأستاذه في كتابه النفيس جامع الرواة قائلاً: «محمّد باقر بن محمّد تقي بن مقصود علي الملقب بالمجلسيّ مدّ ظلّه العالي أستاذنا وشيخنا وشيخ الإسلام والمسلمين خاتم المجتهدين الإمام العلّامة المحقّق المدقّق جليل القدر عظيم الشأن رفيع المنزلة وحيد عصره فريد دهره ثقة كريم كثير العلم جيد التصانيف وأمره في علو قدره وعظم شأنه وسمّو رتبته وتبحره في العلوم العقليّة والنقليّة ودقة نظره وإصابة رأيه وثقته وأمانته وعدالته أشهر من أن يذكر وفوق ما تحوم حوله العبارة وبلغ فيضه وفيض والده رحمه الله تعالى ديناً ودنياً بأكثر الناس من العوام والخواص جزاه الله تعالى أفضل جزاء المحسنين.»[1].

---

(١) جامع الرواة ٢: ٧٨.

كما كتب المحدّث الخبير الشيخ الحرّ العامليّ الذي كان معاصراً له في أمل الآمل عن حياته قائلاً: «مولانا الجليل محمّد باقر بن محمّد تقي المجلسيّ، العالم الفاضل الماهر، المحقّق المدقّق، العلّامة الفهّامة، الفقيه المتكلّم، المحدّث الفقيه، جامع المحاسن والفضائل، جليل القدر عظيم الشأن أطال الله بقاه... (طبع هذا الكتاب مؤخّراً من جديد في مائة وعشر مجلّدات ونشر منه لحدّ الآن عشرة مجلّدات).....»[1].

ومن المؤلّفات المعروفة الأخرى للمرحوم المجلسيّ حقّ اليقين وزاد المعاد وشرح الأربعين وغيرها وتبلغ مائة مجلّد من الكتب، وإذا ما طبعت المجلّدات المائة هذه على الرصاص وبالقطع الوزيريّ في أربعمائة صفحة فمن الممكن أن يبلغ عدد المجلّدات إلى حوالي خمسمائة مجلّد وإذا ما قارنّا كلّ هذه المؤلّفات مع مدّة عمره التي كانت ثلاثاً وسبعين سنة والمسؤوليات التي كان يتولّاها من حيث إنه كان يتولى منصب شيخ الإسلام والمرجعيّة، فسنرى حينئذ أن العلّامة المجلسيّ كان حقّاً مؤيّداً وموفّقاً بكلّ المعنى من جانب الله ولذلك فإنّه لا نظير له بين علماء الشيعة من هذه الناحية.

كتب الآقا أحمد في مرآة الأحوال قائلاً: «إن أردت أن أشرح ذرّة من شمس مكرمة زبدة الآفاق هذا وفضيلته وجامعيّته وحالاته وكراماته ومجاهداته وضبط أوقاته وطور معاشه ومكارم أخلاقه، فسيكون ذلك

---

(١) طبعت ونشرت دورة البحار فيما بعد في ١١٠ مجلدات.

كتاباً مبسوطاً، ولكان علينا أن نشير إلى مختصر من أحواله في الكثير من المطوّلات!

وقد سمعت من بعض الثقاة أنّ الآخوند الملّا محمّد تقي نقل قائلاً: رأيتُ في ليلة من الليالي بعد الصلاة والتهجّد والبكاء والتضرّع عند (الله) القادر المطلق، رأيت نفسيّ في حالة أدركت فيها أن الله الواحد الأحد سيستجيب دعائي بعنايته مهماً سألته، وكنت أفكر فيما أطلبه من الله. هل هو من الأمور الدنيويّة أم الأمور الأخرويّة! وإذا بصوت بكاء محمّد باقر يرتفع من مهده. فقلت في نفسيّ: اللهم بحقّ محمّد وآل محمّد صلوات الله عليهم أجمعين إجعل هذا الطفل مروّجاً للدين وناشراً لأحكام سيّد المرسلين ووفّقه لتوفيقاتك التي لا تحصى».

ثمّ يقول الآقا أحمد: «ومن اليقين أنّ خوارق العادات هذه التي ظهرت من هذا العالم الجليل ليست إلّا بفضل دعاء هذا العالم الفاضل. ذلك لأنه كان منصوباً بوصفه شيخ الإسلام في بلد مثل أصفهان من قبل السلاطين، وكان يتابع كلّ مرافعات الناس ودعاواهم بنفسه النفيسة ولاتفوته الصلاة على الأموات والجماعات والضيافات والعبادات!!

وكانت تحدوه إلى التدريس رغبة كبيرة وشوق شديد وتخرّج من مجلسه خلق كثير. وقد جاء في الرياض أن عددهم بلغ ألف شخص. وقد زار كراراً بيت الله الحرام وأئمّة العراق عليهم السلام وكان يلتفت إلى أمور معاشه وكانت حوائج دنياه في غاية الانضباط! ومع ذلك، فقد بلغ ما بلغ

من درجات رفيعة في نشر الدين حتّى إن عبد العزيز الدهلويّ الذي كان من جملة معاصريه ومن أهل السنّة والجماعة قال في التحفة الاثني عشرية التي كان قد كتبها في تلك الفترة في إبطال المذهب الشيعيّ: لو سمّي دين الشيعة بدين المجلسيّ لجاز ذلك، لأنه نشر هذا المذهب وأرسى دعائمه!! ولم تكن له مثل هذه العظمة قبل ذلك.

ويقول المحدّث القمّيّ في فوائد الرضويّة: «نقل عن العلّامة بحرالعلوم أنّه كان يتمنى أن تدرج كل مصنفاته في ديوان عمل العلّامة المجلسيّ وأن يدرج بدلاً منها أحد كتبه الفارسيّة الذي هو ترجمة نصوص الأخبار والذي شاع في جميع الأقطار، في ديوان عمله.»[1].

كما ذكر الآقا أحمد في مرآة الأحوال قائلاً: «لقد وافقت اطباع مصنّفات سماحته الأطباع وبلغت درجة الاشتهار بحيث أنه سوف لايكون من بلاد الكفر والإسلام مكاناً يخلو منها. وقد سمعتُ من جماعة من الثقاة أنّ سفينة تعرّضت لعاصفة في زمن من الأزمان ونزل راكبو السفينة بعد محنة ومعاناة كثيرة في جزيرة لم يكن فيها أثر من الإسلام أصلاً، ثمّ استضافهم أحد الأشخاص. وتبيّن عند الحديث معه أنّ ذلك الشخص مسلم. فقالوا له: رغم أنّ هذه القرية هي دار الكفر ولا أثر للإسلام فيها ولم تذهب أنت أيضاً إلى مدينة مسلمة، فما الذي دفعك إلى الإسلام؟ فذهب ذلك الشخص إلى البيت وجاء بكتاب حقّ

---

(١) فوائد الرضوية ٢: ٤١٢.

اليقين للمرحوم المجلسيّ وقال: أنا وقبيلتي بلغنا درجة الإسلام بشرف وإرشاد هذا الكتاب!!»[١].

ويذكر المحدّث الخبير الحاج الميرزا حسين النوريّ ــ نوّر الله مضجعه ــ في الفيض القدسيّ في أحوال المجلسيّ الذي طبع ملحقاً بالمجلّد الأوّل من بحار الأنوار، ثمانية عشر شخصاً من أساتذته ومن جملتهم والده العلّامة، زوج أخته الملا صالح المازندرانيّ، الشيخ علي حفيد الشهيد الثاني، الملا محمّد طاهر القمّيّ، والملا محسن الفيض الكاشانيّ. كما يذكر تسعة وأربعين من تلامذته المعروفين ومنهم هؤلاء المشاهير: السيّد نعمة الله الجزائريّ، الميرزا عبدالله الأصفهانيّ، صاحب رياض العلماء، الحاج محمّد الأردبيليّ، الشيخ سليمان البحرانيّ، الميرزا محمّد صالح الخاتون آباديّ. وقد تبقّى من ذرية العلّامة المجلسيّ أربعة أبناء وخمس بنات وذكر أحوالهم بشكل مفصّل في مرآة الأحوال[٢].

وقد كانت الولادة السعيدة للعلّامة المجلسيّ سنة ١٠٣٧ والتي توافق عدد حروف الجمل لعبارة «جامع كتاب بحار الأنوار» وكان رحيله في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك ١١١٠ أو ١١١١ على قول البعض وهو غير صحيح. ويتضمن البيت التالي تاريخ ولادة هذا

---

(١) مرآة الأحوال، منقول باختصار: ٧٩- ٨٨.

(٢) خصّص المؤلف المجلد الثامن من مفاخر الإسلام لاستعراض حياة العلّامة المجلسيّ. راجع هذا الكتاب للاطّلاع الكامل على العلّامة المجلسيّ والرجال والنساء المعروفين من أسرته.

العالم الجليل ويوم وسنة وفاته.

(ماه رمضان) چو بيست وهفتش كم شد

(١٠٣٧)

تاريخ وفات باقر أعلم شد

(١١١٠)

إدوارد براون الإنجليزيّ وتجرّؤه على العلّامة المجلسيّ

لابدّ وأنّ القرّاء قد سمعوا باسم «إدوارد براون» ولو لمرّة واحدة. ويعتبر هذا الرجل من المستشرقين المعروفين، وقد أقام في إيران لفترة وكتب الكثير من الكتب والرسائل باللغتين الفارسيّة والإنجليزيّة حول أخلاق المسلمين وتقاليدهم وأطوار حياتهم وخاصّة الإيرانيّين، ولذلك فقد وجد الكثير من المؤيّدين بين الشريحة المتجدّدة.

وتعدّ رائعته تاريخ الأدب الإيرانيّ في أربعة مجلّدات ولتي ترجمت إلى الفارسيّة وقد تحدّث فيها عن كلّ الموضوعات ضمن حديثه عن الأدب الإيرانيّ وأراد في الحقيقة أن يُظهر للشعب الإيرانيّ فذلكته الفنّية.

وتختلف الآراء ووجهات النظر حول إدوارد براون وهدفه من كلّ تلك الجهود حول تاريخ إيران وأوضاعنا الدينيّة وأحوال شخصيّاتنا الوطنية والدينيّة. ويرى معظم المهتمّين بتاريخ إيران أنّه شخص نزيه ومحبّ لإيران!. ولعل مصدر هذا الرأي كتابات محمّد القزوينيّ، ذلك لأنّه كان يعتبر إدوارد براون سواء في حياته أو بعد موته أستاذه ويفتخر

بتتلمذه على يديه فأثرت كتاباته شئنا أم أبينا في الكثير من الناس وبالتالي فقد مالت مجموعة من الناس إليه دون التعمّق في كتاباته وتتبّعها، واعتبروه شخصاً أجنبياً ولكنّه يعشق إيران وحضارتها وثقافتها وكلّ شيء فيها.

واعتبر محمّد القزوينيّ في المقالة التي كتبها بمناسبة وفاة براون وطبعت في أوّل المجلّد الرابع من تاريخ الأدب الإيرانيّ لبراون ضمن المقالات العشرين، اعتبره رجلاً كريماً ومنزّهاً وكتب قائلاً: «أظنّ أنّ القليل من الإيرانيّين هم الذين لايعرفون الأستاذ براون، ذلك لأنّ خدماته لإيران لا تقتصر على الآثار الأدبيّة، بل قدّم خدمات جليلة في عالم السياسة أيضاً.

وأما عن خدماته الأدبية فإنّني أستطيع أن أقسم بكلّ جرأة بأنّه لا يوجد بين المستشرقين الأوروبيين والأميريكيين أحد بذل كلّ هذا الجهد في هذا الطريق... وخاصّة بالنسبة إلى الآداب والذوقيّات والقيم المعنويّة في إيران، أي أفكار الحكماء والشعراء والعرفاء وأرباب مذاهب هذا البلد حيث لا نجد أحداً أضمر كلّ هذا الحب الخالص والبريء من كلّ الشوائب والأغراض السياسيّة تلك المتعلّقة بالجاه والمال.»[1]

ونحن لا يعنينا ماذا كتب محمّد القزوينيّ ومصدر حبّه لإدوارد

---

(١) تاريخ الأدب الإيراني (بالفارسيّة) ٤: ١١٥.

براون، وعلى أيّ حال فقد كتب بعض الأمور على أسلوب السّلام العامّ وسعة الأفق الذي يمتلكه (وللأسف فإنّ هنالك الكثير ممن يحملون هذا النمط من التفكير) حول إدوارد براون وعبّاس أفنديّ والمسلك البهائيّ والمسالك الباطلة الأخرى التي أوجدتها أوهام البشر أو التي صنعتها أيدي الأجانب الخفية، وربّما أعجبت تلك الكتابات الكثير من الناس، ولكنّنا ننظر إلى الأوضاع من نافذة الدين الإسلاميّ الحنيف، ولايمكننا أن نكتب الحقائق بشكل مبهم ومغلق وبوجهين، بحيث تعجب مؤيّدي كلّ مسلك واتّجاه، ونرضيّ كلّ الناس حتّى أصحاب المذاهب الباطلة.

وعلى أيّ حال، فإنّ ما كتبه إدوارد براون في مقدّمة نقطة الكاف وبعض المواضع من تاريخ الأدب الإيرانيّ، يوقع الناقدين المنصفين في الشك بحيث لا يمكنهم أن لايعتبروا خدماته لإيران وللإيرانيّين علّامة على صدقه وكونه غير مغرض، وذلك بفضل معرفته بطبيعة الإيرانيّين الأخلاقية، وأن يعتبروه خالصاً ومنزّهاً من كلّ أغراض سياسيّة. خاصّة أنّه شخص إنجليزيّ محنّك ومستشرق! بحيث إنّ قسم شؤون الشرق في وزارة الخارجية البريطانية لم تغفل أبداً ما يمكن أن يؤديه من دور! ولأنّ لنا نحن الإيرانيّين ذكريات سيّئة عن مؤامرات الأجانب وخاصّة العرق الإنجليزيّ وبالأخص مستشر قيهم، فإننا لا يمكن أن نأخذ أبداً برأي محمّد القزوينيّ حول إدوارد براون.

وما دفعنا إلى أن نفصّل القول في هذا الخصوص، إحدى حالات

انحيازه وسوء نظره في تاريخ الأدب الإيرانيّ. حيث كتب إدوارد براون في ذلك الكتاب تحت عنوان «غلبة الملالي الذين كان الملا محمّد باقر المجلسيّ الشخص الأكمل بينهم» قائلاً: «كانت هنالك في عهد الملا حسين (الشاه سلطان حسين الصفويّ) آخر الملوك الصفويّين والذي كان رجلاً ساذجاً ومسكيناً، طبقة أخرى نشأت ونمت فضلاً عن حاشية القصر. ولم يكن نفوذ هذه الطبقة يعود بالنفع الكبير على العالم المعنويّ، أو المصالح الوطنية. وكانت هذه الطبقة عبارة عن علماء الدين الكبار الذين كان يتزعمهم ويتفوّق عليهم الملا محمّد باقر المجلسيّ قاتل الصوفيّة والكفّار والذي يتعبر رجلاً مخيفاً ومرعباً ويقول مريدوه والمؤمنون به إنّ بعض الحوادث والاضطرابات وقعت لفترة بعد وفاته بقليل حيث بلغت ذروتها وشدّتها عام ١٧٢٢م ــ المراد من ذلك هجوم الأفغان وسقوط أصفهان ــ، وهم يعربون عن أن فقدان مثل هذا الشخص الكبير عرّض إيران للمخاطر، ولكنّ الّذين يتمتّعون بالقدرة على التّحقيق والنقد سيعتبرون تلك الأحداث على علاقة إلى حدّ ما بتشدّداته وقمعه للحريات هو وزملائه.»[1]

وكما هو ملاحظ فإنّ هذا الشخص يوحي للإيرانيّين أوّلاً بأنّ نفوذ وسلطة طبقة كبار العلماء لايعودان بالنفع الكبير على المصالح المعنويّة والوطنيّة وبناء على هذا فمن الواجب تنفيذ أطروحة (الفصل بين الدين

---

(١) تاريخ الأدب الإيراني (بالفارسيّة) ٤: ١١٥.

والسياسة)، ثمّ إنه صوّر ــ ثانياً ــ العلّامة المجلسيّ الذي كان يعارض الصوفيّة والكفّار والنصارى وأبناء دين إدوارد براون، والذين كانوا قد نفذوا في ذلك العصر داخل إيران وبالحيل الخفية باسم التجّار والسفراء والمستشرقين وغيرهم، نقول إنّه صوّره على أنه شخص مهيب ومرعب، وألقى أخيراً بدهائه ذنب الملك الصفويّ العديم الإرادة على العلّامة المجلسيّ وأبناء مذهبه أي كبار علماء الشيعة وبذلك فقد تسبّب من خلال مخطّط وضعه بمهارة في نفور الإيرانيّين السذّج من الدين ورجال الدين وأمر بشكل غير مباشر بأن لايسمحون لتنفيذ أوامر علماء الدين وإطاعتهم وأن لايعيرون أيّة أهمّيّة لهم على الإطلاق!

وذكر في موضع آخر تحت عنوان «خدمات المجلسيّين» المجلسيّ وأراد الأشادة به ــ على حدّ زعمه ــ، ولكنّ الّذين يتمتّعون بحس نقدي وتحقيقي، يمكنهم من خلال مواضيع ذلك الكتاب أن يدركوا جيّداً عداءه لعلماء الدين وخاصّة العلّامة المجلسيّ بشخصه. وما أدى إلى تطاول إدوارد براون على ساحة العلّامة المجلسيّ المقدّسة هو أنّ العالم الجليل الشيخ يوسف البحرانيّ كتب في لؤلؤة البحرين خلال توسّعه في وصف العلّامة المجلسيّ، قائلاً:«وبسط يد الجود والكرم، لكل من قصد وأم، وقد كانت مملكة الشاه سلطان حسين ـ لمزيد خموله وقلة تدبيره للملك ـ محروسة بوجود الشريف المذكور، فلمّا مات انتقضت أطرافها، وبدأ اعتسافها، وأخذت في تلك السنة من يده بلدة قندهار،

ولم يزل الخراب يستولي عليها حتى ذهبت من يده.»[١].

وإذا ما جلنا النظر مرّة أخرى في هذا القسم الذي نقله صاحب لؤلؤة البحرين ثمّ نضمّ إليه ما كتبه إدوارد براون نفسه في الصفحة ١١٠ حول الشاه سلطان حسين حيث يقول: «لقد كان يبدو هذا الملك وكأنه من طلّاب علوم الدين وكان ملمّاً بالفقه وكان متأثراً إلى حدّ كبير بنفوذ الملالي وكان يبذل كلّ جهده في أداء الشعائر الدينيّة وتلاوة القرآن بحيث لقّب بلقب «الملّا»، ورغم أنه كان في البدء يبذل كلّ ما في وسعه من أجل النهي عن المنكرات، إلّا أنه لوّث فيما بعد شفتيّه بشرب الخمرة المحظورة على إثر إصرار الجدّة وإبرام الندماء المعاقرين للخمرة ورجال القصر المتعطّشين للجاه وأثّر فيه تدريجياً إلى درجة بحيث لم يعد يلتزم بمقتضيات الأمر وكان يوكل كلّ الأعمال إلى ندمائه وغلمانه بحيث كان بإمكانهم إدارة شؤون المملكة كما يشاؤون، وكانوا يتصرّفون بدورهم بكلّ تعسّف وعناد...»[٢]

وسنرى أن إيران كانت حقّاً محروسة في زمان حياة العلّامة المجلسيّ رغم قلّة تدبير ملكها وأنّها آلت إلى الدمار والسقوط بموته؛ أوّلاً لأنّ وفاة المجلسيّ كانت ــ كما قلنا ــ سنة ١١١٠ وكان سقوط أصفهان عام ١١٣٥، أي بعد خمسة وعشرين عاماً من رحيل العلّامة المجلسيّ! في

---

(١) لؤلؤة البحرين: ٥٥.

(٢) تاريخ الأدب الإيراني ٤: ١١٠.

حين أنّ الشاه سلطان حسين الذي تولّى الحكم في ١١٠٦ لم يعاصر المجلسيّ إلّا أربع سنين!!

ثانياً، كان الشاه سلطان حسين يبذل كلّ جهده فى البداية من أجل النهي عن المنكرات على حدّ قول براون وكان يبذل سعياً بليغاً في أداء الشعائر الدينيّة وتلاوة القرآن، ولكنّه أدمن فيما بعد حياة المجون والترف ومعاقرة الخمر على إثر إصرار جدّته (زوجة الشاه عبّاس الثاني) والندماء المعاقرين للخمرة!! ورجال الحاشية (و وزرائه الخونة).

ويظهر من هنا بوضوح أنّ الشاه سلطان حسين غيّر اتّجاهه بعد وفاة المجلسيّ ولم يعدّ يتمتّع بالقدرة على تدبير المملكة وتمشية سياساتها والقدرة على تحمّل ذلك وحسب، بل إنّه نبذ جانباً ذلك الطابع الدينيّ وإظهار القدسيّة، وخلال هذه المدّة حيث مرّت على وفاة العلّامة المجلسيّ خمس وعشرون سنة، كان الندماء المعاقرون للخمرة والوزراء الخونة ورجال الحاشية قد أحاطوا بالملك بشكل بحيث انتهى كلّ ذلك بسقوط العاصمة وزوال السلالة الصفويّة.

ولكنّ إدوارد براون البريطانيّ ألقى مسؤولية ذلك بشكل عمدي على عاتق العلّامة المجلسيّ الذي كان منشغلاً بأعماله ولم يكن له أيّ اتصال بالملك في شؤوون المملكة وبذلك فإنّه يحذّر الإيرانيّين من تنامي العلماء ورجال الدين! ونحن لا نعلم لماذا لا يقدّم هذه النصيحة إلى الشعوب الأوروبية بأن سلطة ونفوذ البابا والكاردينالات والقساوسة ليسا

من صالح الشعب والبلد؟! فنحن نقرأ في تاريخ الدولة الصفويّة أنّ العلماء كانوا مرتبطين بالملوك في الغالب في عهد الشاه إسماعيل والشاه طهماسب والشاه عبّاس الأوّل، بحيث كانت مجالس الصدرالأعظم وكبار علماء الدين والشاه حافلة بالفقهاء والمجتهدين من قبيل المحقّق الأوّل في عهد الشاه طهماسب والمير رفيع الدين الطباطبائيّ وسلطان العلماء الأصفهانيّ والشيخ بهاء الدين العامليّ في عهد الشاه عباس والعشرات من الأشخاص الآخرين الذين كانوا من أمثال رجال الدين الكبار هؤلاء.

والملاحظة الملفتة للنظر أنّ اقتدار العلماء ونفوذهم في تلك العهود لم يؤديا إلى سقوط البلد وضعف الملوك وحسب بل إن العهود الذهبية للدولة الصفويّة كانت في تلك الفترة. وقد حدثت فتوح الملوك وتدبيرهم وقدرتهم على سياسة الأمور وعمران إيران في العهد الصفوي، أي في عهد هؤلاء الملوك الثلاثة، ولكنّنا لا نجد عالماً كبيراً كالشيخ البهائيّ في عهد الشاه سلطان حسين من بين كافّة وزرائه. وقد كان البْاه سلطان حسين رجلاً سخيفاً وغير كفوء بالفطرة، بحيث إن صاحب لؤلؤة البحرين الذي كان من مفاخر العلماءومعاصراً له ذمّه ووصفه بقلّة التدبيروالضعف الكبير.

ويمكننا أن ندرك بوضوح مما أوردناه ومما سنورده فيما يلي سبوء نظر إدوارد براون البريطانيّ بما يتعلّق بنفوذ علماء إيران واقتدارهم حيث كانوا بمثابة السدّ أمام أهداف الإنجليز السياسيّة ومصالحهم، وأن نكتشف

أسباب سخطه على العلماء والذي عبّر عنه في مواضع كثيرة من مؤلّفاته.

ومن جملة ذلك القسم الملفت للنظر في المجلّد الرابع من تاريخ الأدب الإيرانيّ في الترجمة للشاه عبّاس الثاني حيث كتب قائلاً: «كان الشاه عبّاس الثاني يتمتّع بروح نجيبة وكبيرة. وكان رحيماً بالأجانب ويدعم العيسويين بشكل علنيّ! ولم يكن يسمح أبداً بأن توجّه إليهم ضربة من الناحية الدينيّة، وكان يقول: لا أحد سوى الله يمتلك ضميرهم وعقيدتهم. وأنا لا أحكم سوى أجسامهم وظاهرهم وكلّ الرعايا هم أهل البلد بالتساوي، مهماً كان دينهم. ويتوجّب على الشاه أن يمتّعهم كلّهم دون أي تمييز بعدله وقسطه.»[1].

وكما يلاحظ القاريّء العزيز، فإن إدوارد براون يمجّد بالشاه عبّاس ويشيد به إلى هذه الدرجة لأنّه كان قد أتاح الحريّة الكاملة للأجانب والعيسويين واعتبرهم متساوين مع الإيرانيّين، ويعتبره صاحب روح نجيبة وكبيرة! ولكنّ العلّامة المجلسيّ الذي يعتبر أحد أشهر علماء الشيعة، يصفه براون بأنّه رجل مهيب ومرعب بتهمة أنّه كان قاتل الصوفيّة والكفّار (أي العيسويين) ولم يكن يسمح لهم بهدم الدين وإضعاف المسلمين !! ويرى أنّ سقوط مملكة إيران الذي حدث بعد خمسة وعشرين عاماً من وفاته ولا علاقة له به، هو تشددّه ومحاربته هو والعلماء من أمثاله للحريات !!

---

(١)تاريخ الأدب الإيراني ٤: ١٠٨.

في حين أننا نرى أن إيران أخذت بالتراجع منذ ذلك اليوم وأصبحت مهداً لتربية الرجال غير الكفوئين والخونة والمترفين وتدنّت أوضاعها بحيث إنّ الشاه عبّاس الأوّل والشاه عباس الثاني خالفا أمر القرآن الذي يقول ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء**...﴾[1] وسمحا لمسيحيّي منطقه جلفا وعيسويي أوروبا بأن يعيشوا في مملكة الإسلام بكلّ راحة وعزّة، بل وأن يتمتّعوا في بعض الحالات بحريّة أكبر من الإيرانيّين أنفسهم، حتّى تسلل تدريجياً سفراء أوروبا وتجارها ومستشرقوها العيسويون داخل إيران كالسرطان، وعمدوا في ظلّ عدل ملك الإسلام! إلى التجسّس وإضعاف معنويّات الإيرانيّين حتّى بلغ الأمر حدّاً بحيث أنّ إيران أصبحت متخلفة بعد العظمة التي كانت تتمتّع بها في العهد الصفويّ، ولكنّ بريطانيا كانت تمتلك رقاب الجميع...[2] كما قال الشاعر:

---

(١) المائدة: ٥١.

(٢) يعلم القرّاء أنّ الحديث حول سوء نيّة إدوارد براون بشأن العلّامة المجلسيّ قد دار في الطبعة الأولى من الكتاب عام ١٣٣٧، وكانت هذه المرة الأولى التي يدور الحديث فيها في هذا المجال. وفي سنة ١٣٣٩ بسطنا هذا الموضوع في مقدمة المهدي الموعود عليه السلام وفي سنة ١٣٧٠ في كتاب العلّامة المجلسي عملاق العلم والدين وتحدثنا عن النوايا السيئة للمستشرقين الآخرين. وللأسف فإنّ بعضاً من حملة الأقلام العديمي التقوى أدرجوا في السنين اللاحقة هذا القسم بأسمائهم في مقالاتهم وكتبهم ولم يذكروا حق تقدّمنا!

«لقد فقد هذا الوطن الحافيّ القدمين رأسه حينما وضع الأجنبيّ العاري الرأس قدميه فيه»

آن روز باخت اين وطن پا برهنه سر كاين جا نهاد اجنبى سر برهنه پا

الملّا محمّد صالح المازندرانيّ

من كبار العلماء والمجتهدين المعروفين. من تصنيفاته بعض هذه الكتب المعروفة التي يدل كلّ منها على تحقيقاته وأستاذيته ومهارته في علوم الفقه والأصول والحديث، من أمثال شرح أصول الكافي الذي قيل إنّه أفضل الشروح، شرح من لا يحضره الفقيه، شرح معالم الأصول، حاشية شرح اللمعة للشهيد الثاني وشرح الوجيزة للشيخ البهائيّ. وقد كان الملا صالح من أفاضل تلامذة العلّامة المجلسيّ الأوّل.

كان والده يسمّى الملا أحمد وكان رجلاً في غاية الفقر والعوز. بحيث لم يكن بمقدوره تأمين حياة ابنه. ولذلك فقد قال لابنه صالح بما أنني عاجز عن تأمين نفقاتك، فعليك أن تعتمد على نفسك في ذلك. فقدم صالح إلى أصفهان وأقام في إحدى مدارس هذه المدينة. وكان للمدرسة وقف بحيث كان يقدّم لكلّ طالب مبلغ من المال حسب رتبته العلميّة.

ولأنّ صالحاً كان قد بدأ الدراسة حديثاً فقد كانت حصته طفيفة، أي كان يستلم «غازين» (عملة إيرانية قديمة) يومياً ولم يكن هذان الغازان يكفيان لقليل من نفقاته، ولذلك فقد كان يتحمّل الضنك من العيش، بحيث لم يكن بمقدوره شراء مصباح فكان يستخدم المصباح العامّ

للمدرسة، وأخيراً بلغ بفضل جهده وسعيه المتواصل ومثابرته الخارقة للعادة وشوقه العارم لاكتساب العلم والكمال درجة بحيث دخل الحلقة الدراسية للعلّامة المجلسيّ الأوّل، وحظّي باهتمام الأستاذ ورعايته خلال فترة قصيرة، وتفوّق على كلّ تلامذته. وكان المجلسيّ يتفقده دائماً ويحيطه برعايته ويعتمد عليه كلّ الاعتماد.

آمنة بيگم بنت العلّامة المجلسيّ

كتب الآقا أحمد في مرآة الأحوال قائلاً: «وفي تلك الأثناء وجد في نفسه الرغبة في التمتّع بالنساء (الزواج). وأدرك المجلسيّ هذا المعنى من أحواله. فقال له ذات يوم بعد الدرس إن سمحت لي فسأزوّجك امرأة؟

فأذن له بعد أن بدا عليه الحياء والتأمّل. فذهب المجلسيّ إلى بيته وطلب ابنته الفاضلة والمقدّسة التي بلغت الكمال في كلّ العلوم، وقال: بنيّتي! لقد اخترت لك زوجاً في غاية الفقر ومنتهى الفضل والصلاح والكمال، ولكنّ هذا الأمر رهن بموافقتك، فقالت تلك المقدّسة الصالحة: الفقر لا يعيب الرجال!، وقد أجرى العقد في ساعة السعد. وفي تلك الليلة أزاح العريس النقاب عن وجه العروس وبعد أن شاهد الجمال وحمد الله القادر المتعال توجّه إلى ركن من الغرفة، وانشغل بالمطالعة.

وصادف أن واجه ذات يوم مشكلة في غاية الصعوبة، ثمّ إنّ آمنة

بيگم اطّلعت عليه، وحينما خرج العريس من البيت في غد ذلك اليوم، كتبت آمنة بيگم المسألة بكلّ شرح وتفصيل ووضعتها في مكانها، ووقعت عينا الملا صالح أثناء المطالعة على ما كتبته زوجته، ورأى أنّ تلك العقدة المستعصية على الحل قد انحلّت بأنامل تلك الفاضلة!! فسجد سجدة الاحتّياج للخالق الغني الذي لايحتاج، وأدى سجدة الشكر وعكف على عبادة ذي الجلال حتّى الصبح واستغرقت مقدمات الزفاف ثلاثة أيّام.

وعندما علم المجلسيّ بالأمر قال: إن لم توافق هذه المرأة طبعك، أنكحك أمرأة أخرى! فقال الملا صالح: ليس الأمر كذلك، بل إنّ ذلك التأخيركان بسبب شكري لله الذي أنعم عليّ بمثل هذه النعمة التي أعجز عن أدائها مهماً فعلت، فقال العلّامة المجلسيّ: إن الإقرار بالعجز عن الشكر هو نهاية شكر العباد.»[1]

وقد كتب العالم الجليل السيّد محمّد حسن الزنوزيّ الذي كان من تلامذة الآقا الوحيد البهبهانيّ خلال الترجمة للمرحوم العلّامة المجلسيّ الأوّل قائلاً: «سمعت من الأستاذ الآقا محمّد باقر بن محمّد أكمل الأصفهانيّ أنّه قال: كانت آمنة بيگم ابنة المجلسيّ الأوّل، فتاة صالحة عابدة زاهدة عالمة عاملة ومجتهدة جامعة للشرائط! وقد ألّفت كتباً في غاية الجودة اعتباراً من الفقه وحتّى العبادات كما كانت هذه المخدّرة

---

(١) مرآة الأحوال جهان نما: ٩٩.

تساعد أخاها الملا محمّد باقر (المجلسيّ الثاني) في معظم تأليفاته.»[١].

كما جاء في الفيض القدسيّ عن رياض العلماء قوله: «كانت آمنة خاتون ابنة الملا محمّد تقي المجلسيّ فاضلة عالمة متّقية، زوجة الملا صالح المازندرانيّ. وقد سمعنا أن زوج هذه المخدّرة وعلى الرغم من كلّ فضله، كان يستعين بها في حل بعض عبارات كتاب قواعد العلّامة.»[٢]

عودة إلى الموضوع

وكتب في خاتمة مستدرك الوسائل قائلاً: «كان الملا صالح يقول: أنا حجّة على طلّاب العلوم الدينية من جانب الله، فلم يكن أحد أفقر مني وقد مر علي زمان لم أكن قادراً على شراء مصباح لنفسيّ فكنت أطالع على ضوء المصباح الذي كانوا يوقدونه في زاوية المدرسة. ولم يكن هنالك في الخواطر والأذهان أحد أسوء حالاً مني! بحيث إنّني عندما كنت أخرج من البيت كنت أتيه عن الطريق في العودة! كما كنت أنسى أسماء أولادي وحينما بدأت بتعلم الألفباء كان قد مضى من عمريّ ثلاثون سنة. ومع ذلك فقد بذلت من الجهد في تحصيل العلم حتى منّ

---

(١) طبع من رياض الجنّة (الباب الرابع منه) حتى الآن مجلدان. وإن ترجمة غالبية العلماء الذين ورد ذكرهم في هذا الكتاب وردت في المجلدات التي لم تطبع بعد.

(٢) الفيض القدسي، ملحق دورة بحار الأنوار ورياض العلماء ٥: ٤٩، العلّامة المجلسيّ ١٠٢: ١٢٤. وقد أخذت أكثر مواضيع الفيض القدسي من مرآة الأحوال.

لله الحمد على أنّني أنا أيضاً صهر هذه السيّدة الجليلة القدر بواسطة، وأولادي أسباطها ولله الحمد حمد الشاكرين.

علىً رب العالمين وأنعم علىً بما قسمه من الرزق.».

ثمّ يقول صاحب المستدرك: «وكان من جملة ما أنعم الله به عليه وعلى زوجته الفاضلة أولاد أنجاب، الكثير منهم علماء أبرار وصلحاء أخيار.»[١].

التحق الملا صالح بالرفيق الأعلى في سنة ١٠٨٠. وكما ذكر في مرآة الأحوال فقد بقي من الملا صالح ستة أبناء وبنت واحدة، وكانت ابنته زوجة أبي المعاليّ الكبير الجد الأعلى للعلّامة بحرالعلوم وصاحب الرياض وسنفصّل القول في ذلك في موضعه.

وأما أبناؤه فهم العلّامة الفاضل الآقا محمّد هادي صاحب شرح الكافي وشرح الكافية وترجمة القرآن الكريم. والثاني العلّامة الربّانيّ والفقيه الصمدانيّ الآقا نور الدين والثالث العارف الكامل الآقا محمّد سعيد الأشرف، والرابع الآقا حسن علي والذي كان هو أيضاً رجلاً فاضلاً وأديباً كاملاً. وقد سافر كلّ من هؤلاء الأخويّن إلى الهند وحظّيا بتكريم حكامها وأمرائها واحترامهم. والخامس، العالم الفقيه الآقا عبد الباقيّ، والسادس العالم المتّقي الآقا محمّد حسين[٢].

[واعتبر صاحب تاريخ التراجم الفارسيّة نقلاً عن سفينهٔ خوشگو، العلّامة الملا علي نقي المتخلص بـ «سابق» ابن الملا صالح المازندرانيّ،

---

(١) مستدرك الوسائل، الطبعة الحجرية ٣: ٣١٤.

(٢) مرآة الأحوال: ٩٥.

وشقيق الملا سعيد الأشرف الذي سيرد ذكره في الدفتر الرابع][1].

[ولم يذكر الميرزا حيدر علي المجلسيّ في كتاب أنساب خاندان مجلسيّ والذي ألّفه في سنة ١١٩٤، والآقا أحمد في مرآة الأحوال، سوى هؤلاء الأبناء الستة منّ الملا صالح. وقد عبروا عنهم بأنهم «بضعة ذكور»[2] و«بضعة أبناء». ولعل الملا صالح كان له ابن آخر يدعى علي نقي كان قد ذهب إلى الهند وكان شاعراً. واعتُبر كلّ من الميرزا حيدر علي والآقا محمّد، «الآقا علي نقي» حفيدي الآقا عبد الباقيّ وسبطي الآقا نور الدين أبني الملا صالح. ولعل الملا علي نقي هذا ابن شقيق الملا سعيد الأشرف أو ابن أخته، ولكنّهم لم يذكروا بأنّه ذهب إلى الهند وأنّه كان شاعراً.]

ويرتبط الوحيد بعلاقة قرابة بالملا صالح من جهة الآقا نور الدين، لأنّ الآقا نور الدين كان له ابن يدعى الآقا رحيم، وابنتان. وكانت البنت الكبرى زوجة العلّامة الفقيه الملا محمّد أكمل والذي هو والد محمّد باقر الوحيد البهبهانيّ، وكانت الابنة الثانية زوجة الميرزا محمّد تقي النجف آباديّ. وبناء على ذلك فإنّ الآقا نور الدين هو الجدّ الأوّل من جهة الأم للوحيد والملا صالح المازندرانيّ الجدّ الثاني والملا محمّد تقي المجلسيّ جده الثالث من الأم. كما أنّ العلّامة المجلسيّ الثاني خال

---

(١) تاريخ تذكره هاى فارسيّ ١: ٧١٣ وص ٧١٨.

(٢) أنساب خاندان مجلسي، ملحق القسم الأوّل من مرآة الأحوال: ٢٧.

جدته. ولذلك فإنّ الآقا الوحيد البهبهانيّ وأولاده وأحفاده كانوا يعتبرون الملا صالح والملا محمّد تقي المجلسيّ جدّيهم، والعلّامة المجلسيّ الثاني خالاً لهم.

ملاحظة ضروريّة

[كنا قد ذكرنا في الطبعة الأولى من الكتاب وهنا تحت عنوان «نسب الوحيد» أنّه وحسب شجرات النسب الموجودة لدى أولاد الوحيد ورجال العائلة، فإن سلسلة نسب هذا الرجل الكبير تنتهي إلى الشيخ المفيد بعد أربع عشرة واسطة. وقد قمنا بتحريات واسعة في هذا المجال كي نحصل على وثيقة شجرة النسب هذه، ولكنّنا لم نحصل عليها لا من الوحيد نفسه في الكتب التي ألّفها والإجازات التي أعطاها لتلامذته ولا من أولاده، ولم يضبط سلسلة نسب الوحيد سوى العلّامة النسّابة السيّد جعفر الأعرجيّ الكاظميّ البغداديّ، وكلّ شجرات النسب التي وصلتنا استنسخت من ذلك الكتاب، ولم نجد وثيقة قبله.

وكان السيّد جعفر البغداديّ من النسّابة المعروفين، ومن المستبعد أن يثبت في كتابه شجرة نسب هذه الأسرة التي هي من أشهر الأسر العلميّة بين الشيعة، من دون وثيقة.

كما كان كتاب الأساس أو وثيقة أخرى هما ما استند إليه العلّامة الفقيد الآقا السيّد محسن العامليّ رحمة الله عليه في المجلّد ١١[1] من أعيان

---

(١) المجلد ١١، الطبعة الأولى، والمجلد.

الشيعة، الصفحة ٣٥، والعالم الفاضل الشيخ آغا بزرگ الطهرانيّ في كتاب أعلام الشيعة في الترجمة للآقا أحمد بن الآقا محمّد علي بن الوحيد «.

ثمّ ذكر نسب الوحيد على ذلك الأساس حتّى الشيخ المفيد بأربع عشرة واسطة وكنا قد ذكرنا أنّه وكما ذكر النجاشيّ[١] وآخرون، فإنّ نسب الشيخ المفيد ينحدر بخمس واسطات إلى سعيد بن جبير المعروف، إلى هذه الأسماء...»[٢]

ولذلك فقد كتبنا ترجمة لسعيد بن جبير المعروف أوّلاً ثمّ للشيخ المفيد، ولكنّا اكتشفنا فيما بعد أن سعيد بن جبير، جد الشيخ المفيد القحطانيّ، في حين أن سعيد بن جبير التابعيّ الشهير كان عدنانيّاً. ولذلك فقد حذفنا في الطبعة الثانية من الكتاب سنة ١٣٦٢ ترجمة سعيد ابن جبير، وظلّ الباقيّ على حاله.

وقد كتب كيوان سميعيّ في كتاب حياة سردار كابليّ بمناسبة أنّ سردار كانت لهٔ نسبة مصاهرة مع أسرة أستاذ الكلّ، وأنّ زوجته وأولاده كانوا من أسرة الوحيد من جهة الأم، كتب تحت عنوان «نسب الآقا باقر البهبهانيّ» شرحاً طريفاً ومثيراً نقلاً عن سردار حول كون شجرة نسب الوحيد مزيّفة، وقد عمد هو أيضاً إلى تزييفها، حيث كتب من جملة ما كتبهٔ قائلاً:

---

(١) رجال النجاشيّ: ٣٩٩.

(٢) الوحيد البهبهانيّ، الطبعة الأولى: ١٠١.

«شكك في هذا الموضوع عدد من الفضلاء المعاصرين أيضاً»، ومن جملتهم حبيب آباديّ في المجلّد الأوّل من كتاب مكارم الآثار ذيل سنة ١٣١٥هـ [١] بعد نقل شجرة نسب الآقا باقر البهبهانيّ قائلاً: «لم نر في أي موضع سلسلة هذا النسب من الشيخ المفيد وحتّى صاحب العنوان «المؤسّس البهبهانيّ»، ويوجد في أعيان الشيعة القليل من الإشكال في الواسطة، ومن المؤكد أن أسماء بعض الأشخاص قد سقطت».

وكتب علي دوانيّ أيضاً في كتاب الوحيد البهبهانيّ قائلاً: «لقد قمنا بالكثير من التحقيقات كي نعثر على وثيقة شجرة النسب هذه...» وذكر بعد خلاصة كلامنا التي مرّت قائلاً: «إن هذا الموضوع الذي كتبه السيّد دوانيّ صحيح تماماً...»[٢]

ونوضح هنا أنّي أنا مؤلّف هذا الكتاب كنت قد شككت في أصالة شجرة النسب المذكورة وصحتها لأوّل مرّة قبل حبيب آباديّ. ولم يشر حبيب آباديّ إلا إلى سقط بعض الواسطات، على أنّه أخذ ذلك من الأستاذ الفقيد العلّامة الطهرانيّ حيث أدرجه في ترجمه الآقا أحمد في الكرام البررة.

وبناء على ذلك فإنّ شجرة نسب الوحيد البهبهانيّ منتحلة بشكل مؤكد وحسب شكي أنا الكاتب القريب من اليقين في سنة ١٣٣٧، وأنّها

---

(١) خطأ مطبعي ويجب أن يكون ١٢٠٥.

(٢) حياة سردار كابليّ: ٦٩، الطبعة الأولى.

من عمل السيّد جعفر البغداديّ مؤلّف كتاب الأساس في الأنساب حيث اختلقها من أجل إرضاء الآقا أسدالله إمام جمعة من علماء أسرة الوحيد المتوفّى سنة ١٣٢٤، وانتشرت شجرة النسب منذ ذلك الحين بين آل الآقا في كرمانشاه!

كما أخذ بها السيّد محسن الأمين العامليّ في سفره إلى إيران سنة ١٣٥٣هـ في كرمانشاه وذكرها في أعيان الشيعة، وتلقّاها منه العلّامة الطهرانيّ أيضاً، في حين أنّه لم يكن هنالك أيّ أثر لشجرة النسب هذه منذ ذلك الوقت في أيّ ظرف وفي أيّ موضع.

وقد ارتكب حبيب آباديّ في الترجمة للآقا عدة أخطاء هي:

١ ـ اعتبر الآقا محمّد علي أخا الوحيد الذي كان من الزوجة الأخرى للآقا محمّد أكمل، من ابنة الآقا نور الدين كأخوته الآخرين، في حين أنه لم يكن كذلك.

٢ ـ اعتبر إحدى ابنتي الآقا محمّد أكمل، زوجة السيّد محمّد علي الطباطبائيّ والد الآقا سيد علي صاحب الرياض وهو صحيح، واعتبر الثانية زوجه الأمير السيّد علي الكبير، وهو غير صحيح، لأنّ والد الأمير السيد علي الكبير، أي السيّد منصور الخراسانيّ كان زوج البنت الثانية للآقا محمّد أكمل، والأمير السيّد علي الكبير زوج ابنة الوحيد[1]، وبالطبع فقد أصلحه نقلاً عن أنساب الوحيد البهبهانيّ والذي لم نر منه سوى

---

(١) مكارم الآثار ١: ٢٢١.

نسخة واحدة واقتبسها مما كتبناه.

٢ ـ ذكر أن الآقا وفي خلال عودته من بهبهان «شارك لفترة في الحلقة التدريسية للمرحوم الشيخ يوسف البحرينيّ (أعلى الله مقامه)» وضمن ذكر أساتذته كتب قائلاً (نحن ذكرنا بأنّه درس لدى... والشيخ يوسف البحرينيّ) وهو غير صحيح بل إن الآقا شارك لفترة في حلقته الدراسية لتقييم تدريسه، حيث كان رئيس الأخباريّين، ثمّ وقف في وجهه حتّى همّشه وعزله.

٤ ـ وكتب في ختام الكلام عن الوحيد: «إنّ ما ذكره في الذريعة[1]، من أنّ السيّد منصور الحسينيّ هو صهر (الوحيد) المعروف، خطأ، بل إنّ الأمير السيّد علي الكبير الكربلائيّ ابن السيّد منصور المذكور كان زوج أخت صاحب العنوان، كما سبقت الإشارة إلى ذلك في صدر العنوان».

وقد ذكرنا سابقاً أنّ السيّد منصور الحسينيّ الخراسانيّ زوج أخت الوحيد، وابنه الأمير السيّد علي الكبير كان زوج ابنته، وليس العكس! ومن العجيب أننا ذكرنا أنّ حبيب آباديّ نقل شكله الصحيح من أنساب الوحيد البهبهانيّ، ولكنّه كرّر خطأه هنا مرّة أخرى.]

والد الوحيد [الآقا محمّد أكمل الأصفهانيّ]

ترجمة الملا محمّد أكمل الأصفهانيّ ليست واضحة أكثر مما جاء في

---

(١) الذريعة ٦: ١٦٦.

إجازات ولده الوحيد البهبهانيّ والتي منحها لتلامذته. وقد أشار كلّ من حفيده الأقا أحمد في مرآة الأحوال والعالم الفاضل السيّد جعفر الشهرستانيّ الذي هو سبط الآقا محمّد علي إلى فضل جدّهم الملا محمّد أكمل وتفقهه وعلمه ولعل هذا أن يكون هو أيضاً اقتباساً من إجازة جدهم.

ووصف العلّامة بحرالعلوم ــ قدّس سرّه ــ في إجازاته والد الوحيد بأنّه: «الشيخ الأجل الأكمل والمولى الأعظم الأبجل». كما كتب السيّد محمّد حسن الزنوزيّ في رياض الجنّة قائلاً: «كان والده من العلماء الفضلاء. وقرأ ابنه محمّد باقر المذكور كتاب أصول الكافي عليه وقد سمعت هذا من ابنه الآقا محمّد باقر».

كما اعتبره العلّامة الفاضل الحاج الميرزا حسين النوريّ في الفيض القدسيّ وخاتمة مستدركه العالم الكامل والمحقّق المدقّق، الجامع للفضائل والحاوي للفواضل. ويقول إنّ الحاج السيّد شفيع الچاپلقيّ ظنّ في كتاب الروضة البهيّة أن الملا محمّد أكمل والد الوحيد لم يكن من العلماء، فقد كتب قائلاً: «لا علم لي بأحواله سوى أنّه من مشايخ الإجازة، ويروي الأفاضل منه، كما أنّ ابنه (الوحيد) يعتمد عليه، ويبدو أنّه كان في كمال الوثاقة والديانة»، ثمّ ينقل الحاج النوريّ عبارة إجازة الآقا في إزالة توهمه.[1]

---

(١) الفيض القدسي: ٨٩، و١٢٦، ومستدرك الوسائل ٣: ٣٨٤، والروضة البهية: ٣٥.

ويبدو أنّ الحاج السيّد شفيع لم يكن ملتفتاً كيف أنّ الوحيد أشاد في إجازاته بعلمه وفضله وفقهه. وهو بحدّ ذاته أفضل شهادة على أن الملا محمّد أكمل كان من العلماء الكبار والفقهاء الرفيعي الدرجات.

كما كتب المولوي محمّد علي الكشميريّ في كتاب نجوم السماء المؤلّف سنة ١٢٨٦هـ: «كان الشيخ الأجل محمّد أكمل البهبهانيّ[١] من مشايخ الآفاق، وأساتذة فقهاء العراق[٢] الوالد الماجد لحضرة أستاذ الكلّ الآقا محمّد باقر البهبهانيّ عليه الرحمة. وكان يروي من مشايخه الثلاثة وهم المحقّق الشيروانيّ المعروف بالملا الميرزا وعلّامة المحقّقين الآقا جمال الخوانساريّ والفاضل العظيم الشأن الشيخ جعفر القاضي الأصفهانيّ.»[٣].

ولم يذكر نجوم السماء اثنين آخرين من أساتذة الملا محمّد أكمل، لأنّ الوحيد يذكر أساتذته على وجه التقريب في الإجازة التي منحها للعلّامة بحرالعلوم، فيقول: «... ومن جملتهم الوالد الماجد العالم الفاضل الكامل الماهر المحقّق المدقّق الباذل بل الأفضل الأعلم الأكمل، أستاذ الأساتذة والفضلاء وشيخ المشايخ العظماء العلماء الفقهاء مولانا محمّد أكمل غمره الله في رحمته الواسعة وألطافه الباذلة، من أساتذتي الأعاظم والمشايخ الأفاخم الذين كان كلّ واحد منهم وحيد عصره

---

(١) كان الآقا محمّد أكمل أصفهانياً، وقد عرف ولده الآقا محمّد باقر بالبهبهانيّ، لا والده.

(٢) المراد عراق العجم.

(٣) نجوم السماء: ٢٣٠.

وفريد زمانه، الفضلاء الذين لم ير الدهر مثلهم، ولايجد أمثالهم ونظائرهم في العالم، بحيث إنهم غنيّون عن كلّ تعريف لشهرتهم الواسعة. وهم مولانا الميرزا محمّد الشيروانيّ والشيخ جعفر القاضي والملا محمّد شفيع الأسترآباديّ وخالي العلّامة المجلسيّ أيضاً...»[١].

[وكنا قد ذكرنا سابقاً أنّ الملا محمّد أكمل زوج الابنة الأولى للآقا نور الدين بن الملا محمّد صالح المازندرانيّ، كان من آمنة بيگم بنت العلّامة المجلسيّ الأوّل، وبعض أولادها ينحدر نسبهم إلى المجلسيّ من هذا الطريق. واستناداً إلى ماذكره الميرزا حيدر علي المجلسيّ، فقد كان لـ «الملا أكمل» ثلاثة أبناء من ابنة الآقا نور الدين وهو الآقا محمّد باقر (الوحيد) والآقا حسن رضا، والآقا محمّد حسين حيث كان الأخير يقيم في مدينة كازرون[٢].

وقد سجّل الآقا أحمد أيضاً ثلاثة أبناء بالإضافة إلى ابنتين وقال: «أولاد الآقا نور الدين ابن وبنتان... ومن الصبايا الحليلة الجليلة لسماجته المقدّس الألقاب، الجامع للفضائل، والحاوي للفواضل، الفاضل الأجل الآقا محمّد أكمل قدّس سرّه حيث إنها كانت الوالدة الماجدة[٣]للجد الأمجد لهذا الفقير (الوحيد) وأخويه الآقا حسن رضا

---

(١) نجوم السماء: ٢٣٠.

(٢) أنساب خاندان مجلسي: ٢٧٠.

(٣) طبعت في مرآة الأحوال: ٩٧ هنا عبارة «المرحوم الآقا محمّد علي و» وهي زائدة ويجب حذفها.

والآقا محمّد حسين وأختاهما. كما أنّ للآقا محمّد أكمل أولاداً آخرين من بطون زوجات أخريات، ويعمل أولادهم في أصفهان وطهران في الصرافة في الغالب، وبعضهم يمارسون سك النقود في شيراز.»[1].

وبناء على ذلك فإنّ هؤلاء الأبناء الثلاثة للآقا محمّد أكمل: الآقا محمّد باقر (الوحيد): والآقا حسن رضا والآقا محمّد حسين، والبنتين إحداهما أم الآقا السيّد علي صاحب الرياض، والأخرى زوجة السيّد منصور الخراسانيّ (جد آية الله السيّد هبة الدين الشهرستانيّ، ينحدر نسبهم إلى العلّامة المجلسيّ الأوّل، لا أولاده الآخرين.]

والملاحظة الأخرى أن الميرزا حيدر علي المجلسيّ الذي كان معاصراً للآقا ومن أهل بيته، اعتبر «الملا أكمل» والد الوحيد، وهو أقدم سند يدل على أنه كان من العلماء خلافاً لما رأى السيّد شفيع الچابقليّ كما صرّح ابنه الآقا الوحيد البهبهانيّ بهذا الموضوع.

[والملاحظة الأخرى أنّ العلّامة بحرالعلوم تلميذ الآقا الشهير اعتبر في إجازاته التي جاءت في هذا الكتاب نفسه، محمّد أكمل والد الوحيد، من العلماء والعظماء، ونحن نعلم أنّ بحرالعلوم والآقا كانت تجمعهما علاقات نسب ومصاهرة.]

---

(١) مرآة الأحوال: ٩٧.

أستاذ الكلّ ـ سيّد الكلّ

وُصف الوحيد البهبهانيّ خلال القرنين ونصف القرن الماضيّ على ألسنة الفقهاء والمجتهدين وفي كتب الفقه والأصول والإجازات بأنه أستاذ الكلّ أو الأستاذ الأكبر، ولكنّه يسمّى في الغالب بالأستاذ الأكبر. ونحن أيضاً كنا في صدد أن نسمّيه بـ«الأستاذ الأكبر، الوحيد البهبهانيّ»، ولكنّنا اكتشفنا فيما بعد أنّ من الممكن أن لايدرك الناس بسبب تدنّي مستواهم الثقافيّ الفرق بين إسم التفضيل والعلم لجهلهم بالمصطلحات والكلمات العربيّة! وأن يقرؤوا الأستاذ الأكبر الأستاذ أكبر، كما حدث عند نشر الإعلان عن هذا الكتاب فقد كانوا يسألوني دوماً من كان الأستاذ أكبر وماكان عمله! ولا بد أنهم كانوا يتصوّرون أنه كان نجّاراً أو بنّاءً!

ولذلك فقد غضضنا النظر عن إطلاق «الأستاذ الأكبر» المعروف أكثر ولقّبناه ومازلنا نلقّبه بلقبه الآخر (أستاذ الكلّ). والسبب في تلقيب الوحيد بالأستاذ الأكبر أو أستاذ الكلّ أنّه كان على رأس كلّ المجتهدين والأصوليّين وأستاذ أساتذة الفقه والأصول في السنوات المائتين الماضيّة من التاريخ.

وكما سنذكر وكما سبقت الإشارة منّا، فإنّ الفقه والأصول والاجتهاد كان قد فقد قيمته على أثر شيوع المسلك الأخباريّ وكثرة علمائه ولم يكن للفقهاء والمجتهدين مكانة، ولكنّ الوحيد شتّت شمل الأخباريّين

وأقام أسس الاجتهاد من جديد وتخرّج من مدرسته تلامذة من أمثال العلّامة بحرالعلوم، الميرزا القمّيّ، الحاج الملا أحمد النراقيّ، الميرزا مهدي الشهرستانيّ، الميرزا مهدي الخراسانيّ وغيرهم وسنذكر مشاهيرهم في قسم «تلامذة الآقا» وخرّجوا هم بدورهم تلامذة كباراً بحيث اعتبر كلّ مجتهد ومرجع تقليد جاء من بعدهم تلميذاً لهم بواسطة أو بدونها وكانوا هم بدورهم تلامذة الوحيد ولذلك سمّي الوحيد بأستاذ الكلّ.

ولذلك أيضاً يسمّيه العلماء والمجتهدون «الآقا» ويعتبرون «الآقا المطلق» متعلّقاً به، بحيث كلّما يقال «الآقا» فإنّ الجميع يعلمون أنّ القصد هو «الوحيد البهبهانيّ» ولا غيره. وسيادة الوحيد لا تعود لمجرّد أنّه كان أستاذ كلّ مجتهدي الشيعة وأنّ إحياء فقه الشيعة وأصولهم رهن بوجوده، بل إنّ كلّ شروط السيادة كانت قد اجتمعت فيه من ناحية الأسرة وكان سيّداً بكلّ المعنى، بحيث إنّ القاريء العزيز لو راجع الصفحات السابقة وأخذ بعين الاعتبار عظمة آبائه وأجداده من جهة الأب والأم وألحق بذلك شخصيّته وشخصيّات أولاده المعروفين وأحفاده الأجلّاء وحشود تلامذته العلماء والذين سنذكرهم فيما بعد، فسنوقن أن أستاذ الكلّ الوحيد البهبهانيّ هو رأس كلّ المحقّقين العلماء. ولذلك فإنّنا سنسمّيه في هذا الكتاب وفي كلّ المواضع «الآقا» اتباعاً لعلمائنا الكبار.

ولادة الآقا

ولد الآقا في أصفهان دون شك، ولكن هنالك اختلافاً بين علماء التراجم بشأن سنة ولادة هذا العالم الجليل. فقد ذكر الشيخ أبوعلي الحائريّ الذي كان من تلامذة الآقا في كتاب منتهى المقال أنّ ولادته كانت في أصفهان سنة ١١١٨ أو ١١١٧[١] واختار صاحب نخبة المقال القول الثاني ونظمه شعراً وتبعه غالبيّة المؤرّخين واستندوا إلى هذا الشعر بشأن تاريخ ولادة الآقا:

أزاح كلّ شبهة وريبِ فبان للميلاد كنه الغيبِ

(١١١٨)

وجاء في «خاتمة المستدرك» أنّ ولادته كانت سنة ١١١٦ أو ١١١٧ بعد سميّه الملا محمّد باقر المجلسيّ بفاصلة تبلغ خمساً أو ست سنوات وهو غير صحيح كما ذكرنا[٢] وقد احتاط بعض العلماء ونقلوا الأقوال الثلاثة كلّها، دون أن يختاروا قولاً على التعيين.

ويذكر حفيده العالم الآقا أحمد في كتاب مرآة الأحوال جهان نما والذي ذكرناه مراراً في هذا الكتاب وسنذكره، أنّ ولادته كانت في أصفهان سنة ١١١٧، وبناء على ذلك فلأنّ الآقا أحمد كان أقرب الأشخاص إلى الآقا وأنّه بذل الدقة والتحقيق الكافيين في ضبط تاريخ

---

(١) منتهى المقال ٦: ١٧٨.

(٢) مرآة الأحوال: ١١٠.

أسرته، بحيث إنّه لم يخطىء ولو لمرّة واحدة، ولذلك فإنّنا سنختار من بين التواريخ الثلاثة المذكورة سنة ١١١٧ التي ضبطها الآقا أحمد ونعتبر ولادته في ذلك التاريخ بعد سبع سنوات من رحيل خاله العلّامة المجلسيّ (استناداً إلى اختيارنا وهو وفاة العلّامة المجلسيّ في ١١١٠) ومن المعلوم أنّ هذا الموضوع لا يتنافى مع ضبط الشيخ أبي علي، سوى أنه أثبت ١١١٨ أيضاً من باب الاحتّياط لأنه كان متردداً.

ورغم أنّ الآقا أصفهانيّ الأصل، وكان مسقط رأسه أصفهان كما قلنا فإنّه عرف مع ذلك بالبهبهانيّ، بحيث إنّ هذا اللقب غطّى على أصله الأصفهانيّ حتّى نسي تماماً، بل إن الذين ذكروا علماء أصفهان عند ذكر تاريخها لم يذكروا الآقا، واعتبروه كلّهم من علماء بهبهان. فلقد ذكر اعتماد السلطنة في مرآة البلدان والحاج الميرزا حسن فسائيّ في فارسنامه ناصري وفرصت الدولة في آثار العجم، الآقا في ذيل لفظة «بهبهان».

وما هو مسلَّم به أنّ الآقا رغم أنه كان أصفهانيّاً، ولكنّه عدّ من علماء بهبهان بسبب طول مدّة إقامته والمصاهرة التي كانت له فيها، ونحن نلاحظ هذه الظاهرة بخصوص الكثير من كبار العلماء، وعلى سبيل المثال فإنّ الميرزا القمّيّ كان جيلانيّاً في الأصل ومن مدينة رشت، ولكن ولأنّه ولد في جاپلق فقد كان معروفاً في عصره بالجاپلقيّ وعرف بعد ذلك بالقمّيّ بعد أن سكن مدينة قم في أواخر عمره، بحيث نسي

كونه جيلانيّاً وجاپلقيّاً. كما نلاحظ ذلك في عصرنا بالنسبة إلى آية الله الفقيد السيّد أبي الحسن الأصفهانيّ الذي هو بهبهانيّ في الأصل، بحيث اشتهر بالأصفهانيّ، في حين أنّ أحداً لايذكر وربما لا يصدّق أنّه كان بهبهانيّاً!

وأما فيما يتعلّق بأنّ الآقا في أيّ مرحلة من العمر توجّه إلى بهبهان وعدد السنين التي قضاها في هذا المدينة، فهذا يمثّل بحد ذاته موضوعاً تجب دراسته. فقد ذكر الشيخ أبوعلي في منتهى المقال: «أقام الآقا مدّة من عمره في بهبهان» وذكر الزنوزيّ في رياض الجنّة قائلاً: «سكن بهبهان لمدّة طويلة ولذلك اشتهر بالبهبهانيّ».

هجرة الوحيد من أصفهان

جاء في أعلام الشيعة والكرام البررة: «ولد الآقا في أصفهان ونشأ فيها ثمّ جاء إلى بهبهان مع أبيه وانشغل فيها بالدراسة معه، ثمّ هاجر إلى كربلاء وجاورها.»[1]

ونحن نظنّ أنّ خلطاً قد حدث في أعلام الشيعة بين محمّد علي ابن الآقا وبين الآقا، ذلك لأنه كان هو الذي انتقل مع أبيه من العتبات إلى بهبهان وانشغل فيها بالدراسة عند أبيه ثمّ عاد إلى كربلاء معه وجاورها، كما جاء في مرآة الأحوال ومنتهى المقال. [يحتمل أن يكون «والده» خطأ مطبعياً وأنه كان في الأصل «ولده»]

---

(١) الكرام البررة ٢: ١٧١.

ويكتب الآقا أحمد قائلاً: «بعد وفاة والده الفاضل واضطراب مدينه أصفهان غادر وطنه»[1] ويبدو بوضوح من هذه العبارة أن الآقا كان تحت تربية والده الفاضل في أصفهان في أوائل الشباب وقرأ فيها أصول الكافي عنده وبعد أن ابتليت أصفهان بالاضطرابات وانعدام الأمن (ربما كانت فتنة الأفغان أو حادثة أخرى) وتوفّي والده، فقد غادر الوطن مع إخوته وأقاربه بعد أن رأى العيش في أصفهان عسيراً عليه، فخرج بذلك وإلى الابد من أصفهان ومسقط رأسه.

الآقا في النجف الأشرف

كما يستفاد مما كتبه الآقا أحمد في مرآة الأحوال فقد توجّه الآقا من أصفهان إلى النجف الأشرف وحطّ رحل الإقامة في مدينة العلم تلك بهدف مواصلة الدراسة واكتساب العلم والكمال. وإذا ما اعتبرنا اضطرابات أصفهان التي أدت إلى هجرة الآقا، هي فتنة الأفغان نفسها (١١٣٤) فقد كان الآقا يبلغ من العمر ١٧ عاماً عند دخوله النجف الأشرف. وفي النجف الأشرف تلقّى علم المعقول من محضر علّامة الزمان السيّد محمّد الطباطبائيّ البروجرديّ قدّس سرّه (جد العلّامة بحرالعلوم) ابن عمّته الذي كان آنذاك يقيم مع أفراد أسرته في هذه المدينة. وتلقّى العلوم المنقولة (الفقه والأصول) من الفقيه المتبحّر الشهير والعالم الأصوليّ الأوحد في عصره السيّد صدر الدين الرضويّ

---

(١) مرآة الأحوال: ١١٠.

القمّيّ الشهير بالهمدانيّ شارح الوافية للتونيّ واجتاز خلال فترة قصيرة مراحل العلوم المنقولة والمعقولة الواحدة تلو الأخرى حتّى بلغ مقاماً شامخاً في العلم والكمال.

وعلى حدّ قول الآقا أحمد في مرآة الأحوال فإنّه تزوّج في خلال ذلك بابنة أستاذه السيّد محمّد الطباطبائيّ ولدت له هذه المخدّرة ولده الأكبر محمّد علي، وبعد ذلك فقد اختار السكن في بلدة «بهبهان» في فارس لمدّة مديدة تجاوزت ثلاثين سنة تقريباً ولهذا اشتهر بـ «البهبهانيّ»[1].

وهذه العبارة تدل بكلّ صراحة على أنّ الآقا كان متشرّفاً في العتبات المقدّسة قبل أن يذهب إلى بهبهان، فكما قلنا سابقاً فإنّ السيّد محمّد البروجرديّ والسيّد صدر الدين الهمدانيّ كانا يسكنان النجف الأشرف وكان الآقا يتتلمذ لديهما فيها.

وإذا ما افترضنا أنّ عمر الآقا كان عند وصوله إلى بهبهان عشرين سنة على الأقل وأضفنا إلى ذلك ما ذكره حفيده الآقا أحد في مرآة الأحوال من أنّه توقّف في بهبهان لثلاثين عاماً، فعلينا أن نعدّل عبارة رياض الجنّة الذي اعتبر عودة الآقا من بهبهان في أوائل الشباب، لأنه لا يخلو من المسامحة أكيداً. وما يتوافق مع الوثائق المتوفرة أن هجرة الآقا من بهبهان إلى كربلاء كانت في أواسط عمره.

---

(١) مرآة الأحوال: ١١٠.

الآقا في بهبهان

لم نصادف في أيّ موضع وثيقة أوضحت سبب سفر الآقا إلى بهبهان، كما لا نعلم على وجه التحديد لماذا اختار الآقا بهبهان من بين مدن إيران وخاصّة خوزستان؟

وقد ذكرنا فيما سبق في فصل «مشاهير العلماء الأخباريّين» نقلاً عن لؤلؤة البحرين أنّ الشيخ عبدالله بن الحاج صالح السماهيجيّ البحرينيّ الذي كان من كبار العلماء الأخباريّين وكان العدو اللدود لعلماء الأصول والمجتهدين قدم إلى بهبهان وتوطّن فيها بعد استيلاء الخوارج على البحرين حيث هاجر كلّ علماء البحرين إلى إيران والعراق وتوفي هناك سنة ١١٣٥ وهي السنة التي سقطت فيها أصفهان على يد محمود الأفغانيّ.

وانشغل الشيخ عبدالله بنشر هذا المسلك والدرس والبحث في بهبهان وألّف بعض الكتب في الدفاع عن المسلك الأخباريّ. ولأنّه كان عالماً متبحّراً ومعروفاً، فقد التفّت حوله جماعة من الخواص والعوام، واعتنقت المسلك الأخباريّ.. كما أنّ السيّد عبدالله البلاديّ البحرينيّ الذي كان من تلامذة الشيخ عبدالله والشيخ سليمان الماحوزيّ البحرانيّ والشيخ أحمد البحرانيّ والد صاحب الحدائق وأستاذ إجازة صاحب الحدائق والذي كان فقيهاً كبيراً، كان من المهاجرين البحرينيّين حيث سكن البحرين والتحق بالرفيق الأعلى في ١١٦٥ ودفن فيها.

وكما ذكرنا سابقاً فإنّ السبب الذي دعا الآقا للذهاب إلى بهبهان

مجهول، ولكن ومع الأخذ بنظر الاعتبار إصراره على معارضة المسلك الأخباريّ، فبإمكاننا القول إنّه ذهب إلى بهبهان كي يحارب ذلك المسلك الذي كان قد كتب له الانتشار والتأثير المتزايد في تلك المدينة. وإذا ما افترضنا أنّ سفر الآقا إلى بهبهان كان على سبيل المصادفة فإنّه مع ذلك كان قد وضع في حسبانه من اختيار بهبهان والتوطن الطويل فيها قضية نفوذ الأخباريّين. والدليل على ذلك الكتب التي ألّفها في بهبهان في الرد على المسلك الأخباريّ. مثل رسالة حجّيّة الإجماع ورسالة أصالة البراءة ورسالة القياس ورسالة الاجتهاد والأخبار حيث نقلنا مقاطع من الكتاب الأخير فيما سبق.

وقد جاء في الفيض القدسيّ قوله: «ورد في الإجازة الكبيرة للسيد عبدالله الشارع النخبة حفيد السيّد نعمة الله الجزائريّ، أنّ السيّد محمّد رضا بن الملا محمّد هادي بن الملا صالح المازندرانيّ، كان فاضلاً محقّقاً ومتكلّماً رفيع المنزلة وكان مدرّساً في مدرسة «خير آباد» في بهبهان، وحينما كان متوجهاً إلى العتبات توقّف فيها بناء على طلب الأهالي. وقد التقيته في بهبهان وحضرت درسه في شرح اللمعة.»[1]

واستناداً إلى هذا النقل فلأنّ الملا محمّد رضا حفيد الملا صالح وابن عم والدة الآقا، كان مقيماً في بهبهان ومدرّساً فيها قبل ذهاب الآقا إليها، فمن غير المستبعد أن يكون الآقا قد ذهب من النجف إليها بعده بناء

---

(١) الفيض القدسي: ١٢٦، والإجازة الكبيرة: ١٨٢.

على طلب أهالي بهبهان وانشغل في التدريس واعتبر بمرور الأيّام العالم الأوّل فيها. وباختصار يمكن القول إن كلا الموضوعين، أي انتشار المسلك الأخباريّ في بهبهان ووجود علمائها في تلك المدينة وخلفية توطن ابن عمة الآقا فيها، كلّ ذلك كان له كلّ الأثر في إقامته في بهبهان والتي استغرقت عدة سنين.

بهبهان

من البديهيّ أنّ الحديث يدور في كلّ مكان عن بهبهان بعد صدور هذا الكتاب. وبناء على ذلك فلأنّ من الممكن أن يكون هنالك أشخاص لا يعرفون أين تقع بهبهان وما هي خلفياتها التاريخيّة، فإنّ من المناسب أن نذكر خلاصة عن موقع بهبهان التاريخيّ وعدداً من علمائها وفضلائها المعروفين كي يتخلّد ذكرهم في هذا الكتاب.

جاء في تاريخ خوزستان الجغرافي حول بهبهان: «تمثّل هذه المنطقة أرضاً واسعة في الجنوب الشرقي من خوزستان، وتتمتّع بمناطق باردة ومعتدلة ومناطق حارة وغالباً جبلية ولا تمتد فيها السهول إلا في النادر. وتكثر فيها الينابيع والأنهار ولا نهاية لغاباتها ومروجها ومناظرها الجميلة. ويجاور شمالها منطقة لردگان وجانكي وشرقها فارس وغربها ولاية رامهرمز وبلوك الجرّاحي وجنوبها تلال ميلاني ودشتستان والخليج الفارسيّ»[1]

---

(١) تاريخ خوزستان الجغرافي ١: ١٨٣.

وجاء في مرآة البلدان: «لم يمر على هذه المدينة الحديثة العمران أكثر من ثلاثمائة عام. والمدينة القديمة لهذه المنطقة والتي لا تبعد عن بهبهان أكثر من فرسخ، هي «أرجان» (معرّب أركان أو أرغان) وكان اليونانيون يسمّون أرجان بأركران.

وقد اجتاز الإسكندر أركران عند مروره من خوزستان نحو فارس. وقد كان في الموضع الحالي لبهبهان السابقة بعض الأشخاص الرحّل الذي كانوا يأتون من أرجان للزراعة. وبعد أن هاجر بعض عرب الكوفة والذين كانوا من رؤسائها من الكوفة بناء على أمر الأمير تيمور (الگورگاني) جاؤوا إلى أرجان واشتروا الكثير من الأملاك وشرعوا في العمران في موضع بهبهان الحالي ولأنهم كانوا يسمّون الخيمة السوداء «بهان»، فقد قال أفراد هذه القبيلة إنهم سيبنون في هذا الموضع بيوتاً أحسن من «بهان»، حتّى سميت به مدينة «به أزبهان» (أفضل من بهان) ثمّ تغيرت إلى «بهبهان» لكثرة الاستعمال. والمناطق المحيطة ببهبهان خصبة. وهنالك نهران يمران بسهل بهبهان: «أحدهما نهر الجرّاحي الذي كان يمر من وسط مدينة أرجان القديمة والآخر نهر طاب الذي يعرف الآن باسم خير آباد. ومصب هذين النهرين منطقة هنديّان ويجري من أقصى شمال سهل بهبهان ويروى السهل بهذين النهرين.»[1]

وقد مرّ الحكيم ناصر خسرو العلويّ المتوفّى سنة ٤٨١ من مدينة

---

(١) مرآة البلدان: ٤٩٠.

أرجان خلال رحلته إلى المغرب التي استغرقت سبع سنين، وذكر في رحلته قائلاً: «أرجان مدينة كبيرة يسكنها عشرون ألف رجل، وعلى جانبها الشرقي نهر ينبع من الجبل، وقد شقوا في الجانب الشمالي منها نهراً وأربعة جداول عظيمة ويخرج الماء من وسط المدينة، حيث أنفقوا على ذلك النفقات الكثيرة، ومرّروه بداخل المدينة ليصل إلى آخرها وبنوا عليه البساتين والحدائق ويكثر فيها النخل والنارنج والزيتون، وتبدو المدينة وقد بني من البيوت على سطحها ما بني تحتها، والماء يجري في كلّ مكان من الأقباء والسراديب والناس في راحة خلال فصل الصيف في الأقباء بفضل ذلك الماء. وفيها الناس على مذاهب مختلفة وكان للمعتزلة إمام يسمّى أبا سعيد البصريّ. وكان رجلاً فصيحاً وكان يدّعي العلم في الهندسة والحساب، وقد ناقشته ذات مرّة وسأل بعضنا الآخر وتبادلنا الأجوبة في الكلام والحساب وغيرهما.»[1].

كما يقول حمد الله المستوفيّ في نزهة القلوب: «مدينة أرجان من الأقليم الثالث. بناها قباد بن فيروز الساسانيّ. كانت في البدء مدينة كبيرة ذات توابع ونواح. ولكنّ الدمار شملها على عهد استيلاء الملاحدة عليها... وأهالي أرجان مصلحون في الغالب ومنشغلون بأنفسهم... ومن أكابرهم الشيخ أبو الحسن الشيرازيّ حيث يرقد فيها.»[2].

---

(١) سفرنامه ناصر خسرو: ١٥٤.

(٢) نزهة القلوب: ١٢٩.

كما ذكر الإصطخريّ في «المسالك والممالك» قائلاً: «وأمّا أرّجان فإنّها مدينة كبيرة كثيرة الخير بها نخيل كثيرة وزيتون وفواكه الجروم وهي برّيّة بحريّة سهليّة جبليّة وماؤها سيح وبينها وبين البحر مرحلة...»[١]

«وكتب المقدسيّ الشاميّ في أحسن التقاسيم أرّجان قصبة شديدة العمّارة كثيرة الخيرات جليلة المدن سريّة الأهل تجمع الثلج والرطب، والليمون والعنب،، هي معدن التين والزيتون، وبها يعمل الدبس الفائق الجودة والصابون، خزانة فارس والعراق ومطرح خوزستان وأصفهان بها نهر غزير يشقّ البلد وجامع حسن عامر على طرف الأسواق به منارة طويلة ظريفة بنيانهم حجر غير مألوف وبه سوق البزّازين على عمل سوق سجستان فيه أبواب تغلق كلّ ليلة وهو صفوف مصلّبة والأبواب من الأربعة جوانب يقابل بعضها بعضاً ولاترى أحسن من سوق الحنطة بها نظيفة طيّبة في الشتاء قد غابت في النخيل والبساتين وآبارها حلوة وقل ما تشئت في الخبزات والأسماك والثلج والرطب»[٢].

كما جاء في تاريخ خوزستان الجغرافي: «لا نعلم ماذا كانت تسمّى هذه المنطقة في عصر «العيلاميين»...، لكنّها كانت في عصر الأخمينيّين جزءاً من أرض الكشّيّين على ما ذكر سترابو وفي عصر الساسانيّين بنى

---

(١) المسالك والممالك: ١٢٨.

(٢) أحسن التقاسيم: ٤٢٥.

قباد مدينة أرگان في القسم السهلي وسمي هذا القسم «قباد خره»».

«وكانت مناطقها الجبلية تذكر في تلك الفترة باسم أم زمينگان. وفي العصر الإسلاميّ اشتهرت ولاية قباد خره باسم عاصمتها ولاية «أرجان» المعرّبة. وعرفت زمينگان باسم كوهگيلويه. وفي القرون الوسطى حيث هدّمت مدينة أرگان، واستولى على جميع أرجائها الأفشاريّون واللر في كهگيلويه، سميت كلّها باسم كوهگيلو حيث يسمّى القسم الجبلي پشت كوه (قبل الجبل) والقسم السهلي زير كوه (تحت الجبل). وقد قسّمت هذه المنطقة حسب التقسيمات الإدارية الحاليّة إلى قسمين هما بهبهان وتل خسرو.»[1].

وعلى أيّ حال فقد دمّرت هذه المدينة الجميلة الكبيرة بعد ثمانمائة إلى تسعمائة عام كانت قد مرّت على بنائها من قبل قباد، بفعل اعتداءات الملاحدة الذين كانوا قد استولوا على القلاع حولها وذلك في القرن الثامن، وبالطبع فقد كان لعمليات الاعتداء والنهب التي قام بها الأتراك (الأفشاريّون) الذين كانوا قد اعتدوا عليها في القرون الوسطى وكذلك هجمات اللُّر دور في دمارها، ونحن لا نجد لها ذكراً في الكتب المتعلقة بالعهد التيموري. ويبدو من ذلك أنّ هذه المدينة لم تدم حتّى آخر القرن الثامن الهجريّ.

وبعد دمار أرجان أخذت مدينة بهبهان التي كانت من القرى بالعمران

---

(١) تاريخ خوزستان الجغرافي: ١٨٣.

وتحوّلت شيئاً فشيئاً إلى مدينة حلّت محل أرجان. ومن الآثار التي تبقّت من مدينة أرجان حتّى الآن حرم واسع من المسجد الجامع في محلة بكان والذي نحتت أقواسه من الحجر والجصّ وقد نقشت حول محرابه بعض آيات القرآن. وقد نقش تاريخ بنائه بالخطّ الكوفيّ على الحجر، ومن الآثار الأخرى سد وجسر بكان والكثير من التلال المتبقيّة في موضع بيوتها السابقة، وقناة تنقل الماء إلى المدينة وهي نفسها التي تمّت تنقيتها في القرى السابقة من قبل الميرزا منصور البهبهانيّ وأنشأ قرية المنصوريّة تحتها.

تقع مدينة بهبهان على ٣٠/٣٥ درجة شمال خط الاستواء و٣٦ درجة شرق الأهواز ويبلغ ارتفاعها عن سطح البحر ٤٠٠ متر وكانت سابقاً قرية قرب أرجان حيث عمّرت هذه المدينة بعد دمارها. وقد قسّمت هذه المدينة إلى محلتين كبيرتين تسمّى إحداهما بهبهان والأخرى قنوات، وتنقسم كلّ منهما إلى محلات فرعيّة. وهنالك زقاق واسع يفصل المحلتين عن بعضهما البعض يسمّى «الخطّ». والعداوات بين أهالي كلا المحلتين من المشهورات. وأزقة بهبهان ضيقة عادة ومتداخلة وملتوية.

وكان يحيط بهذه المدينة سور منيع وكانت تضم خندقاً وبروجاً وقلعة، وقد هدّم ذلك كلّه اليوم بعد أن صمد أهل المدينة بواسطتها أمام هجوم الجيش الأفغانيّ. ولم يستطع الأفغان بجيشهم الذي كان قوامه

عشرين ألفاً ومدفعيتهم فتح بهبهان.»[١].

كما كتب زين العابدين الشيروانيّ مؤلّف بستان السياحة والذي رأى بهبهان قائلاً: «كان الكاتب هناك ليومين أوثلاثة وشاهد بعين التحقيق، أنّه كانت هنالك حديقة نرجس في قربها وجوارها يعجز القلم عن وصفها. وهم معروفون بالكرم. والسادة العلويّون الأجلاء معروفون في تلك الديار وهم موصوفون بالضيافة والسخاء والمروءة في كلّ فارس»[٢].

ونستنتج من مجموع ما مرّ أنّ مدينة بهبهان بنيت قرب أرجان القديمة والتي كانت من أهم مدن إيران التاريخيّة وكان سكانها أناساً من أهل الكوفة ومن المعروف أنّهم يعتبرون أنفسهم من أولاد هاني بن عروة. وكانت بهبهان تضم قبل قرن عدداً أكبر من السكان وأكثر رفاهاً، إلا أنّ الكثير من أهاليها هاجروا في العهد القاجاريّ إلى العراق وإلى الكويت مؤخّراً والموانىء الأخرى والمناطق النفطية ومدن خوزستان في الفترة الأخيرة وغالبيّتهم معروفون ومشهورون ويعملون في الأعمال الحرة والتجارة.

مشاهير علماء بهبهان السابقين

من الخصائص التي يتميّز بها أهالي بهبهان حبّهم لعلماء الدين وطاعتهم للأوامر الدينيّة. وقد ظنّ البعض أنّ بهبهان وبسبب وقوعها في

---

(١) بستان السياحة: ١٨٥.

(٢) المصدر: ١٩٨.

منطقة منعزلة ولم تنفذ فيها مفاسد العالم المعاصر إلا نادراً، فقد بقي غالبيّة سكانها مؤمنين وظاهريّ الصلاح وعلى حالتهم السابقة. وبالطبع فإن هذا العامل لم يكن بلا تأثير، ولكنّ سكان بهبهان وكما لاحظ القرّاء، وأهالي أرجان قبلهم كانوا في الأساس ومنذ قديم الأيّام أناساً نجباء وكرماء وأسخياء الطبع وذوي أرواح نزيهة ومتدينّين ومحبين للعلماء وقد ورثوا هذه الصفات من أجدادهم. وإذا ما لم تؤثر عليها مفاسد العصر الجديد التى أثرت في كلّ مكان اعتباراً من المدن والقرى، فالفضل في ذلك يعود غالباً إلى علماء بهبهان والنجابة الذاتية لأهلها. وقد كانت بهبهان تضم الكثير من العلماء والمجتهدين رغم صغرها حيث تتمتّع بميزة خاصّة من هذه الناحية.

ومن علماء بهبهان المعروفين والذي برز منها في عهد ازدهار أرجان، القاضي ناصح الدين أحمد بن محمّد بن الحسين الأرّجانيّ الذي كان رجلاً فقيهاً وشاعراً وكان قاضياً في تستر وتوفي فيها سنة ٥٤٤. ومن أشعاره الأبيات الثلاثة التالية:

أنا أشعر الشعراء غير مدافع ... في العصر أو أنا أفقه الفقهاء
شعري إذا ما قلت دوّنه الورى ... بالطبع لا يتكلّف الإلقاء
كالصوت في قلل الجبال إذا على ... للسمع هاج تجاوب الأصداء

والشخصيّة الأخرى، العالم المحدّث الشيخ عبدالله ابن الحاج صالح البحرينيّ وتلميذه السيّد عبدالله البلاديّ السابق الذكر وكلاهما مدفونان

في بهبهان. وكان السيّد عبدالله عالماً متّقياً وفقيهاً زاهداً وعارفاً وقد توفي في سنة ١١٦٥. وقد ذكر صاحب فارسنامه ناصري أنّه كان يتمتّع دوماً باحترام أهالي بهبهان وقبره الآن مزار للجميع.

ويذكر محمّدحسن خان اعتماد السلطنة في مرآة البلدان قائلاً: «من المعروف أنّ آزاد خان الأفغانيّ لمّا توجّه إلى بهبهان، فقد قرّر أهالي بهبهان الدفاع وكانوا يمتلكون مدفعاً فملؤوا هذا المدفع بقذائف نحاسية والتمسوا من السيّد عبدالله أن يطلق النار من المدفع هو أوّلاً. فأطلق السيّد عبدالله النار من المدفع وصادف أن سقطت القذيفة على عمود خيمة آزاد خان فانكسر العمود وسقطت قطعة من الخشب على رأس آزاد خان فتشاءم من ذلك وعطف عنانه عن بهبهان وأمن أهل بهبهان من شره»[1].

كما اعتُبر بعض أولاد السيّد عبدالله وأحفاده من معاريف فقهاء بهبهان ورجال العلم فيها. ومن أحفاده المعروفين السيّد إسماعيل البهبهانيّ المتوفّى سنة ١٢٩٥. وكان السيّد إسماعيل من مشاهير علماء العصر ومن أجلّة المجتهدين.

وينحدر نسبه بأربع واسطات إلى السيّد عبدالله على الترتيب التالي: السيّد إسماعيل بن السيّد نصر الله بن السيّد محمّد شفيع بن السيّد يوسف بن السيّد حسين بن السيّد عبدالله الموسويّ البلاديّ. وولد

---

(١) مرآة البلدان: ٤٩٣.

السيّد إسماعيل في بهبهان وتعلّم فيها مقدمات العلوم ثمّ توجّه إلى النجف الأشرف وتلقى العلم من محضر الفقيه الكبير الشيخ محمّد حسن صاحب الجواهر وعلّامة العلماء الحاج الشيخ مرتضى الأنصاريّ والشيخ حسن كاشف الغطاء وفي كربلاء من السيّد إبراهيم صاحب الضوابط وعاد إلى بهبهان بعد حصوله على درجة الاجتهاد العالية وانشغل لبضع سنين في البحث والتدريس ولمّ شمل أمور المسلمين.

وفي سنة ١٢٨٧ تشرّف للمرّة الثانية بزيارة العتبات المقدّسة. وفي السنة التي تشرّف فيها الملك القاجاريّ ناصر الدين شاه، حصل اللقاء فيها بين الشاه والسيّد إسماعيل. وطلب ناصر الدين شاه من السيّد إسماعيل أن يأتي إلى طهران وينشغل فيها بنشر الدين وترويج تعاليم الإسلام الساميّة. فقبل السيّد إسماعيل وانتقل إلى طهران وأصبح فيها مرجع الخاصّ والعامّ من الناس وحظّي بقبول أهالي العاصمة. وخاصّة ناصر الدين شاه الذي كان يكنّ له احتراماً فائقاً، كما ورد في رحلة ناصر الدين شاه والمآثر والآثار وتكملة أمل الآمل وسائر تواريخ عهد ناصر الدين شاه.

وقد جاء في المآثر والآثار: «كان الآقا السيّد إسماعيل البهبهانيّ ساكن دار الخلافة في طهران من فقهاء الطراز الأوّل وأرباب الحكم والفتوى المعدودين»[1] ومن الآثار الباقيّة للمرحوم الآقا السيّد إسماعيل في

---

(١) المآثر والآثار: ١٤٠.

بهبهان مخزن للمياه ما يزال باقيّاً ويعرف بمخزن ماء السيّد. وبعد بناء مخزن المياه المذكور، نظم أحد شعراء بهبهان المطبوعين المدعو «شوقي» والذي كان متبحرّاً في نظم الشعر، وطموحاً وهجّاءً، نظم البيتين التاليين في هجو الآقا السيّد إسماعيل مجتهد المدينة وبناءه قائلاً:

آب انبـــــارى بنـــــا نهـــــاده لعنـــت بـــه بنـــا و بـــانى وى
ابلـــيس اگـــر خـــورد ز آبـــش تا مدت عمـر خـون كنـد قـى!

بنى مخزناً للماء اللعنة على البناء وبانيه
إن شرب إبليس من مائه فإنه سيتقيّأ دماً مادام حيّاً!

وحينما أحضروه بأمر الآقا السيّد إسماعيل وحقّقوا معه بسبب إنشاده لهذين البيتين، قال شوقي إنّه يجهل أمر هذين البيتين، وأنّ ما قاله هو هذان البيتان:

آب انبـــــارى بنـــــا نهـــــاده رحمـــت بـــه بنـــا و بـــانى وى
الیـــاس اگـــر خـــورد ز آبـــش تـــا مـــدت عمـــر ره كنـــد قـــى!

«بـنـى مـخـزنـاً لـلـمـاء الرحمة على البناء وبانيه
فإن شرب إلياس من مائه سيطوى الطريق طيلة عمره»

كما أنّ من المعروف أنه حينما ارتكب شوقي يوماً عملاً غير مشروع فقد ضرب بالعصا ضرباً مبرّحاً بأمر السيّد إسماعيل وبذلك تمّ تعزيره ومعاقبته، ولكن ومن أجل أن يهديه إلى طريق الصواب، فقد أشفق عليه وأعطاه شيئاً. وبعد أن كان شوقي قد وقع تحت تأثير الحكم

الشرعيّ بشكل كامل وحظّي بتفقد الآقا السيّد إسماعيل، فقد وقف بين الجماعة التي لامته على تعزيره وضربه وأنشد على البديهة:

با مجتهد شرع كسى جنگ ندارد چوبى كه به شوقى بزند ننگ

آقا چو سهيل يمنى شوقى چو سيبي كه سهيلش نزند رنگ

ليس في نيّة أحد محاربة مجتهد الشرع.

ولاعار في العصا التي ضرب بها شوقي.

فالسيّد كسهيل اليمنيّ وشوقي كالتفاحة.

والتفاحة التي لايضربها سهيل لا لون لها.

ولشوقي أشعار مليحة أيضاً باللغة المحلية، وخاصّة أشعاره في الأئمّة الإثني عشر المعروفة بين أهالي بهبهان.

والآقا السيّد إسماعيل والد السيّد عبدالله البهبهانيّ زعيم المطالبين بالحكم الدستوري المعروف والمجتهد الأكبر للعاصمة وترجمته مكتوبة في كلّ التواريخ السياسيّة في نصف القرن الماضيّ في إيران، وهو أيضاً جد الأمير السيّد محمّد (آية الله البهبهانيّ) الذي يعدّ اليوم من علماء الطراز الأوّل وأشهر علماء الدين في طهران.

ومن علماء بهبهان المعروفين الآخرين الآخوند الملا علي صاحب تفسير بي نقطة. وهو تفسير بمجلّد واحد وبخطّ المؤلّف وهو مخفوظ في مكتبة ملك الوطنية بطهران. والتفسير المذكور الذي يبلغ حجمه حجم القرآن لا يمكن الاستناد إليه كثيراً. وأهميّته تعود إلى خلوّه من

النقط فقط حيث يدل ذلك على صبر مصنفه وتبحره الكثير. إذ لا توجد ولو نقطة واحدة في كلّ التفسير المذكور. بل إنّه ذكر البسملة دون نقاط واقتصر على كتابة الحروف المنقوطة في آخره «مما فسره الجاني والفقير الفاني علي بن قطب الدين البهبهانيّ».

وعلى سبيل المثال نورد إحدى سور آخر القرآن أي سورة الخنّاس. وقد فسّر هذه السورة بقوله: «إحدى سور كلام محطها حرم الله. عدد أعلامها مكرر علم، ومكرر مكرراه. لواسط اسم الله الرحام الراحم. أكلم كلم امحمّد! أمسك ممهد أمور ولد آدم. ملك ولد آدم. إله ولد آدم. مما هو سوء الوسواس. الطارد روحه سواده عما ادكر الله الموسوس الحاصل محل وسواسه صدور ولد آدم، مما أسر سواده ومما ولدهم آدم.»[1].

ومن كبار علماء بهبهان الآخرين شمس الدين بن جمال الدين البهبهانيّ والآخوند الملا محمّد صادق والآخوند الملا محمّد كاظم شارح المعارج المحقّق وكلّهم من تلامذة الآقا والشخص الأخير الذكر مدفون إلى جوار قبره. والشيخ أحمد بن محمّد تقي البهبهانيّ المتوفى سنة ١٢٠٦ وكان عالماً فقيهاً وتلميذ صاحب الرياض.

ومن العلماء الآخرين الفاضل الجليل الآقا الشيخ محمّد باقر الدهدشتيّ البهبهانيّ مؤلّف كتاب الدمعة الساكبة. وينقل أعلام الشيعة[2]

---

(١) تفسير بي نقطه، المخطوطه المتعلقة بمكتبة ملك الوطنية بطهران.

(٢) أعلام الشيعة، الكرام البررة: ١٨٤.

أنه كان يتاجر بالكتب في صحن أمير المؤمنين علي عليه السلام وكان رجلاً متّقياً ومتديناً. وينقل عن ولده الحاج علي محمّد كتابفروش أنّ أباه كتب ثلاث مرات دورة الجواهر بخطّ يده وكان يؤمن معيشته بأجرة ذلك. وقد اكتسب ملكة التأليف على إثر كثرة المطالعة ومراجعة الكتب والكتابة الكثيرة فألّف كتاب الدمعة الساكبة في خمس مجلّدات، وكتب الكثير من العلماء التقاريظ عليه. وهو يقول أنّ له رؤى صادقة نقلها العلّامة المحدّث الحاج النوريّ في جنّة المأوى، كما يذكر أنّ الشيخ محمّد باقر المذكور من الّذين حظّوا بلقاء إمام الزمان عجّل الله فرجه في مسجد السهلة، ولكنّه لم يعرفه.

وكان ماحدث أن الشيخ المذكور كان يريد شراء بستان في تلك المنطقة وعند لقائه الإمام قال له أن يشتري البستان الفلاني بحيث يكون نصفه لإمام الزمان! وعندما عاد إلى النجف الأشرف، زاره خادم العلّامة الفقيه السيّد أسدالله بن حجّة الإسلام الأصفهانيّ (الرشتيّ) وقدّم له كيساً، كان فيه مبلغ البستان الذي كان الإمام قد أمر بشرائه، وكانت النقود بمقدار ثمن البستان!

ثمّ إنّ الشيخ محمّد باقر اشترى البستان بتلك النقود وبقي بيده لسنوات طويلة وورثه أولاده من بعده. وحينما علم الناس بالأمر، ذهبوا إلى البستان للتبرّك وكانوا يأكلون من ثماره وكان الوضع جارياً على هذا المنوال.

وكتب صاحب أعلام الشيعة قائلاً: «انتقل هذا البستان بعد الشيخ

محمّد علي بن الشيخ محمّد باقر إلى ابنه الذي لم يبق على قيد الحياة من بعد الأب طويلاً، وأنا لا أعرف أين يقع هذا البستان الآن ولمن وبيد من؟»[١] وكتب قائلاً: «كتب الأديب الفاضل الحاج الشيخ فتح الله اليزدي المعروف بمفتون الذي يعيش قي مدينة حيدر آباد الدكن من بلاد الهند والذي هو مدرّس وله الكثير من التصانيف، كتب لي رسالة وسأل عن مصير البستان المذكور فأجبته بأنني لا علم لي به بعد حفيد الآقا الشيخ محمّد باقر.»[٢].

توفي الشيخ محمّد باقر سنة ١٢٨٥ في النجف ودفن فيها.

ومن كبار علماء بهبهان الآخرين السيّد محمّد إبراهيم الحسينيّ البهبهانيّ والآقا السيّد حسين البهبهانيّ (١٣٠٠) وكانا كلاهما من تلامذة الحاج الشيخ مرتضى الأنصاريّ. والآخر الملا محمّد تقي البهبهانيّ (١٣٢٠) والآقاالشيخ محمّد صادق بن الحاج مسعود البهبهانيّ صاحب الحاشية على القوانين وتلميذ الحاج الميرزا حبيب الله الرشتيّ المتوفى (١٣٣٦)، والآقا الشيخ حسين البهبهانيّ (١٣١٠) والآقا السيّد إبراهيم الحائريّ البهبهانيّ (ابن الآقا السيّد حسين البهبهانيّ السابق الذكر) وكانا كلاهما من أفاضل تلامذة الميرزا محمّد حسن الشيرازيّ.

وهنالك أيضاً العالم الفقيه الشيخ حسين بن الملا غلام علي البهبهانيّ

---

(١) أعلام الشيعة، الكرام البررة: ١٨٤.

(٢) المصدر.

(١٣٣٦) تلميذ الشيخ زين العابدين المازندرانيّ، والآخر الفقيه المتبحر الشيخ محمّد زكي البهبهانيّ تلميذ الآقا السيّد محمّد كاظم اليزديّ صاحب العروة الوثقى. وللشيخ محمّد زكي كتاب في الإرث باسم ذخيرة الفرائض يعرف بإرث الشيخ محمّد زكي.

ومن مشاهير علماء بهبهان السابقين الآخرين، العالم الفقيه الميرزا محمّد حسن والعالم الجليل الشيخ علي البهبهانيّ (كان يقيم في خرمشهر) ومن معاريف علماء بهبهان الآخرين والذين كانوا يعاصروننا والتحقوا بالرفيق الأعلى خلال السنوات الأخيرة الماضيّة، الفقيه الزاهد العابد السيّد محمّد ناظم الشريعة، والعالم الجليل النبيه الشيخ محمّد علي المعصوميّ والسيّد عبد العزيز الموسويّ البهبهانيّ (الذي كان يسكن آبادان)، أعلى الله مقامهم ورفع الله في الجنان درجاتهم.

كان ذلك فهرساً لمشاهير علماء بهبهان ومجتهديهم وبالطبع فهنالك علماء كبار آخرون وردت تراجمهم مجملة ومفصّلة في أعلام الشيعة وأعيان الشيعة. فنرجو الرجوع إلى هذين الكتابين الشريفين[1].

عودة إلى الموضوع

كان بحثنا حول وصول الآقا إلى بهبهان وإقامته فيها. فبعد أن شرّف الآقا بهبهان بوصوله انشغل بالتدريس والبحث والتأليف والتصنيف

---

(١) ذكرنا في كتاب ترجمة الحاج السيّد مير سيّد علي البهبهانيّ وأفكاره وآثاره، الطبعة الثانية ترجمة ما مجموعه ٤٩ شخصاً من علماء بهبهان السابقين.

وإقامة صلاة الجماعة. وكما ذكرنا فقد كان المسلك الأخباريّ قد ترسّخ في بهبهان قبل وصول الوحيد بشكل ملفت للنظر وكان معظم أهاليها على المسلك الأخباريّ ومتبعين للشيخ يوسف البحرانيّ صاحب الحدائق، ولكن وبعد توطّن الوحيد في بهبهان اعتنق العلماء وأهالي هذه المدينة المسلك الأصوليّ مع مرور الأيّام واختاروا اتّباع الوحيد الذي كان المرجع الوحيد في ذلك العصر. وكما نقلنا فيما سبق فقد كانت بهبهان تضم محلتين باسم «بهبهان» و«قنوات» حيث كانت هاتان المحلتان منفصلتين عن بعضهما البعض منذ عهود مضت وكان أهاليهما تفرّقهما بعض المشاحنات وكما كان الحال بالنسبة إلى غالبيّة مدن إيران فقد كانوا يحلّون مواضع الاختلاف فيما بينهم بين الحين والآخر بشأن بعض القضايا الجزئية.

وقد كنا نريد خلال دراساتنا أن نعرف أين توقّف الآقا، في بهبهان أم قنوات؟ فقد كان من الطريف لنا أنّ نعلم أن القنواتيين والبهبهانيّين كانوا كلّهم يعتبرون الآقا من أنفسهم، دون أن يدّعي أهل كلّ محلة بعينها أن الوحيد منهم!

وينقل العلّامة المحقّق الحاج السيّد علي البهبهانيّ صاحب كتاب فروغ هدايت[1] والذي يقيم الآن في الأهواز وهو نفسه يمثّل نخبة

---

(١) توفي آية الله العظمى الحاج الأمير السيّد علي الموسويّ البهبهانيّ من الفقهاء الكبار ومراجع التقليد في العصر الراهن في ١٣٩٥هـ في الأهواز. ومن تأليفاته القيمة ⇦

علماء بهبهان السابقين وفقهائهم عن أستاذه الآقا الميرزا محمّد حسن البهبهانيّ أنّه نقل عن أستاذه أنّ الآقا دخل «قنوات» أوّلاً. وكان أهالي محلة بهبهان يذهبون إلى قنوات لإقامة الصلاة والانتفاع من علم الوحيد، ولكن ولأنّ الأعيان والأهالي المتمكنين كانوا مستقرين في محلة بهبهان غالباً فقد أرادوا أن يدعوا الآقا إلى تلك المحلة أيضاً وينتفعوا عن كثب من محضره.

ولذلك ومن أجل أن لا ينشب النزاع بين قنوات وبهبهان بسبب هذا الموضوع، فقد دعا أحد تجار بهبهان المحترمين، الآقا وعدداً من علماء قنوات وسكانها إلى بهبهان، وطلب من الآقا هناك أن يقيم صلاة الجماعة في مسجد تلك المحلة وأن يدرّس فيها لبضعة أيّام تبرّكاً. فوافق الآقا، وبقي في بهبهان لبضعة أيّام. ثمّ طالت هذه المدّة حتّى أقام الآقا في محلة بهبهان وبذلك نجح المخطّط دون إثارة أيّ فوضى[1]

⇦ كتاب مصباح الهداية في إثبات الولاية. وقد تمّت ترجمة هذا الكتاب باسم فروغ هدايت على يد كاتب هذه السطور وطبع ونشر للمرة السادسة. كما صدرت مؤخراً الطبعة الثانية من كتاب ترجمة آية الله البهبهانيّ وأفكاره وآثاره في الترجمة لذلك المرجع الفقيد بقلم الكاتب.

(١) قبل بضعة سنين عندما سافرت إلى بهبهان زرت دار أستاذ الكل وكانت فيغاية البساطة وكان أيوانها داخناً وكان يمتلكها أحد الأشخاص. وكان يقال إنّ هنالك طريقاً من سرداب البيت وحتى المسجد الذي كان يصلّي فيه، وكان الآقا يتردّد منه في أوقات الصلاة. فتمنيت في تلك اللحظات أن يكون هذا البيت بحيازة التراث الثقافي وأن يتم تسجيله وترميمه. ⇦

وكان الآقا يعلم بالموضوع ويتعامل معهم بشكل بحيث كان أهالي بهبهان وقنوات يترددون فيما بينهم بروح أخويّة وينتفعون من علمه على حدّ سواء[١].

ويذكر اعتماد السلطنة فيما يتعلق بفترة إقامة الآقا في بهبهان قائلاً: «زوّجه الخواجة عزيز عمدة بهبهان من ابنته.» كما ذكر الآقا أحمد في مرآة الأحوال قائلاً: «سكن ما يربو على ثلاثين عاماً في بلدة بهبهان بفارس وزُوّج هناك من صبية كهف الحاج شرف البهبهانيّ.»[٢]

وليس من المعلوم على وجه التحديد فيما إذا كان الآقا قد اختار امرأة واحدة في بهبهان وأن خلطاً قد حدث بين الخواجة عزيز كد خدا والحاجي شرف، أم إنه تزوّج أوّلاً من ابنة عمدتها المعروف بالخواجة عزيز، ثمّ زار محلة بهبهان بدعوة من الحاجي شرف، وتزوّج من ابنته أيضاً. وما هو مسلّم به أن الآقا عبد الحسين الابن الثاني للآقا وابنته كانت زوجة صاحب الرياض، من ابنة الحاجي شرف البهبهانيّ حسب ماذكر الآقا أحمد.

وقد قدّم الآقا طيلة مدّة إقامته في بهبهان بمثابرة وبصيرة عرف بها

⇦ وكما بلغني فقد خصّص السيّد هاشميّ الرفسنجانيّ ثمانية عشر مليون تومان لبلدية بهبهان خلال سفره إليها كي يحوّلوا دار الآقا إلى مجمع ثقافي، ولكنّنا لا نعلم ماذا فعلوا وأين ذهب ذلك المبلغ؟

(١) مرآة البلدان ١: ٤٩٢.

(٢) المصدر.

خدمات قيّمة للإسلام والمسلمين. بمعنى أنه انبرى لمحاربة المسلك الأخباريّ. ثمّ شمّر عن ساعد الجدّ لتعليم أهالي بهبهان وتربيتهم بحيث نال علماء كباراً من أهاليها في بهبهان وكربلاء درجة الاجتهاد العالية من حوزة تدريسه وفي اليوم الذي خرج فيه من بهبهان لم يعد هنالك من أثر لكلّ تلك الضجة التي أثارها الأخباريّون وجهلهم.

وكانت شهرة الآقا محمّد باقر البهبهانيّ قد انتشرت في كلّ مكان طويلة مدّة إقامته في بهبهان. وكان كل من السيّد صدر الدين الهمدانيّ في النجف الأشرف والشيخ يوسف البحرانيّ صاحب الحدائق في كربلاء كان زعيماً ومرجعاً أصوليّاً وأخباريّاً. ومع ذلك فقد كان صيت الآقا محمّد باقر ذائعاً في إيران والعراق وكان الجميع ينتظرون اليوم الذي يبلغ الآقا محمد باقر فيه المكانة التي تليق بنبوغه وموهبته وشخصيّته الجليلة.

وكان الآقا بدوره قد بلغ مكانة بحيث إنه لم يكن يرى محيط بهبهان كافياً لتحليق روحه الطموحة خاصّة وأنّه كان يرى الضجّة التي صنعها الأخباريّون في كربلاء وكيف تزلزل أساس الاجتهاد في مركز النجف وكربلاء العلميّ وآل سوقه إلى الكساد. ولذلك فقد اتخذ قراراً لا رجعة فيه للذهاب إلى العتبات ومواجهة كبار علماء الأخباريّين الذين كانوا قد اجتمعوا في كربلاء.

ومن المعروف في بهبهان أنّ سبب هجرة الآقا منها هو أنّ الخواجة

عزيز كلانتر قال ذات يوم للآقا عند الصلاة: «أنظر ياشيخنا العدد الكبير من الناس الذين شاركوا في صلاة الجماعة بعد أن أمرتهم بذلك وإلى أيّ مدى ازدادت الحشود. وما أن سمع الآقا ذلك حتّى انقلب إلى درجة بحيث إنّه لم يعد يصلي وذهب إلى داره وتوجّه من فوره إلى العتبات وترك بهبهان إلى الابد خشية أن تتعلق بقلبه وروحه الطاهرة والكبيرة آثار الرياء والعلائق الجسميّة والمادية بسبب الأعمال السفيهة للمريدين الجهلة وتُسقطه من الدرجات الروحية الساميّة في حضيض الدناءة والوضاعة وطلب الجاه، بل كانت هنالك شجرة خارج مدينة بهبهان قيل إنّ الآقا أقام صلاته الأخرى تحتها وتوجه إلى العتبات دون أن يخبر الناس.

ورغم أنّ هذا المعنى يتناسب تماماً مع مكانة الآقا القدسية وتقواه وزهده وروحانيّته، ولكنّنا نرى أنّ القسم الأخير من هذه الشائعة لايتوافق كثيراً مع الحقيقة، فقد ذكر الشيخ أبوعلي والزنوزيّ والآقا أحمد وآخرون أنّ الآقا محمّد علي بن الآقا وإخوته وأقاربه كانوا كلّهم في خدمة الآقا في بهبهان وهاجروا كلّهم معه من بهبهان إلى كربلاء، وبناء على ذلك فكيف من الممكن أن يخرج الآقا وحيد ودون أن يعلم به أحد من المدينة، بحيث يقيم صلاته تحت شجرة ما؟ ولكن ولأنّ هذه الشائعة اشتهرت منذ مدّة طويلة في المدينة وبلغنا ذلك بالتواتر فبإمكاننا القول إن الآقا كان يفكر من قبل في التشرّف إلى العتبات وأنّ

هذه القضية دفعته إلى أن ينفّذ قراره بشكل مفاجىء. وعلى أيّ حال، فقد غادر الآقا في سنة ١١٥٩ بهبهان نحو العتبات المقدّسة مع كلّ أسرته وأقاربه.[١]

الآقا في كربلاء المقدّسة

كتب الشيخ أبوعلي في رجاله منتهى المقال قائلاً: «وقد كانت بلدان العراق سيّما المشهدين الشريفين مملوءة قبل قدومه بمعاشر الأخباريين بل بجاهليهم وقاصريهم، حتّى إنّ الرجل منهم كان إذا أراد حمل كتاب من كتب فقهائنا رضيَ الله عنهم حمله بمنديل، وقد أخلى الله البلاد منهم ببركة قدومه واهتدى المتحيّرة في الأحكام بأنوار علومه.»[٢].

ويمثّل هذا الشرح المختصر الذي كتبه أحد تلامذة الآقا في زمان حياته مشهداً عن أوضاع مدن العراق قبل عودة الآقا من بهبهان ووصول ذلك العلّامة الفهّام من جديد إلى كربلاء والنجف الأشرف. ويتّضح من مطالعة هذا الموضوع أنّ الطبقة الأخباريّة كانت قد تقدّمت إلى حدّ كبير

---

(١) فيما يتعلق بسنة قدوم الآقا من بهبهان إلى كربلاء، بل وحتى فيما إذا كان قد جاء من أصفهان مباشرة إلى بهبهان أو جاء إلى كربلاء أوّلاً ثم ذهب إلى بهبهان بعد فترة وعاد إلى كربلاء مرة آخرى وهل وصل كربلاء في زمان الشيخ يوسف البحرانيّ صاحب الحدائق، أم أنّ صاحب الحدائق قدم إلى كربلاء في زمان إقامة الآقا فيها، كل ذلك هو مما يجب التحقيق فيه أكثر. وللأسف فإنّنا لا نمتلك الآن الاستعداد والإمكانيات للتحقيق في هذا الموضوع.

(٢) منتهى المقال ٦: ١٧٨.

في زمان الآقا فيما هُجر في المقابل وهُمّش المجتهدون ومؤيّدو الأصول ومذهب الاجتهاد.

لقد كان العلماء الأصوليّون في النجف الأشرف ومدن العراق الأخرى مستقطبين من قبل الأخباريّين إلى درجة بحيث لم يكن أحد يسمع بهم. كما أنّ الأخباريّين كانوا قد تطرّفوا إلى درجة بحيث إن زعيمهم صاحب الحدائق كان قد أصيب برعب كبير من العواقب الوخيمة لذلك. فقد كان يحذّرهم في كتبه كلّما رأى ذلك مناسباً، بالكناية والتلميح من مواصلة تلك الطريقة غير المستحسنة التي كانت تؤدي إلى حدوث الانشقاق بين الشيعة والنزاع بين العلماء الأصوليّين والأخباريّين[1]

وباختصار فإنّ عقلاء الطرفين الذين كانوا يدركون العواقب المشؤومة لهذا الطريق المعوج كانوا يعانون معاناة لا حدّ لها وكان الجميع ينتظرون أن تجود يد الغيب بشخص قدير وشخصيّة واعية القلب وتزجّها في الساحة كي تنهي هذا الوضع المؤسف، وكما سنقرأ في الفصول القادمة فإنّ هذا الشخص المقتدر والشخصيّة البارزة المجرّبة لم تكن سوى الوحيد البهبهانيّ حيث كانت كلّ شرائط المسؤولية متوفرة فيه.

وقد كان الآقا في كربلاء والنجف في الغالب وكان محيطاً وعالماً بسلوكيات العلماء والأهالي في خلال فترة إقامته في بهبهان واجه علماءها الأخباريّين ما استطاع وألزم الجميع وأدانهم وقضى عليهم

---

(١) انظر: فصل «المعاصرون للآقا»: الشيخ يوسف البحرانيّ.

بشكل مبرم، وها هو ذا يصل كربلاء بعزم راسخ وتصميم لا عودة منه كي يوجّه الضربة الأخيرة إلى جسد الأخباريّين ويصفّي الحساب معهم بشكل نهائي ويكشف عن وجه الحقيقة المختبئة خلف حجاب الأهواء والشهوات والغيوم المظلمة التي كانت قد غطّت سماء كربلاء. ومن أجل التعرّف على ردّ فعل الآقا عند وصوله كربلاء، نلفت عناية القرّاء الأجلّاء إلى الموضوع التالي:

ذكر العلّامة الفقيه الحاج الشيخ عبدالله المامقانيّ في تنقيح المقال قائلاً: «بعد أن عاد الآقا من بهبهان دخل النجف الأشرف وحضر مجلس مباحثة المدرّسين في ذلك الوقت، ولكنه لم يجد أستاذاً كاملاً يمكنه الانتفاع منه! ولذلك فقد انتقل إلى كربلاء. وكانت كربلاء آنذاك مجمعاً للأخباريّين، وكان رئيسهم آنذاك الشيخ يوسف صاحب الحدائق. وقد حضر الوحيد بحثه لبضعة أيام ثمّ وقف ذات يوم في الصحن الشريف وصرخ بصوت مسموع قائلاً: أيها الناس أنا حجّة الله عليكم والتفت إليه العلماء والفضلاء من كل طرف وتجمعوا حوله وقالوا: ماذا تريد؟ فقال الوحيد: أريد من الشيخ يوسف أن يضع منبره تحت تصرفي ويأمر تلامذته بالحضور عند منبري! وعندما بلغ هذا الخبر الشيخ يوسف، قبل بطيب خاطر طلب الوحيد لعلّه يستطيع أن يثبت إبطال المسلك الأخباريّ لهم، لأنه كان قد عدل في تلك الأيام عن المسلك الأخباريّ، ولكنه لم يكن بمقدوره إظهار الحقّ خشية الجهال منهم. وانشغل

الوحيد لثلاثة أيام بالدرس والبحث والنقّاش وأعاد في النهاية ثلثي تلامذة الشيخ يوسف إلى المذهب الأصوليّ!وسرّ صاحب الحدائق كثيراً لذلك».!! «وقد سمعت ذلك من أساتذتي الموثقين أعلى الله مقامهم.»[1].

الآقا وصاحب الحدائق

رغم أن الشيخ يوسف البحرانيّ صاحب الحدائق كان ــ كما مرّ ــ من العلماء الأخباريّين في الظاهر، ولكنّنا لا يمكننا اعتباره منهم من الناحية العملية وذلك من خلال الرجوع إلى كتاب الحدائق وأخلاقه وحياته، كما نقلنا معظم نقده لنهج العلماء الأخباريّين من كتاب لؤلؤة البحرين.

وقد كتب الحاج الشيخ عبدالله المامقانيّ السابق الذكر في كتابه الرجال قائلاً: «من جملة الغرائب التي ينقلونها والتي تكشف عن قوة ديانة صاحب الحدائق أنّ الوحيد كان قد حكم ببطلان الصلاة خلف صاحب الحدائق، ولكن صاحب الحدائق حكم بصحة الصلاة خلف الوحيد! وعندما أخبر بأنّ الوحيد يقول كذا بشأنك، قال إن التلكيف الشرعيّ هو ما قاله وتكليفي الشرعيّ هو ما أقوله وكل منّا يعمل بما كلّفنا الله به. وكان صاحب الحدائق يتحمّل ذلك من أجل انتشار المذهب الأصوليّ.»[2].

---

(١) تنقيح المقال ٢: ٨٥، باب «محمّد».

(٢) المصدر.

وقد كان العلّامة بحرالعلوم والسيّد محمّد مهدي الشهرستانيّ وغيرهما والذين أصبحوا فيما بعد من أفاضل تلامذة الآقا، كانوا قبل وصول الآقا كربلاء من كبار تلامذة الشيخ يوسف، ولكن بمجرّد أن بدأ الآقا التدريس وأعلن معارضته للمسلك الأخباريّ، تركوا التردّد على الشيخ واكتفوا بالانتفاع من دروس الآقا.

وكان الآقا يمنع بشكل علنيّ وبكلّ إصرار تلامذته، سواء تلامذة صاحب الحدائق سابقاً أم أولئك الذين كانوا يتلقون العلم منه لا من غيره، من الذهاب إلى درس الشيخ يوسف؛ وكان يصرّ على ذلك إلى درجة بحيث إنّ صاحب الرياض الذي كان صهره وابن أخته وكان يريد أن ينتفع من درس الشيخ ومسلكه أيضاً كان يشارك في حلقته التدريسية ليلاً وبكلّ احتّياط.

وفي نفس الوقت فقد كان من المسلّم به أنّ إصرار الآقا على مخالفة الشيخ يوسف وتحريم الصلاة خلفه والذهاب إلى درسه حيث كان رئيسَ الأخباريّين، كان كلّ ذلك بهدف القضاء على المسلك الأخباريّ وإحياء طريقة الاجتهاد وعلم الأصول وإلّا فإنّ هنالك الكثير من الشواهد على أنّ الآقا والشيخ يوسف كانا يوليان الاحترام لبعضهما البعض إلى حدّ كبير، وفضلاً عما نقله المامقانيّ، فما من دليل أوضح من أن يوصي الشيخ يوسف بأن يصلّي الوحيد على جنازته! وأن يبادر في زمان حياته رغم معارضات الآقا الصريحة، إلى الدعوة للآقا وطريقة الاجتهاد وأن

يفسح المجال للآقا من أجل تحقيق هدفه.

وقد كتب المحدّث القمّيّ في فوائد الرضويّة قائلاً (:«قال صاحب التكملة أخبرني العبد الصالح الحاجي كريم فراش الصحن الشريف لسيد الشهداء عليه السلام قال: كنت في سن العشرين وكنت أخدم في الصحن والحرم وإذا بمنادي الحرم المبارك نادى بغلق أبواب الحرم. فرأيت أنّ حضرة الآقا البهبهانيّ والشيخ يوسف البحرانيّ خرجا من الحرم معاً، ووقفا في الرواق، وكانا منشغلين بالحديث والمباحثة في المواضيع العلميّة. حتى نادى المنادي بغلق أبواب الرواق، فخرج هذان الفاضلان من الرواق ووقفا في الصحن وانشغلا بالمباحثة. حتى نادى المنادي بإغلاق أبواب الصحن الطاهر، فخرجا من الصحن، من باب القبلة ووقفا خلف الباب وكانا يتباحثان.

وعندما جئت عند السحر قبل الفجر لفتح أبواب الصحن، كان الباب الأوّل الذي اعتدنا فتحه باب القبلة وحينما فتحت الباب رأيت ذينك الفاضلين وهما مايزالان واقفين ويتباحثان. وعندما رأيت ذلك وقفت كالمبهوت وتعجبت من طول نقّاشهما واستمرا في النقّاش حتى رفع المؤذن أذان الصبح. وحينئذ عاد الشيخ يوسف إلى الحرم الشريف للصلاة، لأنّه كان يصلي الجماعة في الحرم، ورأيت أنّ حضرة السيّد البهبهانيّ فرش عباءته على الدكة التي عند باب الصحن في الجانب الأيسر من خارج الصحن ووقف على العباءة ورفع الأذان والإقامة وأدى

صلاة الصبح، وعندما فرغ، ذهب إلى الدار وكان منزله قريباً من تلك الباب.»[١].

كما قال الحاج كريم: «حينما توفي الشيخ يوسف في سنة الطاعون صلّى عليه السيّد البهبهانيّ بناء على وصية الشيخ نفسه، وأدى الصلاة على الجنازة في الصحن قرب الباب السلطانيّ. وأراني الحاجي موضع الجنازة للصلاة،وكان الحاج كريم هذا قد تجاوز عمره العشرين بعد المائة.»[٢].

وإذا ما ألقينا نظرة إلى تأليفات الآقا فسنرى أن لا توجد صفحة فيها إلّا وانتقد آراء الأخباريّين ونقضها. فقد اعترض الآقا بشدة في كلّ مؤلّفاته على العلماء الأخباريّين الواحد تلو الآخر حيث ذكرنا سابقاً أن أركان الأخباريّين قد تقوّضت وانسحب الأخباريّون من الساحة ليحلّ محلهم الفقهاء والمجتهدون وليستعيد مذهب الاجتهاد ازدهاره السابق.

وقد ناظر الآقا في النجف وبهبهان وكربلاء كلّ العلماء الأخباريّين وتغلّب عليهم كلّهم وفنّد أفكارهم بل إنه وعندما تشرّف بزيارة كربلاء، لم يترك مناظرته مع رئيسهم الشيخ يوسف صاحب الحدائق. ولكن ولأنه لم يكن يريد أن يتحدّث بشكل علنيّ وفي الأوساط العامّة مع الشيخ يوسف صاحب الحدائق، كي يفصل الأصوليّ حسابه عن

---

(١) يبدو أنّ هذا الموضوع كان في أوائل مجيء الآقا إلى كربلاء.

(٢) فوائد الرضوية ٢: ٤٠٧.

الأخباريّ بشكل كامل، فإنّه لم يكن يتجنب النقّاش مع الشيخ حول المسلك الأخباريّ وطريقة الاجتهاد في كلّ فرصة مناسبة ومكان منزو يلتقيه فيه كما لم يكن يعرض عن التفاوض ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. والشرح السابق الذي نقله تكملة أمل الآمل، هو بحدّ ذاته دليل على هذا الادّعاء.

وأما صاحب الحدائق الذي كان قد سمع به من بهبهان وأدرك كلّ الإدراك نبوغه الذاتي وفهمه الذي حباه الله به عند نقّاشاته الطويلة والخصوصية معه وسعة معلوماته وبحوثه وتحقيقاته العميقة وكان يرى أن تلامذته المعروفين أمثال العلّامة بحرالعلوم والميرزا محمّد مهدي الشهرستانيّ انبهروا منذ الأيّام الأولى ببيان الآقا وعلومه، فقد اغتنم الفرصة لإزالة النفاق بين الأخباريّين والأصوليّين والذي كان يذكر به من قبل في كتبه بشكل سري وغير علنيّ، ولم يكن يحجم عن أيّ دعوة للآقا والتعريف به لدى خواص الناس وعوامهم، على أمل أن يحول الآقا دون تطرّف الأخباريّين وأن يضطرّوا لأن للكفّ عن عنادهم ولا يجعلوا الشريعة الغرّاء ملعبة لأهوائهم وهوسهم.

وبالفعل فقد تحقّق هدف ذلك الرجل الكبير كأحسن مايكون التحقّق، بحيث إنّ الآقا شتّت جمع الأخباريّين دون أيّة ضجة وأخمد صخبهم. ومن المسلّم به أنّ ردّ فعل صاحب الحدائق كان له دور كبير في نجاح الآقا، فقدّم هذا الرجل الكبير خدمة عظيمة إلى العالَم الشيعيّ

بهذا التفاني. ذلك لأنّه لو كان قد وقف في وجه الآقا ومنع الناس، سواء تلامذته، أم مريدوه من المشاركة والاتصال بحلقاته التدريسية ومباحثاته وصلاته ومجلسه، لكان من المسلّم به أن يتطور الأمر إلى النزاع والصراع بحيث لا يمكننا تصوّره اليوم، وذلك بسبب رئاسته وقدرة بيانه الذي كان يتمتّع به.

ولقد أوضحنا ذلك وشرحناه كي يستوحي القرّاء وخاصّة النخبة التي تسلك طريق أولئك الرجال العظام من قيمهم المعنويّة والروحية ودرجة الخلوص التي بلغوها ولكي يستحضروا في أذهانهم كيف يصرّ أحد رجال الله على إزالة البدع وإنقاذ الشريعة وإلى أيّ مدى يضحّي الآخر في سبيل تحقيق هذا الهدف.

مناظرات الآقا مع العلماء الأخباريّين

انبرى الآقا بفضل فكره البديع ومنطقه القوي وقوة بيانه والتي كانت كلّها بالغة حدّ الكمال، للمناظرة والمواجهة سواء في بهبهان أم في كربلاء وتفوّق عليهم كلّهم، بحيث لم يكن بمستطاع أحد مواجهته ومناظرته، وكان كلّ شخص يحاوره يعترف بعجزه وعدم قدرته، وأما أولئك الذين كانوا متشبثين بالتعصب والجدال، فقد كانوا يقولون إنّ الوحيد رجل جدلي لأنهم كانوا يرون أنفسهم عاجزين عن مواجهته.!

والقسم التالي الذي ننقله من كتاب الاجتهاد والأخبار هو شاهد صادق على هذا الادّعاء. فقد حكى لنا الآقا في هذا الكتاب مناظرته مع

مجموعة من علماء بهبهان الأخباريّين قائلاً: «فإنّ العجائب التي أنا بنفسيّ مبتل بها ومشغول بمشاهدتها من كثير من صلحاء بلادنا وعلمائنا الّذين يدّعون معرفة الفقه والحديث والمهارة فيهما، وصرفوا طويلاً من عمرهم فيهما، وربما يدّعي جمع منهم درجة الاجتهاد، بل وبعض منهم أقصى درجاته، ليست بأدنى من الحكايات لو لم تكن فوقها، ولا بأس بالإشارة إلى بعضها ليكون عبرة وتنبيّها:

اعلم! أنّهم نفوا حجّيّة غير الكتاب والحديث رأساً، ولا يجوّزون التمسك به أصلاً، فإذا أورد عليهم أنّ بديهي الدين والإجماع مع كشفه عن قول المعصوم عليه السلام لم لا يكون حجّة؟

قالوا: أيّ حديث يدلّ على حجّيّته؟

فأوردت عليهم بأنّ أكثر الأحكام يثبت من الأحاديث بمعونة الإجماع؛ فإنكم تستدلّون على استحباب شيء بمجرّد لفظ الأمر مع خلوّه عن قرينة ومعارض، بل بلفظ الفرض والوجوب أيضاً، وهذا ديدنكم في الأفعال والأذكار، والأدعية في الأيّام والليالي والشهور والأحوال وغيرها، وبهذه الطريقة جرت حالاتكم في تصانيفكم وعملكم، ومع ذلك نراكم تكثرون من الاستدلال على وجوب شيء من الآية والحديث بالأمر الوارد فيهما، مع أنّه ليس معه قرينة، بل نراكم تستدلّون على نجاسة شيء بمحض الأمر بالغسل وتجزون عليه جميع أحكام النجاسة بمجرّد هذا، وأين هذا من ذاك؟! وهكذا الحال بالنسبة

إلى النهي والتحريم وأمثال ذلك.

فأجابوا: بأنه لعلّه يكون أحاديث أخر تدلّ على ما ارتكبناه وحكمنا به وتكون مذكورة في مواضع أخر.

فاعترضت عليهم: بأنّ النحو والصرف وأمثالهما لم تقرءونها مع أنها ليست بحديث.

فأجابوا: بأنّ النحو من حديث أمير المؤمنين عليه السلام: «كل فاعل مرفوع، وكلّ مفعول منصوب، وكلّ مضاف إليه مجرور».

فاعترضت عليهم: لم تعتمدون على ا «قاموس» وأمثاله في اللغة؟

فأجاب واحد منهم: بأنّ جميع ما في كتب اللغة معلوم يعرفه كلّ أحد، وآخر: بأنّ العمل بها وصلنا خلفاً عن سلف. واعترضت عليهم: لم تعتمدون على قول المنجّم في معرفة القمر في العقرب؟ فأجابوا: بأنّا لا نعتمد عليهم، بل متى رأينا القمر في نجم العقرب قلنا: القمر في العقرب. فاعترضت عليهم بأنّكم تعملون بآداب نيروز الفرس ومستحبّات ذلك اليوم، فمن أيّ حديث تعرفون يوم النيروز؟ فلم أسمع منهم جوابه، وكذا لم أسمع جواباً من اعتراضيّ عليهم في عملهم بقول الأطبّاء وأمثال ذلك. نعم سمعت أنّهم قالوا: فلان جدلي يريد أن يبطل الحقّ بجدله. وربما يظهر منهم أنّ أمثال هذه الاعتراضات منّي لعدم اطّلاعي بالفقه والحديث. واعترضت على بعضهم: بأنّ القبلة عندك لا سعة فيها، فبأيّ حديث تعرفها؟ فقال: بحديث «ضع الجدي على

يمينك». فقلت: من أين تعرف أنّ هذه علّامة قبلة بلدك مع أنّ الظاهر أنّ الراوي ليس من أهل بلادك؟ فأجاب بأنّه لو لم أقل بأنّ قبلتنا قبلة راوي هذا الحديث للزمني العمل بغير الحديث وهذا باطل، كيف يجوز التمسك بغير الحديث؟ وقاصر منهم ــ مع ادّعائه أعلى درجة الاجتهاد ــ غيّر قبلة بلادنا بناء على أنّه لا يوجد حديث يعرف منه القبلة، والأمارات ليست بحديث، مع أنّ علم الهيئة من الكفرة، ووجد في عبارات بعض الفقهاء أنّ أطراف العراق الشرقية يجعلون الجدي على الخدّ الأيمن والشولة عند نزوله للمغيب بين العينين، ويجعلون المشرق على اليمين والمغرب على اليسار، فأخذ من بين الأمارات الثلاث الأولى منها. مع أنّ قبلة المسلمين ومساجدهم وقبورهم على وفق الأمارة الثانية وهي التي تقتضيها قاعدة الهيئة، وتوافق قول العلماء وعملهم في الأعصار والأمصار وتناسب قبلة سائر البلدان والأمصار، وتشهد له الشواهد والاعتبار، ومع ذلك عدل عنها وأخذ بالأمارة الأولى زعماً منه أنّها تثبت بشهادة العدلين، يعني بعض الفقهاء بعبارتهم المذكورة. فاعترضت عليهم اعتراضات كثيرة، وسمعت في الجواب مزخرفات شنيعة. ومن جملتها؛ أنّي اعترضت بأنّه كيف تعتمد على ما تفهم من هذه العبارة؟ مع أنّ صريحها أنّ الأمارات الثلاث إنّما تستفاد من علم الهيئة، وأنّ الحكم بها من جهة قولهم، فكيف تحكم بوجوب جعل الجدي على الخدّ، وتجعل قبلتك وقبلة مقلّديك على هذه؟ بل

تحكم أنّ سائر الناس لا بدّ أن يفعلوا كذلك، مع أنّ علم الهيئة ليس بحديث، مضافاً إلى أنّه من قول الكفرة، بل صرّحت أنت بحرمة العمل به.

فأجاب: بأنّه لا يضرّنا؛ لأنّها من قبيل الجلد الذي نشتريه من يد المسلم فإنّه طاهر من هذه الجهة و إن كان في الواقع ميتة و ربما يظهر من هذا القاصر في العصير الذي غلا و لمّا يذهب ثلثاه، الحكم بحرمة كل ما يعصر و يخرج بالعصر من الأجسام دون ما يخرج بغير عصر.»[1] (وبناء على ذلك فإنّ لفظ العصير والعصر رآه في عبارات الفقهاء، ولكنّه أضاع ثقب الدعاء).

ثمّ يذكر الآقا قائلاً: «وربما يظهر من هذا القاصر في العصير الذي غلا ولمّا يذهب ثلثاه، الحكم بحرمة كل ما يعصر ويخرج بالعصر من الأجسام دون ما يخرج بغير عصر.

و اتفق إنّه وقع في هذه السنة اشتباه في هلال شوّال فشهد عندي عدد التواتر فأفطرت. فاعترض عليّ بعضهم (العلماء الأخباريّون) بأيّ حجّة أفطرت؟ فقلت: باليقين الحاصل من التواتر. فقال: هات لي حديثاً على حجّيّة اليقين هاهنا مع أنّ الوارد في الحديث «ثبوت الهلال بشهادة العدلين».

و ببالي أنّ بعضاً من أمثال هؤلاء متى ما رأى في حديث من مداواة

---

(١) الاجتهاد والأخبار، الفصل الخامس: ٦٢.

المرضى بالماء البارد وأمثال ذلك حكم بالمداواة بها لكلّ مرض.»
«(ولكنّ هذا الشخص الأخباريّ لا يذعن لثبوته حتّى بالتواتر)» !

ثمّ يعمد الآقا إلى الشرح والتفصيل في هذا المجال ويستعرض حالات أخرى من أخطاء العلماء الأخباريّين وجهالاتهم مما لا يتسع المجال لذكره.[1] وقد أردنا من نقل هذا القسم الكشف عن ضعف وركاكة فكر العلماء الأخباريّين المعاصرين للآقا الذي كان ملاذ المسلمين ومرجعهم وأن يدرك القاريء المحترم أيضاً إصرار الآقا على مناظرتهم.

الوحيد البهبهانيّ؛ مجدّد المذهب الشيعيّ

في بداية القرن الثاني عشر الهجريّ

روى ابن الأثير الجزريّ أحد علماء العامّة في كتاب جامع الأصول من أحاديث الرسول عن النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله قوله: «إنّ الله يبعث لهذه الأمة عند رأس كلّ مائة سنة من يجدّد لها دينها».

ومسند هذه الرواية صحيح أبي داود وسندها صحيح عند العامّة. ومضمون هذا الحديث هو أنّ هنالك شخصاً يظهر في كلّ مائة سنة يحفظ تشريعات دين النبيّ صلى الله عليه وآله من الزوال والاضمحلال وتطاول الأعداء، كما تلقّيت هذه الرواية بالقبول بين الشيعة والسنّة وفقهائنا

---

(١) الاجتهاد والأخبار، الفصل الخامس: ٢٧.

ومجتهدينا، كما يقول الآقا في كتاب الاجتهاد والأخبار في خلال بحث له في هذا المجال: «الّذي لم يبلغ درجة الاجتهاد ـ بعد تخلية نفسه من الشوائب وخلوصها عن المعايب ـ إذا لاحظ التهديدات البالغة من الشرع وغيرها ـ مما أشرنا إليه في الفصل السابق ـ واطّلع على المضايقات الشديدة الظاهرة، والتحذيرات الهائلة الصادرة عن الفقهاء الماهرين في الفقه، المتبحرين فيه، المطّلعين عليه بحقّه وحقيقته، المتّقين الورعين الّذين هم أطبّاء الأديان والمؤسّسون لمذهبنا في غيبة مولانا صاحب الزمان، المروّجون له على رءوس المئين في الأزمان.»[1]

كما يرى العلّامة بحرالعلوم في الفوائد الرجاليّة أنّه سيظهر عند كلّ مائة عام مجتهدون وفقهاء كبار سيكونون الناشرين للمذهب الشيعيّ والمجدّدين والحافظيّن له في غيبة إمام الزمان عجل الله فرجه طيلة تاريخ الإسلام والغيبة الكبرى لإمام الزمان الكبرى. كما ينقل في ذلك الكتاب عن ابن الأثير في كتاب جامع الأصول أنّه اعتبر بعد نقل الحديث السابق الذكر والشرح والتفصيل اللذين قدّمهما حوله، اعتبر أن الشيخ الكلينيّ كان مجدّد مذهب الشيعة في بداية القرن الثالث وعلم الهدى الشريف المرتضى في بداية القرن الرابع.

واعتبر الملا نوروز علي البسطاميّ الذي هو تلميذ الآقا بواسطة واحدة في كتاب فردوس التواريخ في بداية القرن الرابع، اعتبر الشيخ

---

(١) الاجتهاد والأخبار: ٩١، الباب ٢.

المفيد أو الشريف المرتضى مجدّد المذهب، كما قال الكثير من العلماء بذلك أيضاً. ثمّ يذكر ما تبقّى من المجدّدين على النحو التالي: في بداية القرن الخامس ابن شهر آشوب المازندرانيّ صاحب كتاب المناقب، في بداية القرن السادس ابن إدريس الحلّيّ صاحب كتاب السرائر، في بداية القرن السابع العلّامة الحلّيّ، وفي بداية القرن الثامن الشهيد الأوّل. في بداية القرن التاسع المحقّق الثاني الشيخ علي بن عبد العالي الكركيّ العامليّ صاحب جامع المقاصد.

وفي بداية القرن العاشر ظهر صاحب نقد الرجال الملا عبدالله التستريّ وأستاذ المجلسيّ الأوّل. وفي بداية القرن الحادي عشر العلّامة المجلسيّ الثاني. حيث يقول: «ومن أولئك الفضلاء أيضاً سماحة السيّد المطلق والفقيه بالحقّ محمّد بن محمّد أكمل المدعو بباقر. أفاض الله تعالى على مرقده شبابيب الرحمة والرضوان وأسكنه في أعلى عرفات الجنان.»[1]

وكان الآقا يعرف في عصره بمجدّد المذهب. وكان تلامذته في كلّ مكان يعتبرونه ناشر الدين الحنيف ومجدّد طريقة الاجتهاد والتقليد ومحيي أساس التشيّع. ومن جملتهم تلميذه الزنوزيّ في رياض الجنّة حيث يقول في ترجمته: «محمّد باقر بن محمّد أكمل الأصفهانيّ الشهير بالبهبهانيّ الساكن بكربلاء حياً وميتاً طاب ثراه أستاذنا الأعظم كان عالماً

---

(١) فردوس التواريخ: ٩٣. أي في بداية القرن الثاني عشر. وأنا الكاتب أقول: آية الله العظمى الميرزا محمّد حسن الشيرازيّ في مطلع القرن الثاني عشر، والإمام الخمينيّ رضوان الله عليه عند مستهل القرن الرابع عشر.

فاضلاً باذلاً ثقة عدلاً فقيهاً مجتهداً صرفاً محقّقاً مدقّقاً مروّجاً ثبتاً ضبطاً علّامة البشر، مروّج مذهب الأئمّة الاثني عشر في رأس المائة الثاني عشر، جليل القدر عظيم الشأن، قرأنا عليه في الفقه والأصول كثيراً وقد ذكرناه في كتابنا الكبير الموسوم ببحرالعلوم فقلنا عند ذكره سماحة مولانا الأعظم وشيخنا الأكبر الآقا محمّد باقر بن محمّد أكمل الشهير بالبهبهانيّ طاب ثراه.

وكان في العلم والفضل والورع رأس فضلاء بني نوع البشر ومروّج مذهب الإمامية في المائة الثانية عشرة. والحقّ أنه كان في العلوم النقليّة سيّما في أصول الفقه وفي سائر مبادىء الاجتهاد الشخص الأوحد الذي وضع قدمه في عالم الوجود لقرون. ولقد أزال بالتقريب شيوع الأخباريّة بالمرّة وقوّض أساسها. شكر الله مساعيهم الجميلة.»

كما ذكر العلّامة بحرالعلوم الذي كان أفضل تلامذة الآقا في الإجازة التي أعطاها للسيد عماد الدين حفيد السيّد نعمة الله الجزائريّ وجاءت مرفقة بعدة إجازات أخرى في آخر كتابه الفوائد الرجاليّة في مكتبة ملك الوطنيّة (طهران)[1] بتقريب ذكر مشايخ إجازته قائلاً: «... وأخبر من جملة ذلك: إنّني وعلى سبيل القراءة والسماع والإجازة، شيخنا العالم العامل العلّامة والأستاذ المتبحر والفاضل الفهّامة، المحقّق النحرير والفقيه العديم النظير، بقيّة السابقين وفخر فضلاء المبقّين، مجدّد طريقة

---

(١) طبع هذا الكتاب في سنة ١٣٦٣ من قبل أحفاد العالم بحرالعلوم، السيّد محمّد صادق والسيّد حسين في ٤ مجلّدات باسم رجال السيّد بحرالعلوم.

المجتهدين والتي كانت قد اندرست ومحيي آثار قدماء العلماء والتي كانت قد زالت، البحر الزاخر والعلم الماهر: الشيخ محمّد باقر بن الشيخ الأجل الأكمل والمولى الأعظم الأبجل المولى محمّد أكمل...».

كما ذكر الآقا أحمد في مرآة الأحوال قائلاً: «لقد اكتسبت طريقة الأصوليّين من سماحته غاية الازدهار والانتشار التام في الشهر الثاني عشر بعد اضمحلال الأخباريّين»[1].

وباختصار فإن كلّ من ترجم للآقا في زمان حياته وبعده حتّى عصرنا أو ذكر اسمه المبارك فقد اعتبره مجدّد المذهب ومروّج طريقة الشيعة الحقّة، وعلى حدّ ذكر العلّامة المتتبّع الشيخ عبدالله المامقانيّ: «وكفاك أنّه عدّ بالاستحقاق مجدّد ملّة سيّد البشر في رأس المائة الثّانية عشر.»[2]

وما أحسن ما قال صاحب نخبة المقال:

والبهبهانيّ معلم البشر مجدّد المذهب في الثاني عشر
أزاح كلّ شبهة وريب فبان للميلاد كنه الغيب
(١١١٨)

ويذكر العالم الجليل القدر السيّد محمّد باقر الخوانساريّ في روضات الجنّات قائلاً: «مروّج رأس المائة الثالثة عشرة من الهجرة المقدّسة المطهّرة كما أنّ سميّه المتقدّم كان مروّجا على رأس المائة قبلها، وقد بقى

---

(١) مرآة الأحوال: ١٠٩.

(٢) تنقيح المقال: ٨٥، باب ٢ «محمّد».

إلى الثامنة من الثالثة كما قد بقى الأوّل إلى العاشرة من الثانية عشر، وكذلك ارتفعت بميامن تأييداته المتينة أغبرة آراء الأخباريّة المندرجة في أهواء الجاهلية الأخرى من ذلك البين كما انطمست آثار البدع الألوفية المنتشرة من جماعة الملاحدة والغلاة والصوفيّة ببركات انتصار المتقدّم منهما لأخبار المصطفين عليهم السلام وقد سمّى كلاهما أيضاً بآية الله تعالى[1][2] (علينا أن لا نخلط بين آيات الله هؤلاء وبين بعض آيات الله الّذين يصنعهم الأناس الجهلة في عصرنا وأصحاب الصحف بين الحين والآخر !)

وقد سجّل صاحب خاتمة المستدرك هذين البيتين للفقيه الكبير الشهير الملا محمّد جعفر الأسترآباديّ الذي كان من تلامذة صاحب الرياض كما أدرك عهد الآقا حول أهمّيّة وجود الآقا في إحياء علم الأصول والاجتهاد. والقصد من السيّد الداماد في الشطر الثالث صاحب الرياض الذي كان صهر الآقا.

تخم أصول فقه در أيّام اندراس آقاي بهبهانيّ أز آن كاشت با أساس

در وقت آب سيد داماد آب داد والي نمود خرمنش أي خوشه چين به داس[3].

---

(١) رأى صاحب الروضات أن وفاة الآقا كانت في ١٢٠٨، ولكنّ رحيل الآقا كان في سنة ١٢٠٥ كما سنذكر، وبناء على ذلك فقد كان الآقا على قيد الحياة لخمس سنين من القرن الثالث عشر. (هذه المعلومات ترتبط بالطبعة الثانية).

(٢) روضات الجنّات ٢: ٩٤.

(٣) مستدرك الوسائل ٣: ٣٨٥.

«لقد زرع السيّد البهبهانيّ بذرة أصول الفقه في أيّام اندراسها وحين سقياها، سقاها السيّد الداماد (الصهر) ثمّ جعل منها الوالي بيدراً بالمنجل يا حاصد السنابل»

كما نظم العالم الأريب والفاضل الأديب الشيخ محمّد تقي البروجرديّ أشعاراً في هذا المجال ندرجها إكمالاً لكلّ ما قلناه ثمّ نختم هذا البحث. وقد أخذ العالم الجليل الآقا محمّد آل الآقا دام ظلّه[1] خلال الفترة التي كان في النجف هذه الأشعار من الشيخ محمّد تقي المذكور وتلطّف بناء على التماسنا في درجها في الكتاب الحاضر. والحقّ أنه أجاد نظمها وأتى بها مطابقة للواقع وبريئة من كلّ مبالغة وتكلّف، والأشعار المذكورة هي:

ومن به تمّ لنا المفاخر ... البهبهانيّ الوحيد الباقر
أسّ الهدى معلم الإنسان ... أصل التقى مقنّن الإيقان
مجدّد الأصول أستاذ البشر ... مروّج الفروع في الثاني عشر
النجم في الليل البهيم الآيل ... فخر الورى ابن محمّد أكمل
بيمن مجده عدت متصله ... فرقتنا بعد انقطاع السلسله
وفي طريق الجدّ واجتهاد ... وزال ما ليس من السداد

---

(١) المرحوم آية الله الآقا محمّد آل الآقا الكرمانشاهيّ آخر الفقهاء والمجتهدين من أسرة أستاذ الكل الوحيد البهبهانيّ ومن تلامذة الآيات العظام النائينيّ والآقا ضياء العراقيّ والسيّد أبي الحسن الأصفهانيّ. وكنت قد وفقت لزيارته سنة ١٣٣٠ ش وما بعدها في كرمانشاه وقم.

كـان مؤيّـداً وتـمّ الحجّـة فحجّة صـار بحكـم الحجّـة

الآقا في نظر العلماء والفقهاء والمؤلّفين من بعده

يشيد الشيخ أبوعلي الحائريّ في كتاب منتهى المقال الذي كتب في زمان حياة الآقا، يشيد بأستاذه العلّامة قائلاً: «محمّد بن محمّد أكمل المدعو بباقر، أستاذنا العالم العلّامة وشيخنا الفاضل الفهّامة دام علاه ومدّ في بقاه، علّامة الزمان ونادرة الدوران، عالم عريف وفاضل غطريف، ثقة وأيّ ثقة، ركن الطائفة وعمادها وأورع نسّاكها وعبّادها، مؤسّس ملّة سيّد البشر في رأس المائة الثانية عشر، باقر العلم ونحريره والشاهد عليه تحقيقه وتحبيره، جمع فنون الفضل فانعقدت عليه الخناصر وحوى صنوف العلم فانقاد له المعاصر، والحري به أنْ لا يمدحه مثلي ويصف، فلعمريّ تفنىٰ في نعته القراطيس والصحف، لأنّه المولى الذي لم يكتحل عين الزمان له بنظير كما يشهد له مَن شهد فضائله ولا ينبئك مثل خبير.»[1].

كما مدح الفقيه المحقّق الماهر الشيخ أسدالله الدزفوليّ الكاظميّ في مقدّمة كتاب مقابس الأنوار والذي كان هو نفسه من تلامذة العهد الأخير من عمر الآقا، استاذه الكبير بهذه الأوصاف. فهو يقول بتقريب ذكر مشايخ الإجازة: «... ومن جملتهم الأستاذ الأعظم لشيخنا العظيم الشأن، الساطع البرهان، كشّاف قواعد الإسلام، حلّال معاقد الأحكام، مهذّب قوانين الشريعة ببدايع أفكاره الباهرة. مقرّب أساطين الملّة

---

(١) منتهى المقال ٦: ١٧٧.

المنيعة بفرائد أنظاره الزاهرة، مبيّن طوائف العلوم الدينيّة بعوالي تحقيقاته الرائقة، واحد الآفاق في محاسن الفضائل ومكارم الأخلاق، مبيد شبهات أولي الزيغ واللجاج والشقاق على الإطلاق بمقاليد تبيانه، الفاتحة للأغلاق الخالية عن الأخلاق، الفائز بالسباق، الفائت عن اللحاق، شيخيّ وأستاذي في مبادي تحصيلي وشيخ مشايخي، المحقّق الثالث والعلّامة الثاني، الزاهد العابد الأتقى، الأورع العالم العلم الربّانيّ مولانا الآقا محمّد باقر بن محمّد أكمل الأصبهاني الحائريّ، الشهير بالبهبهانيّ قدّس الله نفسه الزكية وأحلّه في الفردوس المنازل العليّة.»[1].

كما كتب العلّامة بحرالعلوم في إجازته للعالم الفهّام محمّد حسن بن الحاج معصوم القزوينيّ وذلك في شهر شعبان من سنة ١٢١١ أي قبل سنة من وفاته قائلاً: «شيخنا العالم العلم العلّامة، والأستاذ الفاضل الفهّامة، المحقّق النحرير والفقيه العديم النظير، خاتم الفقهاء ونادرة العلماء ومفخر الفضلاء، الشيخ محمّد باقر بن الشيخ الأجل الأكمل والمولى الأعظم الأبجل الملا محمّد أكمل غمرهما الله برحمته الكاملة وألطافه الشاملة».

وكتب في الإجازة التي منحها لمحمّد بن الملا صالح اللاهيجيّ، قائلاً: «شيخنا الأعظم وأستاذنا العلّامة الفهّامة العلم، خاتمة العلماء، ونادرة الفضلاء، الفقيه الماهر والإمام الباهر، جم الفضائل والمفاخر، شيخنا محمّد

---

(١) مقابس الأنوار: ١٨.

باقر البهبهانيّ مسكناً والأصفهانيّ مولداً والحائريّ خاتمة ومدفناً...»[1]

[ويذكره الشيخ عبد النبيّ القزوينيّ العالم المحقّق المفكر أحد العلماء المعاصرين للآقا والذي رآه هو نفسه في السفر، في كتابه تحت عنوان الآقا محمّد باقر بن أكمل الدين محمّد الأصفهانيّ البهبهانيّ الحائريّ، يذكره على النحو التالي ويكرّم ذكره: «فقيه العصر، فريد الدهر، وحيد الزمان، صدر فضلاء الزمان، صاحب الفكر العميق والذهن الدقيق. كرّس عمره في تعلّم العلوم واكتساب المعارف والدقائق وتكميل النفس بالعلم بالحقائق.»

ولقد شرّفه الله بالموهبة التي يمتلكها بعلوم لم يسبقه به أيّ من السابقين، ولا يبلغ شأوه أيّ من اللاحقين الذين ما منهم إلّا وأخذ منه. فلقد حباه الله بعلوم لم ترها عين ولم تسمع بها أذن من حيث دقتها ولطافتها ووقوعها.

إنّ هذا الرجل الكبير هو اليوم إمام العلم، وعمود الدين، والشمس التي تزيل ظلمات الجهل، والقمر الذي يبدّد ظلمات البطالة. وطلبة العلوم يقتبسون من نوره، وفتاواه مثل شعاع الشمس في الإشعاع. فليدم الله ظلّه على رؤوس العالمين، وينشر جود وجوده حتّى يوم القيامة.

ومن جملة مظاهر زهده في الدنيا أنه ــ أدام الله ظلّه ــ اختار الحياة في العتبات المقدّسة، وتقبّل من أعماق روحه أوضاع الحياة وشروطها

---

(١) ذكرنا أن هذه الإجازات إجازات مخطوطة.

فيها، في حين أنه لو كان جاء إلى عراق العجم وخراسان وأصفهان، لأسكنه أهاليها بين رموش عيونهم، ولاتخذوه زعيمهم دون منازع، ولأنفقوا في طريقه نقودهم ومجوهراتهم، ولفدوه بأرواحهم ظاهراً وباطناً. فسبحان الله العلي الأعلى الذي أنعم بألطافه على بعض عباده، ومنحه قوة يكون بها زعيم الخلق!

وباختصار فإن بيان فضله وأخلاقه وعبادته هو مما لا أطيقه. ومؤلّفاته وتصنيفاته في العلوم والفنون وفي الفقه والرجال وأصول الفقه كثيرة، ولا حاجة إلى ذكرها وعدّها بسبب شهرته. وهو ــ أدام الله ظلّه العالي ــ يقيم في ذلك المشهد (كربلاء)، ويكيّف نفسه مع كلّ مايواجهه من مشاكل فيها، ذلك لأن هذه المشاكل صغيرة في مقابل تلك الفيوضات، ولاتتضمن خطراً في مقابل العلوم الواردة على قلبه.

ولقد أنعم الله عليّ بأن أرى طلعته المباركة خلال سفري للحجّ سنة ١١٧٨. ونحن نسأل الله أن نعود معه إلى تلك المشاهد المشرّفة كي نريح الروح في تلك المساكن المقدّسة، ومن هنا يتّضح أن الآقا تشرّف في السنة المذكورة أيضاً بحجّ بيت الله.]

كما يستفاد من بداية هذا الموضوع أن الآقا كان يلقّب في عصره بوحيد الدهر، كما ذكر ذلك المحقّق العالي القدر السيّد علي صاحب الرياض الذي كان ابن أخت الآقا وصهره ومن تلامذته المعروفين في أوّل رسالة حجّيّة الشهرة التي كتبها في زمان حياة الآقا وتوجد

مخطوطتها مرفقة ببعض رسائل الآقا المخطوطة، قائلاً: «حكى الشهيد في ذكر لبعض الأصحاب حتّى يقول: وحكى هذا القول الوحيد عصره وزمانه وأوحد الدهر والعصر خالي العلّامة أدام الله سبحانه على رؤوس العباد ضلاله، عن أستاذ الكلّ في الكلّ آغا حسين الخوانساريّ، واختاره...»

ويذكر المحدّث المتبحر الشهير الحاج الميرزا حسين النوريّ في خاتمة المستدرك بعد نقل عبارة صاحب تتميم أمل الآمل قائلاً: «أقول إنّ من أظهر العجز في فضل الوحيد هو قول مناسب وجدير بمقامه.»[1]

واعتبره الميرزا محمّد المقتول في الفائدة الحادية عشرة من الباب الرابع عشر من كتابه المعروف دوائر العلوم من الّذين رأوا إمام الزمان عجّل الله فرجه، وذلك رغم كلّ العداوة والبغض الذي كان يضمره للوحيد ورغم أنّه ذكره في كتاب رجاله بكلام تهتز له السماء وتتزلزل الأرض.

«كما كتب حفيده العالم الآقا أحمد في مرآة الأحوال جهان نما الصفات الحميدة لذلك السيّد واضحة للخاصّ والعامّ كالنور على الأعلام وغنية عن البيان. وفضائله مشهورة في رابعة النهار ومستغنية عن الإظهار. وصيت فضائله متردد في أرجاء الفلك ومدوّ في ساحة غبراء الأرض...»[2]

وكتب المير عبد اللطيف التستريّ من أحفاد السيّد نعمة الله الجزائريّ

---

(١) مستدرك الوسائل ٣: ٣٨٤.

(٢) مرآة الأحوال جهان نما: ١٠٩.

والذي كان قد أفاد من محضر الآقا في كتاب تحفة العالم الذي ألّفه في سنة ١٢١٦ قائلاً: «الآقا محمّد باقر البهبهانيّ من أسباط شيخ المحدّثين الآخوند الملا محمّد باقر المجلسيّ[١] كان مجتهداً عالي الشأن ومن كبراء أولياء الزمان. ولم يكن فنّ الأصول منتشراً إلى هذا الحدّ قبله. وكان معظم الفضلاء الأخباريّين وقليل من الأصوليّين أو المتوسطين بين الأصول والأخبار. والمبلغ الذي بلغه فنّ الأصول من الانتشار يعود الفضل فيه إلى ذلك العلّامة النحرير، وأما حالاته الأخرى فخارجة عن نطاق هذا التحرير، وكان هو نفسه فريد العصر ووحيد الدهر في الأصول. ولقد التقيته في الأماكن المفعمة بالفيض وقد تجاوز التسعين، وتوفي قبل بضع سنين من هذا.»[٢].

وكتب في موضع آخر بعد الحديث عن هجرته من تستر وقدومه إلى العتبات قائلاً: «بقيت مجاوراً لسيد الشهداء في الحائر (كربلاء). وكان قد اجتمع في تلك الأماكن المليئة بالفيض من الأفاضل والمستعدين وأرباب الكمال والفنّانين الذين إن أردنا إحصاءهم فسيطول المقام، وتشحن السفن به. ثمّ من أين لنا في هذه العجالة المجال للتفصيل، ولذلك نكتفي بذكر بعض الأعلام الأفاضل:

---

(١) يبدو أنه خطأ في الكتابة وإلّا فإنّ الآقا كان كما قلنا من أسباط الملا محمّد تقي المجلسيّ الأوّل والد الملا محمّد باقر.

(٢) تحفة العالم: ١٣١.

الأوّل هو ذو المناقب والمفاخر محمّد باقر البهبهانيّ رحمه الله الذي مرّ شيء من ذكره. كان من أعلام مجتهدي الزمان والقلم عاجز ومكسور اللسان عن ذكر أوصاف هذا العلّامة النحرير وغني عن الأوصاف والبيان في غاية الاشتهار. وقد عمّر لما يقرب من مائة عام وكرّس كلّ ذلك العمر النفيس في أرض الجنّة تلك للإفادة ونشر العلوم وإرشاد الناس. وقد كنت من المستنعمين غالباً في ذلك المحفل العالي الذي كان يتفضّل بالإفادة فيه.»[١]

وكتب العالم الفقيه الرجاليّ الحاج الشيخ عبدالله المامقانيّ رحمه الله في فهرس رجاله تنقيح المقال قائلاً: «محمّد باقر بن محمّد أكمل الآقا البهبهانيّ، توثيقه مثل وصف نور الشمس.»[٢] ثمّ يقول في المجلّد الثاني من الكتاب نفسه الرديف ١٠٤٢٩: «محمّد باقر بن محمّد أكمل المشهور بـ «الآقا» و«الوحيد البهبهانيّ» أنار الله برهانه وأعلى في فراديس الجنان مقرّه ومقامه، بلغ في العلم والتحقيق والتقوى والوثاقة حدّاً بحيث يعجز اللسان والقلم عن الوصف...»[٣].

وجاء في أعلام الشيعة: «لما ورد كربلاء المشرفة قام بأعباء الخلافة ونهض بتكاليف الزعامة والإمامة ونشر العلم بها واشتهر تحقيقه

---

(١) تحفة العالم: ١٨٥.

(٢) تنقيح المقال ٢: ٨٥.

(٣) المصدر ١: ١٢٣.

وتدقيقه، وبانت للملأ مكانته الساميّة وعلمه الكثير فانتهت إليه زعامة الشيعة ورياسة المذهب الإمامي في سائر الأقطار، وخضع له جميع علماء عصره، وشهدوا له بالتفوق والعظمة والجلالة ولذا اعتبر مجدّداً للمذهب على رأس هذه المائة، وقد ثنّيت له الوسادة زمناً استطاع خلاله أن يعمل ويفيد، وقد كانت في أيامه للأخباريّة صولة، وكانت لجهالهم جولة وفلتات وجسارات وتظاهرات أشير إلى بعضها في منتهى المقال وغيره. فوقف المترجم آنذاك موقفاً جليلاً كسر به شوكتهم. فهو الوحيد من شيوخ الشيعة الأعاظم الناهضين بنشر العلم والمعارف، وله في التأريخ صحيفة بيضاء يقف عليها المتتبّع فى غضون كتب السير ومعاجم الرجال والحقّ أنّا وإن أطنبنا فى ذكره وأشدنا به فلا شك إنّا غير واصفيه على حقيقته، وقد أحسن وأنصف الشيخ عبد النبيّ القزوينيّ في تتميم الأمل حيث اعترف بالعجز عن توصيفه وتعريفه فكيف يوصف وبأيّ مدح يمدح من خرج من معهد درسه جمع من أعلام الدين وعباقرة الأمة وشيوخ الطائفة ونواميس الملة...»[1].

مكانة الآقا العلميّة

كتب الآقا أحمد في مرآة الأحوال قائلاً: «تلقّى العلوم العقليّة حضرة المخلد في الجنان العالم الربّانيّ والفاضل الصمدانيّ، جامع العلوم

---

(١) أعلام الشيعة، الكرام البررة: ١٧٣.

والدي؛ من حضرة سماحة مآب الفضائل مستغني الألقاب السيّد محمّد الطباطبائيّ البروجرديّ، وتعلّم العلوم النقليّة من سماحة المستطاب سلالة الأطياب فريد الدوران وحيد الزمان السيّد صدر الدين القمّيّ المشهور بالهمدانيّ شارح وافية الأصول. ولأنّ ذلك السيّد العالي المقدار كان يميل إلى طريقة الأخباريّين، كما حصل في المرحلة الأولى الميل من قبل سماحته إلى تلك الطريقة، ثمّ أعجبته بعد ذلك طريقة الاجتهاد لعلوّ فطرته واستقامة سليقته، وبذل كلّ الجهد في نشرها، وبلغ بها غاية الاشتهار ببركة أنفاسه الشريفة في هذا الجزء من الزمان.

كما كانت له يد طولى في المعقولات أيضاً، ولكنّه لم يكن يدرّسها في أواخر العمر بسبب انعدام القاعدة الكثيرة. وكان متبحراً في علم الرجال إلى حدّ ومطّلعاً على أسماء الرواة كالشخص المطّلع شخصيّاً على متعلّقاته وأولاده...»[1].

وما كتبه حفيد الآقا العالم في مرآة الأحوال حول مقام الآقا العلميّ يمثّل كلاماً كامل الصحة ومنطبقاً مع الواقع، بحيث إننا ومن خلال قليل من المطالعة لكتب ذلك الآقا وتأليفاته وما قاله في حقّه تلامذته وكبار العلماء المعاصرين له، يتّضح صدق مقال الآقا أحمد. وشرح المفاتيح في الفقه، الفوائد الحائريّة (الجديدة والقديمة)، رسالة الاجتهاد والأخبار في الأصول، تعليقاته الرجاليّة على الرجال الكبير (منهج المقال) وسائر

---

(١) مرآة الأحوال جهان نما: ١١٠.

تصنيفات علّامة الدهر ذاك هي شاهد صادق على سعة اطّلاعه وفهمه الغزير ودالة على كمال تبحّره وإحاطته بجميع العلوم والفنون الإسلاميّة، كما ستخمّنون ذلك في قسم «تأليفات الآقا» من مطالعة فهرس تصنيفاته.

وكما ذكر العالم الجليل السيّد محمّد حسن الزنوزيّ في رياض الجنّة، فإن الآقا درس في أوائل عمره علم الحديث وأصول الكافيعند أبيه، وكما مرّ على القرّاء فإنّ الآقا أحمد يقول إنّ الآقا كان على المسلك الأخباريّ سابقاً، ولكنّه مال إلى طريقة الاجتهاد لعلو فطرته واستقامة سليقته. وهنا يتّضح أنّ الآقا هبّ لمحاربة ومواجهة المسلك الأخباريّ ببصيرة من نوع خاصّ، ذلك لأنّه كان قد أدرك فساد مسلكهم والطريق الذي كانوا قد اختاروه على أثر معرفته بالمسلك الأخباريّ، وقارنه بطريقة الأصوليّين وترك بذلك الأوّل واختار الثاني بعد المطالعة الكاملة وبذل كلّ ما استطاع من جهد من أجل نشره وتطويره.

كتب الشيخ أبوعلي في منتهى المقال قائلاً:

«كتب الآقا في ديباجة حاشية كتاب المدارك أن صاحب المدارك نبّه علىٰ غفلات الشارح (قدّس سرّه) وقد رآه في المنام واعترف له بذلك وأظهر الرضا بما هنالك.»[1].

وقد سمع الزنوزيّ هذا الموضوع من الآقا نفسه وذكر في رياض الجنّة ضمن بعض المواضيع قائلاً: «فقال إنّني رأيت في المنام صاحب

---

(١) منتهى المقال ٦: ١٨٠.

المدارك بعد أن أتمّ حاشية المدارك فقلت له بعجز وانكسار إنّني قد أسأت الأدب معك كثيراً في الحاشية. فإن لم تكن راضيّاً مزّقتها؟ فقال: لقد فعلت حسناً؟ أنا راض عنك فليرض الله عنك.»

كما كتب الزنوزيّ قائلاً: «وقال إننا تنازعنا مع الشيخ مهدي الفتونيّ في مسألة، ولم يقتنع. وكان الآقا باقر المازندرانيّ (الهزار جريبيّ) قد رأى صاحب الأمر في منامه ليلاً. فقال عليه السلام: «ياباقر قل للفتونيّ الحقّ في المسألة مع الباقر» وكانت المسألة المتنازع عليها هي أنّه لو أنّ شخصاً نوى الإقامة في بلد فهل يمكنه الذهاب إلى البساتين والمحلات التي تعتبر من ذلك البلد عرفاً؟ وكان الشيخ يقول إنّه لا يمكنه أن يخرج من باب البلد إلى بساتينه ومحلاته.»

كما قال: «رأيت في المنام أنني أذهب إلى كاشان. فاستقبلني الملا محسن وكلّفني بالذهاب إلى بيته. فقلت له إنني لا أذهب إلى بيتك بسبب بعض الأقوال التي قلتها في تأليفاتك، ولم أذهب رغم أنه حاول كثيراً.»[1].

ومن خلال هذه المواضيع الثلاثة والتي نقلها الزنوزيّ عن الآقا نفسه دون واسطة، يثبت بشكل صريح تفوّق الآقا من الناحية العلميّة على الكثير من الفحول، ذلك لأنّ صاحب المدارك اعترف في الموضوع الأوّل بصحة إشكالات الآقا عليه وشكره ويتأكد في الموضوع الثاني

---

(١) يبدو أنّ كلام الملا محسن الفيض كان في الدفاع عن المسلك الأخباريّ وانتقاد مذهب الاجتهاد.

تفوّق الآقا على الشيخ الفتونيّ الذي كان من العلماء المعاصرين له وفي الموضوع الثالث عدم اكتراثه بالملا محسن الفيض الكاشانيّ الذي كان من العلماء الأخباريّين وهو مايدل أيضاً على مكانة الآقا العلميّة الساميّة الذي أدرك ضعف حجّة الأخباريّين بفضل علمه وفقهه وتبرّأ منهم.

بل أيّ دليل أكبر وأهمّ من أن يصفه الفقيه العظيم الشأن العلّامة بحرالعلوم وصاحب الرياض بـ «العلّامة البهبهانيّ» كما لقّبه صاحب الجواهر والشيخ الأنصاريّ وغيرهما في كلّ المواضع بـ «الأستاذ الأكبر» و«أستاذ الكلّ» و«المحقّق البهبهانيّ». إنّما يعرف ذا الفضل من الناس ذووه.

شخصيّة الآقا الساميّة وفضائله الأخلاقية

كتب حفيده العالم الآقا أحمد في مرآة الأحوال قائلاً: «كان الآقا في غاية الكلام الجميل والبشاشة والمزاح، ومعظم لطائفه جارية على الألسنة.»[1]

«وقد ذكر المحدّث الخبير الحاج الشيخ عبّاس القمّيّ في الكنى والألقاب أنّه سئل بم بلغت ما بلغت من العلم والعزة والشرف والقبول في الدنيا والآخرة؟ فكتب في الجواب لا أعلم من نفسيّ شيئاً أستحقّ ذلك إلا أنّي لم أكن أحسب نفسيّ شيئاً أبداً ولا أجعلها في عداد الموجودين ولم آل جهداً في تعظيم العلماء والمحمدة على أسمائهم ولم أترك الاشتغال بتحصيل العلم مهما استطعت وقدمته على كل

---

(١) مرآة الأحوال: ١١٠.

مرحلة أبداً.»[١]

وذكر السيّد محمّد حسن الزنوزيّ في كتابه النفيس رياض الجنّة: «إنّ المنامات الصادقة والرؤى الصريحة التي كان سماحته قد رآها أو كان أحد قد رآها بشأنه والتي سمعتها أنا الحقير من لسان سماحته في المجالس أو سائر الأوقات هي بهذا النحو الذي كان يقوله: رأيت سيّد الشهداء في عالم الرؤيا وقد جلس في الجانب الأعلى من الرأس في روضته والذي كان يبدو وكأنّه حوض، فتقدّمت وسلّمت بأدب وجلست معه عليه السلام وتحدّثت معه كثيراً، فأمرني عليه السلام بأن أقرض أظفار يديه. ثمّ قرّر أن أقرّض أظفار رجليه المباركتين أيضاً. فقلت: جعلت فداك من المشهور أن ليس من الصالح تقريض أظفار اليدين والرجلين معاً، فقال: «خذ المشهور»[٢]، ثمّ سحب رجليه المباركتين.

ثمّ قلت بعد ذلك: هل أولئك المدفونون إلى جوارك لا يتعرّض لهما النكيران وملائكة العذاب؟ فغضب عليه السلام وقال: لأيّ ملك جرأة القيام بهذا المعنىٰ (أي لأيّ ملك الجرأة على تعذيب المدفونين إلى جواري). ثمّ قلت له مرّة أخرى: أيّ فرقة هي جماعة الصوفيّة؟ فقال: إنهم جماعة تريد الإسائة إلى شريعة جدنا! فقلت إنّني عندما رأيت في عالم الرؤيا النبيّ صلى الله عليه وآله وقد ألصق صدره المبارك بصدري في تلك الأوقات التي كنت

---

(١) الكنى والألقاب ٢: ١١٠.

(٢) أي اعمل بالقول المشهور.

منشغلاً فيها بالدراسة في أصفهان، ولم أكن قد تشرّفت بزيارة العتبات رأيت في عالم الرؤيا أنّني كنت قد قصدت الزيارة وكنت في طريق الحلّة قرب تلّ لايزال موجوداً فعلاً كما كنت قد رأيته في المنام.

فرأيت النبيّ ﷺ وكان هنالك جمع من الأقوام الذين كانوا يؤذوننى في أصفهان حسداً، كانوا منشغلين بأذى النبيّ ﷺ فهرعت ومنعتهم من أذاه ثمّ سلّمت عليه ﷺ. وبعد أن تلطّف عليّ أعطاني طوماراً كان عرضه يقرب من نصف ذراع. فأخذته وجريت نحو كربلاء. وكان كلّ شيء من صحن ورواق وروضة وغيرها كما رأيته في المنام. وبعد أن ألّفت شرح المفاتيح وجلّدته تحوّل إلى هيئة ذلك الطومار نفسه الذي كان ﷺ قد أعطانيه في عالم الرؤيا».

ثمّ قال مرّة أخرى: «لقد حاصر كريم خان بهبهان[1] ووقع الناس في عوز ومجاعة شديدة وفي ذات يوم قرّرنا أن نتوجّه للدعاء عليه. وفي عالم الرؤيا قال لي شخص: لا تدع على كريم خان فقد أمهلناه لفترة».

ورغم أن هذه المواضيع التي نقلها رياض الجنّة كانت كلّها أحلاماً وأنّ الناس قد يقولون حسب العادة إن الأحلام ليست حجّة، ولكن من المسلّم به أنّ بعض المنامات تتطابق مع الواقع إلى درجة بحيث لا تترك لأيّ شخص أي مجال للنقّاش. ونحن بين أيدينا الكثير من الأحاديث

---

(١) يبدو أنّه كان آزاد خان الأفغانيّ وأن الزنوزيّ قد نسي ذلك، ذلك لأنه هو الذي حاصر مدينة بهبهان خلال توقّف الآقا فيها.

حول آيات القرآن الشريفة مثل سورة يوسف وسورة إبراهيم كانت فيها الرؤيا عاملاً مؤثراً ومصدراً للأحداث التاريخيّة المهمّة، ولا شك في أنّ الرؤى الصادقة حقيقية وهي في حكم الإلهام بالنسبة إلى أهلها.

والرؤى التي نقلت عن الآقا واشتهرت بين كبار العلماء والمجتهدين، ليست مما يمكن إنكاره، خاصّة وأنّ عالماً كبيراً مثل الزنوزيّ سمعها من الآقا شخصيّاً وسجّلها في كتابه وكان الآقا مؤمناً بهذه الرؤى حسب ما ذكر وكان ينقلها في كلّ موضع بحرارة ويتباهى بها.

والآن وبعد أن اتّضح الموضوع إلى حدّ ما، نطلب منكم أن تلتفتوا إلى هذين المنامين أيضاً، حيث ذكر الشيخ أبوعلي في منتهى المقال قائلاً: «وقطن برهة في بهبهان ثمّ انتقل إلى كربلاء شرّفها اللّه، وكان ربّما يخطر بخاطره الشريف الارتحال منها إلىٰ بعض البلدان لتغيّر الدهر وتنكّد الزمان فرأى الإمام عليه السلام في المنام يقول له: لا أرضى لك أنْ تخرج من بلاديّ، فجزم العزم على الإقامة بذلك النادي.»[1]

كما كتب العالم المتتبّع الحاج الشيخ علي أكبر النهاونديّ في خزينة الجواهر قائلاً: «جاء في معدن الأسرار[2] أن ثقاة من العلماء الأعلام

---

(١) منتهى المقال ٦: ١٧٨.

(٢) ذكر العلّامة الطهرانيّ في الذريعة ٢١: ٢١٩ قائلاً: «معدن الأسرار في المواعظ والأخلاق، فارسيّ التأليف للآخوند الملا علي القزوينيّ القارپوزآباديّ والمتوفى سنة ١٢٩٠ في زنجان، صاحب كتاب صيغ العقود وأستاذ الحاج الميرزا حبيب الله الرشتي، الساكن في قزوين.

نقلوا عن أستاذ الأساتذة الآقا محمّد باقر بن محمّد أكمل البهبهانيّ حشرهما الله مع السبع المثاني أن سماحته قال: إنني كنت أعظ الناس في بدء وصولي إلى كربلاء المعلّاة. وفي ذات يوم جرى على لساني على المنبر حديث شريف في خرايج الراونديّ وكان مضمونه أنّ على الناس أن لايتساءلوا كثيراً عن سبب عدم ظهور إمام الزمان عليه السلام. ذلك لأنّكم لا تحتملون طاقة السلوك معه، لأنّ لباسه خشن وطعامه خبز الشعير.

فقلت إنّ غيبة صاحب الزمان عليه السلام من الألطاف الإلهيّة، لأنّنا لا نطيق طاعته. فنظر الحاضرون في المجلس إلى بعضهم البعض وبدؤوا بالنجوى بينهم قائلين إنّ هذا الرجل لا يريد ظهور صاحب الزمان كي لا تزول عنه الرئاسة وبلغ التهامس بينهم حدّاً بحيث خشيتهم وأسرعت في النزول من المنبر وذهبت إلى البيت وأغلقت الباب في وجه الناس.

وبعد ساعة دق الباب أحد الأشخاص. فوقفت خلف الباب وقلت: من الطارق؟ فقال: أنا فلان الذي يحمل سجّادتك إلى المسجد. ففتحت الباب فألقى السجادة من وراء الباب إلى صحن البيت، وقال: أيّها المرتد! خذ سجادتك فلقد اقتدينا بك عبثاً خلال كلّ هذه المدّة وكانت عباداتنا باطلة فأخذت السجادة وذهب ذلك الرجل وأحكمت إغلاق الباب خوفاً وجلست متحيّراً. وبعد أن مرّ هزيع من الليل دقّت الباب. فوقفت وراء الباب بكلّ خوف وقلت: من أنت؟ فرأيت نفس الشخص

الذي أتى بالسجادة وهو يظهر عجزه واعتذاره وذلّه ومسكنته بكلّ إلحاح ويقسم الأقسام الغليظة عليّ بأن أفتح الباب ولكنيّ لم أفتح الباب من الخوف حتّى ألحّ عليّ بالقسم أنّه صادق، ففتحت له الباب.

وفجأة رأيت الرجل نفسه وقد تهالك على قدميّ وراحّ يقبّلهما. فقلت له: أيّها الرجل المسلم! فلماذا أتيت بالسجادة أوّلاً ولماذا اتهمتني بأنني مرتدّ، وما هو سبب تقبيلك هذا لقدميّ؟ فقال: لا تلمني، فحينما فارقتك وأدّيت صلاتي المغرب والعشاء وأخلدت إلى النوم، رأيت في عالم الرؤيا والنوم أنّ صاحب الزمان قد ظهر.

فأسرعت بكلّ ما أوتيت من قوة للتشرف بلقائه. فقال لي: يا فلان! إن عباءتك هذه لفلان وأنت لاتعلم وأخذتها من شخص آخر، وعليك أن تردّها لصاحبها. فرددت العباءة إلى صاحبها الأصلي. ثمّ قال: إن قباءك هذا هو أيضاً لشخص آخر وأنك اشتريته من شخص آخر وعليك أن تردّه هو أيضاً إلى صاحبه الأوّل، وهكذا أمرني بأن أردّ كلّ ملابسي إلى الناس.

فبدأ بالبيت والأواني والمواشي والعقارات وسائر المتعلقات وعيّن لكلّ منها مالكاً وردّها إليه. ثمّ قال لي: إن المرأة التي هي في حبالتك هي أختك في الرضاعة وأنت تزوّجتها دون علم، وعليك أن تردّها هي أيضاً إلى أهلها، فرددتها إلى أهلها. وكان لي ولد اسمه قاسم علي وقد ظهر فجأة في تلك الأثناء. وما أن وقع نظر الإمام عليه السلام عليه حتّى قال: هذا

الصبي ولد من امرأتك هذه وسيكون ولد حرام. فخذ هذا السيف واقطع عنقه!

وفي هذه الأثناء قلت غاضباً: أقسم بالله إنك لست سيّداً ولست من ذرية النبيّ فمابالك بأن تكون صاحب الزمان؟! وما أن قلت هذا الكلام حتّى استفقت من النوم، وعلمت أننا لا نطيق معلوماته والامتثال له واتضح لي صدق ماتفضّلتم به سماحتكم وها أنا ذا نادم على فعلتي فاعف عنّي.»[1]

فهل يتبقى مجال للشك لأحد في الموضوع الأوّل حيث قال الإمام الحسين عليه السلام للآقا: لا أرتضي لك مغادرة مدينتي، في أنّ إقامة الآقا في كربلاء أدّت إلى أن يفضح فساد المسلك الأخباريّ أمام الناس وأن يجدّد ويعزّز طريقة المجتهدين الحقّة وبذلك يطهّر ــ كما قال الشيخ أبوعلي ــ كلّ مدن العراق من وجود جهّال الأخباريّين ويقدّم كلّ تلك الخدمة إلى عالم التشيّع وأوساط العلماء وأهل العلم؟

كما ألا تعني الرؤيا الثانية أنّ واجب الناس حسب ما تفيد به الروايات التي وصلتنا في عصر ظهور إمام الزمان سيكون عسيراً وأنّ ما خفي علينا الآن سينكشف بحضور ذلك السفير الإلهيّ، بحيث إنّ أحداً سوف لا يجرأ على التعرض إلى مال الآخرين وأرواحهم وناموسهم وحقوقهم، وكما قيل لنا فإن كنا مشتاقين للقاء بإمام الزمان فعلينا أن نصلح أنفسنا

---

(١) خزينة الجواهر: ٥٧٠.

ونتعرّف على الأوامر الدينيّة، كي نكون عند ظهوره مرفوعي الرأس وأعزّاء وإلا فسنكون ذليلين ومسؤولين؟!

وقد جاء في قصص العلماء: «من المعروف أنّ الآقا عندما كان يتشرّف بزيارة حرم سيد الشهداء، فإنّه كان في البدء يقبّل عتبة حرمه عليه السلام وكان يمسح وجهه المبارك ولحيته المباركة بها. وكان يتشرّف بعد ذلك إلى داخل الحرم بخضوع وخشوع ورقة قلب، ويزور، وكان يراعي الاحترام كلّه في مصيبة الإمام الحسين»[1].

ويبدو أنّه في تلك الأثناء التي كان فيها يقبّل عتبة الملك الحافظ للحرم الحسينيّ وكان يرى نفسه كالقشّة أمام ذلك الجبل من الجلال والوقار فقد كان لسان قلبه ينطق بمضمون هذين البيتين:

شاها من ار به عرش رسانم سرير فضل — مملوک آن جنابم و مسکين اين درم

گر بر كنم از تو بردارم از تو مهر — آن مهر بر كه افكنم، آن دل كجا برم

أيّها الملك! إن بلغتُ بسرير الفضل إلى العرش؛

فإنني مملوك حضرتكم ومسكين أمام هذا الباب؛

إن رغبتُ عنك وأزلتُ محبّتي لك؛

فلمن أحب، وعلى أيّ مكان سيحوم قلبي؟

كما جاء في قصص العلماء: «ومن كرامات الآقا محمّد باقر البهبهانيّ ما أخبرني به العالم الثقة السيّد عبد الكريم بن الآقا السيّد زين العابدين

---

(١) قصص العلماء، طبعة دار النشرإسلاميه: ٢٠٢.

اللاهيجيّ حيث قال: كان أبي يقول: كنّا نتلقّى العلم في العتبات العاليات، وكانت أواخر فترة حياة السيّد البهبهانيّ، وكان الآقا قد أصابه الكثير من الفتور والضعف بسبب بلوغه الشيخوخة وتقدّمه في السن، فكفّ عن التدريس وكان تلامذة الآقا هم الذين يدرّسون، ولكنّ الآقا كان له هو نفسه مجلس درس يشرح فيه اللمعة بشكل سطحيّ وكنّا بضعة من الأشخاص نحضر مجلس درسه من باب التيمّن والتبرّك.

وصادف أن احتلمت في ذات يوم وفاتت الصلاة عليّ، وحلّ موعد تدريس الآقا. فقلت في نفسيّ: سأتوجّه إلى الدرس كي لايفوتني ثمّ أذهب إلى الحمّام، فدخلنا المجلس ولم يكن الآقا قد شرّف بعد. ثمّ شرّف بعد ذلك ونظر إلى أطراف المجلس بكلّ بهجة وبشاشة. وإذا بآثار الهم والغم تظهر على بشرته حتّى تغيّر وقال: لا درس اليوم، إذهبوا إلى منازلكم. فنهض التلامذة الواحد تلو الآخر وغادروا. وحينما هممت بالنهوض أمرني الآقا بالجلوس! فجلست وعندما خلى المجلس، قال الآقا: يوجد في الموضع الذي جلست فيه قليل من النقود تحت البساط فخذها واغتسل ولا تحضر هذا المجلس من الآن فصاعداً وأنت مجنب!! فتعجبت إلى ما لا نهاية وأخذت تلك النقود وذهبت إلى الحمام واغتسلت».

كما كتب صاحب قصص العلماء قائلاً: «ذهبت ذات يوم أنا مؤلّف الكتاب إلى مكتبة الشهيد الثالث الحاج الملا محمّد تقي القزوينيّ.

فحكى لي ذلك الرجل الكريم: حينما وصل كتاب الفوائد للآقا إلى أصفهان واطلع عليه علماءها، قالوا يبدو أنّ مؤلّف هذا الكتاب درس عند إمرأة. وحينما نقلت هذه الحكاية إلى الآقا قال: صدقوا، لأنني درست لدى عمتي حتّى السيوطيّ والحاشية.»[1]

وعلى فرض صحّة هذه الحكاية فمن المتصوّر أنّ علماء أصفهان استفادوا من انتقادات الآقا للأخباريّين والذي شبّههم في جميع مواضع ذلك الكتاب بالنساء المتشدّقات المفتيّات! وعلى أيّ حال فهذا الموضوع وما ذكره المامقانيّ في رجاله من أنّ: «مشايخنا نقلوا من كرامات الوحيد أنّ امرأته كانت تأتي بعد وفاتها وتتجسّم وتخدمه لفترة، وأنّ بعض الجن كانوا يخدمونه هم أيضاً لفترة» يحتاج إلى المزيد من التحقيق.

زهد الآقا

جاء في فردوس التواريخ: «كان أستاذ هذا الحقير، شمس الدين بن جمال الدين البهبهانيّ الذي كان من جملة تلامذة أواخر عهد ذلك الزعيم الذي نقلت أحواله الكريمة في التحفة الرضويّة وفي هذه المخطوطة الشريفة أيضاً يقول إنّ زهد حضرتة كان يبلغ مرتبة بحيث كانت ملابس ذلك الآقا من الكرباس المصنوع من الخيوط المفتولة، وكانت زوجته المقدّسة والتي كانت الوالدة الماجدة لولده الآقا محمّد

---

(١) قصص العلماء: ٢٠٢.

علي صاحب المقامع وكتب أخرى كانت تحوك لحمتها وسداها ولم يكن يتطلّع إلى ألبسة الدنيا وأقمشتها.»[١].

وكتب حفيده الجليل في مرآة الأحوال قائلاً: «لم يصرف همّته خلال مدّة عمره في جمع الزخارف الدنيويّة التي تيسّرت لأدنى تلامذته من خلال القليل من الالتفات، بل إنه لم يكن مطلعاً أساساً على المسكوكات المختلفة من الدراهم والدنانير والاختلاف بين أنواعها وكانت العزلة عن أهل الدول قد أخذت بطباع ذلك الرجل الفاضل. فلقد اعتزل معاشرتهم، وكانت تعجبه مصاحبة الفقراء.»[٢].

كما ينقل في فردوس التواريخ عن أستاذه شمس الدين البهبهانيّ السابق الذكر أنّه قال: «كان هنالك قرآن بخطّ الميرزا النيريزيّ[٣] قد رصّع غلافه بالياقوت والألماس والزبرجد وسائر الأحجار النفيسة، كان سلطان الزمان الآقا محمّد خان أنار الله برهانه، قد أرسله هدية إلى حضرة الآقا.

وحينما كانوا قد جاؤوا بهذا القرآن كي يقدّموه إلى حضرة الآقا، قدمت مع الآتين بالقرآن إلى باب دار الآقا المباركة. وبعد أن طرقنا الباب، جاء حضرة الآقا بنفسه النفيسة إلى خلف باب الدار وفتحها،

---

(١) فردوس التواريخ: ٩٥.

(٢) مرآة الأحوال: ١١٠.

(٣) الميرزا أحمد النيريزيّ الخطاط الشهير الذي كان أستاذاً بارزاً في خط النسخ.

وبينما كانت يد الآقا الشريفة متجهة نحو الأعلى والقلم بيده المباركة ألقى نظرة نحونا وقال: ماذا تريدون؟ فقال الآتون بالقرآن لقد بعث حضرة السلطان قرآناً لكم. فنظر حضرته إلى القرآن وقال: ماهذه الزخارف والفصوص المرصّعة على غلاف القرآن؟

فقيل: هي أحجار كريمة رصّع بها غلاف القرآن. فقال: ولماذا فعلوا ذلك بكلام الله فحبسوه وعطّلوه؟ أزيلوها عن غلاف القرآن وبيعوها وقسّموا قيمتها بين الطلّاب والمساكين. فقالوا: إنّ هذا القرآن بخطّ الميرزا النيريزيّ وهو نفيس فائق القيمة، فاقبلوه. فقال: فليكن القرآن هذا عند من جاء به وليتلو منه كلام الله دائماً، قال ذلك وأغلق باب الدار وعدنا أدراجنا.»[1] وما أحسن ما قاله حافظ الشيرازيّ:

غلام همت آنم كه زير چرخ كبود زهرچه رنگ تعلق پذيرد آزاد است

«أنا عبد لعزم ذلك الشخص الذي برّأ نفسه من كلّ ما يوجب التعلقات الدنيوية فى هذا العالم»

نعمْ إن رجال الحقيقة الذين لا هدف لهم سوى لقاء الربّ، بريئون كلّ البراءة من أرجاس الدنيا الدنية. ولكن ليسوا كرهبان النصارى ومشايخ الصوفيّة الذين أعرضوا تماماً عن العلم والفضل وأمور الحياة وأنسوا بالبهائم في الغيران والجبال والفيافي ورجّحوا الرياضات الباطلة على العبادات الشرعيّة وسمّوا ذلك تزكية النفس وتصفية الباطن والسير

---

(١) فردوس التواريخ: ٩٥.

والسلوك كما أنهم لم يكرّسوا همّهم لجمع الذهب والفضة والمال والمنال، حيث قيل حول الطائفة الأولى: لا رهبانية في الإسلام وورد بشأن الطائفة الثانية: إذا رأيتم عالماً محباً لدنياه فاتهموه على دينكم!! بل إنهم يحترزون مما يوجب الابتلاء في الدنيا والآخرة ويؤدّي إلى التخلف عن بلوغ القيم المعنويّة والأهداف الساميّة. كما كانت سيرة الأنبياء العظام والأئمّة الكرام والعلماء الأعلام والمجتهدين العظام.

وتأييداً لما ذكره الآقا أحمد في مرآة الأحوال فإننا سننقل الموضوعين التاليين أيضاً عن قصص العلماء:«في إحدى السنين وفي فصل الشتاء خاطت زوجة الآقا جبة له. فلبس تلك الجبة، وحينما حل الغروب ذهب إلى المسجد وفي تلك الأثناء رفع أحد الأوباش قبعته عن رأسه وسارع للقاء الآقا حافيّ القدمين وقال له: رأسي عار ولا قبعة لي والجو بارد، أرجوك اقض حاجتي. فقال سماحته: هل معك سكين؟ فقال: نعم. فتناول السكين وقطع أحد كمّي تلك الجبة وناوله له وقال له: ضع هذا الكم على رأسك حتى يحل الصباح وعندها سنفكّر لك في حل. وحينما عاد إلى البيت لاحظت زوجته أن جبّته لا كم لها، فتغيرت أحوالها وقالت له إنّي بذلت الكثير من الجهد لمدّة طويلة وأعددت لك هذه الجبة ولكنك خرّبتها وقطعت كمها!

وفي أحد الأوقات ابتاع ابنه الآقا عبد الحسين لباساً ملوّناً لزوجته، وعندما دخل حضرته البيت، سأل: من هذه المرأة؟ فقيل له إنها كنتك

اشترى لها الآقا عبد الحسين لباساً جديداً. فغضب الآقا محمّد باقر على الآقا عبد الحسين ومنعه من ذلك. فتلا الآقا عبد الحسين هذه الآية: **﴿قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده﴾**[١] فقال حضرته: أنا أيضاً سمعت هذه الآية ولكن هنالك الكثير من الفقراء من الجيران يتسلّون بفقرنا!! وكان كثيراً ما يحدث أنّه كان هو نفسه يقوم بالعبادة بأداء الصلاة والصوم الاستجاريّ ويبذل مبلغها لتلامذته الفقراء[٢] مثل الميرزا القمّيّ وغيره»[٣].

وينقل العراقيّ في دار السّلام عن العالم الثقة الملا محمّد رضا الشاهروديّ أنّه نقل في النجف الأشرف عن العالم الكامل الحاج الملا محمّد رضا الأسترآباديّ أنّه كان من جملة تلامذة الآقا البهبهانيّ حيث قال جاء شخص تاجر للزيارة في أيام وقوفي بكربلاء وتشرّفي بزيارة الآقا، وكان قد جاء للآقا بهدية كانت عبارة عن قطعة من القباء.

وكان قد سمع أنّ الآقا لايقبل شيئاً من أحد فسأل وحقّق عن الأسباب التي تجعله يقبل الهدية، فقيل له إذا رأيت الملا محمّد رضا الأسترآباديّ فلعله يتوسط لك ويقبل الآقا هديتك لأنه على علاقة وثيقة به ومحط محبته، ولذلك فقد جاء هذا الرجل التاجر إليّ وعرض طلبه. ولأنني

---

(١) الأعراف: ٣٢.

(٢) قصص العلماء: ٢٠٣.

(٣) المصدر.

كنت يائساً من القبول، فقد أنكرت ولكن ذلك الرجل أصرّ وألح كثيراً. وأخيراً قال لي: إن فعلت شيئاً بحيث يقبل الآقا فأنا نفسيّ سأعطيك قطعة من القباء. وعندما سمعت هذا الكلام قلت في نفسيّ: سأذهب فإن قبل الآقا فقد قضيت حاجة مؤمن وعاد لي ذلك بالفائدة وإلا فلا ضرر سيصيبني.

فأخذت القباء من ذلك الرجل، وتوجّهت إلى دار الآقا في وقت كان فيه النهار طويلاً وحاراً وطرقت الباب. فشرّف الآقا بلباس عربيّ وطاقية بسبب الحرارة وفتح الباب وحينما رآني سألني عن سبب مجيئي، فقلت: أيها الآقا لقد جاء رجل مؤمن صالح بقباء هدية لك على أمل أن تجعله لباساً لك وهو يتوقّع أن تقبله.

وحينما سمع الآقا هذا الكلام تغيّر وقال لي غاضباً: لقد ظنّنت أنك جئت إلى هنا في هذا الجو الحار وتركت عملك وشغلتني عن عملي أنا أيضاً كي تسألني عن مسألة علميّة أشكلت عليك! قال ذلك، ثمّ طلب مني أن أمضي لشأني، وبعد أن رأيت ذلك منه قلت له إنّ لي طلباً آخر.

ففتح الآقا الباب وقال: وما ذاك؟ فقلت وعدني ذلك الرجل وأنّك إن قبلت فسيعطيني هو أيضاً قطعة من القباء فلا تدعني أفقدها! وحينما سمع هذا الكلام ضحك وقال: بني! انشغل بدروسك ولا تضيّع وقتك في هذه الأمور! فقبل ذلك القباء بشرط أن لا أتوسّل بهذا النوع من الشفاعة ثانية ثمّ ذهب[1].

---

(١)قصص العلماء: ٢٠٣.

مؤلّفات الآقا

كتب الشيخ أبوعلي الحائريّ في منتهى المقال «و له دام ظلّه من المصنّفات قريب من ستّين مصنّفا»، ثمّ ذكر ٤٤ كتاباً من آثار أستاذه رآها بخطّ الآقا نفسه[١] ويذكر في الختام قائلاً: وبعض هذه الرسائل لم أعثر عليها، وله سلّمه اللّه غير ما ذكر من الرسائل وأجوبة المسائل ما لو جمعت لكانت عدّة مجلّدات، أكثرها بالفارسيّة.«

وينقل المحدّث القمّيّ عن أستاذه صاحب التكملة أنّه قال لقد جمع الآقا السيّد مهدي القزوينيّ الحلّيّ رسائل الآقا البهبهانيّ في الأصول ورتّبها وتمّم الناقص منها.»][٢].

كما سجّل الزنوزيّ في رياض الجنّة فهرس كتب الآقا في هذه الحوالي ونقل هو نفسه على أساس ماكتب الآقا.

كتب الأستاذ الفقيد العلّامة الطهرانيّ قائلاً: له تصانيف جليلة ورسائل كثيره ملأها بآرائه العميقة وأفكاره الساميّة واعتبر أحد الّذين كتبوا ترجمتْه عدد مؤلّفانه مايقارب من ستين رسالة وكتاب، لكني رأيت فهرسها الذي كتبه بخطّه بالفارسيّة ظهر أحد تصنيفاته في مكتبة السيّد محمّد على السبزواريّ «هذا هو مفصل مؤلّفاتى أنا الأقل الأذل محمّد باقر بن محمّد أكمل عفى عنهما بمحمّد وآله، ثمّ بدأ بعدّها حيث بلغت

---

(١) منتهى المقال ٦: ١٨٠-١٨٢.

(٢) الفوائد الرضوية ٢: ٤٠٥.

٤٤ كتاباً ورسالة و قد عين فيه مواضع لفصول وفهارس بعضها .ولعله ألّف بعد ذلك كتباً بلغت الستين كتاباً»].

و بعد كلّ هذا، فقد ألّف آلآقا كتباً أخرى ولعلها فافت ما أدرجناه في هذه الطبعة ووبلغت ٧٤ كتاباً.

وتعدّ كتب الآقا متينة وكثيرة الفائدة لانظير لها في مواضيعها الخاصّة بها. إنّنا نطلع اليوم على شخصيّته العلميّة وتأريخ حياته من خلال مطالعة كتبه القيمة ونخمن الزحمات المتعبة والعمل الدؤوب لقائد الفقه والفقاهة ذاك. لقد تحدّث الآقا في هذه الكتب ونشر في الحقيقة عالماً من العلم في صفحات هذه الكتب. بما أنّه كان أستاذاً في العلوم المعقولة والمنقولة ومتبحّراً في كلّ فرع من علوم الدين من الكلام والفقه والأصول والحديث والدراية والرجال، لذلك فقد حرّر أفضل المعلومات لذلك العلم في كلّ قسم جاء فى كتبه.

و يكمن حسن مؤلّفات الآقا في أنّه حشرالمعاليّ الكثيرة في الألفاظ القليلة وبيّنها بقلم فصيح وخال من أيّ نوع من التصنع والانغلاق والتعقيد، حيث يدّل على إرادة العلّامة وروحه السليمة وإحاطته الكاملة وممارسته وتتبّعه الخارق اللعادة.

وقد أبدع الآقا قي أكثر تصانيفه والتفت غالباً إلى أقوال الأخباريّين وآرائهم وله نظريات صريحة في مباحث الأصول لم يسبقه أحد من الماضيّن فيها. قد ظهر مصطلح الأدلّة الاجتهاديّة والفقهيّة منذ زمانه

وكما يقول الشيخ الأجل في الرسائل فإنّ مبدع هذا المصطلح كان الآقا الوحيد البهبهانيّ لهذا يعتبرونه مؤسّس الأصول ويرون أن مدرسته هي التي أحيت أساس الاجتهاد.

ولعلّ بعض القرّاء يتعجبون مع كلّ هذه الشهرة العلميّة التي يتمتّع بها الآقا ومع كونه أستاذ العلماء الفحول والفقهاء من الطراز الأوّل للشيعة في الماتتي سنة الماضية، إلّا أنّ تصانيفه ليست معروفة لحدّما ولم تكن في متناول اليد بحث لايزال أغلبها على شكل مخطوطات ولم تطبع لحدّ الآن، فيجب أن نعلم أنّ الآ قا لم يصنف كتاباً يحتوى على كافة أبواب الفقه ومباحث الأصول وأغلب كتبه تتضمن مبحثاً أوعِدّة مباحث والبعض منها من أمثال شرح المفاتيح لم يكتمل خاصّة وأنه كتب مواضيع الكتاب سلسة وواضحة بحيث لا تحتاج إلى التدريس.

وفضلاً عن ذلك، فإنّ أغلب المباني العلميّة للآقا خرجت بشكل آخر وترتيب أكثر نفصيلاً ونمط رائع وبنحو تفصيلى وكامل على يد تلامذته، مثل القوانين للميرزا القمّيّ في الأصول وكشف الغطاء للشيخ جعفر الكبير ورياض المسائل للآقا السيّد علي صاحب الرياض والمقابس للشيخ أسد الله الدزفوليّ فى الفقه والحاشية للشيخ محمّد تقي الأصفهانيّ والفصول لأخيه الشيخ محمّد حسين صاحب الفصول وكلّها تمّت الاستفادة فيها من مجلس الآقا المفعم بالفيض.

وكتب الأستاذ الفقيد العلّامة الطهرانيّ قائلاً: «كتب الآقا حاشية المعالم

بناء على طلب ابنه الآقا عبد الحسين، وقد رأيت الكثير من مخطوطاته، وطبع مؤخّراً مع بعض رسائل الوحيد. ويمكن القول إن هذه الحاشية هي آخر حواشي الوحيد على المعالم، بل يقال إنها آخر تصانيفه. والمشهور بين المشايخ أن الوحيد كان له الكثير من الحواشي على المعالم.»[١].

وينقل الميرزا محمّد الطهرانيّ عن الملا محمّد حسين الكرهرودي المتوفى في الكاظمية سنة ١٣١٤ أنه كان يقول إنّ الوحيد كان قد درّس المعالم عشرين مرّة، وكتب في كل مرّة حاشية جديدة عليه، وقال إنني رأيت في مدينة بروجرد تسع عشر حاشية منها.«وقد كان الكرهروديّ من كبار تلاميذ الميرزا الشيرازيّ الكبير.»[٢].

وهذه الكتب نفسها أصبحت جزءاً من المنهج الدراسي للحوزات العلميّة وأضحت منطلقاً للبحث والفحص والتعليم والتعلّم وكانت السبب في تأليف كتب مثل الجواهر والرسائل والمكاسب والضوابط وتمّ منذ ذلك الحين تأليف المئات من الكتب في الفقه والأصول والرجال، وباختصار فإنّنا إذا نظرنا بشكل صحيح فسنرى أنّ خلاصة مؤلّفات الآقا تحوّلت إلى الكتب المذكورة ولأن مثل هذه الكتب تمّ تأليفها بشكل أشمل وأكمل وأكثر نفعاً للتدريس، لذا لم يشعر أحد بحاجة كبيرة إلى

---

(١) الذريعة ٦: ٢٠٥.

(٢) المصدر.

رسائل الآقا المختلفة وبعبارة أكثر وضوحاً فإنّ كتب تلامذة الآقا كانت تغني طلّاب العلوم عن الرجوع إلى مؤلّفاته. وإلّا فإنّ آثار الأقا كانت في عصره وبعد فترة طويلة منه مدار الدراسة والنقّاش والإفادة والاستفادة وملاك الفقهاء والمجتهدين ومستندهم في تأليف وتصنيف معظم الكتب الفقهيّة والأصوليّة، كما نرى في تأليفات تلامذة الآقا.

وللأسف فقد بقيت تأليفات الآقا مخطوطة سوى ثمانية مجلّدات منها تمّ طبعها. ومعظمها بخطّ الآقا نفسه وكذلك الكثير من تأليفات أولاده الأفاضل الآقا محمّد علي والآقا عبد الحسين والأولاد الأربعة العلماء للآقا محمّد علي، أي الآقا محمّد جعفر، الآقا أحمد صاحب مرآة الأحوال، الآقا محمّد إسماعيل والآقا محمود حيث كان معظمها بخطّ المؤلّفين وكانت توجد في مكتبة الآقا أبي علي إمام جمعة كرمانشاه حفيد الآقا، ولكنّ كلّ تلك الكتب النفيسة التهمتها النيران على إثر الحريق الذى وقع في المكتبة المذكورة.

وقد زار العلّامة الفقيد السيّد محسن العامليّ خلال سفره إلى إيران المكتبة المذكورة وذكر فهرس الكتب في مجلّدات أعيان الشيعة في ذيل تراجم مؤلّفيها.

كما سجّل العالم الكريم السيّد عبد العزيز جواهر الكلام الذي كان منشغلاً بالمطالعة في المكتبة لما يقرب من شهرين، فهرسها ومزايا كتبها وأدرج ذلك في رسالة مكتبات إيران.

وقد كتب السيّد عبد العزيز في المجلّد الأوّل من كتاب دائرة المعارف الذي هو من مؤلّفاته قائلاً: «كانت الآثار العلميّة والأدبية للآقا وذويه غالباً في مكتبة ابن حفيده أبي علي إمام جمعة كرمانشاهان حتى السنين الأخيرة. وقد زرت أبا علي عند وصولي إلى كرمانشاهان بناء على الصداقة القديمة التي تربطني بهذه الأسرة وكنت في مكتبته لشهرين وتفقدت كتبها كلها خاصّة التأليفات المخطوطة الفريدة للفرقة الإمامية وآل الآقا ونقلتها بشكل متفرق في كتابي. وللأسف فقد التهمتها النيران ليلاً في شتاء سنة ١٣٥٢ (ش) بعد مجيئي إلى طهران وتحرير رسالة تاريخ مكتبات إيران (راجع الرسالة المذكورة)»[1].

وهنالك موضوع طريف حدث خلال حادثة الحريق المذكور أرى من الواجب ذكره هنا. وهو أنّ السيّد أسدالله إمام الجمعة الكبير حينما تشرّف بزيارة كربلاء، قدّم الشيخ زين العابدين المازندرانيّ ومجموعة من العلماء الآخرين إلى إمام الجمعة مقداراً من تربة الإمام الحسين عليه السلام كانوا قد غرفوها بأنفسهم من الموضع الخاصّ، بحيث قيل إنّ رائحة المسك والعطر كانت تفوح من التربة المذكورة وكان إمام الجمعة وكلّ العلماء من أقارب آل الآقا يحافظون عليها كما يحافظون على أعينهم ويتبرّكون بها.

وعند وفاة إمام الجمعة وضعوا قدراً منها تحت لسان ذلك ووضعوا

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ١: ٥٣.

الباقيّ في قطعة قماش وجعلوها فوق قرآن في المكتبة وكانت تحظَى باحترام واهتمام خاصّين من قبل أبي علي إمام الجمعة الصغير، بحيث يقول المطلعون من الأقارب إنّ إمام الجمعة كان يهتمّ بها هو أيضاً غاية الاهتمام ويبذل كلّ جهده في المحافظة عليها. وفي ليلة الحادثة التهمت النيران كلّ الكتب المخطوطة والمطبوعة، بحيث لم يعد بالإمكان الانتفاع منها سوى المصحف الذي كانت التربة المذكورة عليه، وحتّى قطعة القماش التي كانت التربة فيها لم يصبها أقل أثر من ذلك الحريق الرهيب».

ويذكر السيّد جواهر الكلام في كتابه دائرة المعارف تأليفات الآقا استناداً إلى ما سجله الزنوزيّ وما حصل عليه هو نفسه ويبلغ بها ٥٤ كتاباً ولعلّ هذا العدد لا يوجد في سائر الكتب التي ذكرت مؤلّفات الآقا[1] ولكنّ ما حصلنا عليه من مجموع ما ذكره الشيخ أبوعلي في منتهى المقال والزنوزيّ في رياض الجنّة [والعلّامة الطهرانيّ في الذريعة] والآخرون في آثارهم وما حصلنا عليه على إثر الممارسة وزيارة الكثير من المكتبات العامّة والخاصّة في طهران وقم والمحافظات الأخرى مثل المكتبة الوطنية، مكتبة المجلس، مكتبة ملك، مكتبة كلّية المعقول والمنقول (الكتب المهداة من قبل السيّد حكمت الله آل الآقا رئيس المكتبة المذكورة)، مكتبة حجّة الإسلام

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ١: ٥٣.

الحاج أحمد آل الآقا، مكتبة العالم الجليل الشيخ حسن مصطفويّ وغيرهم، فقد عثرنا على ما مجموعه ٧٢ كتاباً من مؤلّفات الآقا ولحسن الحظّ فإنّها بقيت بمأمن من التلف والضياع بل إننا رأينا المخطوطات المكررة للبعض منها في عدة مواضع.

وكنا قد قررّنا في البدء أن نذكر في قسم تأليفات الآقا بداية ونهاية كلّ مخطوطة ومزاياها لمزيد اطّلاع أهل الفنّ، ولكنّنا انصرفنا عنها بهدف رعاية الاختصار الذي هو أساس عملنا في تأليف هذا الكتاب،[1] واكتفينا بذكر أسمائها وشيء من الإيضاح حول البعض منها.

ذلك لأنّ هذا العمل بحاجة إلى فسحة من الوقت كبيرة كي يكون بالإمكان تأليف كتاب مستقل خاصّ بفهرسة مؤلّفات الآقا وأولاده مع ذكر مزايا وموضوعات كلّ منها. ومن المؤمل أن يحالفني التوفيق أنا أو أي شخص سعيد آخر يمتلك صلاحية هذا العمل كي يتحقّق هذا الأمر البالغ الأهمّيّة. وقد تم شرح العديد من مؤلّفات الآقا من قبل بعض من تلامذته والفقهاء اللاحقين أو كتبوا الحواشي عليها حيث أعرضنا عن ذلك أيضاً رعاية للاختصار[2] وسندرج فيما يلي فهرس مؤلّفات الآقا

---

(١) وعدم الحصول عليها كلها.

(٢) مما يبعث الأسف أنّ اسم هذا الكتاب لم يذكر في مقدمة الفوائد الحائريّة الذي طبع مؤخراً في قم وذلك ضمن الترجمة للوحيد البهبهانيّ بل إن المؤلف اقتبس من كتابنا كل تأليفات الآقا والتي بذلنا الجهد الكبير من أجل إيصالها إلى هذا العدد (٧١)، ومع ذلك فإنّ المؤلف لم يذكر المصدر! ولا أنسى هنا أنّ آية الله الفاضل اللنكراني ⇦

حسب ما حصلنا عليه حيث يبلغ مجموعها ٧٥ كتاباً:

١. شرح مفاتيح الشرايع للملا محسن الفيض من كتاب الطهارة وحتّى الخمس في ٨ مجلّدات. يقول الشيخ أبوعلي: «كتاب في غاية الجودة، بمستوى كتاب المدارك بل أكثر». وهذا الكتاب هو أهم الكتب العلميّة والتحقيقية لأستاذ الكلّ حتّى مبحث الخمس، وفي حالة طباعته فسيبلغ عدّة مجلّدات. وقد أوصى الإمام الخمينيّ بعد الطبعة الأولى من ترجمة الآقا (هذا الكتاب) الكاتب بطبع شرح المفاتيح للآقا إن كان ذلك بالإمكان.

٢. الفوائد الحائريّة في أصول الفقه. ذكر في هذا الكتاب ما على الفقيه معرفته. يقول الزنوزيّ إن محمّد حسن بن معصوم القزوينيّ لخّصه وشرحه في ٨٠ مسألة، وسمى الملخّص الفوائد السنية والشرح تنقيح المقاصد الأوّلية في شرح ملخّص الفوائد الحائريّة.

٣. الفوائد الملحقة بالفوائد الحائريّة في أصول الفقه. ويسمّى هذين الكتابين الفوائد العتيقة والفوائد الجديدة أيضاً وقد طبعا في آخر الفصول.

⇦ الذي كان قد قرأ هذا القسم في الطبعة الأولى من الكتاب في سنة ١٣٣٧ش/ ١٩٥٦م قال لي: «سيّد دوانيّ! لقد قرأت مؤلفات الآقا البهبهانيّ وكم كانت ممتازة» والآن فإننا نرى أن أصاغر قم ليسوا وحدهم الذين لم يراعوا الإنصاف بل إن أكابرهم أيضاً فعلوا ذلك، ونسبوا جهودنا إلى أنفسهم، وكم له من نظير؟!

٤. الحاشية على كتاب المدارك من الطهارة إلى آخر الصلاة[1] وقد جاء في ديباجة هذا الكتاب أن الآقا ذكر بالمواضع التي غفل عنها صاحب المدارك وأنّ المؤلّف أبدى رضاه عن الآقا في المنام.

٥. الحاشية على كتاب الملا محمّد باقر السبزواريّ حتّى كتاب الصوم.

٦. الحاشية على شرح الإرشاد للمقدّس الأردبيليّ من أوّل المتاجر إلى آخر الكتاب.

٧. رسالة في حلّية الجمع بين المرأتين العلويّتين. ويعد هذا الكتاب ردّاً على الشيخ يوسف البحرانيّ صاحب الحدائق الذي كان يقول بحرمته وحكم فساد العقد.

٨. رسالة مختصرة حول هذه المسألة نفسها أيضاً.

٩. حاشية على معالم الأصول.

١٠. حاشية أخرى على المعالم.

١١. حاشية على ديباجة مفاتيح الفيض تشتمل على أربعة مباحث.

١٢. رسالة في بيان الحيل الشرعيّة المتعلقة بالربا وما يظنّ أنّه مشروع وغير مشروع.

١٣. رسالة في الطهارة والصلاة، بالفارسيّة.

١٤. رسالة صغيرة في الزكاة والخمس، بالفارسيّة.

---

(١) طبع هذا الكتاب مؤخراً في ٣ مجلدات من قبل مؤسّسة آل البيت في قم.

١٥. رسالة في الحجّ، بالفارسيّة. وقد ترجم الشيخ أبوعلي هذه الرسائل الثلاث إلى العربيّة.

١٦. رسالة في بيان أصول الإسلام وأصول الإيمان وحكم منكر كلّ منها وبيان معنى الناصبي.

١٧. رسالة في فساد عقد الفتاة غير البالغة ليحل النظر إلى أمها.

١٨. رسالة في الحكم الشرعيّ وتحديده.

١٩. رسالة الاجتهاد والأخبار والتي فرغ من تأليفها في بهبهان سنة ١١٥٥ وتعتبر من تأليفات الآقا النفيسة، وقد طبعت في آخر عدّة الأصول للشيخ الطوسيّ بطهران.

٢٠. الفوائد الرجاليّة أو التعليقة على رجال الميرزا محمّد الأسترآباديّ (منهج المقال) المعروف بـ الرجال الكبير. وقد أدرج الشيخ ملخّصه في منتهى المقال، وقال إنّ الآقا قام بتحقيقات شافية في هذا الكتاب ونبّه على فوائد لم تخطر على بال المتقدمين ولم يصل إليها المتأخّرون. وقد طبعت هذه التعليقة مع فوائد الآقا ملحقة بـ الرجال الكبير.

٢١. تعليقة على الرجال المتوسط للميرزا محمّد المذكور.

٢٢. رسالة في حجّيّة الاستصحاب وأقسامه والآراء في هذا المجال.

٢٣. رسالة في أصل البراءة وتفصيله وأقسامه والآراء في هذا المجال.

٢٤. حاشية على كتاب الوافي.

٢٥. رسالة في الجبر والاختيار كتبها في غاية اللطافة. طبعت مع كلمات المحقّقين.

٢٦. رسالة في الخمس، بالفارسيّة.

٢٧. رسالة في الجمع بين الأخبار وأقسام جمعها الصحيح وغير الصحيح.

٢٨. رسالة مفصّلة في مستحبّات صلاة الجمعة وفساد وجوبها العيني.

٢٩. رسالة مختصرة في الموضوع السابق نفسه.

٣٠. رسالة في أحكام الحيض، غير كاملة.

٣١. رسالة أخرى في صلاة الجمعة.

٣٢. رسالة في أحكام العقود.

٣٣. رسالة في أنّ من الواجب الاجتهاد أو التقليد أو الاحتياط في زمان الغيبة.

٣٤. رسالة في أحكام الدماء المعفوّة.

٣٥. رسالة في المناظرة مع أحد أفاضل علماء العامّة في استحالة رؤية الله وعجز الفاضل المذكور وتوقّفه في أمر الرؤية.

٣٦. رسالة في الأصول الأصلية التي اعتبرها الفقهاء معتبرة ويظنّ قصار النظر أنها غير أصلية.

٣٧. رسالة في ما تخيّله الجهّال قياساً وهو ليس قياساً.

٣٨. رسالة في الإجماع الضروريّ والنظري وهل الشهرة حجّة أم لا؟

٣٩. رسالة في جواز تقليد الميت وبيان حكم الشخص الذي لا يمكنه الارتباط بالمجتهد الحي.

٤٠. حاشية على حاشية الملا الميرزا جان الباغنويّ على مختصر الأصول للعضديّ.

٤١. حاشية على المسالك.

٤٢. حاشية أخرى على أوائل المعالم.

٤٣. حاشية التهذيب.

٤٤. حاشية على شرح القواعد.

٤٥. رسالة المعاملات، بالفارسيّة باسم المتاجر. طبعت بشكل مستقل في سنة ١٣١٦. وكتب آية الله الميرزا محمّد حسن الشيرازيّ حاشية عليها وقد صدّق آية الله الفقيد الشهيد السعيد الحاج الشيخ فضل الله النوريّ نوّر الله مضجعه الذي كان تلميذ الميرزا صحة حاشية الأستاذ بخطّه في صفحتها الأولى واعتبر العمل بها مجزياً.

٤٦. رسالة في العصير العنبيّ والتمريّ والزبيبيّ.

٤٧. رسالة في الإمامة بقيت على شكل مسودة.

٤٨. رسالة في عدم اعتداد رؤية الهلال قبل الزوال.

٤٩. رسالة في تسمّية بعض أولاد الأئمّة بأسماء خلفاء الجور

وأسباب ذلك.

٥٠. رسالة مفصّلة في الإمامة.

٥١. حاشية على مفاتيح الفيض الكاشانيّ.

٥٢. رسالة فارسيّة في أصول الدين.

٥٣. رسالة التحفة الحسينيّة في العبادات وهي رسالته العملية.

٥٤. حاشية أخرى على معالم الأصول.

٥٥. رسالة في عبادة الجاهل.

٥٦. رسالة الكر ومقداره، طبعت في طهران ونسبت إلى الشيخ البهائيّ خطأً.

٥٧. رسالة أصالة الصحة في المعاملات التي اختار عدم الصحة فيها.

٥٨. رسالة في أصالة الطهارة.

٥٩. رسالة في حلّية القرض وحرمته.

٦٠. رسالة نقض وإبرام واختبار واختيار أجوبة المسائل التي كتبها العلّامة الملا محمّد باقر المجلسيّ لأحد أعيان كاشان.

٦١. رسالة النقد والانتخاب من أوّل الطهارة إلى آخر الديات.

٦٢. حاشية على منتهى المقال في الرجال لتلميذه أبي علي.

٦٣. حاشية على قوانين الأصول للميرزا القمّيّ تلميذه الآخر والتي جمعها الملا محمّد جعفر الأسترآباديّ.

٦٤. أجوبة المسائل المتفرقة التي كان يسأل عنها من المدن والتي

ستشكل عدّة مجلّدان في حال تدوينها على ما قال أبوعلي في منتهى المقال.

٦٥. حاشية على أوّل حاشية الخفري.

٦٦. رسالة في جواب مسائل فقهيّة لبعض فضلاء خراسان.

٦٧. حاشية على وجيزة الشيخ البهائيّ.

٦٨. حاشية على كتاب الكافي.

٦٩. رسالة في الطهارة والصلاة، تشتمل على المسائل الشريفة والدقائق اللطيفة. وقد ذكر الشيخ أبوعلي أنّ هذا الكتاب وأحد حواشى المعالم آخر مؤلّفات الآقا.

٧٠. الرسالة العملية بالعربيّة والفارسيّة باسم التحفة الحسينيّة وقد اعتبرها الشيخ أبوعلي في منتهى المقال واحدة وقال: رسالة في الطهارة والصلاة فارسيّة وقد ذكرت في الفقرة ١٤، ولكنّ العلّامة الطهرانيّ اعتبرها اثنتين بالفارسيّة والعربيّة. والفارسيّة ترجمة للعربيّة.

٧١. رسالة أخرى في الإجماع والتي جعلها من أجزاء شرح ديباجة المفاتيح للفيض.

٧٢. رسالة أخرى في الإجماع. يقول العلّامة الطهرانيّ إنّه رأى هذه الرسالة الثالثة في الإجماع في مكتبة السيّد محمّد علي آل بحرالعلوم ضمن مجموعة من رسائل الوحيد.

٧٣. حاشية كفاية المقتصد للمحقّق السبزواريّ.

٧٤. رسالة في الاعتراض على كلام الشهيد الثاني.

ويذكر الأستاذ الفقيد العلّامة الطهرانيّ في الذريعة أحد مؤلّفات السيّد محمّد الطباطبائيّ ووالد زوجة الآقا كالتالي: ... الرد على اعتراض الوحيد البهبهانيّ على الشهيد الثاني، مسألة عدم تبعض البضع، تأليف السيّد محمّد بن عبد الكريم الطباطبائيّ الأصفهانيّ البروجرديّ جد العلّامة بحرالعلوم (والجد الخامس للمرحوم آية الله البروجرديّ).

وهو ينقل في البدء كلام الشهيد في الروضة البهيّة (شرح اللمعة)، ثمّ يدرج ما كتبه الوحيد بخطّ يده في الاعتراض على الشهيد، ويعبّر عنه بـ «وحيد الزمان»، ثمّ يبدأ بالرد على اعتراض الوحيد وبيان مايقصده الشهيد. وهذه الرسالة ضمن مجموعة من رسائله في مكتبة ـ الملا محمّد علي ـ الخوانساريّ.»[1]

وبناء على ذلك، فإنّ رسالة في اعتراض الوحيد على كلام الشهيد هي من تأليفات الآقا. ومن الطريف أن أستاذ الوحيد كتب رداً عليها، وذكر صهره وتلميذه بلقب (وحيد الزمان)، فهل هذا هو سبب تلقيب الآقا بـ «الوحيد» ثمّ أضيف إلى «البهبهانيّ»، أم أنّ الآقا كان يلقّب بـ «الوحيد» قبل ذلك أيضاً؟ الأمر غير واضح لنا تماماً].

---

(١) الذريعة ١٠: ١٨٧.

أساتذة الآقا

ذكرنا للقرّاء فيما سبق أنّ الآقا تعلّم علم الحديث والمعقول من والده العلّامة، ثمّ أكمل في النجف الأشرف المعقول في خدمة أستاذه الجليل السيّد محمّد الطباطبائيّ البروجرديّ وتلقى فيها أيضاً الفقه والأصول من الفقيه الفاضل السيّد صدر الدين الهمدانيّ. وبناء على ذلك فإن أساتذة الآقا يقتصرون على هؤلاء الثلاثة الكبار. وقد ذكرنا خلال المباحث السابقة ترجمة والد الآقا الذي كان أوّل أساتذته وذلك بشكل مستقل، والآن سندرج ترجمة اثنين آخرين من أساتذة أستاذ الأساتذة. ويكفي في عظمة هذين العالمين الجليليّن أنّهما كانا أستاذي أستاذ الكلّ الوحيد البهبهانيّ!

١ ـ الآقا السيّد محمّد الطباطبائيّ البروجرديّ

السيّد محمّد الطباطبائيّ البروجرديّ هو أستاذ أستاذ الكلّ الوحيد البهبهانيّ وحموه، والجد الخامس لآية الله العظمى آية الله البروجرديّ. وقد كُتب آية الله البروجرديّ رسالة بالعربيّة في الترجمة لهذا الجد الخامس وأسرته حتّى زمانه باذلاً في ذلك غاية الدقة حيث وفقنا الله لترجمتها، وطبعت ونشرت باسم أسرة آية الله البروجرديّ. كما أننا قمنا بشكل مفصّل بالبحث والتفحّص حول السيّد محمّد هذا في المجلّد ١٢ من مفاخر الإسلام عند الترجمة لآية الله البروجرديّ. وللمزيد من الاطّلاع نرجو الرجوع إلى ذينك الكتابين.

وقد كتب آية الله البروجرديّ أنّ الشخص الوحيد الذي كتب ترجمة جده، هو معاصره السيّد عبدالله الجزائريّ الذي التقاه خلال سفره إلى بروجرد وذكره. ويحمل كتاب السيّد عبدالله اسم الإجازة الكبيرة وطبع ونشر في السنوات الأخيرة.

وقد كتب السيّد عبدالله ابن أخ السيّد نعمة الله الجزائريّ في إجازته الكبيرة قائلاً: «السيّد محمّد الطباطبائيّ ابن أخت الملا محمّد باقر المجلسيّ، العلّامة المحقّق وعلمه غزير وروايته كثيرة وله أيضاً الكثير من المصنّفات. ومن جملتها شرح المفاتيح الناقص، ورسالة في تحقيق معنى الإيمان وأدرج فيها فوائد مهمّة. وقد حصلت على نسخة منها، والتقيته في الفترة التي كان يقيم خلالها في بروجرد، وتباحثت معه في الكثير من المسائل الفقهيّة ووجدته بحراً من العلم. وقد انتقل مع أسرته من بروجرد إلى العراق وأقام مدّة فيه، ثمّ عاد إلى بروجرد وعندما وصل إلى كرمانشاه طلب من أقاربه الذين كانوا يقيمون في تلك المدينة أن يبقى بينهم فتوقّف في كرمانشاه حتّى التحق بالرحمة الإلهيّة.»[1]

وكما كتب الآقا أحمد في مرآة الأحوال وأشرنا إلى ذلك في ترجمة الملا صالح المازندرانيّ، فقد كان للملا صالح ستة أبناء وبنت واحدة وكانت ابنته زوجة أبي المعاليّ الكبير وكان لها هي أيضاً ثلاثة أبناء وابنتان. وابنها الكبير اسمه المير أبو طالب وكان علّامة فاضلاً وكان له

---

(١) الإجازة الكبيرة: ١٧٥.

ابن يدعى المير السيّد حسن وكانت له بنت وهي زوجة السيّد محمّد الطباطبائيّ البروجرديّ. وزوجة المير أبي طالب هي أيضاً ابنة الملا عبدالله ابن العلّامة المجلسيّ الأوّل. وكان للمرحوم السيّد محمّد البروجرديّ أربعة أبناء وبنت، وكانت بنته زوجة الآقا وأم الآقا محمّد علي ابنه الأكبر[1]

وكما قلنا سابقاً فقد تمّت هذه المصاهرة في النجف الأشرف وقلنا إن الآقا السيّد محمّد الطباطبائيّ كان والد زوجة الأستاذ الآقا فضلاً عن كونه أستاذه. وكان الابن الأكبر للآقا السيّد محمّد، السيّد الجليل القدر الآقا السيّد مرتضى البروجرديّ الذي كان والد العلّامة بحرالعلوم.

والابن الآخر للسيد مرتضى البروجرديّ هو الآقا السيّد جواد وهو

---

(١) في هامش رجال السيّد بحرالعلوم للسيّد محمّد صادق والسيّد حسين بحرالعلوم ١: ١٢، بعض المواضيع التي يجب أيضاحها:

١ـ كتبَ: ولد السيّد محمّد في أصفهان، ونشأ في شبابه في بروجرد ثم ذهب إلى النجف، ويبدو أن ما كتبه ليس صحيحاً كما أنه لم ينقله من مصدر.

٢ـ اعتبر أم السيّد محمّد بنت الملا محمّد صالح المازندرانيّ. في حين أننا قلنا إن أم السيّد محمّد هي حفيدة الملا صالح من ابنته أي بنت المير أبي طالب ابن أبي المعاليّ الكبير صهر الملا صالح.

٣ـ ذكر أن وفاة السيّد محمّد كانت في ١٢٠١، في حين أن ابنه السيّد مرتضى والد بحرالعلوم فارق هذه الدنيا في ١٢٠٤ وتلميذه الوحيد البهبهانيّ في سنة ١٢٠٥، ومن المستبعد جداً أن السيّد محمّد كان مايزال على قيد الحياة حتى ذلك التاريخ. ويبدو أنه توفي بين ١٢٨٠ و١٢٩٠.

والد السيّد علي نقي وهو والد العالم الفاضل الحاج الميرزا محمود البروجرديّ مؤلّف كتاب المواهب السنية في شرح منظومة عمه العلّامة بحرالعلوم. وقد كتب في حاشية المواهب السنية في الترجمة لأجداده الصالحين حول جده الآقا السيّد محمّد قائلاً: «السيّد محمّد هذا من أجلّة المجتهدين وأعاظم العلماء والفقهاء الراشدين وجامع للفروع والأصول والمنقول والمعقول. وله تصنيفات منها شرح المفاتيح. وقد اطلعت على مجلّدين منه. والآخر رسالة في تحقيق الإيمان والإسلام، ورسالة حول مواليد النبيّ والأئمّة عليهم السلام وعدد أولادهم ونسائهم وأيّام وفاتهم ومواضع دفنهم. والآخر كتاب في شرح الزيارة الجامعة، ورسالة في حكم صيام يوم عاشوراء. وينسبون إليه رسالة في أسرار الأشكال الخاصّة لحروف الهجاء.

وكانت ولادة ذلك العالم الجليل في أصفهان ومحل إقامته في النجف الأشرف، كما رأيت ذلك بخطّ جدي. ومرقده في بروجرد وهو مزار معروف. حتّى يقول كان له عدة أولاد ذكور: جدي السيّد مرتضى، السيّد رضيّ، السيّد رضا والسيّد علي.

وكان السيّد مرتضى عالماً جليلاً. ولم أر له كتاباً سوى مجلّد في شرح بعض مباحث الصلاة في الكفاية[1] وكان للسيّد مرتضى عدد من الأولاد منهم الجد الماجد للآقا السيّد جواد وكان فاضلاً جليلاً وعابداً

---

(١) الكفاية في الفقه تأليف الملا محمّد باقر المحقق السبزواريّ.

موقراً وعظيماً عند الأمراء والحكام وتوفي في سنة ١٢٤٢.

وكان له هو أيضاً أولاد منهم والدي الماجد. وكان عالماً جليلاً ومجتهداً زاهداً وورعاً ودقيق النظر، ويقول إنّ له حاشية على زبدة الأصول والقوانين وتوفي سنة ١٢٤٩. وقد تحدثنا عن الآقا السيّد محمّد البورجردي عند الترجمة لآية الله العظمى السيّد البروجرديّ حفيده العظيم الشأن[1].

٢ ـ الآقا السيّد صدر الدين الهمدانيّ

كان محققاً كبيراً وشهيراً. وقد عبّر عنه الآقا في رسالة الاجتهاد والأخبار الذي صنّفها في عهد حياته واعتبره بأنّه «السيّد السند الأستاذ ومن عليه الاستناد دام ظلّه»، ويقول في موضع من رسالة أصالة البراءة «يبدو أن الأخباريّين يتفقون في الرأي مع المجتهدين حول تعارض النصّين حيث تجري أصالة البراءة، وأنا أذكر أن دعوى الوفاق قد حصلت في هذا الخصوص، كما سمعت عن السيّد السند، الماجد الأمجد، العالم الممجّد السيّد الأستاذ دام ظلّه العالي وفيضه الساميّ».

كما ينقل في مواضع أخرى عبارات الأستاذ ويقوم بنقضها وإبرامها

---

(١) للمزيد من الاطّلاع على حياة السيّد محمّد الطباطبائيّ راجع كتبنا أسرة آية الله البروجردي ترجمة رسالة آية الله البروجردي في شرح حاله حيث كان المجلد الخامس لذلك العالم الجليل وحياة آية الله البروجردي الذي ألحق بالطبعة الرابعة، المجلد ١٢ من مفاخر الإسلام وكذلك مقدمة المجلد الأوّل من رجال السيّد بحرالعلوم.

والمقصود في جميع تلك المواضع الأستاذ الآقا السيّد صدر الدين الرضويّ القمّيّ الشهير بالهمدانيّ، كما جاء في أعلام الشيعة وفوائد الرضويّة[1].

وقد كتب صاحب روضات الجنّات ترجمته مشفوعة بمدحه والثناء عليه وقال: «السيّد صدر الدين بن محمّد باقر الرضويّ القمّيّ المجاور للنجف الأشرف من أعاظم محقّقي زمان فترة العلماء الممتدة بين زمان العلّامة المجلسيّ والسيّد البهبهانيّ رحمهما الله، ولم يكن له ثان في درجة الفضيلة والتدقيق وجودة التصرف والتحقيق. تتلمذ في فنون الأدب والمعقول، بل في الفقه والأصول لدى مجموعة من أفاضل علماء أصفهان مثل الفاضل الهنديّ والآقا جمال الدين الخوانساريّ والشيخ جعفر القاضي والمدقّق الشيروانيّ وغيرهم، ثمّ انتقل إلى قم وانشغل فيها بتدريس أهل العلم وتربيتهم.

وفي خلال فتنة الأفغان قدم من قم إلى همدان حيث كان فيها أخوه الفاضل (أنظر معاصري الآقا) وذهب منها إلى النجف الأشرف، وتتلمذ هناك أيضاً على يد جمع من أرباب الفضيلة مثل الشريف أبي الحسن العامليّ والشيخ أحمد الجزائريّ وروى عنهم وعن كبار فضلاء الإجازة.

كما أنّ الّذين رووا عنه هم أيضاً جماعة من الفضلاء ومنهم الفاضل الجليل الأصيل السيّد عبدالله بن السيّد نور الدين بن السيّد نعمة الله

---

(١) أعلام الشيعة، الكرام البررة ٢: ١٧١٧، وفوائد الرضوية ١: ٢١٣.

التستريّ (الجزائريّ) صاحب الإجازة الكبيرة الذي جاءت فيه تراجم الكثير من العلماء المتأخرين. ومن جملة ذلك أنّ السيّد المذكور كتب في تلك الإجازة حول أستاذه (السيّد صدر الدين) قائلاً: «كان أفضل الّذين رأيتهم في العراق. وكان نفعه أكثر من الجميع وأجمع في المعقول والمنقول وكان ذا هيبة عند أهالي النجف الأشرف، بحيث كان الزوّار يذهبون لزيارته ويتبرّكون برؤيته ويستفيدون منه في مسائلهم الشرعيّة.»

وقد ألّف كتاباً في الطهارة، وبحث فيه الكثير من المسائل، كما انتصر فيه لابن أبى عقيل في الماء القليل، والكثير من الرسائل الأخرى ومن جملتها رسالة في حديث الثقلين وأوضح فيها الأكبر من بين الكتاب والعترة...

كما جاء في الروضات: «من مصنّفاته الشهيرة شرحه المفصّل على الوافية للملا عبدالله التونيّ في الأصول والفقه، وهو في الحقيقة كتاب لا نظيرَ له في خمسة عشر ألف بيت[1] سوى أن أواخره لا يمكن قياسها بأوائله، لأنها تتباين عن قوانين الاجتهاد. وقد نقل أنّ الآقا البهبهانيّ سئل من قبل كبار تلامذته عن سبب ذلك، فقال الآقا إن سبب ذلك هو أنني لم أكن موجوداً في مجلسه عند كتابة النصف الأخير من الكتاب، كما كنت حاضراً في النصف الأوّل منه، وكنت أصرفه عن ما كان يقرّره

---

(١) كل بيت هو سطر من كل كتاب حسب اصطلاح المتقدمين من العلماء.

على مشرب الأخباريّين.»[١]

كما نقلنا فيما سبق في قسم «درجة الآقا العلميّة» عن مرآة الأحوال أنّ الآقا أحمد كتب قائلاً: «استفاد اهل العلوم النقليّة من سماحة المستطاب سلالة الأطياب فريد الدوران السيّد صدر الدين القمّيّ المعروف بالهمدانيّ شارح وافية الأصول، ولأن ذلك السيّد العالي القدر كان يميل إلى طريقة الأخباريّين فقد حصل لسماحته الميل إلى تلك الطريقة بادىء ذي بدء ثمّ استحسن طريقة الاجتهاد لعلوّ فطرته واستقامة سليقته.»[٢].

كما كتب تلميذ الآقا، السيّد محمّد حسن الزنوزيّ في رياض الجنّة قائلاً: «كان معظم دراسة ذلك العالم الربّانيّ قد حصلت عند مولانا السيّد صدر الدين الهمدانيّ شارح وافية الأصول. وقد انطلق الآقا في العصر الذي كان فيه السيّد صدر الدين الهمدانيّ في النجف الأشرف مرجع الخاصّ والعامّ، صوب بهبهان وكان السيّد صدر الدين مايزال على قيد الحياة حتّى سنة ١١٥٥ حيث كتب هناك رسالة الاجتهاد والأخبار، ذلك لأنه كان كلّما يذكره في ذلك الكتاب، كان يعبّر عنه بتعبير «دام ظلّه».

[أدرج المحدّث القمّيّ ترجمته الإجماليّة من الروضات وغيرها

---

(١) روضات الجنّات ٤: ١٢٢.

(٢) مرآة الأحوال: ٢١٣.

وكتب من جملة ذلك: «وتتلمذ الأستاذ الأكبر عليه ويعبّر عنه بـ «السيّد السند الأستاذ»، توفي (ره) في عشر الستين.»[1].

وليس من المعلوم هل عبارة «توفي (ره) في عشر الستين» هي كلام الآقا، وأين موجودة، أم إنّها جملة منفصلة للمحدّث القمّيّ، لأنّ السيّد كان على قيد الحياة في سنة ١٢٥٥. وعلى أيّ حال فإنّ من المسلّم به أنّ السيّد صدر الدين فارق الحياة في عقد الستين أي بعد ١٢٥٥. رحمة الله عليه.]

ونحن نقرأ في ديوان العالم النابغة الشيخ محمّد علي حزين اللاهيجيّ طبعة السيّد ذبيح الله صاحبكار ص ٦٥١ أنّ حزين «كتب هذه القطعة من الهند إلى العالم الكبير الأمير صدر الدين محمّد الرضويّ القمّيّ وبعثها إلى النجف الأشرف»:

حزين از تقاضای همت بر آنم ... که خوان سخن را بر اخوان فرستم
ز شوری که از سینه‌ام موج‌زن شد ... به زخم جگرها، نمکدان فرستم
ز کلک عراقی نژاد خود از هند ... سوادي به خاك سپاهان فرستم
چه پوشم گهر از ز گوهر شناسان؟ ... از این لعل، درجی به گیلان فرستم
شکنج قفس، تنگ دارد دلم را ... صفیری به مرغ گلستان فرستم
ز خاک ره کلک آهو خرامم ... شمیمی به ناف غزالان فرستم

---

(١) فوائد الرضوية ١: ٢١٣.

رطبهای شیرین‌تر از قند مصری — به رطب اللسانان عدنان فرستم
در این قحط سال بلاغت، صدیقی — به معجز بیانان قحطان فرستم
چو برقع گشایم ز رخسار معنی — فروغی به خورشید تابان فرستم
کلام من از فهم شاعر فزون است — مگر ازمغان حکیمان فرستم
تراشیدم از دل شسخن را که شاید — به دریا دلی، زاده‌ی کان فرستم
برآنم که اوراق اشعار خود را — چو شیرازه بندم، به لقمان فرستم
سخنهای من گرچه جان است یکسر — همان به که جان را به جانان فرستم
سپهر فضائل ملاذ افاضل — که سویش تحیت فراوان فرستم
به شبل نبی و ولی، صدر اعظم — جگر پاره‌ای چند، شایان فرستم
ز ابر قلم، تحفه‌ي محفل او — به خاک نجف، درّ غلطان فرستم
گذارم من این رسم کز تنگدستی — کمین قطرة را سوی عمّان فرستم
چو خود دورم از وصل آن یار دیرین — ستم‌نامه‌ی جور هجران فرستم[1].

---

(١) جاءت ترجمة حزين بالتفصيل في أثره النفيس الذي حققناه ونشرناه بالقطع الوزيريّ في ٤٤٤ صفحة باسم «تاريخ ورحلة حزين اللاهيجيّ». وقد رأى حزين خلال فترة عدم استقراره هذا السيّد الجليل حوالي سنة ١٢٤٢ هـ عندما وصل إلى كرمانشاه حيث كان هذا السيّد يقيم في هذه المدينة بعد هجوم العثمانيّين على همدان وقتل أهاليها، ويذكر قائلاً: «وكان هناك السيّد الفاضل الأمير صدر الدين محمّد القمّيّ الأصفهانيّ وهو مدرّس بلدة همدان ونجا من تلك البلية وقدم إلى كرمانشاه، والحق هو من متبحري العلماء، وكان يألفني كل الألفة، وهو الآن (سنة ١١٥٤) يسكن النجف الأشرف وعلى قيد الحياة». (تاريخ وسفرنامه حزين: ٢١٩).

وكان الآقا السيّد صدر الدين الذي كان من مشهديّ الأصل، قد قدم هو وأخوه السيّد إبراهيم من مشهد إلى أصفهان وقم وهمدان وكان منشغلاً لفترة في كلّ من تلك المدن بالدراسة والتدريس والبحث، ولذلك عرف بـ «السيّد صدر الدين الرضويّ الأصفهانيّ».

ثمّ توجّه من كرمانشاه إلى النجف الأشرف، وكان على قيد الحياة فيها حتّى سنة ١١٥٥. وقد ذكرنا ترجمته بشكل مختصر في صفحتّين من المصادر المختلفة في ملحقات تاريخ ورحلة حزين.»[1]].

معاصرو الآقا

أوضحنا خلال المباحث السابقة كيف كانت أوضاع العلماء الأصوليّين والأخباريّين وسوف نورد هنا أيضاً بمناسبة هذا البحث خلاصة لها. وعلينا أن نعلم أنّ علم الأصول والفقه الاستدلالي حسب طريقة المجتهدين الشائعة كان قد فقد رونقه منذ مدّة طويلة قبل زمان الآقا وخاصّة منذ صدور كتاب الفوائد المدنيّة للملا محمّد أمين الأسترآباديّ، بل إنّ علماء الأصول كانوا قد اتخذوا حالة التقية حتّى بعد الملا صالح المازندرانيّ والمحقّق الشيروانيّ وآغا حسين الخوانساريّ ومعاصريهم؛ بحيث إننا لانرى في الفترة التي سبقت الآقا مجتهداً كان قد أقدم بشكل علنيّ على التأليف والنشر في علم الأصول.

---

(١) المصدر: ٣٧٧.

وبالطبع فقد كان والد الآقا وأستاذه الآقا السيّد محمّد البروجرديّ وغيرهما من أعاظم المجتهدين أيضاً، ولكن وكما مرّ لا نصادف في تراجمهم موضوعاً يكشف عن استمرار مذهب أصول الفقه وانتشار طريقة الاجتهاد، وباختصار فقد بلغ الأمر حدّاً بحيث إنّ فقيهاً كبيراً مثل السيّد صدر الدين الهمدانيّ أستاذ الآقا الذي كان من أعاظم المجتهدين وأستاذ فنّ أصول الفقه تأثر بعوامل المحيط في مجال البحث والتأليف والتصنيف وعلى حدّ قول الآقا أحمد، فإنّه كان قد مال إلى المسلك الأخباريّ.

وكان نجم الأصوليّين قد آل إلى الأفول، ولم يكن في العراق وخاصّة النجف الأشرف التي كانت مركز المجتهدين تقريباً، علماء يتمتّعون بالقدرة على مواجهة النفوذ المتزايد للأخباريّين، وكما سنوضح عن قريب في الترجمة لهم، فقد كانوا متردّدين في أمرهم وكان المسلك الأخباريّ قد استقطبهم إلى حد ما.

وكما ذكرنا خلال المباحث السابقة فقد كان من أسباب شيوع المسلك كان الأخباري في بلاد العراق ومدن إيران، هجرة علماء البحرين في سنة ١١٣٠هـ و تفرّقهم في تلك الأماكن،فقد كانوا ينهمكون في الدرس والبحث والتأليف والتصنيف أينما كانوا يذهبون و يصطدمون مع العلماء الأصوليين و ويجبرونهم على التراجع، وبالتالي فقد كان مركزا الشيعة المهمّان أي إيران والعراق قد امتلآ بالعلماء

الأخباريين وعوامهم وجهّالهم.

وكان الآقا الوحيد البهبهانيّ قدّس سرّه الشخص الوحيد الذي تقدّم إلى الأمام و أنهى تلك الفتنة و أزاح نقاب أهواء آراء الأخباريين عن وجه الشريعة المحمدية الغرّاء. فكان الآقا يدعو علماء الأخباريين إلى المناظرة أينما ذهب، وكان يتغلّب على الجميع بمنطقه القوي وعلومه الغزيرة التي كان قد جمعها خلال سنيّ دراسته، وبلغ من المهارة في ذلك درجة بحيث ركع أمامه فقيه متبحّر من مثل الشيخ يوسف البحرانيّ زعيم الأخباريين الأكبر وأكثر علمائهم نفوذاً، حتى اضطرّ لأن يتخلى عن مكانه له، و أن ينسحب من الأوساط العلمية إلى حد كبير.

ويكفي في التعريف بالآقا أن ننقل بعض السطور من التراجم المفصّلة التي كتبها عنه معاصروه، فقد كان هؤلاء العلماء الأجلّاء الذين سنقدّمهم للقرّاء في هذا القسم يعيشون كلّهم في عصر الآقا وكان كلّ منهم متبحّراً كلّ التبحّر في فروع العلوم العقلية والنقلية كما كان أغلبهم من المشاهير، ولكن أيّاً منهم لم يبلغ مابلغه الآقا «الوحيد البهبهانيّ» من الشهرة وذيوع الصيت.

ولم يكن أي منهم يمتلك قوّة بيانه ومثابرته، وبالتالي فإن أيّ واحد منهم لم يكن يتمتع بكل تلك الجرأة والشخصية و المعنوية والزهد والتقوى والورع، وبعبارة أوضح، فإن ما كان الطيّبون يتمتعون به كان الآقا يجمعه كلّه في شخصيّته ليتفرّد في ذلك، وفي الحقيقة فإن كل هذه

الأوصاف الحميدة كانت متركّزة بشكل كامل في وجوده المفعم بالبركة. وسنبادر هنا إلى ذكر مشاهير العلماء والفقهاء والمجتهدين المعاصرين للآقا، و نوكل التفاصيل والجزئيات إلى الكتب المفصّلة.

الشيخ يوسف البحرانيّ (صاحب *الحدائق*)

يعدّ الشيخ يوسف البحرانيّ صاحب الكتاب المعروف *الحدائق* أشهر العلماء المعاصرين للآقا وقد ذكرناه مراراً في هذا الكتاب وأشدنا بصفاته الحميدة. وكما سيلاحظ القرّاء في هذا القسم نفسه، فقد كان رجال كبار من الفقهاء والحكماء والمجتهدين يعيشون في عصر الآقا حيث كانوا في مستواه كما أن البعض منهم نال درجة زعامة الشيعة والمرجعية العليا، ولكن المسلّم به أن أياً منهم لم يبلغ ما بلغه الشيخ يوسف البحرانيّ من الشهرة، ولم يبلغوا رئاسته.

وفضلاً عن ذلک، فإن أياً من معاصري الآقا لم يلفت نظره مثل مؤلف *الحدائق* وبالطبع فقد كان ذلک كما سنذكر من ناحيتين : إحداهما زعامته ونفوذه الذي كان يتمتع به بين الفرقة الأخبارية، والأخرى علمه وفضله، ولذلک فإننا سنقدّم نحن أيضاً ترجمته على الآخرين في قسم الترجمة له، لأن هذا هو ممّا يليق بشأنه.

ويعدّ كتاب *منتهى المقال* للشيخ أبي علي الحائريّ الذي كان تلميذ الآقا ومعاصره أقدم الكتب التي كتبت في ترجمته. يقول الشيخ أبو علي في *منتهى المقال* في الترجمة له:

«يوسف بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن عصفور الدراريّ أصله من قرية الدرار إحدى قرى البحرين.

العالم الفاضل، المتبحر الماهر، المتتبع المحدّث، الصدوق المتديّن، من جملة المشايخ المعاصرين وأفاضل العلماء المتبحّرين. والده الشيخ أحمد من كبار تلاميذ الشيخ سليمان الماحوزيّ، وكان هو نفسه عالماً فاضلاً ومحققاً مدققاً ومجتهداً صرفاً وكان يشنّع على الأخباريين كثيراً، كما صرّح بذلك ولده (صاحب *الحدائق*) في *لؤلؤة البحرين*.

وكان الشيخ يوسف قدّس سرّه أخبارياً صرفاً في البدء، ثمّ مال إلى الطريقة المعتدلة التي كانت الحد الوسط بين الأخبارية والأصولية. وكان هو نفسه يقول إنها طريقة العلّامة المجلسيّ (الثاني) غوّاص *بحار الأنوار*. وقد انشغل بالدراسة في طفولته عند أبيه طاب ثراه. ثم تتلمذ على العالم العلّامة الشيخ حسين الماحوزيّ الذي كان عالماً عاملاً وفاضلاً كاملاً ومجتهداً صرفاً.

وينقل الأستاذ (أي الآقا) دام علاه عنه أن الشيخ يوسف كان يذم الأخباريين كثيراً وكان يقول إن الأخباريين هم الأشخاص الذين لايعملون بما يقولون ويقلّدون من دون أن يلتفتوا إلى ذلك! كما تتلمذ الشيخ يوسف عند الشيخ أحمد بن عبد الله البلاديّ وغيرهم من علماء

البحرين.»[١]

وجاء في نجوم السماء:

«من العلماء المتأخرين وكملاء المحدّثين والفقهاء المتبحّرين وأعاظم أصحاب الدين المبين وأرباب الإنصاف والاعتدال بين طريقة الأصوليين والأخباريين وكتاب الحدائق الناظرة في أحكام العترة الطاهرة من تصانيفه في فقه الإمامية معروف وشاهد عادل على حذاقته وجامعيّته وخاصّة في علم الفقه وضبط الأحاديث وفضائله الأخرى.»[٢].

وقد أبدى صاحب روضات الجنّات خلال الترجمة له وفي معرض الإشادة به وبكتابه الحدائق وطريقته المعتدلة، أبدى تعجبّه من لوم الآقا له في زمان حياته إلى ذلك الحد رغم كلّ تلك المزايا والأوصاف الحميدة ومنعه من المشاركة في مجلس درسه، حتّى إنّ ابن أخته صاحب الرياض كان يحضر درس الشيخ ليلاً خوفاً من الآقا؟[٣].

ولكنّ تعجب صاحب الروضات لا موجب له كما ذكرنا سابقاً، فكما قلنا فإن تشدد الآقا بشأن حضور الفضلاء في درس الشيخ يوسف ومشاركة المؤمنين في صلاته والمراودة معه لم تكن إلا من أجل أن

---

(١) *منتهى المقال*، ج٧، ص ٧٥.

(٢) نجوم السماء: ٢٧٩.

(٣) قصص العلماء: ٢٠١.

يهزم الأخباريّين ويفضّ جمعهم وكان الآقا مضطراً إلى ذلك. ومما يؤيد هذا الموضوع، القسم التالي الذي ننقله من قصص العلماء: «بعد قدوم الآقا إلى كربلاء كان يتخذ موقف التقية في بادىء الأمر وكان يدرّس علم الأصول في السرداب والقبو! لأنّ جماعة الأخباريّين كانوا يحرّمون دراسة الأصول. ولكنّه تغلّب عليهم وأطفأ شقاشق خصومتهم ونائرتهم.

وكان صاحب الحدائق الشيخ يوسف البحرانيّ في كربلاء معاصراً للآقا محمّد باقر. وفي ذات يوم ذهب إلى باب دار الشيخ يوسف وقال له إني رأيت هذه الليلة في المنام سيد الشهداء عليه السلام. فقال حضرته لي أن أقرض أظفاري. فاستيقظت وفسّرت ذلك بأنّ المراد التصدّيّ لخصومة الأخباريّين ومجادلتهم ومحاجّتهم، وأنّني قد جئت الآن كي أناقشك في هذا الشأن!!»[1].

والآن وبعد أن ذكرنا إلى حدّ ما الوضع العامّ للشيخ يوسف، فإنّنا ننقل ترجمته باختصار كما ذكرها هو نفسه في آخر كتاب «لؤلؤة البحرين» ونلفت انتباه أهل الفضل إلى ما تحمّله هذا الرجل الكبير في طريق تحصيل العلم والمشاكل التي واجهها. فقد كتب في الكتاب المذكور قائلاً:

(فأقول): إنَّ مولدي كان في سنة ١١٠٧ هـ، وكان مولد أخي الشيخ محمد ـ مد في بقائه ـ سنة ١١١٢ هـ، في قرية الماحوز، حيث إنَّ الوالد

---

(١) قصص العلماء: ٢٠١.

كان ساكناً هناك لملازمة الدرس عند شيخه الشيخ سليمان ـ المتقدم ذكره ـ وأنا يومئذٍ ابن خمس سنين تقريباً، وفي هذه السنة سارت الواقعة بين الهولة والعتوب، حيث إنَّ العتوب عاثوا في البحرين بالفساد ويد الحاكم قاصرة عنهم، فكاتب شيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبدالله ابن ماجد الهولة ليأتوا على العتوب، وجاءت طائفة من الهولة ووقع الحرب وانكسرت البلد إلى القلعة أكابر وأصاغر حتى كسر الله العتوب، وللوالد ـ رحمه الله ـ أبيات في ذكر هذه الواقعة وتاريخها، لم يحضرني منها إلاَّ البيت الأخير المشتمل على التاريخ، وهو قوله:

قضية القبيلة المعذبة وعام تلك شتتوها فاحسبه

وربيت في حجر جدي المرحوم الشيخ إبراهيم ـ قدس الله روحه ـ وكان مشغولاً بأمر الغوص والتجارة في اللؤلؤ، وكان كريماً ديناً خيراً رحيماً، ينفق جميع با يجيء في يده على الأضياف والأرحام، ومن يقصده من الأنام، لا يذخر شيئاً، ولا يحرص على شيء، وانتحلني ورباني، حيث إنَّه لم يكن لأبي ولد قبلي، وجعل لي معلماً في البيت للقرآن، وعلَّمني الكتابة، وكان خطه وخط والدي في غاية الجودة والحسن، ثم بعد ذلك لازمت الدرس عند الوالد ـ قدس سره ـ إلَّا أنَّه لم يكن لي يومئذٍ رغبة تامة لغلبة جهالة الصبا، وقرأت على الوالد كتاب قطر الندى، وأكثر ابن الناظم، وأكثر النظام في التصريف، وأول القطبي، إلى أن اتفق مجيء الخوارج إلى أخذ بلاد البحرين فحصل العطال

والزلزال، بالتأهب لحرب أولئك الأنذال، وفي أول سنة وردوا لأخذها رجعوا بالخيبة ولم يتمكنوا منها، وكذلك في المرة الثانية بعد سنة مع معاضدة جميع الأعراب والنصاب لهم، وفي الثالثة حصروا البلد لتسلطهم على البحر حيث إنَّها جزيرة، حتى أضعفوا أهلها، وفتحوها قهراً، و كانت واقعة عظمى، وداهية دهما، لما وقع من عظم القتل والسلب والنهب وسفك الدماء، وبعد أن أخذوها وأمنوا أهلها هربت الناس ـ سيَّما أكابر البلد ـ منها إلى القطيف وإلى غيرها من الأقطار، ومن جملتهم الوالد ـ رحمه الله ـ مع جملة العيال والأولاد فإنَّه سافر بهم إلى القطيف و تركني في البحرين في البيت الذي لنا في قرية الشاخورة حيث إنَّ في البيت بعض الخزائن المربوط فيها على بعض الأسباب من كتب وصفر وثياب فإنَّه نقل معه جملة إلى القلعة التي قصدوا الحصار فيها وأبقى بعضاً في البيت مربوطاً عليه في أماكن خفية، فأما ما نقل إلى القلعة فإنَّه ذهب بعد أخذهم القلعة قهراً، وخرجنا جميعاً بمجرد الثياب التي عينا، ولما سافر إلى القطيف بقيت أنا في البلد، وقد أمرني بالتقاط ما يوجد من الكتب التي انتهبت في القلعة واستنقاذها من أيدي الشراة، فاستنقذت جملة ممَّا وجدته وأرسلت به إليه مع جملة ما في البيت شيئاً فشيئاً، ومرت هذه السنين كلها بالعطال، ثم إنِّي سافرت إلى القطيف لزيارة الوالد وبقيت شهرين أو ثلاثة، فضاق بالوالد الجلوس بالقطيف لكثرة العيال وضعف الحال وقلة ما في اليد، فعزم على الرجوع إلى

البحرين وإن كانت في أيدي الخوارج إلّا أنَّ القضاء والقدر حال بينه وبين ما جرى في باله وخطر، فاتفق أنَّ عسكر العجم مع جملة من الأعراب جاءوا لاستخلاص البحرين من أيدي الخوارج في ضمن تلك الأيام، فصرنا نرقب ما يصير من أمر ذلك وما ينتهي الحال من هذه المهالك حتى صارت الدائرة على العجم فقتلوا جميعاً وحرقت البلاد، وكان من جملة ما حرق بالنار بيتنا في القرية المتقدمة، فازداد الوالد ـ رحمه الله ـ غصة لذلك حيث إنَّه خرج على بنائه مبلغاً خطيراً، وصار هذا سبب موته فمرض وطال به المرض شهرين حتى توفي بالتاريخ المتقدم ذكره، ولما حضره الموت لزمني وقال: لا أبرىء لك ذمة إن جلست على سفرة وليس إخوتك حولك ومعك، وذلك لأنَّ إخوتي كانوا من أمهات أخر وأكثرهم أطفال وأكثرهم قد توفيت أمهاتهم ولم يكن لهم مرجع، فلا علاج إنّي ابتليت بالعيال والحمل لثقل هؤلاء الإخوان من كبار وأطفال، وبقيت في القطيف بعد موت الوالد ـ رحمه الله ـ ممَّا يقرب من سنتين أقرأ على شيخنا الشيخ حسين الماحوزي المتقدم ذكره، فقرأت عليه جملة من القطبي وجملة وافرة من أول كتاب شرح القديم للتجريد، وأنا فيما بين ذلك أتردد إلى البحرين لأجل ما لنا فيها من النخيل لإصلاحها وجمع حواصلها وأرجع إلى القطيف واشتغل بالدرس إلى أن أخذت البحرين من أيدي الخوارج صلحاً بعد دفع مبلغ خطير لإمام الخوارج لعجز ملك العجم وضعفه وإدبار دولته

بسوء تدبيره، فرجعت إلى البحرين وبقيت فيها مدة خمس أو ست سنين وأنا مشتغل بالتحصيل درساً ومقابلة عند شيخنا الأوحد الشيخ أحمد بن عبدالله البلادي المتقدم ذكره ثم بعده عند الشيخ عبد الله بن علي، وسافرت في ضمن تلك المدة إلى حج بيت الله الحرام، وتشرفت بزيارة سيّد الأنام، وأبنائه الكرام ـ عليهم صلوات الله الملك العلّام ـ وسافرت إلى القطيف لأجل تدقيق الحديث على شيخنا الشيخ حسين المتقدم ذكره حيث إنَّه بقي في القطيف ولم يأت البحرين في جملة من أتى فاشتغلت عليه بقراءة جملة من أول التهذيب مع المقابلة لغيري ممَّن يقرأ عليه، ثم رجعت إلى البحرين وضاق بي الحال لما ركبني من الديون التي أوجبت لي الهموم بسبب كثرة العيال وقلة ما في اليد، واتفق خراب البلد باستيلاء الأعراب من الهولة عليها حتى صاروا حكّامها ـ لأسباب يطول نشرها ـ بعد استيلاء الأفاغنة على ملك الشاه سلطان حسين وقتله، ففررت إلى بلاد العجم وبقيت مدة في كرمان ثم رجعت إلى شيراز فوفق الله ـ سبحانه ـ فيها بالإكرام والإعزاز، وعطف الله ـ سبحانه ـ على قلب سلطانها وحاكمها يومئذٍ وهو ميرزا محمد تقي الذي ترقى إلى أن صار تقي خان فأكرم وأنعم ـ جزاه الله تعالى بالإحسان ـ وبقيت مدة في ظل دولته مشغولاً بالتدريس في مدرسته وإقامة الجمعة والجماعة في تلك البلاد وصنفت في تلك المدة جملة من الرسائل وشطراً من أجوبة المسائل، وتفرغت للمطالعة حتى عصفت في تلك

البلاد عواصف الأيام التي لا تنيم ولا نام ففرقت شملها، وبددت أهلها، وانتهبت أموالها، وهتكت نساءها، ولعب الزمان بأحوالها، فخرجت منها إلى بعض القرى، واستوطنت قصبة (فسا) بعد أن أرسلت العيال إلى البحرين، وجددت عيالاً من تلك البلاد، فبقيت فيها مشتغلاً بالمطالعة، وصنفت هناك كتاب (الحدائق الناضرة) إلى باب الأغسال وأنا مع ذلك مشتغل بالزراعة لأجل المعاش والكف عن الحاجة إلى الناس، وكان متوليها الميرزا محمد علي ـ رحمه الله ـ في غاية المحبة لي والمراعاة والإحسان معي، ولم يأخذ عليٍّ خراجاً في تلك المدة حتى نزل بتلك البلاد من حوادث الأقدار ما أوجب تفرق أهلها إلى الأقطار وقتل المتولي لها وهو الميرزا محمد علي المذكور، فبقي الكتاب المذكور وقد نسجت عليه عناكب النسيان، ووقع عليٍّ فيها من البلاء بسبب ذلك الخراب ما أوجب ذهاب أكثر كتبي وجملة أموالي، ففررت منها إلى الاصطهبانات وبقيت مدة أعالج مرارات الأوقات وأنا في ذلك أحاول الفرصة بالتشرف بالعتبات العاليات والمجاورة في جوار الأئمة السادات، حتى منَّ الله ـ سبحانه ـ بالتوفيق إلى الشرب بذلك الكأس الرحيق، فقدمت العراق وجلست في كربلاء المعلى، على مشرفها وآبائه وأبنائه صلوات ذي العلى، عازماً على الجلوس بها إلى الممات غير نادم ـ بعد التشرف بها ـ على ما ذهب منِّي وفات، صابراً على ما تجري به الأقدار من يسار وإعسار حسبما قيل:

فقربكم مع قلة المال لي غنى وبعدكم مع كثرة المال لي فقر

ووفق الله ـ سبحانه بمزيد كرمه وفضله العميم، وحسن عوائده القديمة على عبده الخاطىء الأثيم ـ بانفتاح أبواب الرِّزق مع جميع الآفاق، وصرت ـ بحمدالله فارغ البال، مرفه الحال، فاشتغلت بالمطالعة والتدريس والتصيف وشرعت في إتمام كتاب (الحدائق الناضرة) المتقدم ذكره، فخرج منه من المجلدات كتاب الطهارة، يشتمل على مجلدين، وكتاب الصلاة يشتمل على مجلدين، وكتاب الزكاة، وكتاب الصوم في مجلد، وكتاب الحج في مجلد، وكتابنا هذا ـ بحمد الله سبحانه ـ لم يعمل مثله في كتب الأصحاب، ولم يسبق إليه سابق في هذا الباب لاشتماله على جميع النصوص المتعلقة بكل مسألة وجميع الأقوال وجميع الفروع التي ترتبط بكل مسألة إلَّا ما زاغ عنه البصر، وحسر عنه النظر، وهذا الالتزام إنَّما حصل فيما صنفته في هذا المكان، وإلَّا فالأول الذي صنف في العجم وإن كان مستوفياً لتحقيق المسائل، وربطها بالدلائل، إلَّا أنَّه لم يستوف جملة الأخبار تفصيلاً وأن أشير إليها إجمالاً، وكذلك الأقوال.

(وبالجملة) ـ فإنَّ قصدنا فيه إلى أنَّ الناظر فيه لا يحتاج إلى مراجعة غيره من الأخبار ولا كتب الاستدلال، ولهذا صار كتاباً كبيراً واسعاً كالبحر الزاخر باللؤلؤ الفاخر، وفي أثناء كتابته صنفت أيضاً جملة من الرسائل في أجوبة المسائل الآتي ذكرها في كتاب (سلاسل الحديد في تقييد ابن أبي الحديد).

وها أنا أذكر ما خرج منّي من المصنفات أولاً وآخراً، فمنها: كتاب الحدائق المذكور إلى كتاب الحج، وأنا الآن في الاشتغال بكتاب المتاجر، وأعرضت عن ذكر كتاب الجهاد وما يتبعه لقلة النفع المتعلق به الآن تبعاً لبعض علمائنا الأعيان، وإيثاراً لصرف الوقت فيما هو أحوج وأحق لأبناء الزمان، ومنها كتاب سلاسل الحديد في تقييد ابن أبي الحديد، والرد عليه في شرحه لكتاب نهج البلاغة الذي رام فيه أنَّه يشرحه على رأي المتعزلة وأُصولهم ومذاهبهم وقواعدهم، وذكرت في أوله مقدمة شافية في الإمامة، تصلح أن تكون كتاباً مستقلاً، ثم نقلت من كلامه في الشرح المذكور ما يتعلق بالإمامة وأحوال الخلفاء والصحابة وممَّا يناسب ذلك ويدخل تحته، وبينت ما فيه من الخلل والمفاسد الظاهرة لكل طالب وقاصد، خرج منه مجلد، ومن المجلد الثاني ما يقرب من ثلث مجلد، وعاق الاشتغال بكتاب الحدائق عن إتمامه ومنها كتاب الشهاب الثاقب في بيان معنى الناصب وما يترتب عليه من المطالب، ومنها كتاب الدرر النجفية من الملتقطات اليوسفية، فهو كتاب لم يعمل مثله في فنه مشتمل على تحقيقات رائقة، وأبحاث فائقة، وكتاب عقد الجواهر النورانية في أجوبة المسائل البحرانية، ورسالة الصلاة متناً وشرحاً، ورسالة أخرى في الصلاة منتخبة منها بعبارات واضحة لسائر الناس والرسالة المحمدية في أحكام الميراث الأبدية، وكتاب جليس الحاضر وأنيس المسافر، يجري مجرى الكشكول،

ورسالة ميزان الترجيح في أفضلية القول فيما عدا الأولتين بالتسبيح، ورسالة مناسك الحج، ورسالة في تحقيق معنى الإسلام والإيمان وأنَّ الإيمان عبارة عن الإقرار باللِّسان والاعتقاد بالجنان والعمل بالأركان، ورسالة اللئالي الزواهر في تتمة عقد الجواهر، تشتمل على أجوبة مسائل لذلك المسائل، وكتاب النفحات الملكوتية في الرد على الصوفية، وكتاب تدارك (المدارك) يشتمل على البحث معه في واضع خطأ فيها قلمه وتساهل في تحقيقها، قد خرج منه مجلد مشتمل على كتاب الطهارة والصلاة، وحصل الاشتغال عنه بكتاب الحدائق لاشتماله عن البحث معه في تلك المواضع وأمثالها من كتب العبادات، وكتاب المسائل الشيرازية وكتاب أعلام القاصدين إلى مناهج أُصول الدِّين، خرج منه الباب الأول في التوحيد، إلَّا أنَّه والذي قبله ذهبا فيما وقع على كتبي من حوادث الزمان في قصبة (فسا) كما تقدمت الإشارة إليه، ورسالة قاطعة القال والقليل في نجاسة الماء القليل، تعرضنا فيها للرد على المحدث الكاشاني حيث إنَّه اختار القول بالطهارة وسجل عليه وتبعه عليه جمع ممَّن تأخر عنه ومال إليه ورسالة كشف القناع عن صريح الدليل في الرد على من قال في الرضاع بالتنزيل وقد تضمنت أبحاثاً شافية مع المولى العماد مير محمد باقر الداماد حيث إنَّه ممَّن اختار القول بالتنزيل وكتب فيه رسالة نقلنا جملة من كلامه وبينا ما فيه ممَّا يكشف عن ضعفه باطنه وخافيه، ورسالة الكنوز المودعة في إتمام

الصلاة في الحرم الأربعة، ورسالة الصوارم القاصمة للجامعين بين ولد فاطمة ﷺ مشتملة على تحقيق تحريم الجمع بين الفاطميتين كتاب معراج النبيه في شرح من لا يحضره الفقيه، قد خرج منه قليل من أوله ولم يتم، كتاب المسائل البهبهانية الواردة من المرحوم المقدَّس السيد عبدالله ابن السيد علوي البحراني القاطن ببهبهان حياً وميتاً، أجوبة المسائل الكازرونية الواردة من الشيخ إبراهيم ابن الشيخ عبد النبي البحراني، أجوبة المسائل الخشتية الواردة من الملا إبراهيم الخشتي، أجوبة مسائل الشيخ أحمد بن يوسف بن علي بن مظفر السيوري البحراني، أجوبة مسائل الشيخ الأمجد الشيخ أحمد بن المقدَّس الشيخ حسن الدمستاني البحراني، وأجوبة مسائل السيد عبد الله ابن السيد حسين الشاخوري، بين دفعات عديدة، وكتاب الخطب، قد اشتمل على خطب الجمعة من أول السنة إلى آخرها، وخطب العيدين، وكتاب الأنوار الخيرية والأقمار البدرية في أجوبة المسائل الأحمدية، قد سمي الكتاب بذلك لوقوع الأجوبة في جوار سيدالشُّهداء وإمام السعداء عليه السلام فنسبت إلى الحائر الشريف المسمى في الأخبار بالحير أيضاً وهي تبليغ قريباً من مائة مسألة، قد خرج الآن منها ما يقرب من خمس وخمسين مسألة، وفق الله سبحانه لإتمامها، والفوز بسعادة ختامها، وأجوبة مسائل الشيخ محمد ابن الشيخ علي بن حيدر النعيمي ـ رحمه الله تعالى ـ وغير ذلك ممَّا جرى به قلمي من حواش وأجوبة مسائل فإنَّها عديدة، ولكن هذا

الذي جرى بالبال الآن.

كانت أسرة الشيخ يوسف كلّها من أهل الفضل. وكان الشيخ عبد علي والشيخ خلف ابنه والشيخ محمّد والشيخ حسين ابنه كلّهم من العلماء وأصحاب الإجازة. كما كان غالبيّة أولادهم حتّى عصرنا من أهل الفضل وينحدر اليوم إليه نسب عوائل «ابن يوسف» و«الحدائق» في شيراز و«الماحوزيّ» في مدن الجنوب والذين كان من بينها الكثير من العلماء.

وكان العلّامة بحرالعلوم، الميرزا محمّد مهدي الشهرستانيّ، الحاج الملا مهدي النراقيّ والشيخ مهدي الفتونيّ كلّهم من تلامذة الشيخ يوسف، ولكنّ الأشخاص الثلاثة الأوائل أعرضوا عنه والتحقوا بالآقا على إثر وصول الآقا إلى كربلاء وتأسيس مدرسة الأصول. كما أنّ الشيخ أحمد ابن الشيخ حسن بن علي الدمشقانيّ والسيّد عبد الباقيّ بن مير محمّد حسين الخاتون آباديّ الأصفهانيّ سبط العلّامة المجلسيّ يروون عنه.

فارق الشيخ يوسف الحياة على إثر حادثة الطاعون العامّ الذي شمل جميع أنحاء العراق وهلك فيه الكثير من الناس وعمّ في بعض مدن إيران الغربية وذلك عام ١١٨٦ والتحق بالدار الباقيّة. وكما نقلنا من تكملة أمل الآمل وذكر أيضاً الشيخ أبوعلي في منتهى المقال، فقد أقام الآقا الصلاة عليه ورغم أنّ كربلاء ومدن العراق كانت مهجورة على أثر انتشار الطاعون، فقد حضر تشييع جنازته حشود كبيرة من الناس. ودفن الشيخ يوسف أسفل قدم سيد الشهداء عليه السلام في الموضع الذي دفن فيه

الآقا وصاحب الرياض، ورثي بهذه الأبيات الرائعة والحزينة:

يـاقبر يوسـف أوعيـت العلـى	وكنفت في جنبيك مـالم يكنـف
قامـت عليـه نـوائح مـن كتبـه	تشـكو الظليمـة بعـده وتأسـف
كحدائق العلـم التـي مـن زهرهـا	كانت أنامل ذي البصـائر تقطـف
مذ غبـت فـي عـين الأنـام فكلّنـا	يعقوب حزن غاب عنـه يوسـف
فقضـيت واحـد ذي الزمـان فـأرّخوا	قرحت قلوب الـذين بعـدك يوسـف

(١١٨٦)

١ـ الشيخ محمّد مهدي الفتونيّ

كان الشيخ محمّد مهدي الفتوني أيضاً من كبار علماء النجف الأشرف وكان معاصراً للآقا. وقد تحدّثنا عنه في الصفحات السابقة ونقلنا قصة مناظرة الآقا معه. وقد كان من العلماء الأخباريّين ومحدّثاً ماهراً وعالماً جامعاً وكاملاً، وكان أستاذ العلّامة بحرالعلوم والميرزا القمّيّ والحاج الملا مهدي النراقيّ وكان هو نفسه من تلامذة أبي الحسن الشريف النجفيّ الذي هو من أساتذة الآقا السيّد صدر الدين الهمدانيّ.

وعلى حدّ قول صاحب الروضات فقد كان العلّامة بحرالعلوم يقدّمه في إجازاته على سائر أساتذته والظاهر أنّه كان أوّل أساتذة العلّامة بحرالعلوم، كما يقول في الروضات إنّ العلّامة بحرالعلوم مدحه في إحدى إجازاته بأنه: «الشيخ العالم المحدّث الفقيه والأستاذ الكامل المتتبّع النبيه، نخبة الفقهاء والمحدّثين وزبدة العلماء العامليّن، الفاضل

البارع النحرير، إمام الفقه والحديث والتفسير، أوحد عصره الحميد في الأخلاق والصفات العالية، الشيخ الإمام البهي السخي أبو صالح محمّد مهدي الفتوني.»[١]

وذكر الشيخ مهدي الفتونيّ في إجازة العالم الجليل القدر الحاج الملا أحمد النراقيّ التي منحها لأحد كبار العلماء وقال: «... ورابعهم الشيخ الأجل الأفضل والفقيه النبيه الأكمل، المحدّث البارع التقي، والعالم الورع النقي الحبر الأوحد الشيخ محمّد مهدي ابن الشيخ بهاء الدين الفتوني العامليّ النجفيّ.»[٢].

٢ـ الشيخ محمّد تقي الدورقيّ النجفيّ

ينقل صاحب فوائد الرضويّة ترجمته من تكملة أمل الآمل فيقول: «كان محمّد تقي الدورقيّ من أجلة العلماء وأعلام الفقهاء، جامع المعقول والمنقول والمحقّق في الفروع والأصول من مشاهير علماء العراق. كان يراسَل من المدن في الأطراف في المسائل الشرعيّة ويُنتَفع من علْمه، وكان من قدماء مدرّسي النجف الأشرف، وتتلمذ العلّامة بحرالعلوم عليه وكان ذا نظر دقيق وفكر عميق ومعاصراً للوحيد البهبهانيّ والشيخ مهدي الفتونيّ.»[٣].

---

(١) روضات الجنّات ٧: ٢٠٥.

(٢) المصدر ٧: ٢٠٢.

(٣) فوائد الرضوية ٢: ٤٣٣.

٣ـ الآقا محمّد باقر هزارجريبيّ المازندرانيّ

جاء في نجوم السماء: «من أهل هزار جريب ومن أكابر المجتهدين وأعيان المشايخ وتلميذ الميرزا إبراهيم قاضي أصفهان والشيخ محمّد القاسانيّ (الكاشانيّ).»[١] وفي ذلك الكتاب أيضاً مدحه العلّامة بحرالعلوم في الإجازة التي منحها لصاحب الجواهر، هذا العالم العظيم الشأن الذي كان من مشايخه الثلاثة قائلاً: «... العالم العارف، الأستاذ الفاضل، حائز أنواع العلوم والحقائق والمعارف، جامع المعقول، مقرر الفروع من الأصول، الشيخ محمّد باقر ابن المولى الفقيه الشيخ محمّد باقر هزارجريبيّ قدّس الله رمسه الشريف.»[٢]

ووصفه العالم الجليل القدر الشيخ عبد النبيّ القزوينيّ الذي كان معاصراً له في تتميم أمل الآمل، بأنّه غواص بحرالعلوم الموّاج، صاحب نظر دقيق وفكر رقيق وجامع أنواع العلوم الحقّة وبعد المبالغة في مدحه ووصفه يقول: «المجاور للنجف الأشرف المشرف لمن به تشرف.

غواص تيار بحار العلوم، الثاقب لمكنونات درر الفهوم، الفاهم للطائف، المدرك للطرائف، دقيق النظر، رقيق الفكر، الجامع لأنواع العلوم الحقّة، الحاوي لألوان المعارف المحقّقة. مدرسته دار للشفاء من أسقام الجهالات، كلماته إشارات إلى طرق النجاة، مواقفه شروح

---

(١) نجوم السماء: ٢٩٠.

(٢) المصدر نفسه.

للمقاصد، مواطنه بيانات لتجريد العقائد، مطالع الأنوار أشرقت من فلق فمه، وطوالع الأسرار انجلت من مبسمه... حصل في أعظم بلاد عراق العجم في أصبهان في عشر الخمسين بعد المائة والألف من هجرة سيد الإنس والجان عند أعاظم العلماء الكائنين في ذلك الزمان ثمّ انتشر فضله في عراق العرب في مجاوره، وهي من تشرف به عدنان..»[1].

وقد توجه الآقا محمّد باقر هو أيضاً في ذلك العقد نفسه من أصفهان إلى العتبات المقدّسة حسب ما ذكر المحدّث النوريّ، وذهب إلى النجف ثمّ إلى كربلاء،[2] وعاد منذ ذلك الحين إلى النجف وبقي حتّى آخر عمره. ولذلك فقد كان مجيئه إلى العتبات خلال السنوات التي جاء فيها الآقا من بهبهان إلى كربلاء، واكتسب تلك الشهرة، ولكنّ هزارجريبيّ لم يكن بتلك الشهرة.]

وقد ذكر حفيده الشيخ محمّد حسن نقلاً عن صاحب الروضات، في الكتاب الذي ألّفه في ترجمة والده الآقا محمّد باقر هزارجريبيّ قائلاً: «كان والد والدي قدّس الله سرّهما الآقا محمّد باقر هزارجريبيّ مقيماً في النجف ومدفوناً فيها من فرائد الفضلاء وكبار العلماء، جامعاً للمعقول والمنقول، حاوياً لمراتب الفروع والأصول، أستاذاً في الحكمة والكلام، مؤيّداً بتأييدات الملك العلّام. وقد اتبع جماعة من أعاظم العلماء

---

(١) تتميم أمل الآمل: ٧٦.

(٢) مستدرك الوسائل، الطبعة الحجرية ٣: ٣٨٦.

وتخرّج من مجلسه الكثير من العلماء، مثل السيّد محمّد مهدي بحرالعلوم، الشيخ جعفر كاشف الغطاء، الميرزا أبي القاسم القمّيّ وغيرهم» «ودفن في صحن أمير المؤمنين وعمّر طويلاً.»[1]

كما يذكر المير عبد اللطيف التستريّ في تحفة العالم حينما يذكر كبار علماء النجف الأشرف، قائلاً: «والآخر هو الفاضل النحرير الآقا محمّد باقر هزارجريبيّ طاب ثراه فيلسوف الزمان ونادرة العالم وكان آية في فنّ المعقولات والرياضيّات والعلوم الطبيعية. وقد التقيته في سن الكهولة. وقد أحاطني بعاطفة ومحبة لا حد لهما ولم يكن قادراً على المطالعة والإفادة لكثرة الأمراض الصعبة. وقد التمسته في قراءة زبدة الأصول وإلهيّات الشفاء، فقبل من فرط إشفاقه وبدأت بقراءتهما ولم يمض وقت طويل حتّى توفّي، طيّب الله ثراه. وقد قال السيّد أحمد العطّار في تاريخ وفاته:

صدر الجوى وافى يقول مؤرّخاً تبكي العلوم دماً لفقد الباقر

(١٢٠٥)

وهذا العالم الكبير الذي كان من مشاهير المعاصرين للآقا في النجف كان يشبه الآقا من عدّة وجوه. الأوّل أنّهما كانا متعاصرين كليهما. والثاني أنّهما كلاهما كانا يحملان اسماً واحداً. والثالث أنّهما كلاهما توفّيا في سنة واحدة. والرابع أنّهما كلاهما كانا من علماء الأصول وكانا

---

(١) روضات الجنّات ٧: ١٥٦.

مجتهدين. والخامس أن ابنيهما الأكبرين كانا كلاهما يحملان الاسم (الآقا محمّد علي) وكانا كلاهما من نوّابغ الدهر وجامعيّن للعلوم والفنون وألّفا الكتب في كلّ العلوم. ولكن هنالك فرقاً واحداً هو أنّ الآقا محمّد علي ابن الآقا كان مقدّماً عليه من كلّ الجهات، كما سنذكر ذلك مفصلاً في موضعه.

ومن العجيب أنّ الآقا محمّد علي هزارجريبيّ له تأليفات في كلّ الفروع التي ألّف فيها الآقا محمّد علي بن الآقا وأثني عليه بنفس الأوصاف التي كان يحملها. ولد الآقا محمّد علي هزارجريبيّ سنة ١١٨٨ في النجف الأشرف وتوفّي في أصفهان في سنة ١٢٤٥. ويقع قبره عند مرقد السيّد علي أكبر.

عاد الآقا محمّد علي ــ المتقدم ذكره ــ والذي كان معروفاً بالآقا محمّد علي النجفيّ، من النجف إلى الوطن بعد وفاة والده الآقا محمّد باقر هزارجريبيّ. ودرس لفترة في قم عند الميرزا القمّيّ وبلغ درجة عالية من العلوم. ومنحه الميرزا إجازة تدل على أنه كان من خواصه ومقدّماً على كلّ تلامذته وعاد منذ ذلك الحين إلى أصفهان وانشغل بنشر الشريعة الغرّاء وعرف بالآقا محمّد علي الفقيه رغم أنّه كان متضلّعاً في كلّ العلوم.

وتزوّج هناك بابنة العالم الحكيم الجليل الميرزا باقر نوّاب اللاهيجيّ

مؤلّف كتاب شرح نهج البلاغة وتفسير القرآن، وولد له منها أولاد علماء وفضلاء. وألّف أحد أولاده كتاباً في الترجمة لأبيه الآقا محمّد علي ــ المتقدم ذكره ــ وهذه الكتب هي من جملة تصنيفاته: البحر الزاخر في الفقه، اللآلىء المتلألأ في الأصول، البدر الباهر في تفسير بعض من الآيات المتعلّقة بقصص القرآن، السراج المنير في الفوائد الرجاليّة، أنيس المشتغلين في الحكايات والمفاكهات، تبصرة المستبصريّن في الإمامة، محيي الزيارة في القصائد العربيّة وشرحها، كتاب الصلاة بالفارسيّة. مجموعة في الرسائل المتفرقة. حواش وتعليقات على شرح اللمعة وقواعد العلّامة وقواعد الشهيد وطهارة المدارك ونكاح الشرائع وأصول المعالم والقوانين وتجريد الاعتقاد.

وقد أدرك صاحب الروضات الآقا محمّد علي ونقل في ترجمته قسماً من كتاب ابنه الميرزا محمّد حسن النجفيّ.»[1] كما كان الميرزا محمّد حسن النجفيّ من العلماء المعروفين وتلميذ الآقا السيّد إبراهيم القزوينيّ صاحب الضوابط والحاج الشيخ مرتضى الأنصاريّ. وله كتاب في الطهارة وحاشية على القوانين.

يقول المحدّث القمّيّ في فوائد الرضويّة: «قال صاحب التكملة إنّه عندما ذكر اسم الميرزا محمّد حسن المذكور عند سيدنا الأستاذ حجّة الإسلام الميرزا الشيرازيّ قال أشهد أنّه ثقة ومجتهد على أساس الاختيار

---

(١) روضات الجنّات ٧: ١٥٤.

والمعاشرة لا من جهة السماع والشهرة.»[١]

[كما تمّ إدراج ترجمته من المصادر المذكورة بشكل إجماليّ في أعيان الشيعة وأعلام الشيعة][٢].

٤ـ السيّد حسين القزوينيّ

من مفاخر العلماء المعاصرين للآقا وصاحب الكرامات الباهرة والمقامات العالية والتأليفات الكثيرة. [يذكره صاحب روضات الجنّات باعتباره: «أحد أعيان المجتهدين في السنين الأخيرة والفقهاء الفحول، أوحد الزمان وجامع مراتب المعقول والمنقول، الثقة الموثّق من المتّقين الورعين، والأخيار المصطفين، صاحب الكرامات والمقامات الروحانيّة في حياته ومماته، ويقول يحظي مرقده في قزوين بالاحترام وكأنه مرقد أحد المعصومين»، ثمّ يذكر ترجمته على سبيل الاختصار معتبراً والده السيّد إبراهيم وجده السيّد محمّد معصوم فقيهين فاضلين ومتكلّمين حكيمين.][٣].

وقد ذكر العلّامة الطهرانيّ ترجمته في أعلام الشيعة بشكل جامع وكامل ومختصر في نفس الوقت ونحن ندرج ترجمته بعينها: «هو السيّد حسين ابن الأمير إبراهيم بن معصوم بن محمّد فصيح بن الأمير أولياء الحسينيّ من أكابر علماء عصره وأعاظم فقهائه. أخذ العلم أوّلاً

---

(١) فوائد الرضوية ٢: ٥٧٧.

(٢) أعيان الشيعة: ١٨٦، والكرام البررة ٣: ١٧٤.

(٣) روضات الجنّات ٢: ٣٦٥.

عن والده المتوفى [١١٤٩] وعن أخيه السيّد مهدي[١] والشهيد السعيد السيّد نصر الله الحائريّ والشيخ حسين الماحوزيّ والمولى محمّد قاسم ابن محمّد رضا بن محمّد التنكابنيّ الشهير بسراب والمولى محمّد علي الجزينيّ تلميذ صاحب الوسائل وغيرهم وهو أحد مشايخ رواية السيّد مهدي بحرالعلوم كتب له إجازة في [١١٩٤] ذكر فيها مشايخه وبعض تصانيفه وقد ذكرنا هذه الإجازة في[٢] ذكره الشيخ عبد النبيّ القزوينيّ في تتميم أمل الآمل الذي ألّفه في [١١٩١] فوصفه بقوله: البحر الخضم والطود الأشم الفاضل العالم أفقه الفقهاء صاحب الفكر المستقيم والذهن القويم فاضل عديم المثيل جامع للأقوال والأدلة مستنبط للمسائل، حقّق الأقوال بما لا مزيد عليه، وليس علمه مقصوراً على الفقه بل هو متفنّن بالإتقان، صحبته من أوّل الشباب وفارقته وعمره نحو خمس وثلاثين والآن قاربنا الخمس والستين ومكارمه لا تحصى (أقول) إذا كان عمره خمساً وستين في [١١٩١] فتكون ولادته حواليي [١١٢٦] كما ذكرنا ووصفه تلميذه السيّد مهدي المذكور في إجازته التي أجاز فيها السيّد حيدر اليزديّ بقوله: فخر السادة الأعاظم ونخبة العلماء الأكارم العالم العامل الورع الفاضل الفقيه المطلع المضطلع الخ. ووصفه

---

(١) صرّح بذلك في معارج الأحكام وعدّهما الأوّل والثاني من مشايخه في إجازته للسيّد مهدي الطباطبائيّ وذكربعدهم سائر من ذكرناه.

(٢) الذريعة ١: ١٨٠

بما يقرب من ذلك أيضاً في بعض إجازاته. ووصفه شيخنا العلّامة النوريّ في مستدرك الوسائل[1]: العالم الجليل والسيّد النبيل صاحب الكرامات الباهرة إلخ. إلى غير ذلك من عبارات المدح والثناء التي صدرت في حقّه من جمع من أكابر العلماء وأعلام الفقهاء توفي رضوان الله عليه في [١٢٠٨] ودفن بقزوين وقبره هناك مزار معروف متبرّك به وله آثار هامة ذكر بعضها في إجازته المذكورة وذكر الباقيّ مترجموه منها معارج الأحكام في شرح مسالك الأفهام وشرايع الإسلام قال شيخنا النوريّ إنّه كتاب شريف له مقدمات حسنة نافعة. وأطراه أيضاً في التتميم وله أيضاً مستقصى الاجتهاد في شرح ذخيرة المعاد والإرشاد صرّح في إجازته المذكورة بتمامية هذين الكتابين ورفع الالتباس وقصد السلوك ومواهب الوداد وغاية الاختيار ونظم البرهان و هو منظومة موجودة مع شرحها بخطّه في [مكتبة السيّد شهاب الدين المرعشيّ] بقم كما كتبه إلينا وتذكرة العقول في أصول الدين فرغ منه في [١١٤٢] واللآلي الثمينة في التراجم ورأيت نسخة الأصل منه في [مكتبة الشهيد الشيخ فضل الله النوريّ] بطهران وبراهين السداد في شرح الإرشاد ومختصر جامع الرواة وكتاب الأخلاق فارسيّ. ذكرنا بعض هذه الكتب فيما مرّ من أجزاء الذريعة والباقيّ مذكور في مخطوطها، ومن آثاره أيضاً الدرّ الثمين في الرسائل الأربعين ذكرناه في ج ٨ ص ٦٤ وهو أربعون

---

(١) مستدرك الوسائل ٣: ٣٨٤.

رسالة في مختلف أبواب العلوم ولكلّ منها اسم خاصّ كـإيضاح المحجّة واختيار المذهب ورسائل متعددة في البيع، أو الوقف وفي حد الكراهة المعتبرة في الخلع، وفي تحريم محارم للوقب في العقد للمحرمة، وفي الفرق بين القلنسوة والتكة من الحرير أو وبر الأرانب، وفي إرث الأحفاد مع وجود الأجداد، وفي حكم النبش، وفي حكم الزنا بذات البعل، وفي نكاح الكوافر. فمن تأليفات الآقا السيّد حسين القزوينيّ الأخرى رسالة في حكم نكاح الصغيرة من أجل النظر إلى أمها. وقد كتب هذه الرسالة في الرد على رسالة الآقا التي اعتبر فيها العقد فاسداً. وقد رأيت مخطوطتها التي كتبت بخطّ باقر بن محمّد أمين الكاشانيّ في سنة ١١٩٤ في مكتبة العلّامة الجليل الحاج السيّد أحمد الزنجانيّ. وقد ذكر في أوّل رسالته قائلاً: «وقد استشكل الفاضل الكامل الماهر مولانا محمّد باقر البهبهانيّ سلّمه الله.»[١]

[كما كتب مؤلّف ريحانة الأدب ترجمته من مجموع المصادر][٢].

٥ـ الشيخ عبد النبيّ القزوينيّ

وجاء في نجوم السماء: «كان من معاصري حضرة الآقا باقر البهبهانيّ ومولانا بحرالعلوم الآقا السيّد مهدي الطباطبائيّ عليه الرحمة. وكان عالماً خبيراً وفاضلاً نحريراً وماهراً في فنّ الرجال. ويقول في إجازة

---

(١) الكرام البررة ٢: ٣٧٤، وتتميم أمل الآمل: ١٣٠.

(٢) ريحانة الأدب ٣: ٢٩٢.

محمّد بن محمّد صالح اللاهيجيّ والتي حصل عليها من بعض تلامذة الآقا باقر البهبهانيّ في تقريب ذكر مشايخه:»... ومن جملة الأساتذة العالم الفاضل، الورع الفقيه المحقّق الخبير المدقّق، جامع المعقول والمنقول، مقرر الفروع والأصول عبد النبيّ القزوينيّ أصلاً واليزديّ مسكناً».

ويظهر من بعض إلقاءات تكملة أمل الآمل الموصوفة من تصانيف الشيخ أنه كان من تلامذة السيّد محمّد صالح الحسينيّ الخاتون آباديّ والشيخ محمّد جعفر بن عبدالله الكمريّ القاضي الأصفهانيّ صهر آغا حسين الخوانساريّ. ومن جملة تصانيفه تكملة أمل الآمل[1] ويشتمل على ذكر الّذين أهملوا في أمل الآمل بوصفهم من معاصري صاحب الأمل، والّذين هم من متأخري الشيخ الحرّ العامليّ عليه الرحمة.

وقد ألّف الكتاب المذكور باقتراح من حضرة بحرالعلوم حيث أتى بذكره الشريف وقال: «رغم أنني كنت أنوي منذ مدّة أنّ أكمل أمل الآمل وأدرج الأسماء المتبقيّة، ولكنّني لم أكن قد باشرت ذلك حتّى تحتّمت الإرادة وسارعت إلى جمعه بأمر حضرة (العلّامة بحرالعلوم) الواجب

---

(١) خطأ من القلم أو خطأ مطبعي، وإلا فإنّ تكملة أمل الآمل هو كما ذكر مراراً من تأليف السيّد حسن الصدر وتتميم أمل الآمل من تصنيفات الشيخ عبد النبي القزويني. وللأسف فقد جاء في نجوم السماء في كل المواضع تكملة أمل الآمل بدلاً من تتميم أمل الآمل حيث أدىّ هذا الموضوع إلى حيرة الكاتب لفترة. وهو الآن يذكر بأنّ الموضوع اشتبه عليه.

الامتثال».

وقد تفضّل مولانا بحرالعلوم طاب ثراه بكتابة تقريظ مشتمل المدح والثناء البليغين للكتاب المذكور وصاحبه، ولأنّه يدل على عظمة الشيخ المذكور وجلالة شأنه فقد أثبتناه هنا:«وبعد فقد وفقني الله وله الحمد للتشرف بما أملاه الشيخ العالم الفاضل والمحقّق البدل الكامل، طود العلم الشامخ وعماد الفضل الراسخ، أسوة العلماء الماضيّن وقدوة الفضلاء الآتين، بقيّة نواميس السلف وشيخ مشايخ الخلف، قطب دائرة الكمال وشمس سماء الفضل والأفضال، الشيخ العلم العامل، الزكي والمولى الأولي المهذّب التقي، المولى عبد النبيّ القزوينيّ اليزديّ لازال محروساً بحراسة الربّ العلي وحماية النبيّ والولي محفوظاً من كيد كلّ جاهل غبي وعنيد غويّ... فأجلت في ما أملاه نظري، ورددت في ما أسداه بصريّ، وجعلت أطيل فيه فكري، وأديم به ذكري، فوجدته أفضل من لبوس وأزين من عروس، وأعذب من الماء وأدق من الهواء...»[1]

٦ـ السيّد محمّد باقر الهمدانيّ

جاء في أعلام الشيعة:«السيّد محمّد باقر بن السيّد محمّد إبراهيم بن محمّد باقر الرضويّ القمّيّ الهمدانيّ من فحول علماء عصره وأكابرهم

---

(١) نجوم السماء: ٣٠٧.

وكان معاصراً للأستاذ الأكبر الآقا باقر البهبهانيّ».

وذكره السيّد الصدر في تكملته وقال: «صاحب الذهن الدقيق والفكر العميق، وكان متبحراً في علوم العرفان والحكمة الإلهيّة ولم يكن يبلغ أحد في زمانه درجته. وهو ابن أخ السيّد صدر الدين الرضويّ شارح الوافية (أستاذ الآقا)».

وذكره الشيخ عبد النبيّ القزوينيّ في تتميم أمل الآمل وقال: «اشتهر بالذهن الدقيق والفهم العميق واتّساعه في العلوم الحقيقية والمعارف الذوقية. أخبرنا به جمع كثير، كنا رأيناه قبل هذا بخمس وعشرين سنة. أدام الله ظلّه الوريف على الوضيع والشريف.»[1]

كما نقل الفاضل المعاصر في الروضات ترجمته من رجال النيسابوريّ للميرزا محمّد الأخباريّ وقال: «له شرح أصول الكافي ورسالة في المعاد الجسماني وأشعار حسنة ويروي عن أبيه. توفي في همدان في سنة ١٢١٨ ونقل إلى قم ودفن في دار الحفاظ» وقد كتبت ترجمة أبيه وعمه في الكواكب المنتثرة.»[2]

٧ـ آغاسيّد حسين الخوانساريّ

كتب المولوي محمّد علي الكشميريّ في نجوم السماء: «كان معاصراً لأستاذ الكلّ الآقا باقر البهبهانيّ، وأستاذ المحقّق القمّيّ مؤلّف القوانين.

---

(١) تتميم أمل الآمل: ٨١.

(٢) الكرام البررة ٢: ١٦٨.

وذكر الملا شفيعا في كتاب إجازته الموسوم بالروضة البهيّة في خلال الترجمة للمحقّق القمّيّ أنّ صاحب القوانين وبعد أن تلقىّ شيئاً من علم الأدب من والده الماجد تعلّم الفقه والأصول من حضرة المنزّه من كلّ شين السيّد حسين الخوانساريّ ويظهر من هذا الكلام أنّ السيّد الموصوف كان متضلّعاً غاية التضلّع في فنّ الأصول وعلم الفقه والله أعلم.»[1].

وهذا السيّد الجليل والعالم النبيل هو جد العالم المتتبّع الآقا السيّد محمّد باقر الخوانساريّ صاحب روضات الجنّات الذي ذكرناه مراراً في هذا الكتاب. وقد كتب في الترجمة لجده العالي القدر قائلاً: «جد والد مؤلّف هذا الكتاب كان من أكبر المحقّقين الأعلام وأعاظم علماء الإسلام. كشّافاً لمعضلات الدقائق بذهنه الثاقب، وفتّاحاً لمقفّلات الحقائق بفهمه الناقب حسن التقرير والإنشاء. جيّد التحرير والإملاء جميل الأخلاق والشيم. حميد الآداب والحكم، في عليا درجة من الزهد والورع والتقوى والدين، وسميا مرتبة من مراتب الفقهاء والمجتهدين إلّا أنّه لمّا يخرج من البيت كثيراً ولم يرض إلّا بمسقط رأسه موئلاً وعصراً، وكان الإنسان على نفسه بصيراً، بقي اسمه الساميّ في مكمن من الخفاء والخمول وخفي أمره النامي عن لواحظ العلماء والفحول نظير سميّه المعاصر له المتقدم عنوانه.

---

(١) نجوم السماء: ٢٩٧.

منهم السيّد البارع الجامع الكامل المتبحر العلّامة السيّد محمّد مهدي النجفيّ الطباطبائيّ المعروف ببحرالعلوم ـ أعلى الله مقامه ـ وقد عدّه فيما اطّلعت عليه في هذه الأواخر من إجازة الشيخ عبد علي بن محمّد ابن عبدالله البحرانيّ. ثمّ النجفيّ لشيخ مشايخنا الحاج محمّد إبراهيم الكرباسيّ الخراسانيّ صاحب كتابي الإشارات والمنهاج من جملة مشايخ إجازته الثلاثة الذين مرّت الإشارة إلى الأوّل منهم، والثاني في الترجمتين المتقدمتين على هذه الترجمة، وأشار إلى صفة جدّنا المذكور المبرور في تلك الإجازة المتبرّكة أيضاً بهذه الصورة: ومنها ما أخبرني به إجازة السيّد السند والعالم المؤيّد، والفاضل المسدّد والفقيه الأوحد ذو الرأي الصائب الدقيق، والفكر الغامر العميق والأدب البارع الظاهر والمجد الشامخ الباهر. المتحلّي بكلّ زين، والمتخلّي عن كلّ شين، الأمير السيّد أبي القاسم الموسويّ الخوانساريّ عن شيخه المحدّث الفقيه، والعالم العامل النبيه صاحب الفهم الفائق، والذهن الرائق الفائق المولى محمّد صادق عن أبيه الفقيه المشهور بالعلم والتقوى محمّد بن عبد الفتّاح التنكابنيّ المعروف بسراب عن شيخه علّامة العلماء المحقّقين وشيخ المشايخ المجتهدين المولى محمّد باقر بن محمّد مؤمن السبزواريّ صاحب الذخيرة والكفاية عن جملة من مشايخه العلماء.

ومنهم المولى الفاضل المحقّق الفقيه الكابر الآقا محمّد علي بن مولانا

الآقا محمّد باقر البهبهانيّ المروّج كما استفيد لنا من تصريح نفسه في مفتتح شرح المفاتيح وكان ذلك بإجازة منه له أيّام تشرّفه بزيارة الحائر المقدّس ــ على مشرفها السّلام ــ لما كان يذكر لنا ولده الذي هو جدنا السافل أنه لما تشرّف بتلك البقعة المقدّسة قدم إلى زيارته حضرة سميّنا المروّج المعظم عليه ــ أعلى الله مقامه ــ مع لمة من أصحابه في زي جماعة من الأعراب كما هو دأبه. فلم يعرفهم الخدمة حسبوهم سؤالاً فقراء من العرب، وخيّبوهم من لقاء السيّد، وكان هو نائماً فاتفق أن استيقظ من ساعته، وسألهم هل جاء أحد يطلب منكم لقائي منذ أنا نمت فقالوا: لا إلّا جماعة من فقراء الأعراب متنكري الثياب صرفنا عن سماحتك أذاهم. فالتفت ــ رحمه الله ــ أنهم هم الآقا المشار إليهم وأتباعه فتغيّر على الخدمة، وأرسل من الفور عقيب الآقا معتذراً إليه من قبيح فعالهم، وتلاقيا من بعد ذلك بأحسن طريق، وكان بينهما من الخلطة والصفا أيضاً ما لا يخفى.

وحكى سلفنا الصالحون أنّ أعاجم هذه النواحي كانوا إذا سألوا الآقا الموصوف عن أمور شريعتهم يأمرهم بالرجوع إلى هذا القمقام، وسميّه المقدّم في حقّه الإكرام من فضلاء العجم.

ومن جملة من يروي عنه أيضاً الفاضل المحقّق الآقا الميرزا أبو القاسم القمّيّ صاحب القوانين كما نرى أنّ إجازته الشريفة مشحونة بذكر فضائله، وفضائل والده الجليل، وكان قد تلمّذ لديه أيضاً سنين

عديدة بقصبة خوانسار، وقرأ عليه جملة من المراتب والأفنان إلى أن صار من أخص خواصه. فزوّجه بعض أخواته التي هي من حمّات والد أبينا الماجد ــ سلّمه الله تعالى ــ وكانت في حبالته إلى أن انتقل إلى العتبات العاليات لأجل التتلمّذ على فضلائها الأقدمين.

ونقل في سبب وفاتها ماينبىء عن شدة فاقة الميرزا أوائل الأمر، والله العالم، وعندنا رقيمات كثيرة بخطّ الميرزا إلى حضرة جدنا المذكور بالعربيّة والفارسيّة من العتبات وغيرها، وقد جاوز فيها الحدّ من المبالغة في احترامه، وإظهاره التحسّر على قديم أيّامه، والاستعفاء عن زلل أقدامه وأقلامه، ويعبّر عن جدنا المعظّم إليه فيما لوحظ من إجازاته بالسيّد المحقّق، الحبر المدقّق، وأمثال ذلك: ابن السيّد الأفضل الأكمل الأعلم السيّد أبي القاسم الموسويّ.

بيد أني لم أظفر إلى الآن على مصنّف جليل له غير تعليقاته الرفيعة على شرح اللمعة وحواشيه على الذخيرة ورسالته في الإجماع، وشرحه لدعاء أبي حمزة، وشرحه لزيارة عاشوراء المشهورة، وأجوبة المسائل النهاوندية التي سأله عنها الفاضل الأمير سيّد علي النهاونديّ صاحب المسائل الكثيرة التي سأل بها أيضاً عن السيّد عبدالله الشوشتريّ سبط السيّد نعمت الله، وكان ــ رحمه الله ــ لايغادر التهجّد في ليله، ولا زيارة عاشوراء في نهاره، ولا الجماعة ولو في بيته مع أهله، ولا الإنصاف لأخيه من نفسه، ولا المواساة مع فقراء المؤمنين، وكان يصلّي الجمعة

بجامع القصبة المؤمى إليها، وهو جامع كبير في حيزه طريف الوضع بناه بعض ولاة تلك القصبة لخصوص خاطر هذا، وهو إلى الآن أيضاً بأيدي فضلاء هذه السلسلة من بني أعمامنا الماجدين يقيمون فيه الجمعة والجماعات.

وله أيضاً كرامات مشهورة ومقامات تنقل عنه في طريق الحجّ وغيرها، وكانت وفاته بعيد الظهر من يوم الأحد الثامن من رجب المرجّب أحد شهور سنة إحدى وتسعين ومائة بعد الألف، ودفن في جوار منزله أيّام الحياة قريباً من داره. ــ أفاض الله على تربته الشريفة من فيوضات بحار أنواره ــ[1].

٨ـ المير عبد الباقيّ الخاتون آباديّ الأصفهانيّ

كان المير عبد الباقيّ سيّداً جليل القدر وعالماً عظيم الشأن. وكان ماهراً في علم الفقه والحديث والأدب وأستاذاً في المعقول والمنقول وممتازاً من حيث الأوصاف الحميدة والأخلاق الكريمة والزهد والتقوى. وكان معاصراً للآقا وإمام الجمعة والجماعة في أصفهان. أمه ابنة العالم الفاضل الآقا الميرزا محمّد صادق ابن العلّامة المجلسيّ صاحب بحار الأنوار، كما أنّ والدة أبيه هي ابنة العلّامة المجلسيّ. وبناء على ذلك فإنّ المير عبد الباقيّ هذا هو حفيد العلّامة المجلسيّ وسبطه

---

(١) روضات الجنّات ٢: ٣٦٧-٣٧٠.

أيضاً.

وقد ذكر صاحب روضات الجنّات ترجمته ضمن ترجمة المير محمّد حسين الخاتون آباديّ الأصفهانيّ فقال: «كان من أجلّة السادات وأعيان فضلاء زمانه» وينقل عن الآقا السيّد محمّد باقر حجّة الإسلام قائلاً: «وذكر لنا سميّنا العلّامة صاحب مطالع الأنوار ـ نوّر الله مرقده ـ أنّه كان مشرّفاً بجوار عتبات أجداده الطاهرين عليهم السلام في حداثة سنّه لأجل الزيارة». وحينما علم أفاضل علماء العتبات بوصوله استقبلوه استقبالاً حافلاً، وأحاطوا به من كلّ جانب، وفي طريقه كانوا يأخذون منه الإجازة، لأنّ إسناد إجازته كانت ممتازة للغاية، كان هو يمنح الإجازة بدوره عن نفسه عن أبيه عن أجداده الأمجاد وأساتذته الكبار، ثمّ يقول صاحب الروضات وكانت إجازته للسيد محمّد مهدي المعروف ببحرالعلوم أيضاً في تلك السفرة المباركة.»[1]

ولكنّ قلم صاحب الروضات يسهو هنا، فكما ذكر في تاريخ كتابة إجازة المذكور في الفيض القدسيّ وكما رأيت أنا أيضاً بنفسيّ الإجازة المذكورة مع عدة مجلّدات من الإجازات الأخرى في مكتبة ملك الوطنية وترجمت قسماً منها في ترجمة العلّامة بحرالعلوم وسيطلع عليها القرّاء بإذن الله. وقد كتبت إجازة المذكور سنة ١١٨٦ حيث سافر بحرالعلوم إلى إيران هرباً من الطاعون واستقر في أصفهان عن طريق

---

(١) روضات الجنّات ٢: ٣٦٠.

مشهد. ويقول المير عبد الباقيّ في تلك الإجازة نفسه: التقيت بحرالعلوم سابقاً في النجف الأشرف، ولكن صداقتنا تحوّلت الآن إلى أخوّة روحيّة وهو مما يدل بحد ذاته على أنّ بحرالعلوم لم يأخذ الإجازة من خلال سفر العراق.

كتب العلّامة النوريّ في الفيض القدسيّ قائلاً: «إجازة المذكور بخطّ المير عبد الباقيّ والتي هي في غاية الحسن والجودة موجودة عندي وتدل على فضله وكماله وبلاغته»[1]

وكما مرّ فإنّ مؤلّف هذا الكتاب حظّي بزيارته وقد طالعت بدقة مرّة أخرى الفوائد الرجاليّة للعلّامة ابن بحرالعلوم حيث ألحقت هذه الإجازات وسائر الإجازات به وهي تعود إلى الآقا السيّد محمّد رضا ابن بحرالعلوم وأولاده من بعده ولاحظت بذهني القاصر أن الكلام هو نفس ما ذكره العلّامة النوريّ نوّر الله مضجعه.

ومن تأليفات المير عبد الباقيّ كتاب جامع في أعمال شهر رمضان المبارك. ووالد المير عبد الباقيّ هو المير محمّد حسين الخاتون آباديّ الأصفهانيّ وكان محدّثاً فاضلاً وعالماً جليلاً وماهراً في فنون الحكمة والأدب كما كان يتمتّع بخطّ حسن وكمالات فاضلة وكان إمام الجمعة في أصفهان.

وقد ذُكر من تأليفاته الكتب التالية: خزائن الجواهر في أعمال السنة،

---

(١) فيض القدسي ج٢. بحار الأنوار: ١٤٥.

سبع المثاني في زيارة الأئمّة الطاهرين المدفونين في العراق، وسيلة النجاة في الزيارات البعيدة، النجم الثاقب في إثبات الواجب، الألواح السماويّة في اختيارات الأيّام، كلمة التقوى في تحريم الغيبة، مفتّاح الفرج في الاستخارة، رسالة في البداء، رسالة في الزكاة، وكذلك في الأخماس واللقطة والتعليقات على شرح اللمعة والمعالم والحواشي على شرح التجريد وغيرها.

كان المير محمّد حسين ابن أخت العلّامة المجلسيّ عالماً ثرياً ووزير بيگم عمّة الملك السلطان حسين الصفويّ. وقد أسر خلال فتنة الأفغان وتعرّض للتعذيب الشديد وآذوه كي يأخذوا أمواله. ويقول هو نفسه: كان هذا الأذى والتعذيب نافعين ومؤثرين للغاية في إصلاح حالي والانصراف عن علائق الدنيا الدنيّة والالتفات إلى الآخرة!

فارق هذا العالم الجليل الحياة في سنة ١١٥١ ومن أحفاد المير محمّد حسين الآخرين الميرزا أبو القاسم إمام جمعة طهران الذي يقع قبره في طهرانْ والمعروف بـ «سر قبر آقا» والميرزا زين العابدين أمام الجمعة ولده الذي كان صهر ناصر الدين شاه.

ووالد المير محمّد حسين، المير محمّد صالح بن عبد الواسع الحسينيّ الخاتون آباديّ المتوفّى سنة ١١٢٦ العلّامة المحقّق، ووصي الملا محمّد باقر العلّامة المجلسيّ الأوّل وتلميذه وصهره وجد المير عبد الباقيّ.

ولهذا العالم الجليل تصنيفات مفيدة منها: شرح من لا يحضره الفقيه وشرح الاستبصار ذريعة النجاح في أعمال السنة، روادع النفوس في الأخلاق، حديقه سليمانيه، حدائق المقرّبين، الأنوار المشرقة، تقويم المؤمنين، حدائق الحساب وتفسير سورة الحمد والتوحيد، ورسائل في إثبات العصمة وحول العقائد وأسرار الصلاة وله أيضاً كتاب في المزار. وقد قيل إنه لمّا طُلِب من العلّامة المجلسيّ أن يصنّف زاد المعاد، قال: ارجعوا في هذا الباب إلى كتاب المير محمّد صالح، أي ذريعة النجاح فهو كاف لمقصودكم!

وعلى أيّ حال فقد كان الحديث حول المير عبد الباقيّ الخاتون آباديّ الأصفهانيّ حيث جاءت الإشارة إلى ترجمة أبيه وجده بالمناسبة. وللمير عبد الباقيّ ابن يدعى المير محمّد حسين سميّ جده وكان هو أيضاً إمام جمعة أصفهان ومن فضلاء تلامذة الآقا، كما ستذكر ترجمته في ذلك القسم[1]

٩ـ الميرزا محمّد باقر الشيرازيّ

جاء في أعلام الشيعة والكرام البررة: «أحد علماء عصره الأماثل والفضلاء الماهرين في الحكمة والكلام. كان حسن المحاضرة حلو الكلام عذب المنطق حلو الشمائل حسن التقرير والبيان من معاصري

---

(١) روضات الجنّات ٢: ٣٦٩.

الأستاذ الأكبر الآقا محمد باقر الوحيد البهبهانيّ، والسيّد مهدي بحرالعلوم الطباطبائيّ. ترجمه الشيخ عبد النبيّ اليزديّ القزوينيّ في تتميم أمل الآمل الذي ألّفه في «١١٩١» وقال: إنّه مع حداثة سنّه يدرّس الكتب المبسوطة الكلاميّة والمنطقية والحكمية في غاية حسن التقرير بحيث يبهر العقول. فالمظنون قوياً بقاؤه إلى هذه المائة؛ وترجمه السيّد الصدر في التكملة أيضاً.

وأدرج الشيخ عبد النبيّ القزوينيّ ترجمته في تتميم أمل الآمل الذي ألّفه في ١١٩١ ترجمته قائلاً: «شابّ حصّل في مقتبل عمره، له ذهن ثاقب وفهم ناقب. وهو دام ظلّه مع حداثة سنّه يدرّس الكتب الكبار بأحسن تقرير، قد تولّه الطلبة من حسن تقريره وبديع بيانه. له مهارة في الحكمة والكلام والعربيّة، مجالسته مرغوبة ومكالمته مطلوبة.»[1]

١٠ـ السيّد جعفر السبزواريّ

كان على حد قول أعلام الشيعة عالماً مصنّفاً ومن معاصري الوحيد البهبهانيّ كما كان ابن أخت السيّد محمّد بن المير شاه قاسم إمام جمعة مشهد المقدّسة. وجاءت في مطلع الشمس ترجمته وأثني عليه. له تصنيفات منها رياض الأنوار في أحوال الأئمّة الأطهار، وأسرار الصلاة ورسالة في حرمة تدخين التبغ ورسالة في التجويد.

---

(١) الكرام البررة ٢: ١٦٣، وتتميم أمل الآمل: ٨٠.

توفي في زمان الميرزا مهدي الشهيد في سنة ١٢١٨ وهو مدفون مع خاله المتوفى سنة ١١٩٨ الذي ذكرنا ترجمته في كتاب الكواكب المنتثرة، أسفل رجل الإمام الرضا عليه السلام.»[١].

كما كتب الملا نوروز علي البسطاميّ ترجمته في فردوس التواريخ وقال إن تصنيفاته موجودة في مكتبتي وقد وقف ما يقرب من مائتي مجلّد من كتبه وعهد بالوصاية عليها إلى الملا أحمد الهراتيّ (الذي ذكرناه في ص ٧٥ من الكرام البررة).»[٢]

تلامذة الآقا

من امتيازات الآقا بالنسبة إلى سائر مجتهدي الشيعة بل كلّ علماء الإسلام من كلّ فرقة ومذهب والتي تجعله متميزاً من جميع الجهات وتمنحه مركزاً وعظمة من نوع خاصّ، التلامذة الكبار والفقهاء والمجتهدون المعروفون الذين تخرّجوا من مدرسته. ويكفي الآقا من الجلالة والفضل أنّ تلامذة كالذين ذكرناهم تخرّجوا من مهد تربيته وحوزة درسه كما يكفيهم فخراً ومباهاة أنّهم كانوا تلامذة الآقا الوحيد البهبهانيّ.

جاء في نجوم السماء: «ينتهي أكثر العلماء ما بعده إلى الآن بل سلسلة

---

(١) الكرام البررة ٢: ٢٣٧.

(٢) فردوس التواريخ: ١١٧.

تتلمذ جميع مشاهيرهم إليه، ولذلك لقّب بأستاذ الكلّ في الكلّ»[١].

وكتب حفيده العلّامة الآقا أحمد في مرآة الأحوال قائلاً: «بلغ جمع كثير من مقتطفي روضة إفادته درجة الاجتهاد العالية، وتفوّقوا على أكثر العلماء السابقين. ومن جملتهم والد هذا الفقير (الآقا محمّد علي) الولد الفاضل لذلك الجليل والعم الشهير (الآقا عبد الحسين) والسيّد العالي الأصل السيّد محمّد مهدي الطباطبائيّ (بحرالعلوم) والمير السيّد علي الطباطبائيّ (صاحب الرياض) الذي انشغل بالانتفاع من حضرته بعد مغادرة الوالد للعتبات.[٢] والآخر حضرة الميرزا محمّد مهدي الشهرستانيّ والميرزا مهدي المشهور بـ«الخراسانيّ» والميرزا أبو القاسم القمّيّ والملا مهدي النراقيّ وغيرهم من الفضلاء الكثيرين الذين يعجز القلم ويكلّ اللسان عن شرح فضائل وتبحّر كلّ منهم.»[٣]

كما كتب العلّامة المامقانيّ في تنقيح المقال قائلاً: «الوحيد هو من أذعن كل العلماء بأستاذيته وتخرج على يديه تلاميذ كل واحد منهم نادرة ألعصر، كالعلّامة بحرالعلوم، الشيخ الكبير (كاشف الغطاء) صاحب الرياض، الفاضل القمّيّ، السيّد محسن الكاظميّ (الأعرجيّ)، الشيخ

---

(١) نجوم السماء: ٣٠٣.

(٢) كما سنذكر في ترجمة الآقا محمّد علي فإنّ العلّامة بحرالعلوم وصاحب الرياض كانا في البدء تلميذي الآقا محمّد علي، ثم اقتصر انتفاعهم على الآقا بعد هجرة الآقا محمّد علي إلى كرمانشاه.

(٣) مرآة الأحوال جهان نما: ١٠٩.

محمّد يونس، والشيخ حسين نجف وغيرهم.»[١].

ولا يقتصر تلامذة الآقا على هذا العدد. فلو نظرنا بعين التحقيق والتتبّع في تاريخ حياة الآقا فسنرى أن من الصعب جداً إحصاء عدد تلامذته، لأننا إن أردنا أن نذكر المعروفين والمشاهير فقط لبلغوا خمسين شخصاً على الأقل وهم كلّهم يعتبرون من بين المجتهدين من الدرجة الأولى، ولذلك فإننا نحيل تفصيل ذلك إلى الكتب المفصلة وخاصّة الكتابين النفيسيّن والمنقطعيّ النظير الذريعة وأعلام الشيعة للعلّامة المتبحر الشيخ آغا بزرگ الطهرانيّ حفظه الله تعالى، ذلك لأنّ هذا العالم الجليل كرّس عمره كلّه كي يضع أعلام الشيعة والذريعة تحت تصرف محبّي العلم والفضل وأحيى بذلك رجال العلم وكتبهم المنسيّة والذين لم يتمّ ذكرهم.

وهؤلاء العلماء الكبار الذين نحن بصدد ذكرهم هم رؤساء الملّة وزعماء مذهب الشيعة والمحافظون على مذهب أهل البيت وأحكام الإسلام. والمتخصّصون يعلمون أكثر من غيرهم أنّ ماذكره في هذا الكتاب في ترجمتهم هو غيض من فيض وقطرة من البحر اللامتناهي لعلمهم وفضلهم وكمالهم وإلا فلو كان من المقرر أن نتحدث عن هؤلاء العلماء الكبار كما ينبغي ونكتب حول شخصيّاتهم، فالتعريف بكلّ واحد منهم يحتاج دون مبالغة إلى تأليف كتاب مستقل بنفس هذا القطع

---

(١) تنقيح المقال ٢: ٨٥، في لفظ «محمّد».

والوزن والمزايا.

وهو ما لم أذكره أنا وحدي فحسب بل هو ماذهب إليه الجميع ثمّ أين أنا من الإشادة بهؤلاء الرجال العظام والثناء عليهم؟! وهل بمقدوري أنا بهذه البضاعة المزجاة فعل ذلك، وأعرف بهم كما كانوا؟!

ولقد تجرّأت حتّى الآن وتجاسرت على أن أضع قدمي في الوادي اللامتناهي لفضل الآقا ومعاصريه ونشرت على قدر استعدادي ومقدرتي نتيجة متابعاتي في صفحات هذا الكتاب وعرضتها على أفكار العلماء تحليلاتهم عسى أن يقبلوها بقبول حسن وينظروا إليها بعين الرضا!

ولقد تجرّأت الآن هنا أيضاً فخطوت خطوة أخرى وها أنا ذا أبادر إلى كتابة شرح مختصر حول تفاصيل حياة تلامذة الآقا ولا أدري بعد ذلك مدى قدرتي على تحمّل مسؤولية هذا العمل.

وقد كان الآقا مايزال على قيد الحياة عندما بلغ ابنه الماجد الآقا محمّد على المرجعية والرئاسة الدينيّة العالية في كرمانشاه، وكذلك كلّ من العلّامة بحرالعلوم في النجف الأشرف، الآقا عبد الحسين ابنه الآخر، صاحب الرياض، الميرزا محمّد مهدي الشهرستانيّ في كربلاء، السيّد محسن الأعرجيّ في الكاظميّة، الميرزا القمّيّ في قم، الميرزا مهدي الخراسانيّ في مشهد المقدّسة، الحاج الملا مهدي النراقيّ في كاشان، السيّد دلدار علي الهنديّ في الهند، ملؤوا بذلك كلّ المناطق الشيعية بصوت«أستاذ الكلّ الآقا محمّد باقر البهبهانيّ».

ومن بعد وفاته تواصلت هذه الجهود الحثيثة من قبل تلامذة الآقا وأولاده من أجل إرساء الأسّس العلميّة والمحافظة على مدرسته حيث يرى كلّ الفقهاء والمجتهدين أنّ علم الأصول ومذهب الاجتهاد مدينان للآقا، ويعتبرون حياة الحوزات العلميّة الشيعية تذكاراً لتلك الشخصيّة الحيّة الخالدة، ومن الحقّ أن نقول إنّه عاش سعيداً ومات سعيداً.

دولت جاويد يافت هر كه نكو نام

كز عقبش ذكر خير زنده كند نام را

«من عاش وسمعته حسنة، نال الذكر الخالد، فإن ذكره بالخير يحيي اسمه من بعده».

كما أنّ من الجدير بالذكر أننا لم نتبع أسلوباً أو ذوقاً خاصّاً في تنظيم أسماء وتراجم هؤلاء الفضلاء وترتيبهم وتقديمهم وتأخيرهم، ذلك لأنّ ذلك بحاجة إلى تحقيق كاف في حياة كلّ منهم ودراسة آثارهم وتأليفاتهم وهو ما لا نقويّ عليه. والملاحظة الأخرى أننا سوف نذكر في قسم مستقل بإذن الله ترجمة اثنين من تلامذة الآقا هما ابنه الأكبر الآقا محمّد علي وابنه الأصغر الآقا عبد الحسين.

وعلينا أن نعلم أنّهما تتلمذا أكثر لدى الآقا وخاصّة الآقا محمّد علي الذي كان يتقدم على جميع تلامذة الآقا من حيث العمر والعلم والتبحر في جميع الفنون، حيث ذكر الآقا أحمد اسمي هذين الفاضلين مقدّمين على الآخرين، ونحن بدورنا سوف نقدم المزيد من الإيضاحات في الترجمة لهما.

ولسوف تتعرفون في هذا الفصل على مدى ورع تلامذة الآقا وطهارة أنفسهم، والمقام الذي بلغوه في عبادة الله والتقوى والفضيلة والجاه والجلال. ومن المعلوم أنكم سوف تقولون بعد مطالعة تراجمهم حيث سننقل شيئاً منها وسنكتفي بإشارة، كيف كان الآقا الوحيد البهبهانيّ عنصراً شريفاً ووجوداً مفيداً وعالماً تملّك الحقيقة بحيث تخرج من مدرسته أمثال هؤلاء الرجال الأجلاء. فدراسة أحوال تلامذة الآقا هي التعريف الأفضل لأستاذهم، أي أستاذ الكلّ الوحيد البهبهانيّ.

وللميرزا محمّد التنكابنيّ في قصص العلماء حديث حول تلامذة مدرسة الآقا يتطابق مع الواقع، ويتمتّع أيضاً بالمستندات الصحيحة والمؤيّدات الواضحة، ولذلك فإنّنا سوف ننقله في نهاية هذا الفصل، ثمّ نبدأ بالترجمة لتلامذة الآقا. فقد كتب قائلاً: «وكان لحضرته تلامذة كثر وأصبحوا كلّهم فضلاء الزمان ووحيدي الأعصار، ومن جملتهم صهره الآقا سيد علي (صاحب الرياض) والآقا محمّد علي وابنه الآخر الآقا عبد الحسنين والآقا السيّد مهدي بحرالعلوم والشيخ جعفر النجفيّ (كاشف الغطاء) والشيخ أسدالله الكاظميّ (صاحب المقابس) والآقا السيّد محسن (الأعرجيّ) الكاظميّ والميرزا أبو القاسم القمّيّ والميرزا محمّد مهدي الشهرستانيّ والميرزا يوسف التبريزيّ والآخوند الملا مهدي النراقيّ والحاج محمّد إبراهيم الكلباسيّ والشيخ أبوعلي صاحب كتاب منتهى المقال وغيرهم من الفضلاء المهرة وجهابذة العلماء الحذقة.

ويقول مؤلّف الكتاب إن كلّاً من تلامذته كان يتمتّع بمهارة لا حدود لها في الفنّ الواحد. فقد كان السيّد محمّد أصوليّاً ومجادلاً لا نظير له وكان الميرزا القمّيّ فقيهاً نبيهاً كان يتمتّع بالفقه الفاضل وكان الآخوند الملا مهدي جامعاً وكان بحرالعلوم والآقا محمّد علي فاضلين وجامعيّن وذوي فنون وكان للميرزا محمّد مهدي الشهرستانيّ يد طولى في التفسير وكان الشيخ أبوعلي وابنه الآقا محمّد علي فريدان في علم الرجال. وعلى الإجمال فإنّ هذه الكيفية تكشف عن أنّ الآقا نفسه كان على علاقة بكلّ هذه الفنون بحيث أضحى كلّ واحد من تلامذته رمزاً لفنّ أو كلّ الفنون، وكان الآقا وحيداً في تأسيس القواعد الكلّية، وفريداً في كثرة تنفيذ الأدلة بحيث يجعل المسألة بديهية، وصميدعاً صنديداً في تفريع الفروع والإحاطة بالفقه.»[1]

[والآن سنقوم هنا في هذا الفصل بالتعريف بستة وثلاثين من تلامذة الآقا الذين عرفناهم. كما أننا نعرف بعض تلامذة الآقا بالاسم وبشكل إجماليّ، ولكنّنا سنعرض عن ذكر أسمائهم لأننا لا نعرف التفصيل النسبي لتراجمهم.]

١ـ العلّامة بحرالعلوم

هو الاسم الشهير للعلّامة الذائع الصيت السيّد محمّد مهدي الابن

---

(١) قصص العلماء: ٢٠٢.

العظيم الشأن للعالم الفاضل السيّد مرتضى البروجرديّ الذي كان ابن السيّد محمّد الطباطبائيّ. وقد ذكر صاحب الفيض القدسيّ نسبه الشريف من جده السيّد محمّد الطباطبائيّ وحتّى مولى المتّقين قائلاً: «السيّد محمّد بن السيّد عبد الكريم بن السيّد مراد بن شاه أسدالله بن السيّد جلال الدين أمير بن الحسن بن مجد الدين بن قوام الدين بن إسماعيل بن عباد بن أبي المكارم بن عباد بن أبي المجد بن عباد بن علي بن حمزة بن طاهر بن علي بن محمّد بن أحمد بن محمّد بن أحمد بن محمّد بن إبراهيم الملقب بطباطبا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الغمر بن الحسن المثنّى بن الإمام الحسن المجتبى بن علي بن أبي طالب عليه السلام.»[1].

وقد أوضحنا في الترجمة للمرحوم السيّد محمّد البروجرديّ قدّس سره، جد العلّامة بحرالعلوم أنّ ذلك العالم الشهير هو صهر المير أبي طالب الابن الأكبر لأبي المعاليّ الكبير صهر الملا صالح المازندرانيّ. كما قلنا إنّ زوجة المير أبي طالب هي ابنة العلّامة الملا عبدالله بن العلّامة المجلسيّ الأوّل. وبناء على ذلك فإنّ العلّامة بحرالعلوم وأسرته الذين هم من أولاد السيّد مرتضى البروجرديّ ينحدر نسبهم من جهتين إلى العلّامة المجلسيّ الأوّل.

---

(١) الفيض القدسي: ١٣٠. وقد ذكرنا فيما سبق أنّ آية الله البروجرديّ ذُكر نسبه على هذه الشاكلة حتىّ الإمام الحسن المجتبى عليه السلام وهو الصحيح: أسرة آية الله البروجردي: ٧٣.

كما أنّ العلّامة بحرالعلوم له علاقة قرابة بالآقا من عدّة جهات، لأنّ الآقا والعلّامة بحرالعلوم هما صبطا الملا محمّد صالح المازندرانيّ الذي كان صهر العلّامة المجلسيّ الأوّل، ومن جانب آخر فإنّ الآقا زوج عمة العلّامة بحرالعلوم، لأنّها كانت ابنة السيّد محمّد الطباطبائيّ البروجرديّ جد بحرالعلوم، وأمّ الآقا محمّد علي ابنه الأكبر. وعلى هذا فإنّ أسرة العلّامة بحرالعلوم وأسرة آل الآقا التي هي من الآقا محمّد علي هم أبناء عمومة وأبناء خؤولة وهذه القرابة موجودة أيضاً بين آية الله العظمى السيّد البروجرديّ الذي هو ابن أخ العلّامة بحرالعلوم بواسطة أحفاد الآقا محمّد علي، كما سنذكر ذلك في ترجمة المعظم له.

وبعد أن اتضح لنا إلى حدّ ما النسب الشريف للعلّامة بحرالعلوم وعلاقة قرابته مع العلّامة المجلسيّ والآقا وعرفنا أنّ العلّامة بحرالعلوم هو من أقارب الآقا ومحارمه أيضاً، فضلاً عن أنّه كان من أكبر تلامذته، فإننا سنتطرق الآن إلى ترجمته، وذكر خلاصة مما قاله كبار العلماء في حقّه.

لقد ركزنا كما تعرّف القرّاء حتّى الآن على أسلوبنا في كتابة مواضيع هذا الكتاب، في الترجمة لكلّ واحد من العلماء على نقل كلام معاصريهم وأساتذتهم وتلامذتهم. ولذلك ومن أجل أن ندرك بشكل أفضل المكانة الشامخة للعلّامة بحرالعلوم، فإنّنا سننقل أوّلاً ماقاله الأساتذة في حقّه، ثمّ نتناول ما ذكره معاصروه وتلامذته في حقّه.

مقتطفات مما قاله أساتذته

من أجل تحقيق هذا الهدف، سندرج قبل كلّ شيء الإجازة التي منحها الآقا لذلك العلّامة الرفيع الدرجات والتي حصلنا عليها، بعباراتها العربيّة بشكل استثنائي ثمّ نترجم قسماً منها كي تتزيّن بعض السطور مما كتبه الآقا صفحات كتابنا ويحظّى بها أهل الفضل أيضاً. وتوجد هذه الإجازة مع عدد من الإجازات الأخرى المخطوطة ملحقة بـ الفوائد الرجاليّة لبحرالعلوم في مكتبة ملك الوطنيّة بطهران.

وهذه هي إجازة الآقا إلى تلميذه الأجل العلّامة بحرالعلوم عطّر الله مرقده الشريف: «الحمد لله رب العالمين والصلاة والسّلام على أفضل الأوّلين والآخرين محمّد وآله المعصومين الطاهرين إلى يوم الدين. وبعد فقد استجازني الولد الأعز الأمجد المؤيّد الموفّق المسدّد، والفطن الأرشد، والمحقّق المدقّق الأسعد، ولدنا الروحانيّ، العالم الزكي والفاضل الذكي، والمتتبّع المطلع الألمعي، السيّد السند المنتخب، الأمين محمّد مهدي ولد العالم الكامل الدين والسيّد الأنجب المتدين، الفاضل المقتدى، الأمير السيّد المرتضى أدام الله توفيقهما وتأييدهما وتسديدهما وتشييدهما. فوجدته أدام الله توفيقاته أهلاً للإجازة فأجزته أن يروي عني جميع مصنّفاتي ومؤلّفاتي ومسموعاتي ومقروآتي على أساتيذي الأعلام ومشايخي الكرام.

منهم الوالد الماجد العالم الفاضل، الكامل الماهر، المحقّق المدقّق الباذل، بل الأفضل الأعلم الأكمل، أستاد الأساتيد والفضلاء وشيخ

المشايخ العظماء العلماء الفقهاء مولانا محمّد أكمل غمره الله تعالى في رحمته الواسعة وألطافه البالغة عن أساتيذه العظام والمشايخ الأفاخم، فريدي الدهر ووحيدي العصر، لم يسمع الزمان بمثلهم ولم يوجد نظيرهم وعديلهم، والمشتهرين بين المشارق والمغارب، المستغنين عن التعريف بالفضائل والمناقب مولانا ميرزا محمّد الشيروانيّ والشيخ جعفر القاضي ومولانا محمّد شفيع الأسترآباديّ بل على ما أظنّ عن المحقّق جمال الدين الخوانساريّ أيضاً وخالي العلّامة المجلسيّ أيضاً.

ورأيت إجازاتهم له رحمهم الله بطرقهم المعروفة وأسانيدهم المشهورة إلى الأئمّة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين وأسأله أدام الله توفيقه أن لا يخرج عن طريقة النجاة ومسلك الاحتّياط والمبالغة في التأمل والتدبير والتدريب إلى درك المطلوب وأن لا ينساني وقت الدعاء أيّ وقت كان. ومصنّفاتي تزيد على ثلاثين وكتب تبلغ أربعين. إلّا أنّ بعضها لم يتمّ أسأل الله الإتمام، بمحمّد وآله الكرام، عليهم صلوات الله الملك العلّام إلى يوم القيام، وأنا الأقل محمّد باقر بن محمّد أكمل عفا الله عنهما».

كما قال الآقا محمّد باقر الهزارجريبيّ الذي كان هو أيضاً من كبار أساتذة بحرالعلوم في الإجازة التي منحهالسماحة في سنة ١١٩٥ ورأيت مخطوطتها في مكتبة ملك:«وبعد، فإنّ الابن الأعز الأجل الأوحد والعالم العامل الكامل، السيّد السند، المحقّق المدقّق الواعي القلب،

النقي الزكي الذكي اللوذعي، قدوة الفضلاء المتبحرين ووحيد عصره في المعاني والبيان، المسدّد المؤيّد بالتأييدات الإلهيّة، السيّد محمّد مهدي الطباطبائيّ زاد الله علمه وفضله وكثّر من أمثاله في سلسلة علماء الفرقة الناجية، هو من الّذين بلغوا المرحلة الأخيرة من الترقّي وفاق الجميع في عصره في العلوم العقليّة والنقليّة. كان مكرّساً نفسه للدراسة ليل نهار، وكان يتردد عليّ كثيراً. ولقى قسماً من المعاني والبيان والفقه والأصول عندي، وسمع منّا نصيباً كافياً من المنطق والحكمة والكلام وغيرها. وهو يتمتّع باستقامة الرأي وسلامة الفكر ودقة النظر».

كما يذكر صاحب الحدائق في الإجازة البالغة التفصيل التي منحها لبحرالعلوم بعد إسهابه في الحديث عن الدنيا وانعدام قيمتها وعدم ثباتها: «ومن جملة الأشخاص الابن الأعز الأجل الأكمل البهيّ السنّيّ السيّد مهدي بن السيّد الأمجد الأسعد الأرضي السيّد مرتضى الطباطبائيّ. فقد طلب مني أن أمنحه الإجازة... وهو يتمتّع بأهلية أخذ الإجازة. فتقواه وورعه وفضله واضح لي. زاد الله من أمثاله بين الفرقة الناجية. وقد عجّلت بدوري تحقيق مطلبه وقبلت رجاءه».

كما ذكر المير عبد الباقيّ الأصفهانيّ الذي ذكرناه في فصل «معاصري الآقا»، في إجازته التي كتبها في شهر شعبان ١١٩٣ بعد تعبيره عن أسفه الكبير بسبب فتنة الأفغان ودمار مدرسة أصفهان وبعد أن يشكو زوال العلماء والفضلاء الشهيرين في عصره ويتحدث عن هجر آثار الفقهاء

وكتبهم القيّمة وجهودهم، قائلاً: «من حوادث الدهر وسوانح الزمان انتشار طاعون شديد في سنة ١١٨٦ في بغداد ونواحيها والمشاهد المشرّفة والقرى والمدن الأخرى حيث لا يذكر على طول القرون أحد في تلك الأماكن. وقد أزهق أرواح الكثير من الناس على أثر ذلك الطاعون وهاجر خلق كثير.

ومن كبار العلماء الساكنين في النجف الأشرف والذي كان هناك آنذاك، السيّد السند الجليل القدر، الأوحد الأمجد نبيلنا، العالم العامل والفاضل الكامل، صاحب الذهن الوقّاد والقريحة الغزيرة، مبلغ الفضل والإفادات الذي دخل كعبة العلم من باب الزيادة! الحاوي لأنواع الكمالات والحائز مرتبة التقدم والملكات، مجمع البحرين المعقول والمنقول، مستنبط الفروع من الأصول، الأخ الحسن الخصال السيّد محمّد مهدي بن السيّد مرتضى بن السيّد السند العلّامة المجتهد الأوحد الأمجد السيّد محمّد الطباطبائيّ.

وقد سافر إلى طوس خلال ذلك الطاعون وتشرّف بزيارة إمام الجن والإنس عليه السلام، ثمّ جاء إلى أصفهان عن طريق مشهد. وكنت رأيته سابقاً في محل مجاورته (النجف الأشرف) وسررت هنا بتجديد لقائه وانتفعت من محضره، فقد كانت بيننا قرابة في الرحم ومودة إيمانية وحصلت في هذه الأثناء الصداقة والخلّة الروحية. وقد رأيته بحراً مشحوناً ومفعماً بالورع والتقوى وكنزاً من جواهر الفضل. وقد بلغ كما

أراه الدرجة الأخيرة من سلّم الكمال وتفوّق في العلم على علماء عصره وبلغ أوج المعالي بجهوده في النهار وسهره الليالي في طريق تحصيل العلم والفضل».

كما اعتبره السيّد حسين القزوينيّ في الإجازة التي منحها له في الجواب المكتوب للعلّامة بحرالعلوم بناء على طلب الإجازة، اعتبره صفوة الدهر ذاك «السيّد المعظم والحبر المكرّم شمس سماء النقاء، قمر سماء الشرف والسعادة، الحسيب النسيب والأديب الأريب العالم الماهر...» وقال: «وصلتني رسالة مباركة من سماحته دام ظلّه تدل على نهاية ألطافه ومكارم أخلاقه وتشعر بلطفه العميم وكان قد أمر أن أجيزه أنا العبد، فأجزته...».

كان ذلك مقتطفات مما ذكره أساتذة العلّامة بحرالعلوم حول علمه وفضله وآدابه وأخلاقه وسجاياه الملكوتية في خلال إجازاتهم.

ماذا كتب معاصروه؟

سنذكر الآن قسماً مما عبّر عنه بعض من معاصري ذلك السيّد. ونحن نعتبر أي توضيح وتعريف ومدح من أنفسنا في الترجمة لهذا الرجل الفاضل في عالم التشيّع زائداً، فنحن لا يليق بنا أن نسيء الأدب وأن نقترب من ساحل هذا البحر الموّاج بالعلوم الذي غرق فيه فحول علماء الإسلام وأن نراقب جزر ذلك البحر اللامتناهي ومدّه ونعيّن سواحله وحدوده!

وقد كتب الشيخ أبوعلي الحائريّ الذي هو من تلامذة الآقا ومعاصريه ترجمة العلّامة بحرالعلوم بشكل يوحي بأنّ العلّامة بحرالعلوم كان يلمع ككوكب الزهرة بين العلماء المعاصرين له وبين جمع تلامذة الآقا والمقام الرفيع الذي ناله، وكان من حيث الشهرة كشمس رابعة النهار. حيث يقول الشيخ أبوعلي في منتهى المقال: «السيّد السند والركن المعتمد مولانا السيّد مهدي بن السيّد مرتضى بن السيّد محمّد الحسنيّ الحسينيّ الطباطبائيّ أطال الله بقاءه وأدام علوّه ونعماه، الإمام الذي لم تسمح بمثله الأيّام، والهمام الذي عقمت عن إنتاج شكله الأعوام، سيّد العلماء الأعلام، ومولى فضلاء الإسلام، علّامة دهره وزمانه، وحيد عصره وأوانه، إن تكلّم في المعقول قلت هذا الشيخ الرئيس فمن سقراط وأفلاطون وأرسطاليس، وإن باحث في المنقول قلت هذا العلّامة المحقّق لفنون الفروع والأصول، وما رأيته يناظر في الكلام أبداً إلّا قلت هذا والله عَلَم الهدى، وإذا فسّر الكتاب المجيد وأصغيت إليه ذهلت وخلت كأنه الذي أنزل الله عليه.

كان ميلاده الشريف في كربلاء المشرّفة ليلة الجمعة في شهر شوال المكرّم من سنة خمس وخمسين بعد المائة والألف، وتأريخ ولادته الميمونة: «لنصرة آي الحقّ قد ولد المهدي».

واشتغل برهة على والده الماجد ــ قدّس سرّه ــ وكان عالماً ورعاً تقياً صالحاً بارّاً ــ وعلى جماعة من المشايخ منهم شيخنا يوسف

البحرانيّ، وانتقل إلى النجف الأشرف وتلمّذ على جماعة من فضلائها، منهم الشيخ مهدي الفتونيّ والشيخ محمّد تقي الدورقيّ وغيرهما، ثمّ عاد إلى كربلاء المشرّفة واشتغل على الأستاذ العلّامة أدام الله أيّامه وأيّامه، ورجع إلى النجف وأقام بها، وداره الميمونة الآن محطّ رحال العلماء ومفزغ الجهابذة والفضلاء.

وهو بعد الأستاذ العلّامة دام علاهما إمام أئمّة العراق وسيّد الفضلاء على الإطلاق، إليه يفزع علماؤها ومنه يأخذ عظماؤها، وهو كعبتها التي تطوى إليها المراحل، وبحرها الموّاج الذي لا يوجد له ساحل، مع كرامات باهرة ومآثر وآيات ظاهرة، وقد شاع وذاع وملأ الأسماع والأصقاع تشييعه الجمّ الغفير والجمع الكثير من اليهود لما رأوا منه البراهين والإعجاز، وناهيك بما بأنّ له من الآيات يوم كان بالحجاز، رأى والده الماجد قدّس سرّه ليلة ولادته أنّ مولانا الرضا عليه وعلى آبائه وأبنائه أفضل الصلاة والسّلام أرسل شمعة مع محمّد بن إسماعيل ابن بَزيع وأشعلها على سطح دارهم، فعلا سناها ولم يدرك مداها، يتحيّر عند رؤيته النظر ويقول لسان حاله: ما هذا بشر[1]

كما كتب المير عبد اللطيف التستريّ في كتاب تحفة العالم بمناسبة فترة إقامته في النجف الأشرف قائلاً: «وكان من الأعلام المجاورين للنجف الأشرف، السيّد الجليل المناقب العظيم القدر السيّد محمّد

---

(١) منتهى المقال ٦: ٣٥٩.

مهدي الطباطبائيّ البروجودي من أكابر فقهاء العالم وأعاظم المحدّثين في زماننا والذي كان واسع البال في جميع العلوم المعقولة والمنقولة وفريد الأصقاع في الجامعيّة والتقوى.

كان مجاوراً في الحرمين الشريفين لبضع سنوات ويدرّس على المذاهب الأربعة. وما أكثر التحقيقات الشريفة والمصنفات العالية التي هي من مآثر قلم ذلك الإمام الهمام. وقد عجز مؤخّراً عن الإفادة في العلوم واختار الاعتزال بسبب السمن المفرط ومرض الخفقان وكان منشغلاً بالمطالعة والتأليف على قدر طاقته. وقد رقد (رقدته الأخيرة) قبل بضع سنين في ذلك المكان المقدّس نفسه. اللهم ارحمه واحشره مع أوليائك الصديقين. وكانت له شفقة خاصّة لي.»[١]

وقد نقل الزنوزيّ الذي كان من فضلاء تلاميذ الآقا ومعاصراً للعلّامة بحرالعلوم، ترجمة ذلك العالم الجليل بمزايا أخرى لم تأت في سائر كتب التراجم في رياض الجنة حيث سندرج قسماً منها فيما يلي: «السيّد محمّد مهدي بن السيّد المرتضى الطباطبائيّ الزوارئي[٢] البروجرديّ الأصل، العالم الكامل العادل الفاضل الباذل المتتبّع المتبحر النحرير، الثقة الموثق التقي الذكي الزكي الألمعي اللوذعي، المحقّق

---

(١) تحفة العالم: ١٨٩.

(٢) بلده زوارة من أصفهان؟ لعل السبب في ذلك أن معظم السادة الطباطبائيّين ومنهم جد بحرالعلوم ذهبوا من أصفهان إلى زوارة وبقوا فيها.

المدقّق، الورع الزاهد العابد الفقيه، الوحيد المحدّث المتكلم الأديب، المعاصر الماهر الشاعر بالعربيّة والفارسيّة. حفظه كثير، علّامة البشر، ومجدّد الدين الحنيف على راس القرن الثالث عشر. عديم النظير في الفقه والحديث وكل العلوم الشرعيّة والأدبية في زمانه. سيد علماء الإسلام. ويجب القول حقّاً إنه برهان المحدّثين وسلطان المؤمنين وأسوة المتقدمين والمتأخرين وكلمات كل الأنام حوله متفقة. هو معدن العلوم الروحانيّة ونبع الأسرار السبحانية وصفوة السابقين في الهياكل الناسوتيّة وعمدة المتوصلين في السحاب اللاهوتيّ، جمع بين كمال الحافظة والذكاء والذهن بحيث لاينسى ما يراه. له مهابة عجيبة وجلالة غريبة وأخلاق حسنة وحالات حميدة».

وذكر صاحب روضات الجنّات قائلاً: «... قال الشيخ الفاضل المحدّث الربّانيّ عبد علي بن محمّد بن عبدالله الحظّيّ البحرانيّ في إجازته التي كتبها الحاجي محمّد إبراهيم الكرباسي الخراسانيّ: وأجزت له دامَ ظلّه وزاد فضله ما أجازه لي شيخ العراق، بل لو شئت لقلت سيد أهل الآفاق، واحد العصر على الإطلاق، المشتهر في الفضل كاشتهار الشمس عند الإشراق، بحر العلم الدفّاق، ومن لا يجاريه مجار في مثار حلبة السباق، ذاكي الأعراق الساميّ في سماء رتبة العلم على السبع الطباق الأخ الصفيّ والخل الوفيّ البرّ الحفيّ، المظهر من علوم آبائه وأجداده ما كاد يختفي، والموقد لها بمصباح ذهنه الثاقب ولولاه لكادت

تنطفي، شيخنا ومولانا المشتهر بالسيّد مهدي النجفيّ أفاض الله على قبره غيوث رحمته ولازالت الفيوضات الربّانيّة تهمي على تربته.

وكان هذا السيّد المعظم وسماحة المعزّز المكرّم جاور مدّة طويلة في مكة المشرّفة وصارت الناس تزدلف إليه كما تزدلف إلى عرفة والمزدلفة، وتحرم لطواف كعبة علمه من كل فج عميق، وتأتي إلى الطواف به من كل واد سحيق، ولم يزل كذلك يقري في المذاهب الأربعة والعامّة، مذ تسامعت به أتت إليه من كل مكان مسرعة وأيّ مسرعة لتعرض عليه ما أشكل عليها وأعضل في مذاهبها ينكشف عنها ما أشكل عليها وأعضل وتجيب عن مطالبها ومع ذلك أنه لم يتوقّع ان لم يظهروا على حال اليوم سيظهرون عليه غداً، فأوقع اللهفة في روعه أنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملّتهم، ولن تفلحوا إذاً أبداً فخرج إلى مسكنه بالعراق في مشهد الغري غاداه وراوحه من الغيث الممرع الروي المروي، فهناك غيث علمه ظهر وكان كالشمس في رابعة النهار بل أشهر وهذا السيّد المشار إليه كان فقيهاً محدّثاً صرفياً نحوياً بيانياً منطقياً متكلماً حكيماً فيلسوفياً فلكياً رياضياً، وبالجملة كل فنّ من فنون العلوم حاز قصبه وأحرزه ولم يدع مشكلاً إلا بيّنه وأبرزه أقمت في منزله مدّة تزيد على شهر، فاستفدت منه فوائد كثيرة لا يأتي عليها الحصر.

وأما ما هو عليه من السخاء والكرم وحسن الأخلاق فشيء تكلّ عنه الأقلام، وتضيق عنه الأوراق، وقد طلبت منه إجازة ليكون طريقي

متصلاً بعلماء أهل العراق واعتذر إلي باعتذارات لم أقبلها منه، وألححت عليه فلم يجد بداً من الوفاق...»[١]

أقوال تلاميذه والعلماء من بعده

كتب صاحب الروضات قائلاً: «... والميرزا محمّد بن عبد الصانع النيسابوريّ المشتهر بالأخباريّ وقد ذكره أيضاً هذا الرجل الأخير في كتاب رجاله الكبير، فقال بعد ذكر التسمية له بعنوان محمّد بن المرتضى ابن محمّد الشهير بالسيّد مهدي الحسنيّ الطباطبائيّ الغروي مولداً[٢] ومسكناً ومدفناً كان فقيهاً محقّقاً مدقّقاً ثقة ورعاً نادرة عصره انتهت رئاسة الإمامية في آخر عمره إليه، واتفقت الطائفة على فقهه وعدالته، حضرنا مجلس إفاداته أياماً في أيام مجاورتنا بمشهد الغري. له كتب غير تامة أشهرها الدرّة المنظومة»[٣].

وأشاد المحقّق النقّاد البصير والفقيه الخبير الشيخ أسدالله التستريّ الكاظميّ الذي هو من تلاميذه، بأستاذه العالي القدر في مقدّمة كتاب المقابس، حيث سننقل هنا نصّ ماقاله كي يطلع أهل الفضل ويغنينا

---

(١) روضات الجنّات٧: ٢١٠.

(٢) ذكر الشيخ أبوعلي كما قلنا أن ولادة العلّامة بحرالعلوم كانت في كربلاء فيما يعتبرها الميرزا محمّد في النجف. وذكر الآخرون أنّ مسكنه هو ووالده كان في النجف الأشرف، ولكن هذا لا يتنافى مع كون بحرالعلوم قد ولد في كربلاء حينما توقّف والده بشكل موقت كأيام الزيارة في كربلاء.

(٣) روضات الجنات ٧: ٢٠٥.

ذلك عن الترجمة له: «الأستاذ الشريف لغمرة الدهر وناموس العصر وروضة العلم وقاموس الفضل والفخر، سراج الأمة وشيخها وفتاها، ومبدأ الفضائل والفواضل ومنتهاها، واحد نوع الإنسان، عين الأفاضل الأعيان، أفضل الفقهاء المتبحرين، أكمل الحكماء والمتكلمين والعرفاء والمفسرين خلاصة العلماء المتقدمين والمتأخرين.

سلالة الأئمّة النجباء الأمناء الغر المنتجبين الطاهريّن، أبي المكارم والمفاخر الزاهرة الظاهرة، للنائي والداني، ربّ المناقب والمآثر الباهرة المشتهرة عند الأعالي والأداني، شيخي وأستاذي وسيدي وسنديّ وعمادي، العلّامة العلم العلويّ السيّد محمّد مهدي بن مرتضى بن محمّد الحسنيّ الحسينيّ الطباطبائيّ البروجرديّ الغرويّ أنار الله في العالمين برهانه وأعلى في عليين شأنه ومكانه»[1].

وجاء في الروضات: «ولم يلقّب أحد إلى الآن بهذا اللقب بين علماء الإسلام قبل بحرالعلوم»[2].

وسنذكر عند الترجمة للميرزا مهدي الخراسانيّ الشهيد أن هذا الفقيه العالي المقام هو الذي لقبه لأوّل مرّة بـ «بحرالعلوم». وقد حظّي هذا الإطلاق وأمثاله والذي جاء في أشعار الشيخ جعفر الكبير أيضاً باعتراف العلماء وتصدّيقهم واشتهر ذلك السيّد بهذا اللقب شيئاً فشيئاً.

---

(١) مقابس الأنوار: ١٨.

(٢) روضات الجنّات ٧: ٢١٢ - ٢١٤.

واستناداً إلى نقل الروضات فإنّ السيّد جواد العامليّ يقول في الإجازة المعهودة حينما يذكر أستاذه: «بحرالعلوم والحقايق،شمس سماء الغوامض والدقائق، فخر الشيعة وبدر الشريعة، الإمام الهمام، السيّد الأكرم والأعظم السيّد محمّد مهدي» حتى يقول: «جمع هذا السيّد المبرّز بين الإحاطة بالعلوم العقليّة والنقليّة والنفس الطاهرة والذوق المستقيم والطبع السليم والورع الصافي والتتبّع الشافي...»، كما جاء في الروضات بعد بيان تأثير نشاط بحرالعلوم في الحجاز: «كان أهل السنّة قالوا إن كان ما يقوله الشيعة حول المهدي ابن الإمام الحسن العسكري حقّاً، فإنّ هذا السيّد هو مهدي آخر الزمان!».

ونقل الشيخ الزنوزيّ الكثير من الأشعار في مدحه عن فضلاء النجف الأشرف حيث كتب من جملة ذلك: عندما عاد من مكة المعظمة نظم الشيخ محمّد رضا النحويّ النجفيّ قصيدة غرّاء ضمّنها في البيت الأخير مادة تاريخ وصوله وهو سنة ١١٩٥ م.

وقد بانْ في الأرض الغري ظهوره لذلك قد أرّخته ظهر المهدي

ويتضح هنا أنّ رحلة الحجّ المعروفة التي قام بها بحرالعلوم والتي استمرت سنتين كانت بعد سفره إلى إيران، وكانت كل تلك الآيات الباهرات والمعجزات السافرات التي ظهرت منه في وقت تلقّى فيه بحرالعلوم كل علوم الإسلام من الأساتذة المسلّم بهم في عصره فكان بحراً من العلم والفضل والقدس والتقوى، وكان في الأربعين من عمره

حسب التاريخ المذكور!

وقد كتب الآقا أحمد مؤلّف مرآة الأحوال والذي على مايقول هو نفسه كان ينتفع من العلّامة بحرالعلوم في أواخر عمر الأخير مع الابنه الوحيد الآقا السيّد محمّد رضا وكان يحظّى إلى حدّ كبير بلطفه ومحبته وتفقده وشفقته، نقول إنه كتب ضمن بيان تاريخ حياته شرحاً عن العلّامة بحرالعلوم أيضاً، حيث ننقل هنا قسماً منه ونذكر الباقيّ في ترجمته.

فهو يكتب قائلاً: «والحقّ أنّ الفلك لم ير بمنظاره شخصاً بجامعيّة ذلك الفاضل وتشخصه ومهابته إلا قليلاً، ويجب أن تمرّ قرون كثيرة حتى يظهر شخص مثله.»[1].

كرامات العلّامة بحرالعلوم

صادفنا خلال المواضيع السابقة ملاحظات ربما لم نسمع بها حول أيّ من العلماء السابقين، ذلك لأنّ كل العلماء الذين تحدثوا عنه اعتبروه صاحب كرامات وعلائم خاصة، علماً أن شخصاً كبحرالعلوم ليس من المستبعد عنه ظهور الكرامات والتشرف بلقاء إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف[2].

---

(١) مرآة الأحوال: ١٥٣.

(٢) في اليوم الذي استدعى فيه المرحوم آية الله البروجرديّ كاتب الحروف للحضور وكان يتحدث حول هذا الكتاب كما ذكرت ذلك في: ١٣، كان يتصفّح الكتاب وعندما بلغ «كرامات العلّامة بحرالعلوم»، قطّب جبينه، وأعلن أنّه من غير الصحيح التأكيد كثيراً على الكرامات والمعجزات وخارق العادات الصادرة عن غير المعصومين، رغم أن العلّامة بحرالعلوم كان جده!

وقد جاء في خاتمة مستدرك الوسائل: «كانت جلالة شأن ذلك الفاضل قد بلغت حداً بحيث كان الفقيه العالي القدر الشيخ جعفر الكبير (كاشف الغطاء) يزيل تراب نعله بطرف عمامته!»[١] وكتب قائلاً: «وهو من مشاهير العلماء الذي بلغنا بالتواتر بروز كراماته وتشرفه بلقاء إمام العصر عجّل الله فرجه، وما أعلمه أنّ أحداً لم يسبقه في هذه الفضيلة سوى السيّد رضيّ الدين بن طاووس!» وقد نقلنا كرامات سماحته مع ذكر إسناداتها الصحيحة من كتب دار السّلام وجنة المأوى ووالنجم الثاقب ولو جمعت كلها لأصبحت كتاباً مستقلاً، كما يذكر قائلاً إن الشيخ الأعظم صاحب الجواهر كتب حوله: «صاحب الكرامات الباهرة والمعجزات القاهرة...»[٢].

وسننقل عاجلاً أشعاراً للشيخ جعفر الكبير والسيّد جواد العامليّ اعترفوا فيها هم أيضاً بصراحة بظهور المعجزات والكرامات على يده.

وكما يذكر الأقا أحمد في مرآة الأحوال كان بناء مسجد السهلة الحاليّ ومسجد زيد ومسجد صعصعة وقبور كميل بن زياد في حوالي النجف والكوفة وميثم التمّار ومسلم بن عقيل وهاني بن عروة وهود وصالح التي هي من الأماكن المباركة في النجف الأشرف، هي كلها من آثار العلّامة بحرالعلوم. وكما هو معروف فقد قام ببعض التصرفات في

---

(١) مستدرك الوسائل ٣: ٤٤.

(٢) المصدر.

حدودها تدلّ على أنّ الأبنية السابقة كان قد تمّ التصرف فيها وربما لم تكن في مواضعها الأصلية، ولكن العلّامة بحرالعلوم الذي تشرف بلقاء إمام الزمان كما ذكر الحاج النوريّ بالتواتر كان أعرف من أيّ شخص آخر بحدود المساجد والقبور المذكورة. وقد أقدم على تعيين حدود المساجد والقبور المذكورة على أساس تلك المعلومات الخاصّة.

وتنقل عن العلّامة بحرالعلوم الكثير من القصص الدالة كلها على عظمة روحه ومقامه الشامخ. وقد أدرج المحدّث النوريّ في كتبه معظم هذه الحكايات والقصص.

كما نقل الحاج الشيخ عبّاس القمّيّ تلميذ الحاج النوريّ في فوائد الرضويّة وسائر تأليفاته قسماً منها، ولكننا ندرج هنا في البدء بعضاً من الحكايات التي نقلها الزنوزيّ في الكتاب الفارسيّ رياض الجنة والتي تتضمن ملاحظات مهمّة يؤدي ذكرها إلى تنبّه الشيعة وانتفاع الخواص والعوام ونحيل تفصيلها إلى الكتب المفصّلة.

وقد كتب الزنوزيّ قائلاً: «وله أشعار بليغة ومنامات وحالات غريبة عجيبة استنسخناها كلّها من خطّ بعض الفضلاء المعاصرين (يبدو أنه الملا زين العابدين السلماسيّ). ومن جملتها الحكاية التالية التي ننقلها بعينها:

«في سنة ١٢١٠ الليلة الرابعة عشرة من شهر محرّم الحرام سُمِع من السيّد (العلّامة بحرالعلوم) في طريق النجف الأشرف أنّه قال: كنت

منشغلاً بمطالعة الكتب قبل خمس وعشرين سنة في ليلة الجمعة، وكان قد مرّ خمس ساعات من الليل وإذا بالنوم يخطفني ثمّ رأيت فيما يرى النائم أنّي في مكة المعظّمة وأنّ الإمام الحسين متوقّف فيها ويريد السفر إلى كربلاء. وفي يوم التروية (الثامن من ذي الحجّة) استقرّ عزمه على السفر وانطلق في البادية متوجّهاً إلى كربلاء، وكان جميع أهل البيت ملازمين لركابه المبارك وكان العبّاس قد أمسك بالعلم، وكان علي الأكبر في اليمين والقاسم في اليسار وأولاد عقيل وأولاد علي خلفه مع حشد من كبار الأصحاب وقد انطلقوا من مكة، وخرج جميع سكان تلك المنطقة لمشايعة الإمام، وفي هذه الأثناء اعتراني التردد؛ أتخلّف عن الإمام وأقوم بشعائر الحجّ أم أنطلق معه، وألازم ركابه؟

وبعد الاستخارة والكثير من الاستشارة استقر رأيي على أنني قد أدّيت الحجّ الواجب ولايجوز التخلّف عن الإمام بسبب الحجّ المستحبّ، ولذلك فقد انطلقت مع الإمام، وكنت أسأله عن الكثير من المسائل في الطريق، وكنت أرى رأي العين كلّ ما حدث في ذلك الطريق، حتّى قلت له عليه السلام في إحدى الليالي وكان يشكو الكثير من جفاة الأمة: لا مكان لك تلجأ إليه وتتحصن فيه فادفع هذه البليّة عن نفسك، فقال: تعال معي، فانطلقت على أثره حتّى توقّف عند جسر، وظهر لناظريّ سور شقّ عنان السماء وكان جداره من الفولاذ.

فدخل عليه السلام السور، ودخلت على أثره، وظهر لناظري عالم آخر

فالتفت الإمام وقال: نحن في موضع نستطيع فيه دفع هذه البليّة، ولكنّ حكم الله جرى أن أذهب وأستشهد وأن ينعم الله بما وعد من الشفاعة واستجابة الدعاء تحت قبّتي والشفاء في تربتيّ. فرأيت منزلاً بعد منزل كلّ ما كان قد قدّم له حتّى بلغنا منزل الشقوق حيث وصلنا خبر وفاة مسلم. فتأثّر الإمام كثيراً وناجى الله ببعض المناجاة حتّى دخلنا كربلاء. وشاهدت قدوم الحرّ وأحداث كربلاء الأخرى، حتّى اندلعت الحرب، واستأذنته عدّة مرات في خوض ميدان الحرب، ولكنّه لم يأذن لي.

ورأيت أمامي كلّ الأصحاب الواحد بعد الآخر وكانوا يستشهدون بعد الإذن لهم حتّى جاء دور أهل البيت، واستشهدوا كلّهم، كما روت الأحاديث. حتّى جاء دور العبّاس. وبقي الإمام وحيداً بعد استشهاده وأصاب أهل البيت فزع كبير، ورأيت نفسيّ وأنا أبكي بكاء مرّاً حتّى ابتلّت الأوراق الثلاث التي كنت قرأتها من الكتاب الذي كنت أطالعه! ومرّ ثماني ساعات من الليل وكانت هذه الواقعة قد حدثت في خلال ثلاث ساعات، ثمّ جئت بكتب الأحاديث وطالعتها وكانت مطابقة لما كنت رأيته مطابقة النعل للنعل دون زيادة أو نقصان سوى السور الذي لم أره في الكتب».

كما كتب الفاضل المذكور قائلاً: «سمعنا في تلك الليلة المذكورة نفسها أنه قال: رأيت بعد سنتين من هذه الحادثة أنني كنت في المدينة المشرّفة أنّ النبيّ ﷺ أرسل يطلبني. فدخلت الحجرة المقدّسة، ورأيت

النبيّ وقد تصدّر المجلس وجلس الحسنان وفاطمة في أطراف المجلس فيما وقف علي أمام قدميه.

وتشرّفت بتقبيل اليد النبوية الشريفة وخاطبني بقوله «مرحباً بولدي» وبذل لي كلّ التودد والمحبّة. واستفسرت منه عن بعض المسائل، فقال سل إمام الزمان نفسه. فأحضر صاحب الأمر عليه السلام وسألت مسائلي، ثمّ التفت إلى فاطمة وقال «خذي ولدك» فأخذت فاطمة عليها السلام يدي إلى حجرتها ولم تكن ترفع نظرها عنّي، حتّى وكأن وجهها المبارك ماثل أمامي الآن.

ثمّ جاءت فاطمة عليها السلام لي بحساء يحتوي على كلّ الحبوب. فتناولته، وصحوت من النوم وأنا في غاية الفرح. حتّى انشرح صدري بحيث كنت أحفظ من المرّة الأولى كلّ ما كنت أراه في الكتب وكنت أطلب ذلك الحساء دوماً. وقد سألت والدتي يوماً: هل رأيت شوربة بهذه المواصفات؟ فقالت: نعم هي شوربه متعارف عليها بين العجم يطبخونها ويضعون فيها كلّ الحبوب وتسمّى شوربة فاطمة عليها السلام.»

كما كان الفاضل المذكور قد قال: «سمعنا من سماحة السيّد في السنة السابقة الذكر ونحن كنا منطلقين لزيارة النصف من شعبان أنه قال: رأيت في الكتب المعتبرة أن من صلّى صلاة المغرب في مسجد السهلة أربعين ليلة من ليالي الأربعاء فيستشرف برؤية صاحب الأمر. فكنت أؤدي صلاة المغرب في مسجد السهلة لأربعين ليلة من ليالي الأربعاء

طمعاً في ذلك، حتّى خرجت في الليلة الأربعين برجاء رؤية الإمام.

وعندما وصلت إلى مقربة من المسجد كان هنالك الكثير من أغنام العرب حوله. فدخلت المسجد حتّى بلغت مقام صاحب الأمر. فسمعت صوتاً ضعيفاً يأتي من ذلك البيت. وكأنه كان مناجاة لم أفهم كلماتها، فتحيّرت كثيراً فدخلت ولم أر أحداً. وخرجت بعد صلاة المغرب، ولم أجد أحداً من العشائر وأغنامهم. ثمّ غلبني الخوف حتّى غبت عن الوعي. وبقيت على هذه الحال حتّى الصباح التالي بعد طلوع الفجر ودخلت النجف الأشرف».

وينقل المحدّث القمّيّ في فوائد الرضويّة الحكاية التالية من جملة الحكايات التي ذكرها العلّامة النوريّ في كتبه في هذا المجال مع ذكر السند حيث ننقلها هنا مع شيء من التغيير في العبارات. يقول: «قال الملّا زين العابدين السلماسيّ (من مفاخر تلامذة بحرالعلوم): كنت حاضراً في مجلس العلّامة بحرالعلوم وإذا بشخص يسأل سماحته عن إمكانيّة رؤية الطلعة الغرّاء لإمام العصر عليه السلام في الغيبة الكبرى».

وكان بحرالعلوم يمسك بغليون بيده وهو منشغل بالتدخين. وفي هذا الأثناء سكت ولم يجب السائل وطأطأ برأسه وكان يقول في نفسه بنحو كنت أسمعه: ماذا أقول في جوابه في حين أنّ الإمام عليه السلام احتضنني وضمّني إلى صدره! ثمّ دخل من الجانب الآخر قائلاً: كذّب من يدّعي الرؤية؟!

وكان يكرر هذا الكلام، حتّى قال في جواب السائل: جاء عن أهل بيت العصمة عليهم السلام أن كذّب من أدعى رؤية الحجّة! واكتفى بهاتين الكلمتين. ولم يشر إلى ما كان يقوله.»

كما نقل العلّامة النوريّ عن الملا زين العابدين السلماسيّ السابق الذكر أنّه قال: أدّينا الصلاة مع العلّامة بحرالعلوم قدّس سرّه في الحرم الطاهر للإمام الحسن العسكري. وعندما همّ للقيام للركعة الثانية بعد التشهّد، اعترته حالة بحيث لم يقو على القيام فتوقّف قليلاً ثمّ نهض. وعندما أتمّ الصلاة تعجّبنا كلّنا ولم نعلم سبب توقّفه. كما لم يجرأ أحد منّا على أن يسأله عن ذلك حتّى جئنا إلى المنزل وتهيّئنا لتناول الطعام.

وفي هذه الأثناء أشار إليّ أحد السادة الحاضرين في المجلس في أن أسأل حضرته عن السبب. فرفضت وقلت: أنت الأقرب إلى السيّد منّا. وفي هذه الأثناء التفت بحرالعلوم إليّ وقال: عن ماذا تتحدّثون؟ فقلت ــ وكنت الأكثر جرأة بين الجميع ــ: يريد أن يعرف سبب الحالة التي اعترضتكم وأنتم تؤدون الصلاة، فقال: لقد دخل الحرم إمام الزمان عجّل الله فرجه في ذلك الوقت ليسلّم على جدّه الأجلّ فغبت عن وعيي من مشاهدة جماله الأنور حتّى تشرّف بالخروج من الحرم».

كما يقول الراوي المذكور: رأيت العلّامة بحرالعلوم ذات ليلة في حرم أمير المؤمنين عليه السلام وقد وقف مطمئناً وتعرّق وجهه واحمرّ وجهه وهو ينشد هذا البيت:

چه خوش است صوت قرآن ز تودلربا شنيدن

به رخت نظاره كردن سخن خدا شنيدن

ما أحلى سماع صوت القرآن منك يا خاطف القلوب!

إنّ النظر في وجهك هو سماع كلام الله

ثمّ سكت. فتقدّمت وقلت: ماذا حدث لك؟ فقال: دخلت الحرم فرأيت إمام الزمان جالساً وهو يقرأ القرآن بلهجة فصيحة. ولذلك فقد جرى ذلك البيت على لساني.»[1]

كما نقل العلّامة النوريّ عن العالم العامل والزاهد الكامل الآقا رضا بن الملّا محمّد النائينيّ ابن أخت العالم الفقيه الجليل الحاج محمّد إبراهيم الكلباسيّ عن الملّا زين العابدين السلماسيّ أنّه قال: «كنا جالسين ذات يوم في النجف الأشرف في مجلس درس آية الله العلّامة بحرالعلوم وإذا بالعالم المحقّق الميرزا القمّيّ صاحب القوانين يدخل، وكان قد وصل إلى إيران في تلك السنة كي يتوجّه لزيارة بيت الله. ثمّ نهض التلامذة الذين كان عددهم يتجاوز مائة شخص تزاماناً مع دخول الميرزا ورحلوا ولم يبق أحد سواي وثلاثة من خواصّ تلامذة بحرالعلوم الذين كانوا في غاية الصلاح والسداد والتقوى والاجتهاد.

وقال المحقّق القمّيّ للعلّامة بحرالعلوم: لقد بلغتم مرتبة الابن الروحيّ والجسميّ وقرب المكان الظاهريّ والباطني بتوقّفكم في

---

(١) فوائد الرضوية ٢: ٦٨٢.

النجف الأشرف. وبناء على ذلك تصدّقوا علينا نحن أيضاً بالنعم غير المتناهية التي حصلتم عليها! فقال العلّامة بحرالعلوم من فوره: كنت قد ذهبت الليلة الماضيّة أوقبلها بليلتين (الشك من الراوي) إلى مسجد الكوفة كي أصلّي نافلة الليل فيه وأعود إلى النجف الأشرف في أوّل الصباح لألّايتعطّل الدرس والمباحثة وكانت تلك عادته لعدة سنوات. ثمّ قال: وعندما خرجت من المسجد اشتقت للذهاب إلى مسجد السهلة، ولكنّي غضضت النظر بعد ذلك، لأنّني خشيت أن أصل النجف متأخراً وتعطّل المباحثة في ذلك اليوم.!

إلّا أنّ شوقي كان يزداد مع مرور الزمن وقلبي يميل للذهاب إلى مسجد السهلة. وبينما كنت واقفاً متردداً بين أن أذهب، أم لا وإذا بريح هبّت وتصاعدت غبرة وساقتني إلى ذلك الصوب، ولم يمر وقت طويل حتّى وصلت مسجد السهلة. وحينما دخلت المسجد لم أشاهد أيّ أثر للزوّار، سوى شخص فاضل كان منشغلاً بمناجاة قاضي الحاجات وكان يتحدّث بكلمات تغيّر القلب وتُبكي العين.

فتغيّر حالي لسماع تلك الكلمات طار قلبي وارتعشت ركبتاي وجرت دموعي. فلم أكن قد سمعت أبداً تلك الكلمات في كلّ الأدعية التي رأيتها في الأخبار، كان ينشىء تلك الكلمات ولم يكن يقرؤها من محفوظاته. فتوقفت هناك أصغي لتلك الكلمات متلذذاً بسماعها حتّى فرغ من المناجاة، ثمّ انتبه إليّ وقال باللغة الفارسيّة: تعال يامهدي.

فتقدّمت بضع خطوات ووقفت. فأمرني بالاقتراب أكثر. تقدّمت قليلاً ووقفت مرّة أخرى. فأمرني مرّة أخرى بالتقدّم أكثر وقال الامتثال من الادب. فتقدّمت حتّى بلغت يداه يدي ويدي يديه وتكلّم بكلمة...

يقول الملّا زين العابدين: وعندما بلغ كلام العلّامة هذا الموضع ترك كلّ شيء فجأة وبدأ بالإجابة على الميرزا القمّيّ بشأن السؤال الذي كان قد طرحه قبل ذلك حيث سأله الميرزا: لماذا لا تقدمون على التصنيف والتأليف رغم كلّ تلك العلوم والتبحر والمعلومات؟ فشرح بحرالعلوم بدوره أسباب ذلك. فسأل الميرزا عن الكلمة التي قالها الإمام، فأشار العلّامة بحرالعلوم أنّها من الأسرار المكتومة»[1].

وكان من جملة تلامذته أو رواته، الشيخ جعفر الكبير، السيّد محسن الأعرجيّ، السيّد جواد العامليّ، الشيخ محمّد علي البحرانيّ السابق الذكر، الحاج الملا أحمد النراقيّ، السيّد محمّد المجاهد، السيّد محمّد رضا، وابنه السيّد عبدالله شبّر، السيّد أبو القاسم الخوانساريّ، جد صاحب روضات الجنّات، السيّد محمّد باقر القزوينيّ الذي كان من أجلة العلماء وأصحاب الكرامات، الشيخ أبوعلي الحائريّ، السيّد صدر الدين العامليّ، السيّد محمّد رضا ابنه الذي هو جد آل بحرالعلوم، الآقا أحمد مؤلّف مرآة الأحوال، السيّد أحمد العطّار البغداديّ، الملا إسماعيل العقدائيّ اليزديّ، السيّد علي صاحب الرياض، الشيخ حسين

---

(١) فوائد الرضوية ٢: ٦٨٢.

نجف التبريزيّ، السيّد دلدار علي الهنديّ، الملا زين العابدين السلماسيّ، السيّد صادق الفحّام، شمس الدين بن جمال الدين البهبهانيّ، الحاجي محمّد إبراهيم الكلباسيّ، الحاج السيّد شفيع الجاپقلي، الشيخ أسدالله الكاظميّ مؤلّف المقابس، الشيخ محمّد تقي صاحب حاشية المعالم، الشيخ محمّد رضا النحويّ، السيّد محمّد باقر حجّة الإسلام الشفتيّ، الآقا محمّد علي الهزارجريبيّ، الشيخ محمّد علي الأعسم.

مؤلّفات العلّامة بحرالعلوم

رغم أنّ مؤلّفاته قليلة قياساً إلى علومه التي كانت تبلغ حدّ الكمال في كلّ فروع العلوم والفنون، ولكن كلّ واحد منها يدلّ من حيث المعنى على ذوق علّامة العصر ذاك وعلمه الغزير وإحاطته وكامل تبحّره. كتب الآقا أحمد في مرآة الأحوال قائلاً: «لم يتبق منه كتاب مدوّن، إلّا قدر من الطهارة والصلاة المنظومة، وما يقرب من ستة آلاف بيت من شرح وافية الأصول، ورسالة الحجّ التي كانت قد كتبت في أيّام حياته، ولكنّ ظهرت الكثير من المسائل المتفرقة من بدائع التأليف. وقد جمع بعض تلامذته بعد وفاته المسائل الفقهيّة ورتّبوها وسمّوها «المصابيح»، كما دوّنوا المسائل الأصوليّة وألّفوا مجموعة من المسائل المتفرّقة من

الحواشي وغيرها»[١]

[والمنظومة التي يذكرها الآقا أحمد هي الدرّة النجفيّة نفسها في الفقه حيث يذكر بحرالعلوم باسم صاحب الدرة.

كما أنّ رسالته في الرجال هي الفوائد الرجاليّة نفسها، التي طبعت وصدرت في السنوات الأخيرة من قبل أحفاده في ٤ مجلّدات باسم رجال السيّد بحرالعلوم].

كما ذكر الزنوزيّ في رياض الجنّة الكتب التالية باعتبارها من مؤلّفاته: كتاب الفوائد الرجاليّة[٢] رسالة في تحريم الفرار من الطاعون، رسالة في القصر والإتمام، رسالة في كيفية العصير، رسالة في الرد على اليهود، رسالة في حجّيّة الاستصحاب، رسالة في الإجماع، رسالة في إجازات المشيخة، رسالة في المطاعم والمشارب، وجيزة في الرجال، رسالة في تحقيق معنى «أجمعت العصابة على تصحيح ما يصح عنهم»، رسالة في تفريق المذاهب والملل غير كاملة [واعتبر الأستاذ العلّامة الطهرانيّ منظومة في الرد على الأخباريّين من مؤلّفات بحرالعلوم أيضاً كما نقل

---

(١) مرآة الأحوال: ١٥٣.

(٢) نفس الكتاب الذي حققه اثنان من أحفاد العلامة السيّد محمّد صادق والسيّد حسين بحرالعلوم وطبع ونشر بمقدمة مفصلة وترجمة كاملة لبحرالعلوم في ٣ مجلدات بالقطع الوزيري باسم رجال السيّد بحرالعلوم، كما يسمى رجال بحرالعلوم على سبيل الاختصار.

الأبيات الثلاثة الأولى منها، ويقول: كتبت مخطوطتها في سنة ١٢٢٥][1] وحواش متفرقة على الشرايع وغيرها».

أولاده

يقتصر أولاد العلّامة بحرالعلوم على ابن واحد يدعى السيّد محمّد رضا وبنت كانت زوجة السيّد محمّد المجاهد ابن صاحب الرياض. وكان السيّد محمّد رضا نسخة طبق الأصل عن والده العلّامة بحرالعلوم، فقد كان عالماً كبيراً وفقيهاً معروفاً وكان يعيش محاطاً بكل الاحترام بين عامّة الطبقات. ومن مؤلّفات هذا العالم الخبير كتب شرح اللمعة وشرح الشرايع في ٦ مجلّدات وكشف القناع حول أصحاب الإجماع وبعض الرسائل في الفقه والأصول، وقد توفي في سنة ١٢٥٣. وقد أنجب أولاداً أفاضل كالسيّد محمّد تقي والسيّد علي والسيّد حسين وكانوا كلهم من أعاظم العلماء.

وكان السيّد محمّد تقي المتوفى سنة ١٢٩٨ من نوابغ الدهر والأساتذة المسلّم بهم في الفقه وتلميذ صاحب الجواهر وله كتاب باسم القواعد في الفقه. وكان له أربعة أبناء هم السيّد علي نقي والسيّد حسين والسيّد حسن المتوفى ١٢٩٨ والذي كان من مشاهير عصره والسيّد محمّد المتوفى سنة ١٣٢٦ مؤلّف كتاب بلغة الفقيه. وكان السيّد علي نقي من المراجع المرموقين والزعماء المعروفين وكان سبط صاحب الرياض

---

(١) الذريعة ٢٣: ١٠٩.

كما كان صهر الشيخ محمّد حسن صاحب الجواهر وكان له من ابنته ولدان هما السيّد هادي المتوفى سنة ١٣٢٢ والسيّد محمّد علي المتوفى سنة ١٣٣٥، وكانا كلاهما من الفضلاء الكبار. وقد قتل ذلك في كربلاء سنة ١٢٩٤.

والابن الآخر للسيد محمّد رضا، هو السيّد علي بحرالعلوم وكان عالماً فقيهاً ومرجعاً كبيراً كما كان تلميذ صاحب الجواهر والشيخ علي كاشف الغطاء ومؤلّف كتاب البرهان القاطع في الفقه والذي طبع ٣ مجلّدات منه. وهو والد العالم الجليل السيّد هاشم ١٢٨٤ تلميذ الميرزا محمّد حسن الشيرازيّ، والسيّد محمّد باقر ١٣٢٩ وهو والد السيّد جعفر بحرالعلوم العالم الجليل المعاصر.

والابن الآخر للسيد محمّد رضا، هو السيّد حسين بحرالعلوم المتوفى سنة ١٣٠٦ والذي كان على مايقول صاحب التكملة تلميذ صاحب الجواهر وأعلم علماء عصره وهو والد السيّد إبراهيم الذي هو والد العالم الأديب السيّد حسن ١٣٥٥ مؤلّف التاريخ المنظوم وهو والد العالم الجليل القدر السيّد محمّد صادق بحرالعلوم والعالم النبيّل السيّد محمّد تقي المعاصر.»[1].

وقد كتب المولوي محمّد علي الكشميريّ ترجمة العلّامة بحرالعلوم بالتفصيل في أوّل النجم الثالث من كتاب نجوم السماء ويقول: «لسان

---

(١) للمزيد من الاطّلاع راجع مقدمة رجال السيّد بحرالعلوم.

أكابر الفقهاء وأعاظم العلماء قاصر عن مدحه ووصفه، وقد مدحه الشيخ جعفر النجفيّ صاحب كشف الغطاء والذي كان من أعاظم تلامذة بحرالعلوم (كان تلميذ الآقا ولم يتلمّذ على بحرالعلوم سوى ستة أشهر) بهذه الأبيات الفصيحة البليغة (ويمكننا أن ندرك من هذه الأبيات مدى فضل «بحرالعلوم» وقدسيّته وتقواه):

به رخت نظاره كردن سخن خدا شنيدن

لساني عن إحصاء فضلك قاصر ... وفكري عن إدراك كنهك حاسر
جمعت من الأخلاق كل فضيلة ... فلا فصل إلا عن سماحتك صادر
يكلفني صحبي نشيد مديحكم ... لزعمهم إني على ذاك قادر
فقلت لهم هيهات لست بقائل ... لشمس الضحى يا شمس ضوئك ظاهر
وما كنت للبدر المنير بناعت ... له أبداً بالنور والليل عاكر
ولا للسما بشراك أنت رفيعة ... ولا للنجوم الزهر هن زواهر[1]

ومن قصيدة الشيخ جعفر الكبير أيضاً:

إليكَ إذا وجهت مدحي وجدته معيباً وإن كان السليم من العيب
إذ المدح لا يحلو إذا كان صادقاً ومدحك حاشاه من الكذب والريب

كما جاء في نجوم السماء أن العالم الفقيه السيّد جواد العامليّ مؤلّف مفتّاح الكرامة الذي هو من مفاخر تلاميذه نظم قصائد بليغة في مدح أستاذه وأشار في بعضها إلى كرامات ذلك السيّد الشهيرة. ومن جملتها

---

(١) نجوم السماء: ٣١٤.

القصيدة التالية التي التمس فيها منه أن يبدي نظره الصائب في كتابه مفتّاح الكرامة ضمن وصف حلقته التدريسية وكراماته وفضائله العالية. وهذه القصيدة مفصلة وهذه أبيات منها:[1]

إليك زمام الخلق يا خير مرشد ... وأنت نظام الكون في كل مشهد
وأنت أمين اللّه قمت بأمره ... على الدين والدنيا بأمر محمّد
وحجّته العصماء من كل وصمة ... وآيته الكبرى على اليوم والغد
وأنك جنب اللّه خازن علمه ... وأنك وجه اللّه في كل مقصد
وكم فرقة ضلت فروع أصولها ... رددتم إلى الأصل الأصيل المرصد
وفي درسك الميمون أعدل شاهد ... على سرك المخزون في كل مشهد
مدحتك لا أني رجوتك للغنى ... وإن غاض وفري من طريف ومتلد
ولكنني عاينت فيك شمائلاً ... عرفت بها عرف النبيّ محمّد
وقد صنف المولى كتاباً بيمنكم ... يفوق جميع الكتب في كل مقصد
وكم قمت للإرشاد بالباب راجياً ... صلاح كتابي والكتابة في يدي
فان تلحظوه زاد نبلا ورفعة ... وبالغيث يغدو ممرعاً كل فدفد
ولأ زالت الأيام يابن بهائها ... تروح عليكم بالسرور وتغتدي

وفاة بحرالعلوم

التحق العلّامة بحرالعلوم بالرفيق الأعلى سنة ١٢١٢ أي بعد سبع

---

(١) نجوم السماء: ٣١٤.

سنين من وفاة الآقا ليسارع إلى الدار الباقيّة وتحلّق روحه في جنّات الخلد، فطوبى له وحسن مآب.

وقد ذكر الآقا أحمد تلميذ ذلك العلّامة الشهير والذي كان يوم وفاته في النجف الأشرف وكان شاهداً لما حدث أكثر من أيّ شخص آخر، ذكر في مرآة الأحوال قائلاً: «في يوم عزاء ذلك السيّد احتشد العلماء الكبار في تلك البلدة الطيبة وكأن المحشر قد قام. وانهمرت الدموع غزاراً من عيون الشيوخ والشباب، وكان الأعالي والأداني لا يقر لهم قرار. وحملوا جنازة حصن الدين ذاك وهم يطلقون الأنات والآهات وصلى عليه الميرزا محمّد مهدي الشهرستانيّ طاب ثراه في الصحن المقدّس مع عامّة المؤمنين ودفنوه في مسجد الطوسيّ في الحجرة التي كان قد عيّنها للدفن، تغمّده الله بغفرانه. ورثاه كل الشعراء والأدباء في مأتمه لتبلغ المراثي هذه العشرات من القصائد».

ويضيف الآقا أحمد أن أولاد العلّامة بحرالعلوم وابنته التي كانت زوجة السيّد محمّد المجاهد كانت قد خرجت للحجّ مع الميرزا القمّيّ، عند وفاة العلّامة بحرالعلوم، ولذلك فقد قال في مرآة الأحوال: «عاد بعد وفاة سماحته، السيّد محمّد رضا وأخته المكرّمة مع سماحة عمدة المجتهدين حضرة الميرزا أبي القاسم الجاپقليّ (القمّيّ) وسائر الحجّاج من مكّة.»[1]

---

(١) مرآة الأحوال: ١٥٢- ١٥٣.

وكتب صاحب نجوم السماء قائلاً: «أنشأ شعراء العرب والعجم القطع والقصائد الغراء في رثائه وتاريخ وفاته. ونقتصر من جملتها على بيت أو بيتين بالفارسيّة في رثائه.» ثمّ ينقل هذين البيتين الفارسيّين في رثائه (وهذه ترجمتهما):

عجب غمی است که دل زین مصیبت جانکاه
به سینه خون شد و بیرون ز چشم پرنم رفت

خرد چو سال وفات تو جست با وی گفت:

سمی مهدی صاحب الزمان ز عالم رفت

ياله من غم ملأ الصدر دماً لهذه المصيبة القاصمة
و خرجت الأعين من أحداقها
حينما سأل العقل عن سنة وفاتك قال له:
«سميّ مهدي صاحب الزمان ز عالم رفت[1]
(رحل عن العالم سميّ المهدى صاحب الزمان)

ونقل صاحب رياض الجنة الكثير من الأشعار في هذا المجال ومنها الأبيات العربيّة التالية:

عزيز على المهدي فقد سميّه ... أجلّ على هادي الأنام إلى الرشد
به ثلمت في الدين أعظم ثلمة ... وهدّ به طود التقى أيما هدّ
فقدناه فقد الأرض صوب شعارها ... وفقد السما للبدر والحرّ للعبد

---

(١) نجوم السماء: ٣١٥.

أصيب بها الإسلام خوفاً فأرّخوا أثار مصاب القائم المهدي[1]

٢ ـ الميرزا محمّد مهدي الشهرستانيّ

يعدّ هذا العالم الشهير والسيّد الجليل القدر من مفاخر تلاميذ الآقا، وقد قدّمنا ترجمته على الآخرين بعد العلّامة بحرالعلوم لأنّه كان من قدماء تلاميذ الآقا كما كان يحظّى باحترام عامّة العلماء لأنّه يتمتع بمقام كبير بينهم.

وعلينا أن نعلم أنّ هنالك بين علماء الإسلام رجالاً كباراً عرفوا بـ «الشهرستانيّ» حيث سنقدم أيضاًحاً مختصراً في هذا المجال لأنّ وجه انتسابهم قد لا يعرفه كل شخص.

وقد كتب الشيخ البهائيّ في كتاب الكشكول قائلاً: «قال اليافعي في تاريخه: شهرستان اسم لثلاث مدن الأولى في خراسان بين نيسابور وخوارزم، والثانية قصبة بناحية نيسابور، والثالثة مدينة بينها وبين أصفهان ميل...».

---

(١) للاطّلاع الكامل على ترجمة العلّامة بحرالعلوم، راجع: مقدمة المجلد الأوّل من رجال السيّد بحرالعلوم والتي كتبها اثنان من أحفاده العلماء. وقد قلنا إننا كتبنا النرجمة هذه في زمان حياة المرحوم آية الله البروجردي. والكتابان اللذان ذكرهما أحفاده في الترجمة لبجرالعلوم في «مصادر الكتاب»، هما هذا الكتاب، وترجمة حياة آية الله البروجردي. وقد ذكر في مقدمة ذلك الكتاب خلال الترجمة لبحرالعلوم ١١ أستاذاً، و٧٥ تلميذاً، و٢٣ تأليفاً له. كما تم التعريف بشكل مفصل بأولاده وأحفاده العلماء حتى ربع القرن الماضيّ.

والسادة المعروفون بالشهرستانيّين والذين ظهر من بينهم رجال كبار، منسوبون إلى شهرستان الواقعة على بعد ميل عن أصفهان. ومن مفاخر شهرستان العلميّة العلّامة العالي القدر الميرزا محمّد مهدي الشهرستانيّ والذي نحن بصدد الترجمته له الآن.

وقد مدحه الآقا في الإجازة التي منحها له[1] بعد الحمد والصلاة على النبيّ الأعظم ﷺ وأئمّة الهدى قائلاً: «طلب مني السيّد السند الماجد الأمجد الموفق المؤيّد المسدّد الفاضل العالم الباذل الكامل المحقّق المدقّق الطاهر السريرة، الطيّب الأصل، المتبحر العالم، صاحب الحسب الفائق العالي والنسب الرفيع المتعالي والطبع المستقيم والفهم الحميد والفطانة التامة والحذاقة الكاملة والأخلاق الحسنة والكمالات الزائدة المتكاملة، مستجمع العلوم العقليّة والنقليّة، العالم الربّانيّ والابن الروحانيّ: الميرزا محمّد مهدي الملقب بالشهرستانيّ، وفقه الله لمراضيه، كي يروي عني كلّ التصنيفات المعروفة والعلوم التي رويتها

---

(١) استنسخ صورة هذه الإجازة حجة الإسلام السيّد عبد الرضا الشهرستانيّ الذي هو بدوره من أحفاد ذلك المرحوم من كتاب زوائد الموائد للمرحوم آية الله الفقيد والنابغة النبيه السيّد محمّد حسين الشهرستانيّ وبعثها لنا من كربلاء المقدّسة حيث نستغل هذه الفرصة لنقدم شكرنا له على عمله النبيل. [كان المرحوم السيّد عبد الرضا الشهرستانيّ الوالد الفاضل لحجة الإسلام السيّد جواد الشهرستانيّ الراعي لمؤسّسة آل البيت العلميّة والبحثية في قم. وقد جاء ذلك المرحوم فيما بعد من العتبات إلى إيران على إثر إخراج الإيرانيين وتوفي فيها رحمة الله عليه في الثامن والعشرين من ربيع الأوّل ١٤١٨هـ.]

عن المشايخ الأماجد والأفاضل العظام واساتذتي الذين هم اساتذة الجميع في الأعصار والزمان ومشهورون عند الخاصّ والعامّ. تغمّدهم الله بغفرانه وأسكنهم بحابيح جنانه.

وأطلب منه على أمل أن يوفقه الله للتأييدات الربّانيّة والتوفيقات السبحانيّة، أن لاينساني في أوقات دعائه حتّى يزيد الله من تأييداته وتوفيقاته وكمالاته بذكري أنا الذي كنت أستاذه، ومن الأقل الأذل محمّد باقر بن محمّد أكمل عفا عنهما بمنّه ولطفه وكرمه، وعطفه آمين ربّ العالمين».

وقد ذكر العالم الجليل السيّد محمّد حسن الزنوزيّ في رياض الجنّة ترجمة ذلك السيّد العالي النسب قائلاً:«الآستاذ الأمجد، العالم الفاضل الكامل الباذل، المحقّق المدقّق، المتبحر الجامع، الثقة العادل المتكلّم الفقيه والسخي، شريف الأخلاق كريم الأعراق. كانت أوقاته الشريفة تنفق على قضاء حوائج المسلمين وترويج الدين الحنيف. كان عالماً كريماً سخياً لا أحد في مستواه. كان أجداده من وجهاء أصفهان. انتقل إلى كربلاء في صغر سنّه مع الأسرة والأقارب والأخوة.

وكان سماحته أكبر تلامذة الشيخ يوسف البحرانيّ والآقا باقر البهبهانيّ، سوى أنه كان يميل في الفقه إلى طريقة الفاضل البحرانيّ. وقد قرأت كتابي شرح اللمعة وقواعد العلّامة عنده من أوّلهما إلى آخرهما، وكذلك كتب الأحاديث. ورغم ما كان يمتلكه من التبحر إلا أنه

لم يكن يميل إلى التأليف والتصنيف. توفي سنة ١٢١٦.»

ويقول المير عبد اللطيف التستريّ في تحفة العالم في معرض ذكره لعلماء الطراز الأوّل في كربلاء والنجف بعد ذكر الآقا وصاحب الرياض: «ومنهم السيّد العالي الشأن الميرزا محمّد مهدي الشهرستانيّ سلّمه الله. وهو من الأعاظم والأفاضل المعروفين وعلّامة جليل القدر. وقد بذل الجهد في تهذيب الأخلاق وتكميل النفس الناقصة بحيث يفوق الوصف.

مدينة خلقه العظيم السواد الأعظم لعالم الملكوت والبحر اللامتناهي ليد نواله والمانح لجرعات دير الناسوت، المعروف لعموم أهالي الروم والهند وإيران ووحيد الزمان في قضاء حوائج الناس. لانهاية لمودّته معي. وكنت ألتقيه معظم الأوقات مادمت في الأرض المقدّسة ورغم أن عمره تجاوز السبعين وكان من عشر الثمانين، إلا أنّ آثار الانكسار والهرم من الكلل وضعف القوى النفسيّة والعنصرية لم تكن قد تسللت إليه أبداً. ومنذ أن انفصلت عن خدمته لم أقصّر في مكاتبته والسؤال عن حاله ولو دقيقة واحدة رعياً للوفاء والمروءة.»[1]

وهذا العالم الجليل في العلم والدين هو الجد الأكبر للأسرة الشهرستانيّة في إيران، وجميع أفراد هذه الأسرة يفتخرون باسم هذا العلّامة الشهير المفعم بالمفاخر. ويكفي في جلالة قدره وعظمة شأنه أنه

---

(١) تحفة العالم: ١٨٦.

كان من الأصدقاء المقرّبين للعلّامة بحرالعلوم وأصحاب أسراره وهو الذي قدّمه كبار العلماء على أنفسهم للصلاة على جنازة بحرالعلوم. ولأنّ قضيّة صلاته على جنازة العلّامة بحرالعلوم لها قصة عجيبة تستحقّ الذكر، فإنّنا سنبادر إلى نقلها!

ينقل صاحب خاتمة المستدرك عن الملا زين العابدين السلماسيّ السابق الذكر والذي كان من مشاهير تلامذة العلّامة بحرالعلوم أنّه قال: «كنت عند بحرالعلوم قبل وفاته. فقال: أرغب في أن يصلي علي الشيخ حسين نجف (من مفاخر العلماء وكبار تلامذة بحرالعلوم)، ولكنّ ما من أحد سيصلي على جنازتي إلّا الميرزا محمّد مهدي الشهرستانيّ!

ثمّ يقول الملا زين العابدين السلماسيّ: فتعجبت ذلك لأنّ الميرزا محمّد مهدي كان في كربلاء ولم يكن في النجف الأشرف، فكيف قال بحرالعلوم ذلك؟! ويقول توفي العلّامة بحرالعلوم بعد مقولته هذه بفترة قصيرة. وعندما انشغلوا بغسله وتكفينه لم يكن هنالك من أثر للميرزا محمّد مهدي الشهرستانيّ. وبعد غسله وتكفينه، وضعوا الجنازة في الصحن المقدّس لمولى المتّقين كي تقام الصلاة عليه.

وكان كلّ كبار الفقهاء والمجتهدين مثل الشيخ جعفر الكبير، الشيخ حسين نجف وغيرهما حاضرين. وحل وقت [الصلاة وكنت أفكر متسائلاً لماذا لم يتحقّق ما قاله بحرالعلوم في هذه المرّة وإذا بالآقا الميرزا محمّد مهدي الشهرستانيّ يصل من الباب الشرقية للصحن

الشريف وقد بدت عليه وعثاء السفر وأمارات التعب، وقدّمه كلّ العلماء على أنفسهم وطلبوا منه أن يقيم الصلاة على الجنازة، فصلّى عليه كما كان العلّامة قد أخبر، وسررت كثيراً حيث لم تبق مشاهدة هذا المنظر فيّ شكاً في صدق بحرالعلوم ولو لمرّة واحدة.»][1]

وسوف نتحدث عن رجل الدين الجليل هذا في الترجمة لابنه السيّد محمّد حسين الموسويّ الشهرستانيّ الذي كان صهر الآقا محمّد علي ابن الآقا، كما سنتحدث عنه خلال الترجمة لسبطه السيد محمّد حسين الحسينيّ الشهرستانيّ.

وكما نقلنا عن الزنوزيّ آنفاً فقد اعتبر في رياض الجنّة وفاته في سنة ١٢١٦. وقد ذُكر هذا التاريخ نفسه في خاتمة المستدرك والكنى والألقاب وسائر مؤلّفات المحدّث القمّيّ وشهداء الفضيلة، ولكنّ الآقا أحمد الذي كان هو نفسه في العتبات في تلك الفترة، اعتبر في مرآة الأحوال الذي ألفه سنة ١٢٢٥، وفاته في سنة ١٢١٥، وقال: «توفي في ذلك الأوان سماحة مقدّس الألقاب، مرجع الفضائل، سلالة السادات، عمدة المحقّقين، وزبدة المدقّقين، وملاذ الفقراء وملجأ الضعفاء المغفور له الميرزا محمّد مهدي الشهرستانيّ في تلك الأرض المقدّسة (كربلاء) وغرزت شوكة مصيبته في قلوب العالمين. ودفن جثمانه في الإيوان في مواجهة الشهداء السعداء في الرواق الشريف، تغمّده الله

---

(١) فوائد الرضوية ٢: ٦٧٠.

بغفرانه.»[1] وقد قيل إنّ: «محمّد نبيّ خان سفير قتح عليشاه القاجاريّ في كلكته قال في تاريخ وفاته: «أز غياب مهدي آل محمّد آه آه» (آه آه لغياب مهدي آل محمّد).»

وقد اعتبر البعض هذا الشطر دليلاً على قوله الذي اختاره أي ١٢١٦، كما قال الآقا أحمد في مرآة الأحوال.

٣ ـ السيّد علي الطباطبائيّ (صاحب الرياض)

لم يذكر الشيخ أبوعلي الحائريّ في منتهى المقال من بين العدد الكبير من تلامذة الآقا سوى ترجمة العلّامة بحرالعلوم وصاحب الرياض وهو ما يدل على أنّه كان علّامة عبقرياً وأنّه كان الأشهر بين تلامذة الآقا بعد العلّامة بحرالعلوم.

فقد كتب في منتهى المقال قائلاً: «علي بن محمّد علي الطباطبائيّ، ابن أبي المعاليّ الشهير بالصغير ابن أبي المعاليّ الكبير، هو السيّد السند والركن العماد ابن أخت الأستاذ العلّامة (الوحيد البهبهانيّ) أعلا اللّه في الدارين مقامه ومقامه وصهره على ابنته، تلمّذ عليه وتربّى في حجره ونشأ، وذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء، دام مجده وكبت ضدّه، ثقة عالم عرّيف وفقيه فاضل غطريف، جليل القدر وحيد العصر حسن الخلق عظيم الحلم، حضرت مدّة مجلس إفادته وتطفّلت برهة على تلامذته».

ثمّ يذكر الشيخ أبوعلي تصنيفات صاحب الرياض حيث سننقلها في

---

(١) مرآة الأحوال: ١٥٦.

ختام ترجمته، ثمّ يقول: «كان ميلاده الشريف في مشهد الكاظمين عليهما السلام على مشرّفه صلوات الخافقين، في أشرف الأيّام وهو الثاني عشر من شهر ولد فيه أشرف الأنام عليه وآله أفضل الصلاة والسّلام في السنة الحادية والستّين بعد المائة والألف.

واشتغل أوّلا على ولد الأستاذ العلّامة أدام اللّه أيّامهما وأيّامه فقرنه سلّمه اللّه في الدرس مع شركاء أكبر منه في السّن وأقدم في التحصيل بكثير، وفي أيّام قلائل فاقهم طرّا وسبقهم كلّاً، ثمّ بعد قليل ترقّى فاشتغل عند خاله الأستاذ العلّامة أدام اللّه أيّامه وأيّامه، وبعد مدّة قليلة اشتغل بالتصنيف والتدريس والتأليف.»[1].

وكما يبدو مما قاله الشيخ أبوعلي الذي كان هو نفسه من تلامذة السيّد علي صاحب الرياض ومعاصريه، فقد كان صاحب الرياض من نوّابغ العالم وكما هو معروف فقد تفوق على كلّ تلامذة الآقا وشركائه بفضل معاناته وجهوده وسعيه البليغ في طريق تعلّم العلم حتّى قال صاحب الروضة البهيّة: «انتفع من مشكاة علمه كلّ العلماء والمجتهدين والفقهاء المعتبرين الذين جاؤوا بعده»[2].

ويقول العالم الجليل السيّد محمّد حسن الزنوزيّ الذي كان هو نفسه من تلامذة صاحب الرياض في رياض الجنّة في الترجمة له: «علي بن

---

(١) منتهى المقال ٥: ٦٣.

(٢) الروضة البهية: ٢٥.

محمّد علي الطباطبائيّ أستاذنا الأعظم، العالم العامل الكامل الفاضل الباذل العادل، الفقيه الوحيد التقي النقي، العابد الزاهد الثقة الموثق، صاحب الأخلاق الكريمة، والأوصاف العظيمة». ثمّ يضيف قائلاً: «كان ابن أخت الآقا وصهره كما كان جلّ تحصيله عنده».

وقد بالغ الآقا في الثناء عليه في الإجازة التي منحها له ومن جملة فقراتها: «... طلب منى الإجازة السيّد السند الماجد الأمجد، الموفق المسدد، الرشيد الأرشد، المحقّق المدقّق، العالم الكامل، الفاضل الباذل، صاحب الذهن الدقيق، والفهم الغزير، الطيب الأصل الطاهر السريرة، النابغة البصير القلب، صاحب النسل الجليل والرفيع والحسب الجميل، صاحب الطبع الوقّاد والذهن النقّاد، ولدي الروحانيّ، المير السيّد علي بن السيّد محمّد علي وفقه الله لمراضيه وأيّده وسدّده وأرشده...».

وجاء في الروضات نقلاً عن رجال الميرزا محمّد النيسابوريّ الأخباريّ أنّه قال في الترجمة لصاحب الرياض رغم كلّ معاندته له: «علي بن محمّد علي بن أبي المعاليّ الحسنيّ الحسينيّ الطباطبائيّ، مولده ومنشؤه في كربلاء، أستاذ الفقه والأصول والمجتهد الصرف. وهو يراعي الاحتياط ومن المعاصرين.»[1].

كما ذكر المير عبد اللطيف التستريّ في تحفة العالم بمناسبة ذكر فقهاء

---

(١) روضات الجنّات ٤: ٤١٠.

كربلاء المعروفين بعد الآقا، ويقول: «والآخر هو الفاضل العلّامة العالي الشأن المير السيّد على الشهير بـ(كوچك) الذي ذاع صيت فضيلته في صماخ الفلك وساحة الأرض الغبراء والّذي هو غني عن الإظهار. وله شرح على المختصر النافع، كتبه إلى الطمطراق حيث يظهر منه مدى فضله. وكان منشغلاً بتدريسه. وكنت أنا أحضر تدريسه من حين لآخر وأستمع إليه. وقد بذل الكثير من الدقة، وذكر أصل المسائل ومصادرها وهو منقطع النظير في وقته ومن المحبين للعزلة والطالبين للخلوة.»[1].

كما أثنى الشيخ أسدالله الكاظميّ في مقدّمة كتاب مقابس الأنوار على صاحب الرياض بقوله«الاستاد الوحيد لسيّد المحقّقين وسند المدقّقين العلّامة النحرير مالك مجامع الفضل بالتقرير والتّحرير المتفرّع من دوحة الرّسالة والامامة المترعرع في روضة الجلالة والكرامة الرّافع للعلوم الدّينيّة الدافع رأيه الجامع بين محاسن الدّراية والرّواية محيي شريعة أجداده المنتجبين مبيّن معاضل الدّين المبين بأوضح البراهين وأفصح التبيين نادرة الزمان خلاصة الأفاضل الأعيان الحاوي لشتات الفضائل والمفاخر الفائق بها على الأوائل والأواخر أوّل مشايخي واساتيدي وسنادي وملاذي وعمادي السيّد علي بن محمّد علي الطباطبائي الحائريّ أدام الله وجوده وأفاض عليه لطفه وجوده»[2].

---

(١) تحفة العالم: ١٨٦.

(٢) مقابس الأنوار: ١٩.

وكتب الآقا أحمد في مرآة الأحوال تحت عنوان«مجتهد الزمان سماحة المير السيّد علي الطباطبائيّ» قائلاً: «[المخدّرة المكرّمة المعظّمة العمة المحترمة للفقيه كانت في حبالة سماحة المقدّس الألقاب مرجع الفضائل، سلالة الأطياب، العلّامة الفهّامة، عمدة المحقّقين وزبدة المجتهدين، المطاع سماحة الآقا المير السيّد علي الطباطبائيّ دام ظلّه العالي، [ووالد سماحته هو الآقا السيّد محمّد علي الشهيربـ «آقا سيّد»، خلف سماحة المستطاب المير أبو طالب كوچك من أسباط الملا محمّد صالح المازندرانيّ. ووالدة سماحته هي الأخت المكرّمة لجدّي الأمجد. وهو عالم قلّ نظيره، وفضائله ومحامده تملأ العالم، ومن أعاظم فضلاء العصر وعمدة علماء هذه الأسرة والمتخلّق بالأخلاق الحميدة المصطفويّة والمتأدب بالآداب المرضيّة المرتضويّة.

ولابدّ من مرور الكثير من الأعوام والشهور كي يظهر عالم مثله. وبالإجمال فإنّ درجة فضيلة وجلال ومقام زبدة الأنام ذلك أعلى من أن يمكن لعنقاء الخيال بلوغ أولى مراتبه. وقد تلقى العلوم الشرعيّة من محضر والدي الماجد (الآقا محمّد علي) وقرع في عصر ذينك الفاضلين طبل الفضيلة ورفع عَلَم العلم وطبق اسمه الخافقين.«وكفى له بذلك فخراً».

وقد تحمّل الكثير من المشاق في طريق العلم. بحيث اشتهر على الألسنة والأفواه أنّ سماحته تلقّى العلم بالبكاء والنحيب ومناجاة البارىء

تعالى، لأنّ مدّة دراسته لم تبلغ كما يبدو درجة توصله لهذه المرتبة العالية، كما كان غالباً ما يقصر في دروسه لضيق ذات اليد، نعم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

[وبعد بلوغ قليلاً من مراتب المقدمات النحوية والصرفية، بدأ بناء على أمر والد الفقير (الآقا محمّد علي) بقراءة كتاب مدارك الأحكام على وجه الاستدلال بمشاركة العلماء العظام، وتحمّل في هذا الطريق الكثير من المتاعب والمحن، حتّى صار يتهرّب من الدرس لأنه فقد يتهرب طاقته وتحمّله، وانصرف عن مواصلة دروسه، ولكنّه نظر في أحوال الأتراب والأقارب، فثارت غيرته وقال: إن لم أعشق، فماذا أفعل؟! فانشغل في تلقي العلوم من محضر جدّه (الوحيد البهبهانيّ) وبلغ ما قسمه له الله الواحد الأحد وأصبح مرجع العلماء العظام المعروفين.

ويشهد شرحاه الكبير والصغير[1] على المختصر النافع ورسائله الكثيرة على مدى تمكنه من الفقه والأصول، وترجع الأمور المختصة بالعتبات إليه من الأطراف والأكناف سيّما بلاد الهند. ومن جملة ذلك أنّهم أرسلوا إليه الكثير من الذهب من لكناو حسب وصية المغفور له تفضل حسين خان الكشميريّ أستاذ النوّاب المستطاب مالك الرقاب، ووزير ممالك الهند، نوّاب سعادت علي خان بهادر حيث اشترى الدور والبساتين ووقفها للفقراء والمقدسيّن المجاورين لأرض كربلاء

---

(١) الشرح الكبير هو رياض المسائل والشرح الصغير مختصره.

المقدّسة، وقد بذل سماحته نهاية الدقة والحمد لله، فاشترى البساتين والدور ووقفها.

وبما أنه (أي المؤلّف) كان قد سمع هذه المقدّمة على سبيل التواتر من سلالة الأطياب السيّد عبد اللطيف خان التستريّ الذي كان من وكلائه وضمن مجموعة أخرى من الثقاة والمقدسيّن الساكنين في بلدة لكناو فقد سجّلها في هذا الدفتر لتذكير اللاحقين، وهو الآن من المجاورين والحمد لله في تلك الأرض المقدّسة ومن البلابل المغرّدة في ذلك المرج. وقد استمعت بعض محاضراته في مجلسه الشريف لبضعة أيّام. ومن أولاده الأماجد من العمة المكرّمة، سماحة مستغني الألقاب، وحيد الزمان، الآقا السيّد محمّد[1] والآخر قرّة العين سماحته السيّد مهدي، والصبية التي هي زوجة قرّة العين الآقا محمّد إسماعيل (شقيق الآقا أحمد)، ومن الجارية بنت، ومن ابنة السيّد علي الأصفهانيّ، السيّد محمّد علي وبنت واحدة.][2]

كما جاء في الروضات وكان الآقا السيّد علي صاحب الرياض يتمتّع بقوة غريبة في علم المناظرة، ولكنّ الميرزا صاحب القوانين كان على العكس من ذلك، فقد كان عاجزاً عن مقاومته بسبب ضعف حافظته.

---

(١) الآقا السيّد محمّد المجاهد.

(٢) مرآة الأحوال: ١٢٩. كان الآقا السيّد علي صاحب الرياض على قيد الحياة لتسع سنوات أخرى بعد هذا التاريخ الذي يذكره الآقا أحمد في سنة ١٢٢٣ في الهند، وبلغ مقام المرجعيّة في العلم والفتوى.

وجاء في الروضات أيضاً: «كان يحضر درس صاحب الحدائق ليلاً لغاية اعتماده على فضله ومنزلته، وحذرا عن اطّلاع خاله العلّامة عليه، وأنّه كتب جميع مجلّدات الحدائق بخطّه الشّريف، وذكر والدنا العلّامة أعلى الله مقامه أنّه طلب من سماحته الكتاب المذكور، أيّام تشرّفه بالزّيارة فدخل الدّار وأتى بجميع تلك المجلّدات إليه، فكانت عنده إلى يوم خروجه من ذلك المشهد الشّريف»[1].

وكما مرّ على القرّاء خلال المواضيع السابقة فقد كان الآقا السيّدعلي صاحب الرياض ابن أخت الآقا وصهره. وكانت زوجته أخت الآقا عبد الحسين ومن ابنة الحاج شرف البهبهانيّ، كما ذكر الآقا أحمد في مرآة الأحوال[2] كما يجب أن نعلم أن صاحب الرياض تربطه علاقة قرابة من جانب الأب مع العلّامة بحرالعلوم من جهة الأم في الجد الثالث وكلاهما كأستاذهما الجليل الآقا الوحيد نفسه من أحفاد الملا صالح المازندرانيّ وآمنه بيگم البنت الفاضلة للعلّامة المجلسيّ الأوّل من ابنة الملا صالح وكان على مايقول الشيخ أبوعلي في منتهى المقال وخلّف ثلاثة أوّلاد ذكور وهم السيّد أبو طالب والسيّد علي والسيّد أبوالمعاليّ وهو أصغرهم، وعدّة بنات، والسيّد أبوالمعاليّ خلّف السيّد محمّد لا غير، والصغير أبوالمعالي الكبير كان له بنتان واحدة من البنات كانت زوجة

---

(١) روضات الجنّات ٤: ٤٢٢.

(٢) مرآة الأحوال: ١١١.

المولى محمّد رفيع الجيلاني القاطن في المشهد المقدّس الرضويّ حيّا وميّتا. والأخرى زوجة الملا شفيع الجيلانى الأخ العالم للملا محمد رفيع المذكور سابقاً. وكان لأبي المعالي الصغير ولد يدعى السيد محمد علي المعروف بالآقا السيد وهو والد صاحب الرياض.

وكان لصاحب الرياض ولدان نابغتان علّامتان فقيهان، الأول هو الآقا السيد محمد المجاهد المعروف والثاني الآقا السيد مهدي الذان سوف نسرد ترجمتهما في قسم أسباط الآقا.

لصاحب الرياض مدّ في بقاه مصنّفات فائقة ومؤلّفات رائقة، منها: شرحه على المفاتيح، برز منه كتاب الصلاة، وهو مجلّد كبير جمع فيه جميع الأقوال.

و منها: شرحه على النافع، سمّاه برياض المسائل في بيان أحكام الشرع بالدلائل، وهو في غاية الجودة جدّا، لم يسبق بمثله، ذكر فيه جميع ما وصل إليه من الأقوال على نهج عسر على سواه بل استحال. ومنها: رسالة في تثليث التسبيحات الأربع في الأخيرتين، وكيفيّة ترتيب الصلاة المقضيّة عن الأموات، سأل بعض أجلاّء النجف عنهما الأستاذ العلّامة دام علاه وأشار إليه دام ظلّه بالجواب، وهي عندي بخطّه الشريف. ومنها: رسالة وجيزة في الأصول الخمس، جيّدة. ومنها: رسالة في الإجماع والاستصحاب. ومنها: شرح ثان على المختصر اختصره من الأوّل، جيّد لطيف، سلك في العبادات مسلك الاحتياط

ليعمّ نفعه العامّيّ والمبتدئ والمنتهي والفقيه والمقلّد له ولغيره في أيّام حياته إدامها اللّه وبعد وفاته.

و منها: رسالة في تحقيق حجّيّة مفهوم الموافقة. ومنها: رسالة في جواز الاكتفاء بضربة واحدة في التيمّم مطلقًا. ومنها: رسالة في اختصاص الخطاب الشفاهي بالحاضر في مجلس الخطاب كما هو عند الشيعة.

و منها: رسالة في تحقيق أنّ منجزات المريض تحسب من الثلث أم من أصل التركة. ومنها: رسالة في تحقيق حكم الاستظهار للحائض إذا تجاوز دمها عن العشرة. ومنها: ترجمة رسالة في الأصول الخمس فارسيّة للأستاذ العلّامة دام علاه بالعربيّة. ومنها: رسالة في بيان أنّ الكفّار مكلّفون بالفروع عند الشيعة بل وغيرهم إلاّ أبا حنيفة«هذا وقد بلغنى من الثّقات أنّ وفاته رحمه الله كانت في سنة قتل عامّ صدر من جماعة الوهّابيّة النواصب ـ بإمارة رئيسهم الملحد المردود، الملقّب بسعود، في مشهد مولانا الحسين، وهي الخامسة عشرة بعد الألف والمائتين من الهجرة المقدّسة، وكان قتل الوهّابيّة الملعونة في السنة السّادسة عشرة، كما مرّ في باب العبادلة وذلك في عيد الغدير، منها المتوجّه غالب أهل البلد فيه إلى مخصوصة أمير المؤمنين، ــ صلوات الله عليه ــ ومن عجيب الاتّفاق في تلك الواقعة العظيمة أيضاً بالنسبة إلى سيّدنا صاحب الترجمة عليه الرّحمة، أنّه لما وقف على قصدهم الهجوم على داره بعزيمة قتله وقتل عياله ونهب أمواله، فأرسل بحسب الإمكان أهاليه

وأمواله في الخفاء عنهم إلى مواضع مأمونة، وبقى هو وحده في الدّار مع طفل رضيّع لم يذهبوا به مع أنفسهم، فحمل ذلك الطّفل معه، وارتقى إلى زاوية من بيوتاتها الفوقانيّة، معدّة لخزن الحطب والوقود وأمثاله ليختفي فيها، عن عيونهم، فلمّا وردوا وجعلوا يجوسون خلال حجرات الدّار في طلبه وينادون من كلّ جهة منها بقولهم اين مير علي؟ ثمّ عمدوا إلى تلك الزّاوية أخذ هو رحمه الله ذلك الطّفل الرضيّع على صدره، متوكّلاً على الله تعالى في جميع أمره، ودخل تحت سبدة كبيرة كانت هناك. من جملة ضروريّات البيت، فلمّا صعدوا إلى تلك الزّاوية، وما رأوا فيها غير حزمة من الحطب، موضوعة في ناحية منها، وكان قد أعمى الله أبصارهم عن مشاهدة تلك السيّدة تخيلوا أنّ سماحة السيّد لعلّه اختفى بين الأحطاب والأخشاب، فأخذوها واحداً بعد واحد، ووضعوها بأيدى أنفسهم فوق تلك السيّدة إلى أن نفدت وبئس الّذين كفروا من دينهم، فانقلبوا خائبين وخاسرين، وخرج السيّد لنعمة الله من الشّاكرين، وفي عصمة الله من الحائريّن، وأنّه كيف سكن ذلك الطّفل الصّغير من الفزع والأنين، وأخمد منه التّنفّس والحنين»[1].

والتأليف الشهير والعديم النظير للآقا السيّد علي الطباطبائيّ هو الكتاب الشريف رياض المسائل في بيان أحكام الشرع بالدلائل وهو شرح المختصر النافع والمعروف بالشرح الكبير في مقابل كتابه الآخر

---

(١) منتهى المقال ٥: ٦٤.

الذي هو أيضاً شرح للمختصر النافع ويعرف بالشرح الصغير وهو نفس الكتاب الذي يسمّى مؤلّفه صاحب الرياض. يقول الشيخ أبوعلي: «و منها: شرحه على النافع، سمّاه برياض المسائل في بيان أحكام الشرع بالدلائل، وهو في غاية الجودة جدّا، لم يسبق بمثله»[1].

عاش صاحب الرياض سبعين سنة والتحق بالرفيق الأعلى أخيراً في سن ١٢٣١، يقول في نخبة المقال:

وصاحب الرياض سيّد الأجل ... محقّق عن خاله الآقا نقل

قد عاش سبعين بعلم وعمل ... مقبضه (مؤلّف الرياض حل)[2]

٤ـ الشيخ جعفر الكبير (كاشف الغطاء)

الشيخ جعفر ابن الشيخ خضر النجفيّ المعروف بالشيخ جعفر الكبير ويعرف أيضاً بـ «كاشف الغطاء» بمناسة أحد مؤلّفاته، أي كتاب كشف الغطاء، وهو أيضاً من مفاخر تلامذة الآقا.

[وذكر الآقا أحمد الذي كان من تلامذته في ١٣١٦هـ في النجف، تحت عنوان«الحاضرون مع هذا الفقير في محضر سماحة الشيخ جعفر دام ظلّه» قائلاً: «وانشغلت في خدمة سماحة معلّى الألقاب، شيخ المجتهدين وزبدة المدقّقين وعمدة المحقّقين، وتتلمذت على سماحة

---

(١)منتهى المقال ٥: ٦٤. وقد صدر كتاب الرياض مؤخراً في ٧ مجلدات بطبعة نفيسة بالقطع الوزيريّ من قبل مؤسّسة آل البيت في قم.

(٢) نخبة المقال: ٧٢.

الشيخ محمّد جعفر النجفيّ في الانتفاع من كتاب الاستبصار وشرح القواعد للعلّامة الذي كان يؤلّفه هو نفسه[١]، وكان من الحاضرين في المجلس الشريف: سماحة السيّد رضا السابق الذكر[٢] والآقا محمّد تقي ابن خالتي[٣] والميرزا رحيم خلف الميرزا تقي قاضي تبريز[٤] والسيّد أبو القاسم المعروف بالسيّد الميرزا خلف الآقا السيّد حسين النهاونديّ، والشيخ موسى خلف سماحة الشيخ، والشيخ محمّد علي الأعصم (الأعسم) والشيخ محمّد ابن الشيخ صادق، والآقا محمّد علي خلف باقر الهزارجريبيّ، والآقا محمّد ابن الآقا كمال وغيرهم ممن كان كلّ منهم من الفضلاء المعروفين وعلماء الفضيلة[٥]

وقد عاد الآقا أحمد بعد بضعة أشهر إلى كرمانشاه لزيارة والده الآقا محمّد علي. وتناهى إلى سمعه فيها أن الفرقة الوهّابيّة هجمت في عشرة محرم على مدينة كربلاء المقدّسة وارتكبت تلك الجرائم الفظيعة، من قتل النفوس والسلب والنهب والتدمير وفي الخامس عشر من محرم توجه من النجف إلى العتبات لنقل العيال والتحق في كربلاء بمحضر أستاذه الشيخ جعفر.

---

(١) كتاب كشف الغطاء.

(٢) ابن العلّامة بحرالعلوم.

(٣) الشيخ محمّد تقي الأصفهانيّ صاحب الحاشية.

(٤) الميرزا محمّد تقي القاضي الذي ستأتي ترجمته.

(٥) مرآة الأحوال: ١٥٤.

«وهناك حظّيت بخدمة أستاذي سماحة الشيخ جعفر السابق الألقاب الذي كان قد هرب نحو «الحسكة» التي كانت مقر جماعة الخزاعلة، وكان قد تشرّف إلى تلك البلدة للزيارة. وبكى كثيراً خلال الرخصة، وأبدى أسفه الكبير على تشتت أحوال المؤمنين وجمع الطلّاب وأصحاب الفضيلة والكمال الذي كان قد تيسر في مجلسه الشريف، وتفرّقوا بسبب هذه الحادثة، وتلطّف عليَّ أنا الفقير بالإذن لي بكتابة هذه السطور.][1]

وجاء في روضات الجنّات: «وكان غالب تلمّذه على الشيخ محمّد مهدي الفتونيّ العامليّ الفقيه العلاّم، وعلى السيّد صادق بن الفحام والشيخ محمّد تقى الدورقي من فقهاء النجف الأشرف ــ على مشرّفها السّلام ــ ثمّ على شيخ مشايخنا المحقّق المروّج الآقا محمّد باقر في أرض الحائر الطاهر، وله الرواية أيضاً عنهم، كذا عن بحرالعلوم سيّدنا المهدي صاحب الدرّة ــ أجزل الله تعالى برّه ــ وغير أولئك من المشايخ الكابرين ١».

ويضيف قائلاً: «و يروي عنه غالب فقهاء العصر من نحو سيّدنا العلّامة السميّ صاحب مطالع الأنوار والحاج صاحب الإشارات والمنهاج والشيخ محمّد حسن صاحب جواهر الكلام وكذا صهري نفسه على ابنتيه الأعجميّتين، وهما الفقيهان الفاضلان السيّد صدر الدين

---

(١) مرآة الأحوال: ١٦٣.

الموسويّ العامليّ، والشيخ محمّد تقي بن عبد الرحيم الرازي صاحب شرح المعالم الكبير المعروف وكذا أبنائه الأجلّة الكرام مشايخ الإسلام والفقهاء الأعلام، وهم الشيخ الفقيه الأكبر الأفخر موسى بن جعفر»[1].

بلغ الشيخ جعفر الكبير في عصره مقام المرجعيّة والرئاسة العليا للشيعة بعد العلّامة بحرالعلوم. وكان يبذل الجهود البليغة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان يتمتّع بإيمان ثابت وشجاعة لا نظير لها وغيرة كبيرة.

وعلى حدّ قول صاحب الروضات فقد كان الشيخ جعفر في غاية التواضع وانكسار النفس وكان رحيماً بالمؤمنين ورغم أنّه كان يتمتّع بالصولة والوقار وإلهيبة والاقتدار إلّا أنّه كان لايميّز في هيئته الظاهريّة عن واحد من الأعرب. وفي نفس الوقت فقد كان أهل المعرفة يرتعشون لهيبته. وكان شعر رأسه أبيض، وبدنه مكتنزاً، وهمته عالية وكان كثير الحزم في أمر دينه.»[2].

وقد كتب المير عبد اللطيف التستريّ الذي حظّي بخدمة الشيخ في النجف الأشرف، في تحفة العالم خلال ذكر علمائها قائلاً: «ومن جملتهم أيضاً الشيخ جعفر العربيّ الذي هو بحر لا نهاية له في العربيّة وزبدة العصر في التقوى والورع. وله جود بلغ الكمال حيث كان يطعم

---

(١) روضات الجنّات ٢: ٢١٠.

(٢) المصدر.

الناس بكلّ ما بلغت يداه. وهو نادرة الزمان في التقوى وإكرام الضيف وقضاء الحاجات.»[١].

ويثني صهره المحقّق الجليل الشيخ أسدالله التستريّ الكاظميّ صاحب كتاب المقابسفي مقدّمة ذلك الكتاب في معرض ذكر أساتذة إجازته، على أستاذه الفاضل ووالد زوجته بقوله: «الأستاد السّعيد، الشيخ الأُعظم الأعلم الأعصم قدوة الأنام سيف الإسلام، علم الأعلام، علّامة العلماء الكرام، خريت طريق التحقيق والتدقيق، مالك أزمة الفضل بالنّظر الدّقيق، مهذّب مسائل الدّين الوثيق مقرب مقاصد الشّريعة من كل فجّ عميق وحيد العصر وفريد الدّهر ومدار الفصل والوصل ومنار الفخر والفضل خاتمة المجتهدين وأسوة الأفاضل المعتمدين وحامي بيضة الدّين وماحي آثار المفسدين بدر النّجوم بحرالعلوم المؤيّد المسدّد من الحيّ القيّوم شيخي وأستاذي ومعتمدي واستنادي وجدّ أولادي الموفقين المحروسين المهديّين بعين عناية الله الباري الهادي الأجل الأكمل الأفضل الأورع الأجمل الألمعيّ اللّوذعيّ التّقيّ النّقيّ الرضيّ المرضيّ الزّكي الذّكي الوفي الصّفيّ الخائض المغمور في عواطف بحار لطف الله الجليّ والخفيّ الشيخ جعفر بن المرحوم المبرور الشيخ خضر النجفيّ أدام الله ظلاله على رؤوس العالمين»[٢]

---

(١) تحفة العالم: ١٩٠.

(٢) مقابس الأنوار: ١٩.

كما كتب صاحب الروضات قائلاً: «رغم كلّ العلم والزهد والتقوى فإنّه كان أحياناً يتحاور مع نفسه ويقول: كنت جعيفراً ثمّ أصبحت جعفراً ثمّ الشيخ جعفر ومنذ ذلك الحين شيخ العراق وأخيراً شيخ مشايخ المسلمين! ويكفي في فضله أنّه كان قد قال ـ كما هو معروف ـ لو غسلوا كلّ كتب الفقه لكتبت عن ظهر القلب كلّ أبوابه من الطهارة إلى الديات»[١].

وجاء في خاتمة مستدرك الوسائل: «الشيخ الأكبر من الآيات الإلهيّة العجيبة حيث تعجز العقول عن إدراك مقامه والألسنة عن أداء وصفه. وإن طلبت علمه فألق نظرة إلى كتابه كشف الغطاء المشحون بالمواضيع المفيدة كي يخبرك بأمره العظيم ومقامه الساميّ في المراتب العلميّة للفقه والأصول»[٢].

كما ينقل العلّامة النوريّ عن أستاذه الشيخ عبد الحسين شيخ العراقين أنّه قال لأستاذه صاحب الجواهر رغم أن الشيخ جعفر كان أستاذكم فلماذا لم تشرحوا كتاب كشف الغطاء المشحون بالمواضيع المعقدة والعبارات المشكلة؟ فقال صاحب الجواهر: بنيّ، أنا لا أستطيع أن أستنبط المدارك والفروع المشكلة لـ كشف الغطاء والذي يقول: وكذا وكذا وهكذا!![٣].

---

(١) روضات الجنّات ٢: ٢١١.

(٢) مستدرك الوسائل ٣: ٣٩٧.

(٣) المصدر.

وقد كان الشيخ من أوتاد الزمان في العبادة وصفاء الباطن وحالة التضرع إلى البارىء والتهجد والقيام في السحر والدعاء والمناجاة ولم يكن يدع عملاً مستحبّاً يفوته مادام قادراً على ذلك.

ذكر المحدّث القمّيّ في فوائد الرضويّة قائلاً: «رأيت في بعض المؤلّفات أنّ الشيخ مرّ على رشت في إحدى السنين. فأراد أهلها أن يصلوا الجماعة معه. ولكنّ المساجد الموجودة في تلك المدينة كانت ضيّقة المساحة ولم تكن تتسع لحشود الناس. فاضطروا للتجمع في ساحة المدينة وصلّوا مع الشيخ الجماعة! وبعد الصلاة رجوا الشيخ أن يعظهم. فقال الشيخ: أنا لا أجيد الفارسيّة فأصرّوا عليه فاعتلى الشيخ المنبر وقال: أيّها الناس إنّكم لميّتون وإنّ الشيخ لميّت. فاذكروا اليوم الآخر.

أيّها الناس إنّ مدينتكم رشت هي كالجنة، ففي الجنة القصور وفي مدينة رشت القصور العالية أيضاً وحدائق تجري فيها الأنهار، وفي الجنة الحور العين اللواتي هنّ في غاية الحسن والجمال ونساء رشت هنّ أيضاً كالحور العين! وفي الجنة الغلمان، وكذلك في رشت وقد رُفع التكليف في الجنة عن الصلاة والصوم والعبادات والأمور الأخرى!

وكان ذلك تعريضاً من الشيخ بأهل رشت لعدم مواظبتهم على الفرائض والواجبات الإلهيّة وارتكابهم المحرّمات والمناهي، ثمّ رأى أحد الذاكرين عند المنبر وقال له: انهض وانعى الحسين عليه السلام ونزل من المنبر.

ولمّا لم يكن أئمّة جماعة رشت يؤدّون النوافل فقد أخبر الشيخ

بذلك فقال الشيخ: لا تقتدوا بمن لا يؤدّي النافلة. وحينما سمع أئمّة الجماعة هذا الكلام، أخذوا كلّهم يؤدّون صلاة النافلة.»[1].

وكان الشيخ زعيماً وطنياً شجاعاً، فضلاً عن رئاسته الدينيّة، بحيث ذُكر أنّ أهالي النجف وأطرافها كانوا يرجعون إليه في كلّ حادثة. وكانت دار الشيخ مستودعاً للأسلحة ومليئة بالمدافعين المسلّحين. وقد ارتدى الشيخ عدّة القتال في العديد من الأحداث التاريخيّة المهمّة.وبادر إلى القتال بنفسه وصمد حتّى النهاية في قتال الأعداء.

وكان من جملة ذلك حادثة محاصرة النجف من قبل الفرقة الوهّابيّة حيث ننقل وقائعها من ترجمة الآقا أحمد صاحب مرآة الأحوال والذي كان من تلامذة الشيخ والشاهدين بأنفسهم للحادثة كما سنشير إلى قسم من أوصاف الشيخ وتاريخ حياته في ذلك الموضع.

الشيخ جعفر والميرزا محمّد الأخباريّ

من الحوادث الطريفة في حياة الشيخ جهاده ومناظرته ومنازعته للميرزا محمّد الأخباريّ المعروف. وقد ذكرنا سابقاً في قسم مشاهير العلماء الأخباريّين مختصراً عن الميرزا محمّد ووعدنا أن نذكر تفصيل ذلك فى الترجمة للشيخ جعفر الكبير. وها نحن نبادر إلى تفصيل ذلك:

الميرزا محمّد الأخباريّ نيسابوريّ الأصل، ولكن ولأنّ والده كان قد

---

(١) فوائد الرضوية ١: ٧٢.

هاجر إلى الهند فقد ولد فيها. ثمّ جاء إلى العتبات وانشغل لفترة في الدراسة، ولكن ولأنّه كان رجلاً مزعجاً مثيراً للمتاعب وكان على الطريقة الأخباريّة فقد انبرى منذ اليوم الأول إلى معارضة المجتهدين والأصوليّين ومعاداتهم. وسرعان ما اكتشف العلماء انحراف عقيدته ولأنّه كان شخصاً جريئاً ومتهتكاً، فقد نفر العلماء منه وأضمروا له الكراهيّة. وكان في النجف الأشرف منبوذاً من قبل الشيخ جعفر الكبير ومبغوضاً في كربلاء من جانب السيّد علي صاحب الرياض ومطروداً في الكاظميّن من طرف السيّد محسن الأعرجيّ والذين كانوا كلّهم من تلامذة الآقا.

وعلى إثر انتهاكه لحرمة العلماء الأصوليّين والمجتهدين فقد انتقل من النجف إلى كربلاء ومن كربلاء إلى الكاظميّة ومن الكاظميّة إلى إيران، ولأنّه كان رجلاً لبقاً ذا فنون وخاصّة في العلوم الغريبة وتسخير الجن حيث كان محيطاً بذلك كلّ الإحاطة، فقد لفت أنظار فتح عليشاه وأصبح مقرّباً للخاقان. وبعد أن رأى الميرزا محمّد، مسانده فتح عليشاه له فقد بادر إلى نشر المسلك الأخباريّ وإغواء عوام الناس مستنداً في ذلك إلى سلطة فتح عليشاه وفي خلال مدّة قصيرة استقطب عدداً من الناس في طهران وهمدان ويزد وأصفهان.

وظلّ الأمر على ذلك حتّى سافر الشيخ جعفر الكبير إلى إيران. فتباحث الميرزا محمّد معه لعدة مرات في مجلس الشاه خاصّة وانّه كان

يحمل عنه ذكريات مريرة. وكان هدفه أن يتغلب على الشيخ من خلال المغالطات وقوة البيان وأن يقلّل من قيمته لدى الشاه، ولأنّ الشيخ كان عربيّاً فإنّه لم يكن قادراً على التحدث بالفارسيّة ولذلك فإنّه لم يستطع في مقابل لباقة الميرزا محمّد أن يجيبه كما ينبغي. كما كان الميرزا محمّد يتظاهر بأنّه استطاع أن يغلب الشيخ ويدينه في النقّاشات العلميّة رغم شهرته.

وأخيراً وبعد أن كان الشيخ يرى أن الميرزا محمّد ليس مستعداً للتراجع وأنه وجد مجالاً كما أنّ الناس كانوا يتأثرون به قال للميرزا محمّد ساخطاً: إن كنت محقّاً في ادعائك فاستعدّ للمباهلة ودعاء بعضنا على البعض الآخر، فنجعل لعنة الله على الكاذبين، ولكنّ الميرزا محمّد الذي كان يعلم جيداً مقام الشيخ العلميّ وزهده وتقواه رفض المباهلة في الموعد المقرّر.

وقد ألّف الشيخ في أصفهان كتاباً باسم الحقّ المبين في تصويب المجتهدين وتخطئة الأخباريّين كما صنّف كتاباً آخر باسم كشف الغطاء عن معايب الميرزا محمّد عدو العلماء في الرد على معتقدات الميرزا محمّد الذي كان قد اتخذ من لعن العلماء والمجتهدين وسبّهم وتلفيق التهم بهم شعاره.

وعلى حد قول صاحب الروضات فإنّ هذا الكتاب في غاية اللطافة. وقد خاطب الشيخ في هذا الكتاب أهالي طهران الذين كانوا تأثروا

بتلفيقات الميرزا محمّد وكانوا يرون الحقّ معه إلى حدّ ما ومنه قوله: يا أهل طهران إن ميرزا محمّد كم لا مذهب له! وقد بعث الشيخ كتاب كشف الغطاء (علماً أنه غير كتابه المعروف كشف الغطاء) الذي كتبه في الرد على معتقدات الميرزا محمّد إلى فتح عليشاه كي يدرك من خلال مطالعته حقيقة الأخباريّة والميرزا محمّد.

ومن جملة كلام الميرزا محمّد الدال على غاية تعصبه، بل فسقه الأقوال التي أدلى بها في رجاله حول الآقا. فكان قد أقام الحداد لأنّ الآقا قضى على الأخباريّين واتهم رجلاً فاضلاً مثل السيّد محسن الأعرجيّ الكاظميّ بأنه يحلّل اللواط! وتفوّه بكلام ركيك حول صاحب الرياض والميرزا القمّيّ. ولأنّ نسب الشيخ جعفر الكبير ينحدر من القائد الإسلاميّ الشهير مالك الأشتر وهو شرف كبير للشيخ وأسرته، فكان الميرزا محمّد قد أشاع بأنّ الشيخ من أولاد بني أمية وأنّ من الباطل نسبته إلى مالك الأشتر! ولذلك ألّف الشيخ الذي كان قد اكتشف فساد عقيدته وفسقه وفكرة الكتاب السابق الذكر في تفسيقه وتكفيره وذكره بالكلام الذي يستحقّه. ولأنه يستحقّ النقل فقد نقلنا قسماً منه فيما يلي.

وقد خاطب الشيخ في ذلك الكتاب الميرزا محمّد حسب نقل روضات الجنّات قائلاً: «اعلم والله أنّك نقصّت اعتبارك، وأذهبت وقارك، وتحمّلت عارك، وأجّجت نارك وعرفت بصفات خمس هي أخسّ الصفات وبها نالتك الفضيحة في الحياة، وتنالك بعد الممات:

أوّلها: نقص العقل. ثانيها: نقص الدين. ثالثها: عدم الوفاء. رابعها: عدم الحياء. خامسها: الحسد المتجاوز للحدّ، وعلى كلّ واحد منها شواهد ودلائل لا تخفى على العالم بل ولا الجاهل. ثمّ ذكر من جملة شواهد نقص العقل أموراً ثالثها أنّك أتيت بالعجب حيث نسبت إلى بني أميّة شخصاً من أهل عراق العرب، وقد علم الناس أنّ عراق العرب محلّ بني العبّاس، ومن كان فيه من بني أميّة فرّوا منه، ولم يبق منهم أحد، ولم يعرف أحد من أهل العراق من أهل الصحارى والبلدان بهذا النسب، وإنّما ذكر أنّهم صاروا فرقتين هربت إحداهما إلى بعض سواحل البحر، والأخرى إلى الهند وألحقوا أنفسهم ببني هاشم خوفاً، ولمّا كان للهند طريقان: أحدهما على البحر، والآخر على البرّ فيحتمل والله أعلم أنّ البرّيين ذهب منهم جمع على طريق نيشابور فبقوا فيها مختفين مدّة، ثمّ ذهبوا إلى الهند فصاروا هنديّين نيشابوريّين. فسماحتكم أقرب إلى هذا النسب، والآثار تدلّ على ذلك فإنّ الأوائل ناصبراً من قرنوا مع الكتاب، وخزنة الحكمة، وفصل الخطاب، وأنت لمّا لم تدرك الأئمّة طعنت بسهمك النوّاب ثمّ جناجية من أدنى القرى، وأهلها من أفقر الناس. فكيف عرفت أصلهم، وما ظهر اسم جناجية إلاّ بظهور والدى حيث خرج منها إلى النجف واشتغل بتحصيل العلم وعرف بالصلاح والتقوى والفضيلة، وكان الفضلاء والصلحاء يتزاحمون على الصلاة خلفه.

و السيّد السند الواحد الأوحد واحد عصره وفريد دهره العابد الزاهد، والراكع الساجد، العالم العامل، والفاضل الكامل المبرور مولانا السيّد هاشم ــ رحمه الله تعالى ــ قال في حقّه: من أراد أن ينظر إلى وجه من وجوه الجنّة فلينظر إلى وجه الشيخ خضر، ولمّا حضرت السيّد الوفاة أوصى أن يقف على غسله وكانت الكرامات تنسب إليه، وجميع العلماء مطّلعون على حاله، ونسب إليه ملاقات صاحب الأمر روحي له الفداء أو الخضر أو هما معاً عليهما السلام، وأنّه فتحت له باب سيّد الشهداء عليه السلام، وساير الأئمّة، والله سبحانه وتعالى أعلم بالحقايق.

فلو كان لك عقل يدبّرك لما كذبت كذباً يفضحك بين الناس، ولا يوافقك عليه أحد فلو أطعتني شربت ماء الجبن، وهيهات أن يؤثر معك. إلى أن قال وأمّا شواهد نقص الدين فأمور: أوّلها: أنّك شغلت اللسان والقلم، وصرفت ما عندك من الهمم في سبّ العلماء الّذين جعلهم الله تعالى بمنزلة الأنبيّاء، وجعل الرادّ عليهم كالرادّ على الله، وهو على حدّ الشرك بالله والطعن عليهم طعن على شريعة رسول الله صلى الله عليه وآله، ولهم أسوة بالأنبياء والقائمين مقامهم من الأئمّة الأمناء، فقد خرج مسيلمة الكذّاب وأبو الحمار العنبسي على رسول الله صلى الله عليه وآله، والخوارج علي أمير المؤمنين عليه السلام، وخرج عن دين الاثني عشريّة في كلّ زمان جمع قليل كالزيديّة، والناووسيّة، والإسماعيليّة، والفطحيّة والواقفيّة، وغيرهم، وكان الحقّ مع الكثير، وهم الاثنى عشريّة، وكلّ من المذاهب

القليلة من المبدعين، وما لبست بعد على العوام من أنّ الحقّ مع القليل بديهيّ البطلان في حقّ الشيعة نعم في أوّل ظهور الإمامة أو النبوّة يظهر الواحد بعد الواحد ففي قدحك على العلماء، وقصرك الحقّ على نفسك وشياطين آخرين معك طعن في دين الشيعة، وربما استند أهل الأديان الأخر في بطلان مذهب القائلين بإمامة الاثني عشر إلى قولك إذ لم يعلموا بكذبك وقبح فعلك. فقالوا: الإماميّة على ضلال إذ ليس لهم علماء سوى بعض الجهّال. ثمّ إلى أن قال: ثانيها: أنّك استعملت الكذب. وادّعيت أنّك تعمل بالعلم والمجتهدون يعملون بالظنّ وبالقياس، وعندي والله أنّك العامل بالقياس والعامل بالظنّ لأنّك تتعدّى في الأحكام من غير استناد إلى قول الأئمّة عليهم السلام، وقد أردت إثبات ذلك عليك كما أثبته على جميع المدخلين أنفسهم في الأخباريّين حيث اجتمعوا في مجلس الدرس في بلد الكاظمين عليهما السلام فقلت لهم: لو لا أنّكم تعملون بالقياس لكنت منكم، ولو لا أنّكم تكذبون في ادّعاء العمل بالعلم؛ وعدم الأخذ بظاهر القرآن من غير تفسير أهل البيت لكنت معكم، وأثبت كلّ ذلك عليهم بحضور جماعة من علماء الكاظمين عليهما السلام فطلبوا المهلة إلى ثلاثة أيّام وما أجابوا، وأمّا المجتهدون فبريئون من العمل بالظنّ من حيث إنّه ظنّ بل لرجوعه إلى العلم فهم عاملون بالعلم واتّفق لي أمر في مجيئي إلى أصفهان فإنّي لمّا خرجت من كاشان أردت التوجّه إلى طريق قهرود. فاستخرت الله عليه فنهاني. فاستخرت على

طريق نطنز، وفيه زيادة منزلين فنهاني. فاستخرت إلى طريق أردستان وفيه زيادة أربع منازل. فأمرني ونهاني عن تركه فتعجّبت لأنّي لم أعلم أنّ باطن المجتهدين وشريعة سيّد المرسلين قضيا بذلك. فلما وردت أردستان أخبرت أنّ شخصاً فاضلاً من مريديك في البلد. فقلت: أئتوني به فلمّا جاءوا به قلت له: أنت تابع ميرزا محمّد. فقال: ومن يكون ميرزا محمّد أنا مستقلّ بنفسيّ. فقلت له: أنت تدعي علميّة الأخبار. فقال: نعم فقلت: نعم يا مسكين أ تدعي خلاف الضرورة والبديهة كيف يمكن حصول العلم من خبر يتردّد على لسان واحد من بعد واحد وكتاب بعد كتاب فيما يزيد على ألف سنة بأسانيد محتملة القطع محتملة اشتباه الراوي محتملة النقل بالمعنى إلى غير ذلك من الوجوه فطفر إلى أصول الدين فقلت: قف حتّى نتحقّق أنّ ما أقوله بديهي أوّلا. فإن كان بديهيّاً انقطع الكلام. فلمّا تمّت الحجّة وظهر أمر الله قال: الحقّ معك وقد كنا في السابق ننقل عنه أموراً من أصناف العصيان مثل كتابة لعن العلماء المجتهدين على الجدران، ولعن علماء أصفهان وغيرهم من العلماء الأعيان وأقمت عليه الحجّة بأنّ المجتهدين يعملون بالظنّ لرجوعه إلى العلم، وأنتم تعملون بالظنّ من حيث إنّه ظنّ وإن سمّيتموه علماً فهم راجعون وأنتم غير راجعين إلى العلم، وهم عاملون بالعلم وأنتم عاملون بالظنّ فأقرّ واعترف بذلك.

ثالثها: أنّك تصرّفت في كتاب أهدي إلي حضرت ظلّ الله وكتبت

عليه الحواشي من غير إذنه، وكيف يأذن لك فى ذلك وهو -دامت دولته- يعلم بعداوتك مع العلماء، وأنّهم لو جاءوا بالمعاجز لم نقبلها منهم عداوة وبغضاً فما أجرأك على الله، وعدم مراعاتك حرمة ظلّ الله. ثمّ لمّا عصيت وكتبت لم كتبت كتابة تفضح بها بين العالم ويضحك عليك بسببها الطلبة فضلاً عن العلماء، ومالك والدخول في بحر متلاطم الأمواج واسع الفجاج إذا دخله مثلك جاهل لا يستطيع الخروج منه لعدم معرفته بالساحل. فلقد فضحتك نفسك الأمّارة وحسدك وحقدك الكامن في صدرك.

رابعها: ما اشتهرت به من الأفعال الّتي هي والله حقيقة بأن تزول منها الجبال إن صحت الأفعال كتبديلك الأخبار وتطبيقها على ما تهوى وتختار بحذف الصدر مرّة وحذف العجز أخرى للتدليس على الناس، وإيقاعهم في الاشتباه والالتباس، وجلوسك مدّة عند ملوك بغداد لتوقع في دين الشيعة الفساد، فلم ينفلوا منك، وأخرجوك من البلاد وأعرضوا عنك ربّما قبلوا تلك الأكاذيب منك.

خامسها: إفتاؤك الناس على نحو ما يحبّون، وتبديلك الحكم على نحو ما يريدون فتقدّم رضى المخلوقين على رضا ربّ العالمين مع أنّك لو كنت مصيباً في الفتوى لكنت عاصياً، وكنت مع من استفتاك في جهنّم ثاوياً...»[1]

---

(١) روضات الجنّات ٢: ٢٠٢-٢٠٦.

ولكنّ هذا الكتاب وأمثاله لم يترك أيّ أثر في تغيير طبيعة الميرزا محمّد المتمردة والمعاندة بل إن جرأته وعناده ضدالعلماءوالمجتهدين كانا يزدادان يوماً بعد آخر.

وقد ألّف كتاباً باسم قسبة المجعول في الأخبار والأصول. وصنف الميرزا القمّيّ كتاباً باسم عين العين في الرد عليه. وألّف فيما يتعلق بالميرزا محمّد كتاباً آخر باسم إنسان العين في الرد على الميرزا، وكان باختصار في حالة نزاع دائم مع العلماء والمجتهدين ولم يكن يتورع عن أيّ إهانة لهم، حتّى أخبر الميرزا محمّد الذي كان متبحراً في تسخير الجن أنِ الجن سوف يقطعون رأس «اشبختر» القائد الروسيّ المعروف ويأتون به إلى الشاه في الساعة الفلانية وحدث ما كان قد وعد به! وذلك في سنة ١٢٢٠ حيث كان فتح عليشاه في حالة حرب ضد الروس[١].

ثمّ إنّ فتح عليشاه أصابه الرعب وخشي أن يتآمر عليه في يوم ما وينفّذ ضده مثل هذه الحيلة ولذلك فقد تحايل عليه وأرسله إلى العتبات وقتل في بغداد سنة ١٢٣٢ بتحريك من داود باشا شقيق أسعد باشا الحاكم العثمانيّ في العراق.»[٢]

وهكذا فقد قتل شخص مثله كان حقّاً نابغة في العلم والأدب والفلك

---

(١) أدرجنا قصته الطريفة في المجلد الثالث من «قصصنا» باسم الميرزا محمّد الأخباري ورأس اشبختر.

(٢) انظر: ناسخ قاجاريّه، ضمن وقائع سنة ١٢٢٠.

والرياضيّات والفنون الغريبة قتلاً شنيعاً وحذف اسمه من ديوان علماء الشيعة وكتب التراجم وذهبت حصيلة عمر من المشقة والعناء أدراج الريح. فاعتبروا يا أولي الألباب.

لقد طال الكلام وانقطعنا عن ترجمة الشيخ وعلى أيّ حال فقد ألّف الشيخ فضلاً عن كتابه المعروف كشف الغطاء في الفقه وكتابه الآخر كشف الغطاء في الرد على معتقدات الميرزا محمّد والحقّ المبين هذه الكتب التي ذكرناها فيما سبق، ألّف كتباً جامعة وعلميّة أخرى في الفقه والأصول استند إليها كلّها فقهاء الشيعة ومجتهدوهم وهي ملاك استنباط الأحكام الشرعيّة ومستندها، مثل مشكاة المصابيح في شرح المصابيح وهو نثر لمنظومة درّة العلّامة بحرالعلوم، غاية المأمول في الأصول، مناسك الحجّ، منهج الرشاد في الرد على الفرقة الوهّابيّة. وقد ألّف هذا الكتاب رداً على رسالة سعود زعيم الوهّابيّين كما أنّه أوّل كتاب ألّف في الرد عليهم، القواعد الجعفريّة في شرح مقدّمة كتابه كشف الغطاء، مختصر كشف الغطاء، شرح كتاب الشرائع.

ويعدّ الشيخ جعفر الكبير من الّذين يمكن القول عنهم إنّهم بلغوا السعادة في الدنيا والآخرة وكان له حظّ وافر من الحياة، ذلك لأنّ أولاده الأربعة الشيخ موسى المتوفى سنة ١٢٤٣ والشيخ حسن ١٢٤٧ والشيخ علي المتوفى ١٢٥٤ والشيخ محمّد ١٢٦٢ وأصهاره الأربعة السيّد صدر الدين العامليّ المتوفى سنة ١٢٦٣، الشيخ محمّد تقي الأصفهانيّ

صاحب الحاشية الشيخ أسدالله الدزفوليّ ١٢٤٣ والآقا محمّد علي الهزارجريبيّ ١٢٤٥ وأحفاده وأسباطه كانوا كلّهم حتّى عصرنا من مفاخر علماء الشيعة ومجتهديهم من الطراز الأوّل ومن أصحاب التأليف والتصنيف. وقد جاءت تراجمهم في كلّ من الروضات ونجوم السماء وأعيان الشيعة وأعلام الشيعة، فليراجع القاريّء هذه المصادر.

ومن الأحفاد الفقهاء وأولاده المعروفين، آية الله الفقيد الحاج الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء المعروف والذي توفي عام ١٣٧٣ في كرند حيث كانت وفاته بمثابة خسارة كبرى لا تعوّض لعالم الشيعة. وقد كنت ألتقيه مراراً في النجف الأشرف. وكان من حيث القلم والبيان والجرأة وإلهيبة والعلو وسعة الاطّلاع المرآة العاكسة لجده الفاضل الشيخ جعفر كما كان من المجتهدين العارفين بأوضاع الزمان والمدافع القدير عن المذهب الجعفريّ الحقّ حيث كان طيلة عمره الحصن المنيع إزاء الأجانب وأعداء العالَم الشيعيّ بفضل مؤلّفاته النفيسة والدقيقة مثل: الدين والإسلام، أصل الشيعة وأصولها، الفردوس الأعلى، المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون، وكلماته وخطبه النارية وجهاده البطولي مع اليهود والنصارى والمذاهب الإسلاميّة المختلفة، تغمّده الله بغفرانه.

ولد الشيخ جعفر الكبير سنة ١١٥٦ في النجف الأشرف وتوفي فيها سنة ١٢٢٨ والتحقت روحه الطاهرة بجنة الخلد. ومرقده معروف اليوم وهو مزار أهل الفضل وعامّة المؤمنين.

٥ ـ الميرزا القمّيّ

هو المحقّق العظيم الشأن الميرزا أبو القاسم ابن الملا محمّد حسن الجيلانيّ المعروف بـ «الميرزا القمّيّ» المؤلّف العالي القدر للكتاب النفيس قوانين الأصول وهو أيضاً من تلامذة الآقا الآخرين. انشغل الميرزا أوّلاً بالدراسة عند أبيه في جاپلق[1] ثمّ ذهب إلى خوانسار وتعلم الفقه والأصول من محضر العلّامة الفقيه السيّد حسين الخوانساريّ والذي مرّت ترجمته في فصل معاصري الآقا وتزوّج هناك من أخت أستاذه. ثمّ توجّه في سنة ١١٧٤ وهو في الثامنة عشرة إلى العتبات المقدّسة وتلمّذ لفترة طويلة لدى الآقا واستظاء بمشكاة علم ذلك السيّد ونبع كمالاته وانتفع منها، كما نال من حضرته الإجازة، وكذلك من الآقا محمّد باقر الهزارجريبيّ والشيخ محمّد مهدي الفتونيّ.

وقدعرّفه العالم الفاضل السيّد محمّد حسن الزنوزيّ، بالعربيّة معاصره وزميله في الدراسة هكذا: «أبو القاسم الجيلانيّ ـ أبو القاسم ابن الحسن الجيلانيّ المقيم في قم، العالم الفاضل الكامل، الفقيه المجتهد الماهر في الأصول، الثقة العابد الزاهد، من المعاصرين أطال الله بقاءه. له مصنفات حسنة منها القوانين في أصول الفقه، وهو كتاب كبير حسن يدلّ على تبحّره في أصول الفقه. وقد كتب في آخره أنّه فرغ من تصنيفه في آخر ربيع الثاني ١٢٠٥.

---

(١) جاپلق من توابع بروجرد. وقد ضبطت في أعلام الشيعة على أنها من محال رشت خطأ.

ومن تصانيفه الأخرى كتاب الغنائم في الفقه وحتّى أوّل الحجّ، ومنها المناهج وهو كتاب مبسوط من أوّل العبادات حتّى أوّل كتاب الحجّ، ثمّ العقود وكتاب المتاجر، النكاح، الطلاق، المطاعم، المشارب، الصيد والذباحة والميراث، ويبدو أنّ الغنائم مختصر المناهج، ورسائل أخرى في العبادات والعقود بالفارسيّة وغيرها.»[1].

وينقل العالم الجليل الحاج السيّد شفيع الجاپقلي الذي كان من تلامذة العلّامة الفقيه السيّد محمّد المجاهد وحظّي بخدمة الميرزا في أوائل عمره في جاپلق وقم، في كتاب إجازاته المعروف بـ الروضة البهيّة والذي ألفه على غرار لؤلؤة البحرين واستندنا إليه فيما سبق مراراً، نقل أنّه أثنى على الميرزا في إحدى إجازاته في معرض ذكر أساتذته قائلاً: «ومن جملتهم قطب دائرة التحقيق والتدقيق، مقنن قوانين الأصول، مشيّد مباني الفروع، قدوة العلماء العالمين، أسوة الفقهاء الراسخين، مولاي المكرّم، بل الوالد المعظم، مولانا الميرزا أبو القاسم الجيلانيّ نوّر الله ضريحه وأفاض عليه أنواره». ثمّ يكتب الحاج سيد شفيع: كان الميرزا رئيس الأمور الدينيّة والدنيويّة للمسلمين، وكان مقدماًعلى أهل زمانه في الزهد والورع والعلميّة والفقاهة وله المرجعيّة في الشرق والغرب بين العرب والعجم.

وكان ذلك يعود في الغالب إلى الاحترام الذي حظّي به لزعامته فرقة

---

(١) رياض الجنّة ١: ٥٢٢.

الشيعة فكان مقبولاً عند الجميع وهو ما كان يعود بشكل رئيس إلى الاحترام الذي كان يوليه له السلطان فتح عليشاه القاجاريّ فلقد كان يعظّم مقامه ويطيع أمره في الأمور الدينيّة والدنيويّة. والناس على دين ملوكهم.

ثمّ يضيف الحاج السيّد شفيع قائلاً: «كان والد الميرزا الملا حسن من أهل شفت (رشت) وقد جاء إلى أصفهان لتحصيل العلوم الدينيّة وتتلمذ على العالمين العامليّن الكاملين الميرزا حبيب الله جدي من والدتي وأخيه الميرزا هدايت الله الذي هو جد الميرزا نفسه من أمه. ولأن ذينك الفاضلين جاءا إلى قصبة جاپلق بناء على طلب الأهالي للقضاء والحكم الشرعيّ وترويج الشريعة الغرّاء وعيّن الملك كلّاً منهما بوصفهما شيخاً للإسلام في تلك المنطقة وتوطنا بدورهما في جاپلق، فقد جاء والد الميرزا أيضاً مع أساتذته من أصفهان إلى جاپلق وتزوج هناك من ابنة أستاذه الميرزا هدايت الله وولد الميرزا هناك.

وقد نشأ الميرزا في جاپلق وتلقى علوم الأدب عند والده الملا حسن الذي كان عالماً فاضلاً وجامعاً وله كتاب باسم كأس السائلين على غرار الكشكول، ثمّ تلقى علوم الفقه والأصول عند العالم العامل المنزّه من كلّ شين الآقا السيّد حسين الخوانساريّ (انظر ترجمة الآقا السيّد حسين الخوانساريّ). ثمّ سافر إلى كربلاء، وتلمّذ على جمع من الأساتذة، وبعد إكمال الدراسة عاد إلى جاپلق، لأنّ جاپلق كانت موطنه وموطن أبيه وسكنوا في قرية باسم (درّة باغ).

ولأنّ القرية المذكورة كانت صغيرة وغير صالحة لسكنه وكان يعيش في غاية العسر، فقد انتقل بناء على التماس الحاج محمّد سلطان الذي كان من أعيانها وكان رجلاً محسناً، إلى قرية أخرى تدعى «قلعة بابو» وكانت من قرى جاپلق وقرب درّة باغ، وانشغل بالتدريس، ولكن لم يكن هنالك من أحد ينتفع منه سوى أخيه الميرزا هدايت الله وعلي دوست خان ابن الحاج طاهر ولم تكن تتوفر لديه الكتب الاستدلالية والأخبار التي هي أسباب الاجتهاد.

حتّى يقول إن أهل القرية كانوا قليلي المعرفة ولم يكونوا يفرّقون بينه وبين ملّا كتاتيب القرية الملا سبز علي، بل إنّهم لم يكونوا يميّزون بينه وبين الملا شاه مراد الذي كان أقل مستوى من الملا سبز علي نفسه ! ولذلك فقد ضاقت الأمور على الميرزا واستصعب الحياة في القرية. ولذلك فقد سافر إلى أصفهان وأقام لفترة في مدرسة كاسه گران وبعد أن أهين من قبل بعض مدّعي الفضلّ سافر إلى شيراز التي كان فيها السلطان كريم خان زند.

وقد سمعت أنه أقام هناك سنتين أو ثلاث سنوات. واستقبله العالم الكامل الشيخ عبد النبيّ وابنه الشيخ مفيد وأعطياه سبعين تومانا أو مائتي تومان بناء على أحد النقول، ثمّ عاد إلى أصفهان واشترى بتلك النقود بعض الكتب الفقهيّة والاستدلالية وكتب اللغة والحديث والتي كانت تلزمه. وقد سمعت أنّه كان يشتري الكتب بالمنّ الشاهي والذي كان

يعادل المنّ التبريزيّ بعشرة تومانات. ثمّ عاد إلى جاپلق وبدأ عدد من الطلّاب يدرون الأصول والفقه لديه.

وكان الموضع خالياً من الفضلاء والعلماء ولم يكن قد تبقّى عدد كبير من طلّاب العلم. فلم يكن قد بقي شيء لا من المدينة ولا من أهلها، سوى عدد من القرويين القليلي الإحساس الذين لم يكونوا يفرّقون بين الحقّ والباطل، ولذلك فقد ضاقت البيئة والمعيشة في هذه المرّة أيضاً على الميرزا فاضطر للسفر إلى دار الإيمان قم، واختار التوطّن فيها حتّى نهاية عمره. فوسّع الله عليه في الرزق هناك وحظّي بقبول الجميع. فإن مع العسر يسراً، ويأبى الله إلا أن يتمّ نوره، إنّ الله لا يضيع أجر المحسنين.»[1].

ولم يوضّح الحاج السيّد شفيع سبب سفر الميرزا إلى قم، ولكن وكما جاء في بعض الكتب ومنها قصص العلماء أنّه كان يحدث أحياناً على إثر انعدام الإحساس لدى أهالي القرية وعدم إدراكهم لمقامه المنيع أنّهم كانوا يثيرون الضجة بسبب موضوع غير منطقي وبعيد عن الأدب وكانوا يوكلرن القضاء في مثل ذلك العمل القبيح البعيد عن شأن مجتهد فاضل مثل الميرزا إليه مما كان يزيد من مله وانزعاج خاطره.

وكان من جملة ذلك أنّ معلّم الكتاتيب في تلك القرية كان الملا سبز علي أو الملا شاه مراد، حيث كان يضمر الحسد للميرزا ويحوك ضده المؤامرات كي يطرده من القرية! وفي ذات يوم طلب من أهل القرية أن

---

(١) الروضة البهية: ٢٦، ٢٧.

يقولوا للميرزا أن يكتب كلمة «مار» أي الحيّة. وبعد أن ألحوّا على الميرزا اضطرّ إلى أن يكتب «مار». وفي أثناء ذلك استغل ملا الكتاتيب الفرصة ورسم شكل حيّة رأسها كبير وذيلها رفيع وطويل وملتو وأراها لأهل القرية وقال «أيها الناس تعالوا وانظروا جيداً وأنصفوني هل الحية هي ما كتبته أنا، أم تلك التي كتبها الميرزا؟ ففضّل القرويون الحمقى والجهلة ماكتبه ملا الكتاتيب، وقالوا: ما كتبته ليس الحيّة!![1].

فتأثر الميرزا لذلك تأثراً بالغاً وعندما رأى أمره وقد بلغ هذا الحد بحيث فضّلوا الملا سبز علي على رجل محقّق مثله بكى ورفع يديه بالدعاء وقال: اللهم لا تذلّني أكثر من ذلك وأنقذني من هؤلاء القوم. فأنزل الله فرجه عليه حتّى قدم إلى مدينة قم التي كانت حرم أهل البيت وتوطّن فيها».

ولم تكن مدينة قم ذات أهمّيّة كبيرة عند مجيء الميرزا، ولكنّ العلماء والفضلاء وسائر المؤمنين سارعوا إليها على مرّ الأيّام للانتفاع من فيض حضور الميرزا هذا العلّامة المحقّق وبذلك استعادت هذه المدينة العلميّة والدينيّة شيئاً فشيئاً ازدهارها العلميّ الأوّل وأضحت في عداد المراكز العلميّة للشيعة وأصبحت مجمعاً للفضلاء والعلماء وماتزال كذلك إلى يومنا هذا حيث تذكرنا بشخصيّة الميرزا. جزاه الله عن الإسلام خيراً....

---

(١) قصص العلماء: ١٨١.

وقد دخل الآقا أحمد صاحب مرآة الأحوال في سنة ١٣١٦ بعد العودة من العتبات المقدّسة كرمانشاه ثمّ توجه إلى قم بعد بضعة أشهر، ولأنّ الميرزا كان من تلامذة جده الفاضل الوحيد البهبهانيّ فقد ذهب إلى داره. كما كان عدد آخر من زملائه في الدراسة الذين كانوا قد جاؤوا من العتبات إلى إيران على إثر هجوم الوهّابيّين على كربلاء متواجدين هناك، وكتب قائلاً: «نزلت عند وصولي في دار سماحة المقدّس الألقاب مرجع الفضائل؛ العلّامة الفهّام، زبدة المحقّقين وعمدة المجتهدين، سماحة الميرزا أبي القاسم الجاپلقي دام فضله، وبعد ثلاثة أيّام نزلت في بيت أحد الأعزّة من المقدسيّن لا أتذكر اسمه، كما كان ينزل في ذلك البيت سماحة الآقا السيّد رضا سابق الألقاب خلف سيد المجتهدين (العلّامة بحرالعلوم) وسماحة الآقا محمّد تقي ابن الخالة، والآقا كمال محمّد ابن الآقا الذي سبق ذكر اسمه، وانشغلت في المباحثة والتأليف...»[1].

يقول صاحب نجوم السماء: «حال علمه وفضله يتردد على لسان الأقاصي والأداني. وأنا العبد معترف بالتقصير في وصفه. وقد درس العلوم عند أكابر العلماء والفقهاء وخاصّة أستاذ الكلّ الآقا باقر البهبهانيّ ونال الدرجة القصوى في الفضل والاجتهاد والمرتبة العليا في الإفادة والرشاد.»[2]

---

(١) مرآة الأحوال: ١٥٤.

(٢) نجوم السماء: ٣٤١.

ولم يذكر صاحب الروضات تحت مدخل القاسم من باب القاف في كتابه سوى ترجمة الميرزا وقال: «و لم أظفر إلى الآن أيضاً في شيء من الطبقات بمن كان نظيره في العلم والعمل، حتّى أردفه به في مثل هذا الموضع المنتظم»[1].

تلامذة الميرزا

كان من تلامذة الميرزا الآقا محمّد علي الهزارجريبيّ، الآقا أحمد صاحب مرآة الأحوال، السيّد مهدي الخوانساريّ صاحب الرسالة المعروفة في أحوال أبي بصير وابن أخيه السيّد أبو القاسم الخوانساريّ صاحب كتاب مفصّل في شرح الدرّة لبحرالعلوم والكثير من الأفاضل العلماء. كما روى عنه السيّد محمّد باقر حجّة الإسلام صاحب كتاب مطالع الأنوار، الحاج محمّد إبراهيم الكلباسيّ صاحب الإشارات والمناهج، الآقا السيّد جواد العامليّ صاحب مفتّاح الكرامة، الشيخ أسدالله الكاظميّ صاحب المقابس، السيّد عبدالله شبّر صاحب التفسير، الآقا محمود الكرمانشاهيّ ابن الآقا محمّد علي حفيد الآقا وغيرهم.

مؤلّفاته

جاء في الروضات أنّ الكتب التالية من مؤلّفاته وكلّ منها حافل بالتحقيقات والتتبّعات: رسالة في قاعدة التسامح في أدلة السنن، رسالة

---

(١) روضات الجنّات ٥: ٣٧٩.

في جواز قضاء المجتهد وتقليده، رسالة في عموم حرمة الربا بالنسبة إلى سائر عقود المعاملات، رسائل مفصلة في أبواب فرائض المواريث، الرد على الصوفيّة، الوقف وغيرها وكلّها مدرجة في كتابه الكبير باسم جامع الشتات. منظومة في علم المعاني والبيان، تعليقة على كتاب السيّد حسين الخوانساريّ أستاذه في عبارات من كتاب الصلاة في شرح اللمعة. ديوان شعر بالعربيّة والفارسيّة يقرب من خمسة آلاف بيت.

ومن المؤلّفات المهمّة الأخرى والمعروفة للمرحوم الميرزا كتب المناهج، الغنائم، معين الخواص ومرشد العوام، وكلّ هذه الكتب الأربعة في الفقه والكتاب الأخير بالفارسيّة. وتوجد مخطوطته في مكتبة مدرسة سپه سالار. رسالة في أصول الدين، رسالة في الرد على آثار خطّيّ النصرانيّ، رسالة مفصلة إلى فتح عليشاه في النصائح والمواعظ وهي في غاية الجودة.

ويعد كتاب القوانين أشهر مصنفات الميرزا حيث يعتبر رائعة في علم الأصول. وكان ومايزال منذ زمان تأليفه (١٢٠٥) جزءاً من البرنامج الدراسي للحوزات العلميّة للشيعة.

جاء في أعلام الشيعة: «وله مؤلّفات هامة وأسفار جليلة تموج بمياه التحقيق والتدقيق وهي دليل علمه الجم وتبحره الكثير أهمها وأشهرها [القوانين المحكمة] في الأصول طبع مراراً عديدة وهو من جلائل كتب هذا العلم وأوعاها لدقائقه وغوامضه وقد رزق هذا الكتاب حظّاً وافراً

ولاقى قبولاً حسناً حيث أصبح من الكتب الدراسية فلا يستغني عن قراءته طالب من طلّاب العلم إلى عصرنا إلا أنّ أستاذنا الحجّة المولى محمّد كاظم الخراسانيّ لمّا ألّف [الكفاية] ضعفت رغبة الناس به لطوله واتجهوا إلى [الكفاية] اتّجاها ما، وقد عني ب[القوانين] جماعة من العلماء فعلقوا عليه التعاليق وكتبوا الحواشي»[1] وكتب صاحب الروضات: «ونقل لنا أيضاً بعض الثّقات أنّه لمّا فرغ من تصنيف كتابه القوانين ذهبوا بنسخة منه إلى حضرة مولانا بحرالعلوم في النّجف الأشرف على مشرّفها السّلام، فلمّا أن رآها السيّد، وأحاط ببعض مطاويه خبراً بعد المطالعة، ولما يدر أنّه من أيّ مصنّف جاء بها، إلى صاحبها وقال يا هذا لاحظت كتابك هذا، ولم أدر ممّن هو إلاّ أنّ صاحبه ممّن قد أصيب فى بعض مشاعره لا محالة، أم لا بدّ له من آفة تنزّل على سمعه أو بصره، فقيل له رحمه الله بلى أنّه من تأليفات سماحة مولانا الميرزا، وقد أصيب بعد فراغه من هذا التّأليف في سمعه الشّريف، وابتلي بثقل السامعة، وثقيل آفة الصّمم دون الخفيف، فتعجّب الحاضرون والسّامعون في فراسة المخبر بذلك بل كرامته ونهاية بذل المخبر عنه جهده فى تحصيل العلم والقيام بخدمته هذا.»[2].

يقول الآقا السيّد حسين البروجرديّ في نخبة المقال:

---

(١) الكرام البررة ١: ١١٣.

(٢) نخبة المقال: ٨٨.

وذو القـــوانين فريـــدة الـــزمن أبو القاسم الحبر المبين ابـن الحسـن
وشـــيخه الفقيـــه بهبهـــانيّ بعـد وداع بـان فـي الرضـوان[1]

أولاد الميرزا وأسباطه

كان للمرحوم الميرزا ابن واحد وقد ذكر صاحب الروضات أنه مات غريقاً في الحوض في زمان حياته، وبناء على ذلك فإن المتبقين من الميرزا يقتصرون على أسباطه. واستناداً إلى الوثائق المتوفرة والتحقيقات الكثيرة التي قمنا بها في هذا المجال، فإنّ الميرزا كان له ست بنات، إحداهن كانت زوجة الميرزا أبي طالب القمّيّ الذي كان بدوره تلميذ الميرزا ومن كبار الفقهاء والعلماء. وله كتاب أسئلة وأجوبة في الفقه على أسلوب جامع الشتات للميرزا في مايقرب من ستمائة صفحة. وأسرة الميرزا أبي طالب من الأسر القديمة والمعروفة في قم. وعالمها الأكبر والمعروف هو الآقا الميرزا فخر الدين ابن الميرزا أبي القاسم شيخ الإسلام ابن الميرزا محمّد رضا ابن الميرزا أبي طالب الآنف الذكر.

وتعتبر أسرتي «سيّدي» و«ميرزائي» من أولاد الابن وأسرتي «إمام جمعة» و«پيشوائي» اللتين هما من أولاد آية الله السيّد جواد القمّيّ وأسرة «توليت» التي هي من الآقا السيّد حسين متوليّ باشي جد السادن

---

(١) نخبة المقال: ٨٨.

الحالي، تعتبر كلّها من أسباط الميرزا. والحاج حسن سيّدي القمّيّ ابن الآقا الميرزا فخر الدين المذكور هو من العلماء الأجلّاء في أسرة الميرزا ومن المعاصرين.

والبنت الأخرى للميرزا هي زوجة العلّامة الفقيه والمجتهد الكبير الحاج الملا أسدالله البروجرديّ المتوفى سنة ١٢٧١ الذي يعتبر من مشاهير الفقهاء من تلامذة الميرزا والأستاذ الفقيه العظيم الشأن الحاج الشيخ مرتضى الأنصاريّ. وله آراء خاصّة من جملتها «انفتّاح باب العلم». وللمرحوم الحاج الملا أسدالله من ابنة الميرزا ثلاثة أبناء هم فخر الدين محمّد وجمال الدين محمّد ونور الدين محمّد وكلّهم من مفاخر العلماء ونالوا إجازة الاجتهاد من قبل الأب (انظر: المآثر والآثار).

وابنة الميرزا الأخرى هي زوجة الملا محمّد النراقيّ المتوفى سنة ١٢٩٧ ابن الحاج الملا أحمد النراقيّ مؤلّف كتابي المستند ومعراج السعادة حيث ولد من تلك المخدّرة العالم الفقيه الميرزا أبو القاسم النراقيّ المتوفى ١٣١٩ مؤلّف كتابي حجّيّة الظنون وتسهيل الدليل. والابنة الأخرى للمرحوم الميرزا هي زوجة الشيخ علي البحرينيّ وأم الشيخ محمّد حسين البحرينيّ الذي كان يسكن كهك في قم. ويقال إنّ الميرزا كان يذهب إلى كهك في بعض فصول الصيف وكان هناك أربع صفحات كبيرة وهي معروفة وكان الميرزا يستقبل فيها فتح عليشاه القاجاريّ والذي كان يذهب إلى كهك خلال أيّام تشرّفه بزيارة قم.

والبنت الأخرى للميرزا زوجة الميرزا علي رضا الطاهريّ القمّيّ السابق الذكر وكلا هذين الفاضلين من أحفاد العالم الفقيه والمحدّث الماهر الجليل الملا محمّد طاهر شيخ الإسلام القمّيّ المتوفى سنة ١٠٩٧ أستاذ العلّامة المجلسيّ في إجازته ومصنف كتاب تحفة الأخيار في الرد على الصوفيّة. والبنت السادسة للمرحوم الميرزا لم تتزوج وفارقت الحياة[١]

وفاة الميرزا القمّيّ

جاء في الروضات أن بعض أحفاد الميرزا ينقلون أنّ ولادته كانت في ١١٥٢ ووفاته سنة ١٢٣٣ ويذكر أنّه قد قيل في تأريخ وفاته: «أز ابن جهان به جنان صاحب «قوانين» رفت»[٢] كما يذكر قائلاً «قيل أنّ الميرزا توفي سنة ١٢٣١»[٣] والبيت الذي نقله صاحب الروضات يمثل العدد ١٢٣١ طبق حساب الجمّل ويتطابق مع القول الثاني ومن العجيب أنّ صاحب الروضات لم يلتفت إلى هذا المعنى.

كما يجب أن نعلم أنّ الميرزا تشرّف بزيارة العتبات المقدّسة في سن

---

(١) حصّلت على قسم من المعلومات حول عدد بنات المرحوم الميرزا وانتسابهنّ، من حضرة السيد ناصر الدين آرام مدير مكتبة السيدة المعصومة. [توفي المرحوم آرام الذي كان من أصدقائنا المقربين في الثالث من شهر خرداد ١٣٥٢، ودفن في عتبة مدخل الصحن الكبير للسيدة المعصومة، عند ركن شارع إرم مقابل محلّة گذرخان].

(٢) روضات الجنّات ٥: ٣٧٩.

(٣) المصدر.

الثامنة عشرة حسب ما تفيد المصادر المتوفرة، وأنّه تلقى العلم لدى الآقا حوالي ثمان سنوات، ثمّ عاد إلى جابليق، واشترى سنة ١١٨٤ في أصفهان بعض الكتاب من النقود التي كان قد جاء بها من شيراز وألف في سنة ١٢٠٥ حيث كان له من العمر ٤٩ عاماً كتاب القوانين، وتوفي سنة ١٢٣١، وكان عمره ٧٦ سنة.

ومن جملة الوثائق المتوفرة بين أيدينا المكتوب[١] الذي ذكر فيه الميرزا في حاشيته الأبيات الاثني عشر التي نظمها هو نفسه وكتب في بدايته: «هو العليم. تاريخ دخول الحقير الفقير أبي القاسم الأرض المقدّسة والمشهد المقدّس الغرويّ (النجف الأشرف) على مشرّفها آلاف التحية.»[٢] ثمّ كتب الأشعار المذكورة ورغم أنها ليست ذات أهمّيّة كبيرة من الناحية الشعرية، ولكنّنا ننقل ثلاثة أبيات منها تشتمل على بعض الفوائد. وأوّلها:

شكر آن كس كه دمانيد ز كهسار عدم صبح ايجاد مرا بر سر قوم آدم

الترجمة: «حمداً لذلك الذي نفخ صبح إيجادي من جبال (أرض) العدم على بني آدم»

وذكر الأبيات التسعة الأخرى على الشاكلة نفسها حتّى يقول:

---

(١) وضع العالم المحترم الحاج السيّد مهدي الروحانيّ والذي كان هو نفسه من أسباط المرحوم الميرزا نسخة هذا المكتوب تحت تصرفنا وهو بخط الميرزا وهو الآن في حوزة أسرته. [آية الله الروحانيّ هو اليوم من الفقهاء المعروفين والآيات العظام في قم].

(٢) لم تكن قافية هذا الشعر في الأصل وقد تكون كلمة «ارم» أو ماشابهها.

آمدم تا كه بمانم به درش عهدى چند
بل اگر رد نكند تا كه روم سوى...
بهر... زمانى كه شدم داخل فيض
عقل گفتا: «به جنان قاسم حي هشت قدم»
(١١٧٤)

(ترجمه) لكي أبقى بابه لفترة/ بل سأبقى إلى... لولم يرفضني.

لأجل حينما دخلت هذا الفيض / فقال العقل «لقد وَطَأتْ أقدام قاسم الحي في الجنة»

ويذكر في الختام قائلاً: «في إقحام لفظ «حي» نكات ملحوظة فلا يردّها الغافل فلا تغفل لمحرره عفي عنه.»[1] وكما يلاحظ فإن جملة «به جنان قاسم حي هشت قدم» هي على أساس حساب الجمّل ١١٧٤ وهو تاريخ وصوله إلى النجف. كما أن لفظ «حي» الذي هو صفة اسمه أي القاسم جعله مخفّفاً لأبي القاسم، هو ثماني عشر أيضاً وهو ما يدل على أنه وصل إلى النجف الأشرف في سن الثامنة عشرة وانشغل بالدراسة عند الآقا وهو بهذا العمر. وبناء على ذلك فإن ولادة الميرزا كانت في سنة ١١٥٦ لا ١١٥٢ كم جاء في الروضات.

٦ ـ السيّد محسن الأعرجيّ

العالم المحقّق والفقيه المدقّق السيّد محسن الأعرجيّ الكاظميّ من

---

(١) لم تكن قافية هذا الشعر في الأصل وقد تكون كلمة «ارم» أو ماشابهها.

علماء الطراز الأوّل وكبار مجتهدي الشيعة. أدرك في أوائل عمره الدورة الأخيرة من الحلقة التدريسية للمرحوم السيّد صدر الدين الهمدانيّ أستاذ الآقا ولذلك فإن الآقا لايذكر سوى اسمه من بين تلامذة الآقا صدر الدين. وقد نهل السيّد محسن الأعرجيّ بعد وفاة السيّد صدر الدين العلم الغزير من محضر الآقا تلميذه العلّامة واعتبر بعد ذلك من أجلة تلامذة الآقا.

جاء في الروضات: «كان رحمه الله تعالى من أفاضل عصره، وأفاخم دهره بأسره، محقّقاً في الأصول الحقّة، ومعطياً للوصول إلى الفقه حقّه، مع أنّه اشتغل بالتّحصيل في زمن كبره ومضىّ أكثر من ثلاثين سنة من عمره، وهذا من رفيع منزلته، وبديع أمره.

و كان معظم قرائته على السيّد صدر الدّين القمّيّ، وشيخ مشايخنا العلّامة البهبهانيّ وروى أيضاً عنه، كما عن الشّيخ سليمان بن معتوق العامليّ، الرّاوي عن الشّيخ يوسف البحرانيّ، وعن المحقّق الميرزا أبي القاسم القمّيّ، وتلمّذ عنده أيضاً كثير من أعاظم فضلاء هذه الأعصار، مثل سميّنا السيّد الأفقه الأفخر صاحب مطالع الأنوار وسيّدنا السيّد صدر الدّين العامليّ العالية منزلته من أثر ذلك الجوار، وكذلك مولانا الأستاذ المحقّق المتقدّم صاحب الحاشية المشهورة المبسوطة على أصول المعالم؛ والسيّد عبدالله الكاظمي الفاضل المتبحّر الشّهير بشبّر كما أشير إلى كلّ ذلك أيضاً في ذيل تراجمهم الّذي قد مرّ وقد رأيت في بعض

إجازات الأوّل من هؤلاء عند بلوغه إلى عدّ الرّجل من جملة مشايخه الأجلاّء بالغ في صفته بالفضل والنّبالة والفهم والإدراك، ومدح جلالة قدره ومنزلته بقدوة العباد والزّهاد والنّساك.»[1]

ويقول الشيخ أبوعلي في منتهى المقال: «أدرجت في هذا الكتاب ما ذكره المولى المقدّس أمين الكاظميّ في مشتركاته وامتثلت في هذا الخصوص لأمر السيّد السند والركن المعتمد، المحقّق المتّقي، مولانا السيّد محسن البغداديّ النجفيّ الكاظميّ وأنا أقصده هو من «بعض أجلاء العصر» في هذا الكتاب منتهى المقال.»[2] توفي هذا العالم الجليل سنة ١٢٤٠. من تصنيفاته القيّمة والنفيسة كتاب المحصول في أصول الفقه والذي ذكره الميرزا القمّيّ في القوانين. ومن كتبه الأخرى وسائل الشيعة في الفقه وشرح الوافية للتونيّ، رسالة الاجتهاد، شرح مقدمات الحدائق، منظومة في جميع الأشباه والنظائر، وأشعار مطبوعة ومراث فاخرة في مدح أهل بيت العصمة عليهم السلام ورثائهم وأرجوزة في الفقه باسم الألفية الفقهيّة.

٧ ـ الحاج الملا مهدي النراقيّ

من فحول العلماء وأكابر الفقهاء والحكماء وأعاظم المجتهدين. وقد كتب الزنوزيّ الذي كان معاصراً له ترجمته قائلاً: «العالم الكامل الفاضل

---

(١) روضات الجنّات ٦: ١٠٤.

(٢) منتهى المقال ١: ٦.

الصالح الجليل، المحقّق، المدقّق، العادل، الحافظ المتبحر الفقيه، الحكيم المتكلّم، المهندس المعاصر والماهر في أكثر الفنون والكتب الإسلاميّة وغير الإسلاميّة من سائر الملل والأديان، الجليل القدر العظيم الشأن، ذو الأخلاق الكريمة والآداب الحميدة والتأليفات الكثيرة. تلمّذ على الكثير من العلماء، ومن جملتهم الفاضل الأديب المتبحر المهندس، الميرزا محمّد طبيب الأصفهانيّ والملا إسماعيل المعروف بالخواجو، والحاج الشيخ محمّد زمان الكاشانيّ والملا مهدي الهرنديّ».

ويترجم له المحدّث والمؤرخ الكبير الحاج الشيخ عبّاس القمّيّ قائلاً: «مهدي بن أبي ذر الكاشانيّ النراقيّ، الشيخ العالم الفاضل الكامل البارع الجليل والفقيه النحرير، جامع الفنون والعلوم مولانا الأمجد والد سماحة الحاج الملا أحمد: من مصنفاته: اللوامع، وجامع السعادات، ومشكلات العلوم، أنيس التجار، معتمد الشيعة، التحفة الرضويّة، التجريد، كتاب فارسيّ في أصول الدين يسمّى أنيس الموحّدين، مناسك الحجّ ومحرق القلوب وغيرها ويتّضح من ملاحظة كتبه كثرة فضله وتبحره في أنواع العلوم.

تشرف الحاج الملا مهدي بعد إكمال دراسته بذهابه إلى العتبات المقدّسة وتلمّذ في النجف على العالم الفقيه الشيخ مهدي الفتونيّ وفي كربلاء على الشيخ الأجل صاحب الحدائق. وعندما دخل الآقا كربلاء

كان من التلامذة الكبار والمتبصرّين الذين حضروا حلقته التدريسية وانخرط في سلك تلامذته وانتفع لعدة سنين من مشكاة علوم ذلك العالم الشهير ونال الإجازة منه.

ثمّ عاد من كربلاء إلى وطنه المألوف (كاشان) بعد بلوغ الدرجات العلميّة والعملية وانشغل بنشر الدين المبين وتعليم العلماء والمجتهدين وتربيتهم. وكانت مدينة كاشان قد بقيت خالية من وجود العلماء قبل قدومه، ولكنّها استعادت ازدهارها بفضل أنوار كمالاته وجددت حياتها. بحيث سارع العلماء والفضلاء شيئاً فشيئاً من كلّ صوب على أمل اكتساب العلم من حضرته ولم تخل منذ ذلك الحين وحتّى الآن من وجود المجتهدين المعروفين، وكلّ ذلك من بركة الأنفاس القدسية لسماحته ومدين لبحر علمه وفضله.

وقيل إنّه كان خلال دراسته يعيش في غاية الفقر وضيق الحال حتّى كان عاجزاً عن امتلاك مصباح وكان يطالع تحت ضوء مصباح المرافق (الصجّية) وكان إذا جاء شخص إلى المرافق يتنحنح كي لا يظنّوا أنّه جالس هناك لغرض آخر وبذلك لا يطّلع أحد على حاله ووضعه. [ويقول في الختام: يروي عن الآقا البهبهانيّ والمحدّث البحرانيّ وغيرهما وقد اختصرت أنا الفقير كتاب سماحته أنيس التجار وطبع في مطبعة دار السّلام في بغداد.]»[1].

---

(١) فوائد الرضوية ٢: ٦٦٩، مع تغيير طفيف في العبارات.

وكتب الحاج السيّد شفيع الجاپقلي في الروضة البهيّة قائلاً: «تلقى الحاج الملا مهدي ـ كما سمعت ـ العلم من محضر العالم الكامل علّامة الزمان الملا إسماعيل الخواجوئيّ (المازندرانيّ)». ويقول: «كان متلهفاً للتحصيل ومنشغلاً بالدراسة إلى درجة بحيث إنّه لم يكن يطالع أية رسالة كانت تصله من ولايته، خشية أن تأدّي إلى تشويش خاطره، ولذلك فإنّه لم يكن يطالع أيّة رسالة تصله ويضعها تحت البساط.

حتّى قتل والده الذي كان في نراق من خدّام الحكومة، وبعثوا خبر مقتله إلى ولده الحاج الملا مهدي. فماكان منه إلّا أن أهمل الرسالة كعادته ووضعها تحت بساطه. وحينما يأس ذووه من مجيئه كتبوا رسالة إلى أستاذه كي يخبره بموت والده ويحمله على القدوم إلى نراق كي يتّضح موقف التركة والورثة. وعندما دخل مجلس الأستاذ وجده حزيناً فسأل الأستاذ عن سبب حزنه، ولماذا لا يقوم بالتدريس؟ فقال الأستاذ: عليك أن تذهب إلى نراق، فقد مرض والدك ولعله قد جرح. فقال: ليحفظه الله، لا عليك، وابدأ درسك. فاضطر الأستاذ إلى إخباره بموضوع مقتل أبيه (أبو ذر) وأوصاه بأن يذهب حتماً».

«فذهب الحاج الملا مهدي إلى نراق ولم يبق فيها سوى ثلاثة أيّام. وبعد قيامه بالأعمال اللازمة عاد إلى أصفهان مرّة أخرى وانشغل بالدراسة حتّى بلغ مرتبة من العلم والفضل لا يمكن وصفها.»[1].

---

(١) الروضة البهية: ١٦.

وقد ترك هذا العالم الرفيع الدرجات آثاراً نفيسة ألّفها كلّها في غاية الإتقان والمتانة ونهاية الجودة والرزانة. مثل: معتمد الشيعة في أحكام الشريعة، لوامع الأحكام، أنيس التجّار في مسائل التجارة، مشكلات العلوم مثل الكشكول للشيخ البهائيّ. كما ألّف ابنه الحاج الملا أحمد النراقيّ كتاباً باسم الخزائن بنفس الأسلوب، جامع السعادات الذي لخصه ابنه الحاج الملا أحمد وترجمه إلى الفارسيّة وسمّاه معراج السعادة. تجريد الأصول في أصول الفقه.

يقول صاحب الروضات إنّ ابنه الحاج الملا أحمد شرحه في عدة مجلّدات. كتاب في أصول الدين بالفارسيّة، رسالة في العبادات، رسالة في مناسك الحجّ، رسالة في علم الحساب، محرّق القلوب في مصائب أهل بيت العصمة، أنيس المجتهدين في الأصول، رسالة فارسيّة في الفقه.

كان الحاج الملا مهدي ذا طبع موزون وقريحة لطيفة، فضلاً عن فقاهته وتبوّئه منصب الاجتهاد والإفتاء والمرجعيّة التي كان يتمتّع بها بين النّاس ولكنّه كان ينظم بين الحين والآخر أشعاراً مطبوعة. وقد نقل الزنوزيّ في رياض الجنّة مقتطفات من أشعاره، ولكنّنا نكتفي ببضع أبيات من غزلية له يقول فيها:

ای خوش آن صبحدمی کاتب بشرا رسدم
نفحه‌ی روح قدس از دم عیسی رسدم
بشکند مرغ سماوی قفس ناسوتی
اذن پرواز سوی عالم بالا رسدم

برقع طبع به دور افكنم از چهره‌ى عقل
از فضاي جبروت اذن تماشا رسدم

ترجمة الأبيات:

«ماكان أحلى ذلك الصباح حينما بشّرني الكاتب أنه وصلتني نفحة روح القدس من أنفاس عيسى،

وحطّم الطير السماويّ القفص الناسوتيّ (المادي) ووصلني الإذن بالتحليق نحو العالم الأعلى،

فأمطت لثام الطبع عن وجه العقل فوصلني الإذن بالمشاهدة من فضاء الجبروت،

حطّم الروح القدسيّ أغلال الطبيعة من قدميّ ووصلتني رخصة السير على هذه القبّة الخضراء»

التحق الحاج الملا مهدي النراقيّ بالرفيق الأعلى في النجف سنة ١٢٠٩، وهو من بين حشد تلامذة الآقا أوّل من توفي بعده.

وقد ذكر الفيلسوف المعاصر الأستاذ جلال الدين الآشتيانيّ في كتابه النفيس والقيّم منتخبات من آثار حكماء إيران الإلهيّين الحاج الملا مهدي النراقيّ باعتباره أحد الحكماء الإلهيّين وتطرق إلى أحد آثاره الفلسفية وسندرج هنا قسماً مما ذكره للمزيد من الاطّلاع على شخصيّته العلميّة والفلسفيّة:

كتب تحت عنوان «الملا مهدي النراقيّ المجتهد البارع والحكيم المحقّق في القرن ١٣هـ» قائلاً: «من أكابر علماء الشيعة، قليل النظير في

الجامعيّة والإحاطة والتبحر والتخصّص في العلوم النقليّة والعقليّة في العصر الإسلاميّ، والآخوند الملا مهدي الكاشانيّ المتوفى ١٢٠٩، مجتهد وحكيم وعارف ورياضيّ من أواخر القرن الثاني عشر وأوّل القرن الثالث عشر الهجريّ.

والنراقيّ من خرّيجي حوزة أصفهان العلميّة كما تلقى العلم لفترة من أساتذة كربلاء والنجف وكبار علمائهما. تتلمذ النراقيّ في العلوم العقليّة والنقليّة على الفقيه والحكيم المحقّق الملا إسماعيل الخواجوئي والعالم البارع الشيخ محمّد الهرنديّ والعالم المحقّق الملا مهدي الهرنديّ والأستاذ المحقّق في علوم الرياضيّات الميرزا نصير الأصفهانيّ[1].

وما ظنّه البعض من أن الحاج الملا مهدي كان في الحكمة تلميذ الخواجوئيّ وأنّه تلقى العلوم النقليّة من أساتذة العصر الآخرين، هو خطأ محض، لأنّ الملا إسماعيل يعد من محقّقي عصره في العلوم النقليّة والعقليّة، وقد تلقى النراقيّ المعقول والمنقول من وحيد الزمان ذاك».

وينقل عن ابنه الحاج الملا أحمد أنه كتب بالعربيّة بعد أساتذة أبيه في أصفهان، قائلاً: «و تلقّى قسماً من الحديث عند الشيخ الفاضل

---

(١) ذكر في الهامش قائلاً:«كان الميرزا نصير هذا من أكابر الزمان في علوم الرياضيّات والفلكيات وعلم الطب وانتفع منه جمع كبير في علم الحساب والهندسة والفلك والهيئة والطب».

يوسف البحرانيّ صاحب الحدائق... وكذلك الآقا باقر البهبهانيّ»، ويبدو أنّه أدرك العالم الكبير الشيخ محمّد مهدي الفتونيّ أيضاً، ولكنّه كان ينظر نظرة خاصّة إلى سماحة الآقا البهبهانيّ ــ الآقا باقر ــ.

وصلتنا من النراقيّ آثار تحقيقية في العلوم العقليّة والنقليّة وهي تحظّى باهتمام المحقّقين:

١و٢ ـ لوامع الأحكام، ومعتمد الشيعة في الفقه الاستدلالي من الآثار النفيسة لوحيد دهره ذاك وهما موضع انتفاع الفقهاء العظام ومراجعتهم.

٣ ـ توضيح الأشكال من آثاره النفيسة في الهندسة، حيث ألّف أصول هذا العلم بالفارسيّة.

٤ ـ تحرير أُكرِثا وذوسيوس، في المثلثات.

٥ ـ جامع السعادات في علم الأخلاق هو من تأليف هذا الرجل الفاضل وقد طبع عدة مرات.

٦ ـ الحواشي على الشفاء للشيخ، قسم الإلهيّات، من الآثار النفيسة في الحكمة حيث قام بحل كلّ مشكلات الكتاب».

ويضيف قائلاً: «تبقى من النراقيّ ما يتجاوز من ثلاثين أثراً علميّاً في الفقه والأصول والفلسفة والأخلاق والحساب والهندسة وإلهيئة والنجوم حيث تدل كلّ هذه الآثار على تبحر المؤلّف وتخصّصه في العلوم العقليّة والنقليّة.

وسوف أقوم في القريب العاجل بطبع اللمعات الإلهيّة واللمعات

العرشية لهذا العالم الكبير. ومن آثار النراقيّ النفيسة الأخرى في الحكمة الإلهيّة كتابه المختصر قرّة العيون والذي اخترته لتدريسه في الكلّية...

ومن الآثار النفيسة لهذا المحقّق الكبير، جامع الأفكار. ويضم هذا الكتاب أفكار القدماء وعقائدهم والمتأخرين من الفلاسفة.

والمعاصر للنراقيّ الحكيم الفاضل والعارف البارع محمّد البيد آباديّ يتمسك بالعرفانيات أكثر من مباني الحكمة المتعالية رغم أنه كان يدرّس كتب الملا صدرا، في حين أنّ المحقّق النراقيّ يهتمّ بالمباحث النظرية أكثر.

والآخوند ــ الملا علي ــ النوريّ التلميذ العظيم الشأن للآقا محمّد البيد آباديّ، منغمر في طريقة الملا صدرا ويلتزم جانب البرهان في المباحث والمسائل رغم أنّه يتمتّع بقريحة وذوق عديم النظير، وهو من هذه الناحية أشبه بالنراقيّ من البيدآبادي.

كان العلّامة النراقيّ من كبار مجتهدي عصره ومن المراجع وزعماء الدين وكان يتمتّع بالقدرة على الترافع والقضاء. وقد اهتم مؤلّفو الكتب الفقهيّة بآثاره. ومع ذلك فإنّه يتمتّع بمقام شامخ في الحكمة والفلسفة الإلهيّتين، وله أيضاً آثار نفيسة في فنون الرياضيّات. وكان يدرّس أرقى كتب الرياضيّات. وقد عبّر البعض عنه بأنه أفضل المهندسين.

وكان متخصّصاً في علوم التفسير والحديث والرجال والأخلاق. وهذه الجامعيّة والتبحر هي التي كانت السبب في اهتمام كافة الأفاضل به حينما حضر في كربلاء حوزة الأستاذ الأكبر في عصره أستاذ الأساتذة

الآقا باقر البهبهانيّ ــ رضيّ الله عنه ــ، وكان يكرّمه أستاذه المقدّم، رغم أنّه كان في ذلك العصر العشرات من المحقّقين في الحوزات العلميّة وكانوا منشغلين بالتعليم والتعلم.

ولأن النراقيّ توطّن في مدينة كاشان وابتعد عن الحوزات الكبرى، فإنّ طلّاب العلم لم ينتفعوا منه كما ينبغي ويحتمل أنّه لم يكن في مأمن من تعرض الأناس الوضيعين الحاضرين في كلّ مكان كما حدث لكلّ الأعاظم الساكنين في الأماكن الصغيرة، وهو ما يعد من أعظم المصائب. وكان أحد أساتذتي أنا الحقير قد ابتلي بمثل هذه المصيبة[1].

كان النراقيّ يهتمّ اهتماماً كبيراً بالملا صدرا في الحكمة الإلهيّة، فقد تأثر بآثاره في كلّ المواضع، وانتفع من الآخوند في تحرير المشكلات والعويصات[2] وحينما يذكر الأستاذ الآشتيانيّ «أستاذ الأساتذة الآقا باقر البهبهانيّ»، فقد كتب في الهامش قائلاً: «يعتبر الآقا باقر من أكبر محقّقي علماء الشيعة حيث يتطلب الحديث عن مكانته العلميّة وجهاده في نشر الشريعة مجالاً واسعاً. ويجب التذكير بأنّ القلائل من المحقّقين في العصور الإسلاميّة كانوا مصدر البركات والخيرات كما كان الآقا باقر، فقد أدّى اهتمامه بتربية التلامذة المعروفين والمحقّقين وقد تربّى الكثير من الأكابر في حوزته.

---

(١) يبدو أنه يريد المرحوم الميرزا مهدي الآشتيانيّ.

(٢) منتخباتى أز آثار حكماي إلهي ايران ٤: ٤٢٢- ٤٢٦.

وكان يبادر إلى الصوم والصلاة نيابة عن الآخرين مقابل الأجر ويدفع مبالغها إلى التلامذة الموهوبين الذين كانوا يعانون الفقر وضيق العيش.»[1].

٨ ـ الميرزا مهدي الخراسانيّ (الشهيد)

من المعروف أن أربعة أشخاص باسم مهدي كانوا من تلامذة الآقا وهم «المهادي الأربعة» وكانوا كلّهم من مفاخر علماء الشيعة. الأوّل هو السيّد محمّد مهدي بحرالعلوم، والثاني الميرزا مهدي الشهرستانيّ، والثالث الحاج الملا مهدي النراقيّ، والرابع الميرزا مهدي الخراسانيّ. وهذا الرجل الجليل الروحانيّ هو أيضاً من الشخصيّات البارزة العلميّة والبالغة في الورع والتقوى مبلغاً عظيماً.

أخذ صيت فضله ينتشر كالغيث في أقطار العالم وسطعت أنوار فضله كأشعة الشمس في نصف النهار. كان أستاذاً في كلّ العلوم، خاصّة في العقليّات والرياضيّات، كما كان له خطّ في غاية الحسن. وقد درست لديه

---

(١) منتخباتى أز آثار حكماي إلهي ايران ٤: ٤٢٥.
جدير ذكره أنّ سماحة قائد الثورة الإسلامية آية الله الخامنئي قال ذات يوم: سيّد دوانيّ! كنت قد قرأت كتاب حياة السيّد البهبهانيّ قبل ثلاثين عاماً، وقرأته مرة أخرى مؤخراً. حقاً نحن لا نجد في العالم الإسلامي فقيهاً وعالماً كبيراً مثله إلا قليلاً ممن يكون له كل هؤلاء التلامذة الفقهاء والمجتهدين والمعروفين. حاولوا في الطبعة التالية من الكتاب التأكيد أكثر على تلامذته.

كثيراً في المشهد المقدّس وانتفعت من إفاضاته ما لا يمكنني وصفه.»

وقد جاء في نجوم السماء في الترجمة له: «الميرزا مهدي بن هدايت الله الموسويّ الأصفهانيّ المشهديّ الملقب بالشهيد الرابع، مولده في بلدة أصفهان ومنسوب إلى مشهد لمجاورته المشهد الرضويّ وقد استشهد في هذه المدينة. كان من أعاظم العلماء ومشايخ النبلاء والفضلاء ومراتب فضيلته كالشمس في وسط السماء واضحة وظاهرة، ودرس العلوم لدى عظماء المشايخ مثل الآقا باقر البهبهانيّ وزبدة المحدّثين الشيخ مهدي الفتونيّ (طاب ثراهما). ومن تصانيفه الشريفة شرح على كتاب دروس الشهيد الأوّل عليه الرحمة وهو مشهور بين العلماء ومتداول بين الجمهور.

كما يروي الميرزا السابق الذكر عن سماحة السيّد محمّد حسين بن مير محمّد صالح شيخ الإسلام في أصفهان وابن بنت مولانا الآخوند المجلسيّ عليه الرحمة.»[1][2].

كما كتب البسطاميّ في فردوس التواريخ قائلاً: «هو من مشاهير علماء خراسان بل من معاريف فضلاء إيران. كان يتمتّع بمهارة تامة في المعقول والمنقول والفقه والأصول واستحضار ما لا كلام فيه. بلغ أعلى درجات العلم والعمل في المأثرة والمكرمة، درس العلوم الشرعيّة عند

---

(١) السيّد محمّد حسين الخاتون الآباديّ.

(٢) نجوم السماء: ١١٣.

الآقا البهبهانيّ، حتّى كتب قائلاً: هو ماهر بالجملة في غالب الفنون وهو كالسحاب الماطر والبحر الزاخر منشغل دائماً بإفاضة العلوم والرسوم والآداب المختلفة وتربية الطلّاب والمحصّلين وتشجيعهم، وتنسب عدة كرامات لذلك السيّد ومنها قولهم إنّه حينما كان يتشرف في الليالي والأسحار بزيارة الروضة السماويّة الآثار (الإمام الرضا)، كان باب الروضة المطهّرة يفتح له. كما يقال إنه كان يحمل بنفسه في جوف الليل الطعام والنفقة والإنعام للأرامل والأيتام.»[1]

وينقل مؤلّف شهداء الفضيلة عن مطلع الشمس أنّ الميرزا مهدي تلقّى الفلسفة العالية من الآقا محمّد البيدآباديّ والرياضيّات من الشيخ حسن نجف. كما يقول كان أستاذ فلسفة العلّامة بحرالعلوم حينما جاء بحرالعلوم إلى مشهد المقدّسة وبقي لفترة هناك لتلقي علم الحكمة وهو الذي لقّبه ببحرالعلوم، لأنّه وجده بحراً من العلم وشاع لقبه هذا شيئاً فشيئاً. وقد استشهد الميرزا مهدي في عهد فتح عليشاه القاجاريّ على يد نادرميرزا بن شاهرخ ميرزا بن رضا قلي ميرزا بن نادر شاه أفشاري ولقّب بالشهيد الرابع.

وكانت قصته حسب ماذكره ناسخ التواريخ ضمن وقائع سنة ١٢١٠ حول قدوم الآقا محمّد خان القاجاريّ إلى مشهد حيث كتب قائلاً: «ثمّ إنه أمر صادق خان الشقاقيّ بالاستيلاء على الأرض المقدّسة لمدينة

---

(١) نجوم السماء: ١١٣.

مشهد مع خمسة آلاف جندي. وفي هذه الأثناء تم استقبال الشاه من قبل الميرزا مهدي الذي كان بين العلماء نحريراً شهيراً وفحلاً ذائع الصيت، مع شاهرخ ميرزا وقهار قلي ميرزا ابنه من مشهد المقدّسة، وتشرفوا بحضوره. فإذن الآقا محمّد شاه بالجلوس لشاهرخ ميرزا وأجلس الميرزا مهدي إلى جانبه.

وفي اليوم التالي أمر شاهرخ ميرزا ابنه بأن يلازم الركاب وأمر سليمان خان مع ثمانية آلاف من الفرسان الأبطال بأن ينطلق نحو مشهد مع الميرزا مهدي ويطمئن أهالي تلك البلدة ويؤمّلهم برأفة الملك وملاطفته.

وحينما علم نادر ميرزا ابن شاهرخ ميرزا بهذا الخبر بعث مكتوباً وعرض فيه أنه لو شملني العفو الملكي وأذن لي بالذهاب دون أن أحضر البلاط فسأذهب تلقاء جهة ما، فأذن الملك له بالذهاب، فأخذ زوجته وولده وسلك طريق هراة، ولكنّه عاد إلى مشهد بعد موت الآقا محمّد خان حتّى حاصر فتح عليشاه القاجاريّ في سنة ١٢١٧ مدينة مشهد بجيش كثيف من أجل التصدّيّ لممش خان الكردي زعفرانلو والاستيلاء على قلعة چغان».

«وعندما عمّ بلاء الغلاء مدينة مشهد بعد أن طالت فترة الحصار تشفّع الأهالي بالميرزا مهدي الذي كان فحلاً شهيراً بين علماء العصر وقالوا له: لا طاقة لنا بمعارضة نادر ميرزا، وسوف يهلك بسبب هذا

الحصار جمع من الأبرياء. فليصفح الملك بكرمه عن المسلمين ويوكل فتح هذا السور إلى وقت آخر. فاستجاب الملك لملتمسه وسلك طريق طهران من مشهد.

وفي السنة التالية ولّى فتح عليشاه ابنه محمّد ولي ميرزا على حكم خراسان. فسارع إلى تلك الأراضيّ مع الجيش الذي كان معه وحاصر مشهد المقدّسة وسدّ الطريق بوجه الناس من كلّ طرف. ثمّ خلّف حسن خان القاجاريّ فيها وتوجه هو إلى نيسابور. ثمّ ضيّق حسين خان القاجاريّ الخناق على الناس، حتّى ضاقت بهم السبل. ففزعوا لاجرم إلى الميرزا مهدي المجتهد الذي كان نحريراً أوحد وحبراً حكيماً في الحرم الطاهر للإمام، فرفعوا أصواتهم بالضجيج والعويل وشكوا نادر ميرزا ومشقة الحصار والقحط والغلاء.

وعندما رأى نادر ميرزا هذا الوضع علم أن الأوان قد فات وأن الأهالي سوف لايتعاونون معه للتصدّيّ للعدو، وخشي أن يقع أسيراً بيد العدو عاجلاً إن بقي أكثر. ففضل الهروب على البقاء. وكان قد ظنّ أنّ الميرزا هو سبب هذا التمرد ولذلك فقد امتطى صهوة جواده وجاء إلى مقربة من الصحن المقدّس وأبلغ الميرزا مهدي بأنّه يريد أن يوصيه لأنّه مضطر إلى الفرار. ورجاه بأن يتفضل بالقدوم للقائه للإصغاء لوصاياه.

فأمر السيّد السند بفتح الباب له بدافع حسن نيته وصدقه جاهلاً ما يضمره له ذلك الشقي. وما إن دخل نادر ميرزا حتّى شهر سيفه وقتل

رجل الدين العظيم ذاك، فلقّب بالشهيد الثالث. وهرب نادر ميرزا بعد قتله الميرزا مهدي. وكان يجري على صهوة جواده من بدء الليل وحتّى الفجر ظاناً أنّه قطع ثلاثين فرسخاً وأنّه ابتعد عن معسكره ولكن اتضح بعد طلوع الشمس أنّه لم يسر أكثر من فرسخ واحد ولذلك فقد سارع الجيش وراءه وأعتقلوه بكلّ سهولة ورحّلوه إلى طهران موثقاً بالأغلال. وأمر فتح عليشاه بشدّ عنقه بالحبل وسحله حتّى الموت عقاباً له على فعلته.»[1]

جاء في فردوس التواريخ حول كيفية شهادة الميرزا مهدي: «وجّه الكثير من السباب والشتائم البذيئة لذلك السيّد العظيم الشأن، بحيث لم يقو على تحمّلها وأجاب على تلك الكلمات بما تستحقها. فأشار ذلك المردود بضرب ذلك السيّد المظلوم وشد الوثاق عليه. ثمّ إن رجلاً يدعى تيمور نسقجي هوى بفأس على رأس السيّد بأمر ذلك الشقي ورفس ذلك الوضيع نفسه صدر السيّد وجنبه بجزمته.»[2].

وعلى أيّ حال فقد نال ذلك العلّامة الشهير الذي كان قرّة عين أهل خراسان وأشرقت بهمته بعد فترة طويلة شمس العلم والفقه والرئاسة الدينيّة من أفق سماء تلك المنطقة، نال درجة الشهادة الرفيعة في ١٣ من شهر رمضان المبارك سنة ١٢١٨.

---

(١) ناسخ التواريخ، السلاطين القاجاريّين ١: ١٢٢.

(٢) فردوس التواريخ: ١١٦.

وحسب ماذكر الزنوزيّ في رياض الجنّة فقد تبقى من الميرزا مهدي ثلاثة أبناء معروفين: «الأوّل العالم الفاضل المحقّق المدقّق، الحكيم المتكلّم المهندس، الماهر في أكثر الفنون، الدقيق الذهن الجيد الدرك: الميرزا هداية الله وهو أكبر أولاده. ويقول: قرأت عنده كتاب تحرير إقليدس.

الثاني الميرزا عبد الجواد العالم الفاضل الجليل القدر الدقيق الذهن وكنت في نفس دورته في درس أبيه، وقرأنا معاً الإشارات وعيون الحساب.

الثالث الميرزا داود الابن الأصغر للمرحوم الميرزا مهدي العالم الفاضل الدقيق الذهن حسن الدرك الماهر في الرياضيّات أطال الله بقاءه (كان صهر العالم الفقيه المدقّق الشيخ حسين العالميّ الذي كان من تلامذة الميرزا وقد زوّج ابنته من ابن أستاذه)».

وقد تحدث الآقا أحمد الذي مرّ بمشهد المقدّسة أيضاً خلال سفره إلى الهند سنة ١٢١٩ حول فترة توقّفه في مشهد والتقائه علماءها، والتقى أولاد الميرزا مهدي أيضاً وعزّاهم في شهادة أبيهم الفاضل، حيث ذكر قائلاً: «ذهبت في اليوم الثاني من وصولي إلى بيت سماحة السابق الذكر (الميرزا مهدي الشهيد) والتقيت السماحات سلالة الأطياب، الأعلام الميرزا هدايت الله والميرزا عبد الجواد والميرزا داود الأولاد الأمجاد لسماحته وأدينا رسم التعزية وقراءة الفاتحة، وألفيتهم كلّهم

أصحاب فضل وكمال وتقدّس وحال»[١]

وكتب البسطاميّ في فردوس التواريخ قائلاً: «والآن فإن معظم آقوات مشهد هم من أولاد وأحفاد ذلك السيّد الأمجد الأوحد، رحمه الله»، ويضيف قائلاً: «وكانت الرئاسة الشرعيّة لخراسان منحصرة بعد الميرزا مهدي بابنه الميرزا هداية الله المولود ١١٧٨ والمتوفى ١٢٤٨، ومن تأليفاته هداية العلوم في الفقه وتفسير القرآن الكريم».

ويقول: «كان الميرزا داود عالماً فاضلاً متبحراً وفي غاية سخاوة الطبع، وقيل إن الآقا الشيخ محمّد تقي الأصفهانيّ لمّا تشرّف بالزيارة فقد استضاف السيّد المذكور (الميرزا داود) سماحته أربعة عشر شهراً وأدى قروضه التي كانت تتجاوز ألف تومان من ماله الخالص وتوفي في تلك الأيّام (١٢٤٠)». كما ضبط وفاة الحاج الميرزا عبد الجواد في ١٢٤٨[٢].

كان أولاد الميرزا كلّهم كبار العلماء والمجتهدين المعروفين، كما اعتبر أحفاده في الغالب من فحول العلماء. ومن مفاخر أحفاده الحاج الميرزا حبيب الله الخراسانيّ المتوفى سنة ١٣٢٥، ومن المعروف أنّه

---

(١) مرآة الأحوال: ١٧٣.

(٢) فردوس التواريخ: ١٢١، ١٢٢. ماذكره البسطاميّ هنا هو عين عبارة المرحوم المدرس الرضويّ في كتاب تاريخ علماء خراسان: ٥٥، ٥٧، و٨١، ٨٣ ومن دون ذكر المصدر، كما نقله حول السيّد محمّد القصير الخراسانيّ والذي سنذكره.

كان من تلامذة الميرزا محمّد حسن الشيرازيّ حيث كتب تقريراته. وله رسالة في التعادل والتراجيح ورسالة في اللباس المشكوك. وقد مدحه الميرزا في المنبر وفضّله على سائر تقريرات درسه.

كان الحاج ميرزا حبيب، مجتهداً خبيراً وفقيهاً بصيراً وفيلسوفاً متبحراً وشاعراً قديراً. وقد أعيد طبع ديوانه عدة مرات وأشعاره الرائعة وقصائده المطبوعة تتداولها أوساط أهل القلوب ويزيّن الخطباء الدينيّون كلامهم بها. ورغم أنّ أشعار الحاج الميرزا حبيب نظمت في غاية النضج من حيث اللفظ والمعنى وخاصّة المعاني الدينيّة والفلسفية الدقيقة حيث تمّ التعبير عنها في قوالب الألفاظ العذبة والبليغة والخالية من أي نوع من التعقيد والغموض، إلّا أنّ معاني البعض منها هي كما يرى الكاتب دون شأن الفقيه العارف بالأحكام الإسلاميّة.

فكلّ هذا التأكيد على الشاهد والخمرة والخرقة والخانقاه وشعائر الصوفيّة، لا جدوى من ورائها سوى أنها تجعل معظم القرّاء يميلون إلى الأقسام الأولى وتنفّرهم من الأنواع الثانية وبالتالي فإنّها تشجّع الناس على الانفلات وهتك حرمة العلماء والدين والمذهب، وتخرّج صوفيّين بمعنى الكلمة. وهكذا الحال بالنسبة إلى معظم أشعار الصوفيّة فإنّها لم تتمخض عن نتائج أخرى سوى هذا المعنى.

وكما يقال فإنّ أحد الأحفاد الأعيان للميرزا مهدي نسبه الصوفيّة إليهم واعتبروه قطباً كما أنّهم كانوا يعتبرون الحاج الميرزا حبيب من كبار

الصوفيّة مستندين في ذلك إلى أشعاره، في حين أنّ جدهم الميرزا مهدي هو من أمر بقصّ ظفائر عليشاه وأخرجه هو وكلّ الدراويش والصوفيّين المرتدين للملابس الصوفيّة من مشهد أذلّاء مذمومين. راجعوا في هذا المجال بحثنا حول الصوفيّة في الترجمة للآقا محمّد علي الابن الأكبر للآقا).

وأنا لا أقصد هنا ذم العلّامة الفاضل الحاج الميرزا حبيب ولاأريد أن أنتقد الشخصيّة العلميّة لذلك الفقيه الجليل، ولكنّ أسلوبه ذلك وبعض الأشخاص من العلماء من أمثاله فسح المجال للمغرضين والضالّين لأن يعتبروه هو وبعض أفراد أسرته وأقاربه ضالّين، في حين أنّ الحديت عالم الدين الكبير هذا أطهر من أن يتلوث برجس التصوّف. وعلى أيّ حال فلأنّ الحديت دار عن الأشعار البليغة للحاج الميرزا حبيب، فإنّنا نذكر هنا البندين التاليين من قصيدته البالغة ١٢ بنداً في مدح مولى المتّقين أمير المؤمنين عليه السلام على سبيل المثال:

اى صاحب تخت و بخت و ديهيم	سلطان سرير هفت اقليم
اى آن كه كنى به يك اشاره	در حشر بهشت ونار و تقسيم
اي جلوه‌ا از رخ تو جنت	وى رشحه‌اى از لب تو تسنيم
آداب حقوق بندگى را	كردى تو به جبرئيل تعليم
وصفي ز رخ تو بود ياسين	نعتي ز لب تو بود حاميم
مقصود تو بودى از فواتح	مطلوب تو بودى از خواتيم

هر شام و سحر که خم کند پشت — چرخت چو گدا برای تعظیم
بخشش ز مهر دامنی نور — ریزیش ز ماه خرمنی سیم
در روز اول قلم چه بنمود — بر ولح نقوش حسن ترقیم
از دور خط تو داشت سرمشق — واز لعل لب توداشت ترسیم
از خط تو گرد دوره‌ی نون — واز لعل تو بود حلقه‌ی میم
از چشم تو بود چشمه‌ی صاد — واز لزلف تو بود دامن جیم
با حب و عداوت تو ز آغاز — چون گشت بهشت و نار تقسیم
از خلد عدو چه دارد امید — از نار «حبیب» کر کند بیم

***

بودند علی وذات احمد — یک نور به بارگاه سرمد
چون عد وجود گشت معهود — چون مهد شهود شد ممهد
يك شمع فروخت در دو روزن — یک روح شد از دو تن مجسد
عين هم و غير هم چو حرفی — کش خواني مدغم و مشدد
این نکته نه من ز خود سرایم — کش خوانده خدای نفس احمد
این کائنه تحیر افزا — وی آینه‌ی جمال سرمد
اسلام به نام توست برپا — ایمان به حسام تو مشيّد
اي وصف رخ تو بي تناهی — وي مدح لبت فزونتر از حد
تا روز ازل اگر به تکرار — تضعیف کنم حروف ابجد

از مـدح تـو يـك ز صـد نگـويم كاوصـاف تـو را نمـى‌تـوان عـد
هرگـز نكنـد خـدا قبـولش آن را كـه تـو از نظـر كنـى رد
مهـر تـو اگـر نبـود در خلـد هرگـز نشـدى كسـى مخلـد
مهـر تـو اگـر نبـود در نـار هرگـز نشـدى كسـى مؤيـد

٩ ـ الشيخ أسدالله الكاظميّ صاحب مقابس الأنوار

الشيخ أسدالله بن إسماعيل الدزفوليّ الكاظميّ من محقّقي الطراز الأوّل وكبار المجتهدين. [يقول صاحب الروضات: «كان عالماً فاضلاً متتبّعاً، من أهل التحقيق والفهم والمهارة في الفقه والأصول، وكان غالب تتلمذه على شيخ مشايخنا الآقا محمّد باقر البهبهانيّ، والسيّد محمّد مهدي الطباطبائيّ النجفيّ، والشيخ جعفر النجفيّ؛ ويعبّر عنه في كلماته بشيخي وأستاذي وجدّ أولادي. وذلك لكونه صهرا للشيخ المذكور على ابنته.

و له من الكتب المفصّلة: كتابه المسمّى بمقابس الأنوار ونفايس الأبرار في أحكام النبيّ المختار وعترته الأطهار، رأيت منه شطراً وافياً فيه عمدة من مسائل الفقه ـ ولا سيّما المعاملات ـ على أجود تفصيل يكون. ويظهر منه غاية فضله، وتمام مهارته في الفقهيّات، وإحاطته بالأدلّة والأقوال، ووفور أسبابه وكتبه؛ حتّى إنّه يذكر في مقام منه بتقريب: أنّ عندنا قطعة من رسالة عليّ بن بابويه.

وقد تعرّض في مفتتح كتابه هذا للإشارة إلى شرذمة من أحوال جملة

من أجلاّء فقهاء الأصحاب من لدن زمن الكلينيّ إلى زمانه.][1].

وينقل مؤلّف أعلام الشيعة عن إجازة الشيخ جعفر كاشف الغطاء أنّ الشيخ أسدالله ولد في حدود سنة ١١٨٦. وتلقى في طفولته مقدمات العلوم من أبيه، ثمّ انضم إلى الحلقة التدريسية للآقا ونال حظّاً وافراً من محضره الغزير الفيض وأنفاسه القدسية ودخل بعد الآقا في خدمة العلّامة بحرالعلوم وصاحب الرياض والميرزا محمّد مهدي الشهرستانيّ والشيخ جعفر الكبير حيث أكمل معلوماته، وقد ذكر في مقدمة كتاب المقابس في معرض ذكر أساتذة إجازته، هؤلاء العلماء الأجلاء الواحد تلو الآخر وتتلمذه لديهم.

ولا شك في أنّه من كبار نوّابغ الإسلام حيث اجتاز مراحل العلوم والفنون خلال مدة قصيرة بفضل فكره البكر وذهنه الوقّاد وفهمه الغزير وبلغ الدرجة العليا من العلم والفضل والتفقه بحيث اعتبر من حيث نبوغه واجتيازه لمراحل العلم رغم حداثة سنّه، في عداد العلّامة الحلّيّ وابنه فخر المحقّقين والفاضل الهنديّ، كما صرّح بهذا المعنى في مقدّمة المقابس في ذيل الترجمة للشخص الأخير الذكر. ودقة نظره وتحقيقاته على ألسنة الفقهاء وتقدمه في تأسيس القواعد الفقهيّة والأصوليّة متفق عليه من قبل كلّ العلماء والمجتهدين.

كان الشيخ أسدالله صهر الشيخ جعفر الكبير (كاشف الغطاء) وقد

---

(١) روضات الجنّات ١: ٩٩.

رجع الناس إليه بعد وفاته في أمورهم الدينيّة والمرجعيّة والزعامة الروحية. ومن كبار تلامذة الشيخ أسدالله العالمان الجليلان الشيخ موسى والشيخ علي كاشف الغطاء ابنا الشيخ جعفر الكبير والفقيه الكبير السيّد عبدالله شبّر.

وللشيخ أسدالله تأليفات نفيسة كلّ منها يعدّ برهاناً قاطعاً على التعريف بشخصيّته العلميّة الكبيرة. وأشهر مؤلّفاته كتابه المهمّ مقابس الأنوار الذي هو من الكتب الفقهيّة المعتبرة ومرجع الفقهاء والمجتهدين، والآخر هو منهج التحقيق في التوسعة والتضييق، مناهج الأعمال في الأصول، كشف القناع في وجوه حجّيّة الإجماع، البحر المبحور في معنى لفظ الظهور، رسالتان حول تكليف الكفّار بالفروع، الأحراز والأدعية، نظم زبدة الأصول للشيخ البهائيّ، التعليقة على شرح اللمعة، حاشية على بغية الطالب لكاشف الغطاء، تحفة الطالب الترجمة الفارسيّة لبغية الطالب، رسالة في دفع الاعتراض عن العمل بالأخبار المأثورة المخالفة لعموم الكتاب والسنة.

للشيخ أسدالله من ابنة الشيخ جعفر الكبير ستة أبناء هم الشيخ مهدي والشيخ إسماعيل والشيخ باقر والشيخ تقي والشيخ حسن والشيخ كاظم، وكانوا كلّهم من الأفاضل، كما أنّ الشيخ أسدالله هو جد أسرة (آل أسدالله) في الكاظميّة وهي اليوم أسرة معروفة. توفي هذا العلّامة الشهير

سنة ١٢٣٤ ودفن في النجف الأشرف في مقبرة والد زوجته وأستاذه كاشف الغطاء»[١]

[ذكر صاحب الروضات أنّ وفاته كانت في سنة ١٢٢٠. ويقول: «و كان له ــ رحمة الله عليه ــ أيضاً من ابنة الشيخ جعفر ولد صالح تقيّ فقيه زكيّ حبر ألمعيّ، فاضل كلّ الفضل، جليل نبيّل، يسمّى بالشيخ إسماعيل.

وهو ــ كما ذكره بعض الثقاة الأجلّة من أهل الكاظمين ــ كان أعجوبة دهره، وفائقاً على قاطبة فضلاء عصره، متّصفاً بكلّ جميل من الفضائل والفواضل، مجازاً من أغلب أساتيد الزمان في الفقاهة والاستنباط، بل ممتازاً من سائر المشايخ والأعيان في الزهد والعبادة، وتعاهد أحوال العجزة والمساكين، والقيام بحقوق إخوانه المؤمنين؛ فضلاً عن المبتدئين والأوساط.

إلاّ أنّ تصاريف الدهر الفتون، وتدافيف الخلق الخؤون؛ لم تمهلاه لبلوغ الأمل من عمره السعيد، ولم تؤجّلاه للقيام بحقّ العلم والعمل كما يريد، بل سلّمتاه إلى مخاليب الأجل في عين الشباب، وكلّمتاه على نهاية العجل في أمر التجرّد من الجلباب.

وكانت رحلته من هذه الدنيا الفانية إلى نعيم الجنّة الباقيّة في حدود بضع وأربعين ومائتين، بطاعون العراق؛ وهو لم يتمّ الثلاثين، لأنّه كان

---

(١) الكرام البررة ١: ١٢٢.

في سنة وفاة أبيه لم يبلغ الحلم. كما أفيد. والله العالم.][1] تغمّده الله بغفرانه.

وجاء في إجازة آية الله الفقيد السيّد حسن الصدر مؤلّف تأسيس الشيعة للعلّامة المتتبّع الشيخ آغا بزرگ الطهرانيّ أنّ وفاته كانت في سنة ١٢٣٧هـ حسب نقل بعض أحفاد الشيخ أسدالله.

١٠ ـ السيّد جواد العامليّ صاحب مفتّاح الكرامة

من أفاضل تلامذة الآقا ومحقّقيهم السيّد محمّد جواد بن السيّد محمّد بن محمّد العامليّ الشقرائيّ النجفيّ. ولد هذا العالم الكبير سنة ١١٦٠ في قرية شقراء بجبل عامل ونشأ فيها، ثمّ قدم إلى كربلاء في زمان مرجعيّة الآقا حيث كانت شهرة الآقا قد بلغت كلّ مكان وانشغل بتلقي العلوم لدى الآقا السيّد علي صاحب الرياض. ثمّ حضر الحلقة التدريسية للآقا واستضاء لفترة طويلة من مشكاة علوم ذلك العالم الربّانيّ ونال نصيباً كافياً حتّى أصبح عالماً كاملاً وفقيهاً كبيراً وتشرّف أيضاً بنيل الإجازة من الآقا. وشدّ الرحال بعد ذلك إلى النجف الأشرف وتلقى العلم من الحلقة التدريسية للعلّامة بحرالعلوم والشيخ جعفر الكبير والشيخ حسين نجف كما نال الإجازة من الميرزا القمّيّ.

جاء في أعلام الشيعة أنّ من المعروف أنّ ذلك الرجل الفاضل كان يولي أهمّيّة كبيرة للانشغال بتلقي العلوم ولم يقدّم عليه أيّ عمل

---

(١) روضات الجنّات ١: ١٠٠.

مستحبّ، بل إنّه كان منشغلاً بتلقي العلم حتّى خلال الأحداث التاريخيّة المهمّة. وقد صرّح هو نفسه في أحد مؤلّفاته أنّه فرغ من تأليفه حينما حاصرت الفرقة الوهّابيّة مدينة النجف الأشرف وكان أهاليها منشغلين بالدفاع عنها مع العلماء، وكان هو أيضاً يتعاون معهم في إعداد مستلزمات الدفاع حيث كتب رسالة في هذا المجال.

وقد ارتقى أخيراً إلى أعلى الدرجات العلميّة والروحانيّة بفضل الجهد البليغ الذي كان يبذله في طريق تلقي العلوم وتخرّج من مدرسته الكثير من الفقهاء المعروفين، مثل: الشيخ محمّد حسن صاحب الجواهر، السيّد صدر الدين العامليّ، الشيخ جواد ملا كتاب، الآقا محمّد علي الهزارجريبيّ، الشيخ محسن الأعسم، الشيخ مهدي ملاكتاب، ابن عمه السيّد علي الأمين، ابنه السيّد محمّد، وابن أخته الشيخ رضا الحلّيّ والميرزا عبد الوهّاب و غيرهم.

ومن التأليفات البالغة الأهمّيّة والشهيرة للسيد محمّد جواد العامليّ كتاب مفتّاح الكرامة وهو شرح قواعد العلّامة الحلّيّ. وتبحره في الفقه واطّلاعه على آراء وأقوال فقهاء الشيعة بالغا الظهور من مفتّاح الكرامة. وقد أبدى الغاية في الذوق في ضبطه وترتيبه واضطلع بهذه المهمّة على أفضل وجه بحيث ذكر هو نفسه في أوّل الكتاب المذكور أنّه ألّفه بأمر أستاذه الشيخ جعفر الكبير خلال فترة تلقيه العلم منه، لأنه يقول: «خلال الفترة التي كان فيها السيّد جواد في قم كان الميرزا القمّيّ يرجع إليه

للاطّلاع على أقوال الفقهاء، لأنّ الميرزا كان ضعيف الذاكرة إلى حد كبير فيما كان صاحب مفتّاح الكرامة على العكس منه تماماً.

يبلغ كتاب مفتّاح الكرامة ٣٣ مجلّداً وقد طبع معظمه في مصر في ٨ مجلّدات ضخمة من القطع الرحلي وطبع مجلّده الثامن في الشام من قبل آية الله الفقيد السيّد محسن العامليّ الذي كان من أقارب مؤلّف مفتاح الكرامة.

ومؤلّفاته الأخرى هي: شرح كتاب الطهارة الوافية وحاشية على كتاب تجارة القواعد وكلاهما عبارة عن تقريرات درس الشيخ حسين نجف وحاشية على كتاب الدين والرهن والقواعد تقريرات درس الشيخ جعفر الكبير، والآخر الحاشية الأولى على تهذيب الأصول. والآخر القصيرة في حكم العصير العنبيّ والتمريّ والذي ألفه بأمر كاشف الغطاء وقرّظه الشيخ حسين نجف، وكتاب الرحمة الواسعة في المضايقة والمواسعة والذي ألفه بأمر صاحب الرياض وحاشية على كتاب المضاربة، الوديعة، العارية، المزارعة، المساقاة، الوصايا، النكاح والطلاق، ورسالة في جواز العدول عن العمرة للأفراد في ضيق الوقت، وشرح وافية الأصول في مجلّدين، رسالة في الشك في الشرطية والجزئية، رسالة في مناظرة أستاذه كاشف الغطاء مع السيّد محسن الأعرجيّ والرسائل التي تبودلت بينهما في المسائل العلميّة، تعليقة على المقدّمة الواجبة لكتاب المعالم، رسالة في التجويد، رسالة في الرد على

الأخباريّين، رسالة في وجوب الدفاع عن النجف الأشرف التي كانت بيضة الإسلام، رسالة في حكم الشخص الذي يقيم خارج حد الترخص.

وكان السيّد جواد العامليّ شاعراً قديراً فضلاً عن مقامه الفقهيّ المنيع وله قصائد في مدح أساتذته وقد نقلنا قسماً من قصيدة له في مدح العلّامة بحرالعلوم عند الترجمة له. وله أيضاً أرجوزة في الخمس والزكاة والرضاع، وينقل «أعلام الشيعة عن حفيده السيّد جواد العامليّ المعاصر أنّ صاحب مفتّاح الكرامة كان له ثلاثة أبناء من ابنه الوحيد العلّامة السيّد محمّد وهم السيّد عبّاس الذي فارق الحياة بلا عقب والسيّد حسين والسيّد حسن الذي كان والد السيّد جواد المذكور.»[1]

[يقول صاحب الروضات: وله أيضاً من المصنّفات المشهورة شرحه الضخم المبسوط على قواعد العلّامة وهو المسمّى بمفتاح الكرامة في نحو من ثمانية وعشرين مجلّدا، وقيل: غالب تفصيلات شرح تلميذه الأخير على الشرائع منه، ولم ترعين الزمان أبداً بمثله كتاباً مستوفيّاً لأقوال الفقهاء، ومواقع الإجماعات، وموارد الاشتهارات، وأمثال ذلك من غير خيانة في شيء منها ولا اجتهاد له في فهم ذلك كما هو عادة تلميذه ــ شكر الله سعيه الجميل ــ في تسهيل الأمر بما لا مزيد عليه لكلّ من يريد اجتهاداً في مسئلة، هذا وتوفّى حوالي سنة ستّ وعشرين

---

(١) الكرام البررة ١: ٢٨٦.

ومأتين بعد الألف.»[1].

لم تكن الطبعة الأولى من كتاب مفتّاح الكرامة تحظّى بالأهمّيّة لسنين طويلة، ولكنّها أعيد طبعها في السنوات الأخيرة في ١٠ مجلّدات ضخمة من القطع الرحلي من قبل مؤسّسة آل البيت في قم، ولكنّها مع ذلك لم تحظَ بالأهمّيّة كما ينبغي![1]

توفي هذا العالم المحقّق والفقيه أخيراً بعد عمر من المعاناة والجهود في طريق الدين واكتساب العلم والمعرفة والتقوى والفضيلة سنة ١٢٢٦ في النجف الأشرف ودفن فيها في صحن مولى المتّقين.

وقد نقل الحاجي النوريّ في كتبه عن صاحب الترجمة قصة طريفة ومفيدة سنذكرها في خاتمة ترجمته لأنّها بالغة التأثير في ترويض النفس البشريّة المتمردة والطبيعة الحيوانية لدى الإنسان وكذلك في التعرف على عظمة نفس كبار علماء الدين والدالين على التوحيد والمحافظين على المذهب الشيعيّ.

وقد جاء في الكلمة الطيبة: «نقل عن الملا زين العابدين السلماسيّ باني قلعة سامراء أنّه قال: كان الفقيه الأجل والسيّد الأكمل السيّد جواد العامليّ (رض) صاحب مفتّاح الكرامة منشغلاً بتناول العشاء ذات ليلة وإذا بالباب تطرق وعلم أنّ الطارق هو خادم بحرالعلوم فقام بنفسه مسرعاً وقال له الخادم: لقد وضع السيّد العشاء أمامه وهو ينتظرك، ثمّ

---

(١) روضات الجنّات ٢: ٢١٦.

انطلق مسرعاً، وعندما وقع نظر السيّد عليه، قال: ألا تخشى الله؟ ألا تراقب الله؟ ألا تستحي من الله؟

فقال: ماذا حدث؟ قال: كان رجل من إخوانك يقترض في كلّ ليلة ونهارها تمرّ الزهدي لعياله ولم يكن قادراً على شراء غيره، وقد مرّ عليهم سبعة أيّام، ولم يذوقوا الرز والقمح ولم يأكلوا سوى تمرّ الزهدي، وقد ذهب اليوم ليأتي بذلك التمرّ، فقال له البقال: لقد بلغ دينك المبلغ الفلاني، فاستحى من البقال ولم يأخذ منه شيئاً. وكان هو وعياله يقضون الليل دون عشاء وأنت تتمتّع وتأكل. وداره متصلة بدارك وأنت تعرفه فهو فلان! فقال السيّد جواد: أقسم بالله إنّني لم أكن أعلم أحواله.

إن كنت تعلم بحاله وتتعشى فأنت يهودي و إنّ سبب غضبي هذا عليك لأنّك لا تتحقّق عن حال إخوتك ولا تطّلع على أمورهم. فخذ هذه الأشياء التي يحملها معك الخادم ويسلّمها لك عند باب بيته، وقل له: من دواعي سروري أن أتناول العشاء معك الليلة وضع هذا الكيس الذي يحوي شيئاً من النقود تحت سجادته أو بوريّته أو حصيرته ودع الأشياء له ولا تقلبها إن ردّها فهي أشياء كثيرة. وقال السيّد: أنا لا أتناول العشاء حتّى تعود ولا تخبر أحداً بأنه تناول العشاء وشبع.

ثمّ مضى سماحة السيّد جواد والخادم حتّى وصلا إلى دار ذلك الشخص، فقال له: من دواعي سروري أن أتناول العشاء معك الليلة.

وحينما همّا بتناول العشاء قال ذلك الشخص: هذا ليس طعامك، فهو طبخ نفيس لا تحسنه العرب وأنا لا آكل منه حتّى تخبرني بأمره، فأصرّ السيّد على يتناولوه وأصرّ هو على عدم تناوله، فاضطر إلى إخباره بالقضية. فقال ذلك الشخص: أقسم بالله أن أحداً من جيراني لم يعلم بالقضية، فمابالك بمن هم بعيدون عني. وهو أمر عجيب أراه من السيّد (بحرالعلوم) وكان ذلك الشخص يدعى الشيخ محمّد نجم العامليّ وكان مبلغ نقود الكيس عبارة عن ستين شوشاً وهي من فئات العملة آنذاك، وكلّ شوش يعادل أكثر من قرانين بقليل.»[1]

١١ ـ الشيخ محمّد تقي الأصفهانيّ (صاحب الحاشية على المعالم)

هو العلّامة النقّاد والنابغة الفاضل، فقيه العصر والمحقّق الشهير، الشيخ محمّد تقي بن الحاج محمّد رحيم بك من محقّقي علماء الإمامية والمؤسّسين في الفقه والأصول وصاحب الآراء المبتكرة والأقوال الشهيرة حيث يدور الحديث عنه دوماً في الحوزات العلميّة.

كانت أخته زوجة الآقا أحمد صاحب مرآة الأحوال ابن الآقا محمّد علي الابن الأكبر للآقا الوحيد. كان والده الحاج محمّد رحيم بك من كبار قبيلة استجلو وكان في الأصل من أهالي أيوانكي التابعة لمدينة ورامين في طهران كما كان حاكمها، ثمّ جاء إلى عراق العرب وسكن

---

(١) فوائد الرضوية ١: ٨٦.

فيه. والحاج محمّد رحيم بك المذكور من أولاد الميرزا مهدي الذي أرسله نادر شاه لترميم صحن الإمام علي عليه السلام في النجف الأشرف وقد نقش اسمه على قاشاني الصحن الشريف.

كتب الآقا أحمد قائلاً: «خلف ابنين وبنتين. والابنان هما سماحة مآب الفضائل، العالم المحقّق والفاضل المدقّق الجامع للفضائل الصوريّة والمعنويّة الآقا محمّد تقي، والآخر هو سماحة مآب الفضيلة العلّامة الآقا محمّد حسين (صاحب الفصول) والصبية الكبرى في حبالتي. [والصغرى بحبالة سماحة مقدّس الألقاب العلّامة الآخوند الملا محمّد علي الخراسانيّ خلف سماحة الملا محمّد شفيع الطهرانيّ الأصل، المشهديّ المسكن. والخالة الماجدة ماتزال على قيد الحياة وهي مجاورة في النجف الأشرف»[1].]

وقد ذكر صاحب الروضات والمحدّث القمّيّ ومؤلّف شهداء الفضيلة عبد الرحيم بدلاً من الحاج محمّد رحيم بك وهو خطأ والصحيح ما ذكره الآقا أحمد صاحب مرآة الأحوال، لأنّه كان صهره. وفضلاً عن ذلك، فقد كتب ابنه الشيخ محمّد تقي اسم والده محمّد رحيم في المجلّد الأوّل من حاشية المعالم.

قدم الشيخ محمّد تقي في عنفوان شبابه إلى العتبات المقدّسة مع والده وتلمّذ في كربلاء المقدّسة لدى الآقا وانشغل بتلقي العلم الغزير

---

(١) مرآة الأحوال: ١١٥.

ونال نصيباً وافراً من العلم من سماحته. كما انتفع من الحلقة التدريسية للسيد علي صاحب الرياض كما أدى فروض التلمذة في الكاظميّة عند السيّد محسن الأعرجيّ، ثمّ توجه إلى النجف الأشرف وانتفع من محضر العلّامة بحرالعلوم، والتحق بعد وفاته بالحلقة التدريسية للشيخ جعفر الكبير.

ومنذ ذلك الحين اقتصر تلقيه للعلم على مشكاة علوم فقيه العصر ذاك وأنس إليه كلّ الأنس. وزوّجه الشيخ الفاضل من ابنته العالمة الفاضلة نظراً إلى تعلّقه الخاصّ به وبذلك فقد نال مفخرة مناسبته لكاشف الغطاء.

هاجر إلى إيران خلال حادثة الفرقة الوهّابيّة (١٢١٦) وأقام في أصفهان وارتحل فيها في يوم الجمعة النصف من شوال سنة ١٢٤٨. وصلّى عليه السيّد محد باقر حجّة الإسلام الشفتيّ ودفن في «تخت فولاد» ورثاه صاحب الروضات، أعلى الله مقامه. وانشغل الشيخ محمّد تقي في أصفهان بالدرس والبحث والتأليف والتصنيف وكان مجلس درسه حافلاً بالعلماء ومجمع الفقهاء والفضلاء.

[يقول صاحب الروضات الذي كان من تلامذته: فأصبح أفضل أهل عصره في الفقه والأصول بل أبصر أهل وقته بالمعقول والمنقول، وصار كأنّه المجسّم من الأفكار الدقيقة والمنظّم من الأنظار العميقة أستاذاً للكلّ في الكلّ، وفي أصول الفقه على الخصوص وجنّات الفضل

الدأئمّة الأكل في مراتب المعقول والمنصوص فجعل أفئدة طلّابه تهوى إليه بحيث لم ير في الدنيا مدرّس أغصّ بأهله من مدرسه الشريف، ولا مجلس أفيد لنهله من مجلسه المنيف.][1]

وجاء في فوائد الرضويّة: «ينقل عن حجّة الإسلام الحاج الميرزا محمّد حسن الشيرازيّ نوّر الله مرقده أنّه قال: لم أكن أستطع بسبب كثرة الطلّاب أن أتكلّم مع الشيخ في المواضيع المشكلة فقرّرنا مع بعض الفضلاء بأن نزور الشيخ كي يعيّن لنا وقتاً ليستنيّ التكلّم معه في الموضوعات المشكلة. فدخلنا عليه وذكرنا سؤالنا، فاستجاب، إلّا أنه التحق بالرحمة الإلهيّة بعد فترة قصيرة، رحمه الله تعالى.»

كما جاء العلّامة العظيم الشأن الشيخ محمّد حسين الأصفهانيّ صاحب الفصول والذي هو الأخ الأصغر للشيخ محد تقي، إلى أصفهان في خدمة الأخ وعرف كلا الأخوين بالأصفهانيّ على إثر توقّفهما في تلك المدينة وإلّا فإنّهما في الأصل من أهالي مدينة أيوانكي في طهران. [عاد البْثيخ محمّد حسين بعد ذلك إلى النجف وكان من علمائها الأعلام، وتوفي حوالي سنة ١٢٦١.]

نُقل في أعلام الشيعة (الكرام البررة): «رحل إلى أصفهان فأقام بها ناشراً لأعلام العلم مربياً للعلماء يحضر بحثه ما يقرب من أربعمائة عالم منهم: أخوه المذكور، والسيّد حسن المدرّس بأصفهان، والشيخ مهدي

---

(١) روضات الجنّات ٢: ١٢٣.

الكجوريّ الشيرازيّ، وحضر بحثه المجدّد الشيرازيّ برهة، ورأيت حاشية الوحيد البهبهانيّ على المعالم بخطّ محمّد تقي كتبها في «١١٩٦» وقال في آخرها: اللهم وفقني لأفهامه وتفهيمه كما وفقتني لكتابته وتنميقه»[1] ويستفاد من هذه العبارة أنّه كان يدرّس حاشية الآقا على المعالم وأنّ تدريسه كان الدافع إلى تصنيف حاشيته الكبيرة والشهيرة على المعالم.

مؤلّفاته

من آثار وتصنيفات ذلك الفقيه الفاضل كتابه الكبير هداية المسترشدين في شرح أصول معالم الدين والمعروف بـ حاشية المعالم، وتلقّب الشيخ محمّد تقي بسببها بـ «صاحب الحاشية» بين الفقهاء والعلماء.

والمجلّد الأوّل منه حتّى مبحث المرّة والتكرار وفرغ منه في سنة ١٢٣٧ والمجلّد الثاني منه حتّى آخر مفهوم الوصف ومجلّده الثالث حتّى مبحث الاجتهاد والتقليد حيث دوّن هذا المجلّد على ماذكر أعلام الشيعة ابن أخته الشيخ محمّد بن محمّد من مسوداته. ويشهد ذلك الكتاب بإحاطة الشيخ محمّد تقي وتحقيقاته العميقة وأفكاره العالية وآرائه الناضجة وهو بحد ذاته دليل على عظمته ونبوغه في جميع علوم

---

(١) الكرام البررة ١: ٢١٦.

الدين، خاصّة الأصول، وما أحسن ما قاله صاحب المستدرك: «إنّه في كتب الأصول كالربيع من الفصول»!

ومن التصنيفات الأخرى لذلك العلّامة الشهير رسالة في حجّيّة المظنّة، شرح الأسماء الحسنى، كتاب في الفقه، رسالة في فساد شرط ضمان البيع لو ظهر مستحقّاً من جهة الترديد والتعليق. كتاب الطهارة، قال في التكملة وهو في غاية التحقيق يبلغ قدره طهارة المعالم، وشرح طهارة الوافي وهو تقريرات درس العلّامة بحرالعلوم، ورسالة عملية بالفارسيّة ورسالة في عدم تقطير التتن والتنباكو وهي رد على بعض معاصريه وغيرها»[1].

أولاده

كما ذكرنا فقد كان الشيخ محمّد تقي صهر الشيخ جعفر الكبير. وقد جاء في حاشية رجال أصفهان كانت زوجته تدعى نسمة وتوفيت حوالي سنة ١٢٩٩، ويقول مؤلّف تذكرة القبور أن المشار إليها عالمة عاملة وقد دفنت إلى جوار قبر زوجها. وولدت له هذه المخدّرة فقيه معروف يدعى محمّد باقر.

وقد ذكر صاحب فوائد الرضويّة ترجمته بالعربيّة وقال: «حفيده الفاضل الآقا الشيخ محمّد رضا (مسجد شاهي الأصفهانيّ مضنف حاشية الكفاية ونقد فلسفة داروين وكان من أجلة تلامذة الآخوند

---

(١) الكرام البررة ١: ٢١٦، ورجال أصفهان: ٢١٢ وتذكرة القبور: ٧٢.

الخراسانيّ) وقد كتب جده الشيخ محمّد باقر المذكور: الألسنة قاصرة عن وصفه والأفكار متحيّرة في فهم كنه شخصيّته. وأفضل وصف له أنه أشبه الناس بابيه (الشيخ محمّد تقي)»[1].

كانت زوجة الشيخ محمّد باقر بنت خالته، أي ابنة السيّد صدر الدين العامليّ. خلف الشيخ محمّد باقر ستة أبناء كلّ منهم في عداد مشاهير العلماء ومعاريف فقهاء الشيعة. وهم حسب الترتيب: الشيخ محمّد تقي الأصفهانيّ المعروف بالآقا النجفيّ المتوفى سنة ١٣٣٢ ويبلغ من الشهرة بحيث يغنينا عن أي كلام حوله،[2] وهو والد العالم الحكيم والأديب الفاضل الشيخ محمّد باقر الأصفهانيّ المتخلص بـ «ألفت».

والآخر هو الحاج نور الله الأصفهانيّ المتوفى ١٣٤٥ وهو أيضاً من المشاهير. والآخر الشيخ محمّد إسماعيل المتوفى حوالي سنة ١٣٧١، والآخر جمال الدين الساكن في طهران المتوفى سنة ١٣٥٤، والآخر الشيخ محمّد حسين الأصفهانيّ المتوفى سنة ١٣٠٨ وهو والد العالم الشهير الشيخ محمّد رضا المسجد شاهيّ الأصفهانيّ المذكور المتوفى سنة ١٣٦٢ مؤلّف نقد فلسفة داروين. وابنه السيّد مجد العلماء الذي زرته في أصفهان.

---

(١) فوائد الرضوية، ٢: ٤٠٩.

(٢) ذكرنا ترجمة الآقا باعتباره أستاذ إجازة آية الله العظمى البروجرديّ في المجلد ١٢ من مفاخر الإسلام. وانظر أيضاً الكتاب النفيس الحكم النافذ للآقا النجفي للحفيده موسى النجفي الأصفهاني.

والآخر هو الشيخ محمّد علي الأصفهانيّ المعروف بثقة الإسلام وهو والد العالم الجليل والفقيه النبيل المعاصر الحاج الشيخ مهدي النجفيّ وهو اليوم من أجلّة علماء أصفهان.

وللتعرف على سائر علماء هذه الأسرة العلميّة الكبيرة وتفصيل أحوالها راجعوا مجلّدات أعيان الشيعة وأعلام الشيعة وتاريخ رجال أصفهان ومآثر الآثار والمصادر الأخرى. ذلك لأنّ هذا المختصر لا يستوعب الترجمة لكلّ أولئك الفقهاء والعلماء والأدباء المعروفين الذين انبثقوا من هذه الأسرة الجليلة، ومن الأفضل مراجعة الكتب المفصلة.

١٢ـ السيّد محمّد باقر حجّة الإسلام الشفتيّ (الأصفهانيّ)

هو العلّامة الفقيه السيّد محمّد باقر حجّة الإسلام، من فحول علماء الشيعة ومفاخر فقهاء الإمامية ومجتهديهم في القرن الثالث عشر الهجريّ. كان معروفاً بين الخاصّ والعامّ ولقّب بـ «حجّة الإسلام»، كما هو الحال بالنسبة إلى الغزّاليّ الذي عرف بهذا اللقب بين علماء أهل السنّة، والحقّ أن السيّد محمّد باقر يستحقّ هذا اللقب الكبير كما أنّ «حجّة الإسلام» يليق بالعنصر الشريف لذلك العالم الشهير.

[كتب صاحب الروضات الذي رآه في أصفهان وأخذ الإجازة منه في وصف هذا العالم الجليل قائلاً: «اجتمعت فيه مكارم أخلاق الأنبيّاء العشرة الكاملة وانتزع عنه من يوم خلقه الله سائر صفات الخلق الغير عادلة. رأيته في العقل أفضل جميع أهل زمانه بل هو إنسان عين جميع

أترابه وأقرانه ووجدته في الدين دانت له قاطبة حفّاظه وديّانه وخزّانه بل إيمان الخلائق جزءاً من إيمانه، واعتقدته في العلم أفقه من تكلّم على حقيقة شيء من برهانه، وتفطّن إلى دقيقة فرع من أغصانه ولقيته في الحلم أحلم من كظم الغيظ على الجاهلين بمنزلته ومكانه، وأحمل من حمل أعباء الخلائق بحسن خلقه وطيب لسانه، وألفيته في الجود معترفاً كلّ موجود بأنّه من رهائن إحسانه بنفسه أو بماله أو بعلمه أو بشأنه، ووافيته في العرف، معروفاً بين أهل الجوانب من الأرض بأنّه مزيّن ديوانه ومذيّل عنوانه كيف لا ومسجده الجديد الأعظم بإصبهان يشهد بعلوّ كعبه ورفعة بنيانه. بل هو آية من آيات ملكه وعلامة من علامات سلطانه، وشاهدته في البرّ أوصل كلّ أحد بالقاطعين من رحمه وإخوانه، وباصرته في الصبر أملكهم للنفس عند تراكم أشجانه، وتوارد هزاهزه وأحزانه فلم يترجّح ميزان أحد من الصابرين على ميزانه وعاينته في الشكر فوق كلّ من شكر ربّه بجنانه، وأظهره بنطقه وبيانه وثلّثهما بالعمل بأركانه، وشبّهته في اللين سيّد المرسلين مع جميع أقوامه وأخدانه. فاستوفى مراتب المعارف والأخلاق بأسرها، واستقصى مدارج المكارم والآداب بأصبارها، وصار بين أنجم العلماء كأنّه البدر التمام وجنب أبحر الكرماء كأنّه البحر الطمطام. علماً فائقاً في المعالى سائر فضلائنا الأعلام، وحجّة كاملاً من مواهب الرحمة قد أعطاه الله الزمام في هذه الأيّام. ثمّ يكتب ترجمته، ويذكر تأليفاته والتي

نذكرها في نهاية ترجمته.][1].

وكتب الفقيه الكبير صاحب قصص العلماء والذي تلقى العلم منه في أصفهان وكان يعرفه حقّ المعرفة قائلاً: «الحاج السيّد محمّد باقر ابن السيّد محمّد تقي (أو النقي) الموسويّ الشفتيّ الساكن في أصفهان الملقب بـ «حجّة الإسلام» وحيد الأيّام ومقتدى الأنام ومن مهرة الأعلام وحذقة العلماء الكرام في علوم العربيّة وإلهيئة والفقه والرجال والدراية، العالم العامل والبارع والفاضل والعيلم الباذل الناذل، أستاذ الأكامل الأفاضل، والذي لم يكن له ثان وتال في الزهد والورع والتقوى، وأما علم سماحته فهو خارج بعد حيّز التحرير، وعارج لجميع مراقي العلم ومراتبه، وأوحد الزمان في التفريع، وفي غاية الدقة في الاستدلال، والكمال في التحقيق، وكانت له حافظة ضرب بها المثل في عصره...[2]

وكتب الحاج السيّد شفيع الجابقليّ في الروضة البهيّة قائلاً: «بعد الفراغ من التحصيل عاد من العتبات المقدّسة إلى ديار العجم واختار التوطن مع الحاج محمّد إبراهيم الكرباسيّ في أصفهان وكان هذان الفاضلان صديقين ورفيقين. وقد سمعت أنّه عندما جاء إلى أصفهان لم يكن يمتلك من الكتب سوى مجلّد من المدارك ومن الأموال سوى سفرة من لرغيفه. واختار السكن في مدرسة الشاه التي كان يفتح بابها

---

(١) روضات الجنّات ٢: ٩٩.

(٢) قصص العلماء: ١٣٥.

باتّجاه مدرسة جهارباغ. واجتمع طلّاب العلم من كلّ صوب حوله. وحسده مدرّس المدرسة وأخرجه فخرج بدوره من المدرسة دون أن يبدي أي رد فعل.

كان أزهد أهل زمانه وأكثرهم عبادة وسخاء. ولذلك فقد أقبلت عليه الدنيا، بحيث انتهت إليه الرئاسة الدينيّة والدنيويّة وملك الكثير من الأموال...»[1]

وقال صاحب التكملة في الترجمة له نقلاً عن فوائد الرضويّة: «حجّة الإسلام السيّد محمّد باقر، العالم الربّانيّ والروحانيّ ومن عرف حلال آل محمّد وحرامهم وشيّد أحكامهم وخالف هوى نفسه وأطاع أوامر مولاه. كان مراقباً للبارىء تعالى دوماً ولم يكن من شيء يمنعه عن الحضور والمراقبة. كان أبي ــ قدّس سره ــ يقول كانت لواحظ عيني السيّد الفاضل قد تقرّحت من كثرة البكاء في مقام التهجد».

كما كان أحد المقرّبين لسماحته ينقل: ذهبنا معه إلى إحدى قراه. وكنا في الطريق ليلاً. فقال لي السيّد: ألا تنام؟ سأذهب أنا لأنام. بما أنّ السيّد ظنّ أنني نمت. نهض وانشغل بالصلاة. وأقسم بالله أنني رأيته وقد بدأت كتفاه وأعضاؤه بالارتجاف بحيث إنه كان يكرر كلمات الصلاة من شدة حركة الفكين والأعضاء كي يؤديها بشكل صحيح. كما كان أحد الفضلاء الموثقين ينقل أن مفاصل كتفيه كانت ترتجف من

---

(١) الروضة البهية: ٢٠.

شدة حضوره القلبي وبمجرّد أن كان مجلسه يخلو من الناس كانت دموعه تجري، حتّى أنني رأيت أن دموعه كانت تسيل تزامناً مع خروج آخر شخص من المجلس.

ومن آثاره الباقيّة الحدود التي عيّنها للطواف سنة ١٢٣١ عندما تشرّف بالحجّ. ومن آثاره الأخرى بناء مسجده الكبير[١] في أصفهان سنة ١٢٤٥ والذي قيل إنه قد خصّص له مائتي ألف أشرفي من ماله الخالص.

ثمّ يقول المحدّث القمّيّ: «وبالجملة فجادلة هذا السيّد المعظم أكثر من أن تذكر: فقد نقل الكثير من القصص عنه في العبادة والدعاء والمناجاة مع قاضي الحاجات واالنوافل والأوراد والعطايا التي كان ذلك السيد الفاضل يوصلها إلى الفقراء والسادة وطلّاب العلوم أكثر من أن تذكر. ويقال إنه كان يمتلك دكانين وكان قد خصّصهما للفقراء. أحدهما مخبز والأخر مجزرة للحوم وكان هنالك الكثيرون ممن كانوا يستلمون منه المرتبات الشهرية.

وكان سماحته يكثر من إقامة الحدود. وقيل إن الّذين قتلوا على يده لإقامة الحد كانوا ثمانين أو تسعين أو مائة وعشرين حسب أحد الأقوال وقد دفن معظمهم في المقبرة الواقعة عند باب منزله ونوادره كثيرة ولا متسع لنقلها.»[٢].

---

(١) هو المسجد الواقع في محلة بيدآباد في أصفهان والمعروف بمسجد سيّد.

(٢) فوائد الرضوية٢: ٤٢٧.

وقد كتب صاحب أعلام الشيعة الترجمة المفصلة لذلك العلّامة الفقيه بشكل كامل وجامع ومختصر في نفس الوقت وها نحن ندرج ترجمته هذه للقراء لأنها حافلة بالتحقيقات النافعة وعصارة تتبّعات ذلك العالم المفضال دام بقاؤه. فقد كتب قائلاً: «ولد في (١١٧٥) في قرية من قرى رشت من نواحي طارم العليا يقال لها (چزره) بينها وبين شفت قرب عشرة فراسخ، وانتقل إلى شفت وهو ابن سبع سنين كما ذكره الشيخ جواد الطارميّ. رأيت فى (مكتبة الشيخ عبد الحسين الطهرانيّ) بكربلاء مجموعة من إجازاته الصادرة إلى تلاميذه فاستفدت منها بعض تواريخه منها: أنه هاجر إلى العراق لطلب العلم فى (١١٩٢) وهو ابن سبع عشرة سنة ــ فتكون ولادته كما ذكرناه. لا فى (١١٨٠) كما ذكره الجابريّ في (تأريخ أصفهان) ــ وبالجملة لما ورد العراق حضر في كربلاء على الأستاذ الأكبر محمّد باقر البهبهانيّ أوّلاً ثمّ على السيّد علي صاحب (الرياض) ثمّ تشرف إلى النجف، وكان وروده إليها في سنة تشرف المير عبد الباقيّ إلى النجف في سفرته التي استجازه بحرالعلوم فيها وتأريخ تلك الإجازة شعبان (١١٩٣) وصورتها موجودة في كتابنا (إجازات الرواية والوراثة) في القرون الأخيرة الثلاثة. حضر المترجم على السيّد مهدي بحرالعلوم والشيخ الأكبر جعفر كاشف الغطاء. ثمّ سافر إلى الكاظمية فحضر على السيّد محسن الأعرجيّ. فقد قرأ عليه القضاء والشهادات، ولما حلت سنة (١٢٠٠) وقد تمّ بها على المترجم فى

العراق ثمان سنين بلغ فيها درجة ساميّة ومكانة عالية.

سافر إلى قم أيام زعامة العلم المحقّق الميرزا أبي القاسم القمّيّ مؤلّف (القوانين) فتتلمّذ عليه مدة، وسافر بعدها إلى كاشان فحضر على عالمها الفذّ الأخلاقي الشهير المولى مهدي النراقيّ مؤلّف (جامع السعادات) وفي (١٢٠٦) نزل أصفهان وعزم على السكنى بها فاجتمع عليه طلّاب العلم الأفاضل حتى عرف في وسطه وتألق نجمه، وطبق ذكره نوادي العلم بها ــ وما أكثرها وأعظمها يومذاك ــ ولم يزل إسمه على مرّ الزمن يزداد ذيوعاً وشيوعاً حتى احتلّ مركزاً عظيماً وحصل رياسة عامّة ومرجعيّة كبرى وزعامة عظمى، وكانت بينه وبين العالم الزعيم الحاج محمّد إبراهيم الكلباسي المار ذكره في ص ١٤ صلة متينة وصداقة تامة من بدء أمرهما. فقد كانا في النجف زميلين كريمين تجمع بينهما معاهد العلم وشاء الله أن تنمو هذه المودة شيئاً فشيئاً، ويبلغ كل منهما في الزعامة مبلغاً لم يكن يحدث له في البال، وأن يسكنا معاً بلدة أصفهان ويتزعما بها في وقت واحد، ولم تكن الرياسة لتكدّر صفو ذلك الودّ الخالص أو تأثر مثقال ذرة. فكلما زادت سطوة أحدهما زاد اتصالاً ورغبة بصاحبه، وهذا الأمر غريب للغاية. فلم يحدثنا التأريخ بمثله، وقد بلغت زعامة المترجم مبلغاً عظيماً. فكان يقيم الحدود الشرعيّة ويجريها بيده أو يد من يأمره بلا خشية ولا خوف، وقد أحصى بعضهم عدد المجرمين الذين لاقوا حتفهم على يديه طبقاً للآداب الشرعيّة ولم يتفق لأحد من علماء الإمامية بعض ما حصل له من النفوذ وبسط اليد، وذلك لحسن باطنه وسلامة ذاته، و ﴿اَللّٰهُ أَعْلَمُ حَيْثُ

﴿يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾، ولا شك أن ما بلغه من العظمة كان من الله عزّ وجلّ على أن أساتذته وأعلام عصره كان لهم دخل في تركيزه فإن المحقّق القمّيّ كان يروّجه والحاج الكلباسي يقدمه. فكل هذه الأمور كانت ترفع شأنه إلا أن يده تعالى فوق الأيدي ترفع وتضع طبق المصالح الربّانيّة، وقد اقتضت للمترجم ما حصل له. قضى حياته الشريفة بالعز وحجّ في حدود (١٢٣٠) ولما عاد بنى مسجداً في محلة بيد آباد من محال أصفهان ــ وكان يسكنها ــ أنفق عليه ما يقرب من مئة ألف دينار شرعيّ، وجعل له مدرساً وبضع حجر وبنى بجنبه مقبرة لنفسه، وكان كثير الاهتمام لقضاء حوائج الناس وإنجاز طلباتهم ومساعدة أهل العلم والفقراء من الناس.»[(١)][(٢)].

مؤلّفاته

رغم أنّ السيّد محمّد باقر حجّة الإسلام كان منشغلاً بإصلاح أمور المسلمين وتنفيذ الحدود وترويج وتشييد الأسّس الدينيّة للناس حيث كان ذلك بحاجة إلى الكثير من الوقت ويؤدي إلى الجم من المتاعب، إلا أنه لم يكن أبداً يوقف الدرس والبحث والتأليف والتصنيف لأنّه كان مؤيّداً بالتأييدات الإلهيّة، بحيث إن مؤلّفاته التي بقي ذكرها في العالم يدل كلّ منها على تبحر ذلك السيّد الفاضل والعلّامة العالي المقدار

---

(١) كما أوضحنا في الترجمة للمير عبد الباقيّ فقد أخذ هذه الإجازة من بحرالعلوم بأصفهان في التاريخ المذكور عند الرجوع من مشهد. وقد اقتبس أعلام الشيعة هذا القسم من الروضات.

(٢) الكرام البررة ١: ١٩٥.

وممارسته وتحقيقاته العميقة.

وأشهر تصنيفاته كتاب مطالع الأنوار في شرح الشرايع وقد صنّفه في ٥ مجلّدات، والآخر الملتقط من آثار الأئمّة الأطهار بالفارسيّة وتحفة الأبرار رسالة عملية بالفارسيّة أيضاً، جوابات المسائل في مجلّدين طبع أحدهما، قضاء وشهادات تقريرات درس السيّد محسن الأعرجيّ، مناسك الحجّ، الشكيّات، رسالة في إقامة الحدود في زمان الغيبة، رسالة في شرح بعض من أجوبة المسائل الصادرة من أستاذه المحقّق القمّيّ والتي ألفها بأمره، رسالة في بعض من فروع القضاء والشهادات، رسالة في بطلان الوقف على النفس، رسالة في زيارة عاشوراء، زهرة الباهرة في أصول الفقه، حواش على شرح السيوطيّ كتبها في أوائل دراسته، رسالة في مشتركات الرجال، و٢٢ رسالة في الترجمة لاثنين وعشرين من الرواة، وقد طبعت كلّها في إيران، رسالة في جواز هبة الولي للمدّة المنقطعة للمولى عليه، رسالة في حكم تزويج الأختين المطلّقتين، ورسالة في قبول النساء بالخلو من موانع النكاح[1].

تلامذته

جاء في أعلام الشيعة: «وله إجازات كثيرة مفصلة لمجتهدي تلاميذه رأيت منها مجموعة في (مكتبة المولى محمّد علي الخوانساريّ) في النجف فيها ثلاث عشرة إجازة تقرب من خمسة آلاف بيت والمجازون

---

(١) الكرام البررة ١: ١٩٥.

هم: (١) الحاج محمّد إبراهيم الأصفهانيّ القزوينيّ (٢) الميرزا محمّد الرضويّ (٣) المولى محمّد علي المحلّاتيّ (۴) السيّد فضل الله الأسترآباديّ (۵) المولى محمّد صالح الأسترآباديّ (۶) الشيخ علي النخجوانيّ (٧) السيّد محمّد تقي الزنجانيّ (٨) الحاج عبد الباقى الكاشانيّ (٩) السيّد محمّد علي الأبرقوئيّ (١٠) الملا مرتضى قلي (١١) الملا محمّد رفيع الگيلانيّ المعروف بشريعتمدار المتوفى (١٢٩٢) (١٢) الملا عبد الوهّاب (١٣) الآقا محمّد المجتهد، وله الرواية عن صاحب الرياض والمحقّق القمّيّ والشيخ سليمان بن معتوق العامليّ والسيّد محسن الأعرجيّ والشيخ جعفر كاشف الغطاء وغيرهم.] ترجمة السيّد محمّد باقر الخوانساريّ في روضات الجنّات والمولوي محمّد علي في نجوم السماء والسيّد الصدر في التكملة والميرزا محمّد التنكابنيّ في قصص العلماء والشيخ محمّد حسن شريعتمدار في مظاهر الآثار وحسن خان الجابريّ في تأريخ أصفهان والشيخ عبد الكريم الجزيّ في تذكرة القبور وغيرهم في غيرها.»[1].

وقد اعتبر علماء وفقهاء كثير آخرين في عداد تلامذة حجّة الإسلام، من أمثال: العالم الجليل الملا محمّد باقر الترشيزيّ المتوفى في ١٢٧٥، و العالم الفاضل الأديب الميرزا محمّد باقر الجواهريّ صاحب كتاب طوفان البكاء المعروف بالجواهريّ في وقائع كربلاء ومصائب أهل بيت

---

(١) الكرام البررة ١: ١٩٥.

العصمة عليهم السلام وغيرهم، حيث كتبت ترجمة كلّ واحد منهم بشكل مستقل في أعلام الشيعة».

وفاة حجّة الإسلام

توفي السيّد محمّد باقر حجّة الإسلام في يوم الأحد الثاني من ربيع الأوّل سنة ١٢٦٠ في أصفهان ووري الثرى إلى جوار مسجده ورثاه صاحب الروضات. كما رثاه الحاج الميرزا عبد الرحيم الفسائيّ المتخلص بـ «عشرت» والمتوفى في سنة ١٢٦٣، وهذه أبيات من قصيدته:

كهف عالم حجة الاسلام عهد ... باقر علم و امام خاص و عام
قاب قوسين وجودش كرده جمع ... هم سعادت هم سيادت والسلام
طاقديس عالم تقديس بود ... از علايق خواستى تجريد عام
بود من خاف مقام ربه ... جنت المأوى از آنش شد مقام
سال تاريخ وفاتش خواستم ... گفت عشرت «حجت دين شد مقام»
(١٢٦٠)

---

(١) كتبت في مجلة يادگار، السنة الخامسة، العدد العاشر، مقالة مفصلة بقلم مدير المجلة عبّاس إقبال آشتيانيّ عن «حجة الإسلام السيّد محمّد باقر الشفتيّ (١١٨٠-١١٦٠هـ) في ١٦ صفحة تحت عنوان (علماء الإمامية). وتتضمن هذه المقالة التي كتبها إقبال بأسلوبه وفكره وأصدر الأحكام بناء على ذلك، جوانب إيجابية وسلبية ومشاعر حب وبغض وعلى المفكريّن قراءتها والتأمل فيها. وقد ذكر أن وفاة المرحوم المجلسي في ١١١١، ووفاة الآقا في ١٢٠٦ وكلاهما خطأ، والصحيح ١١١٠ و١٢٠٥.

ترجمة الأبيات بالعربيّة:

«كهف العالم حجّة الإسلام في هذا العصر، باقر العلم وإمام الخاصّ والعامّ،

جمع قاب قوسين وجوده كلّاً من السعادة والسيادة والسّلام،

كان صرح عالم التقديس، مجرّداً تماماً من علائق الرغبات،

هو مصداق لـ «من خاف مقام ربه» فأضحت جنة المأوى من نصيبه ومقامه،

(وهنا) أريد أن أسجّل تاريخ وفاته، فأقول...«حجّت دين شد مقام».

أولاده

بقي من ذلك العالم الجليل في العلم والدين عدّة أولاد، وهذه أسماؤهم: السيّد أبو القاسم، السيّد محمّد علي، الميرزا زين العابدين، السيّد أسدالله، السيّد جعفر المؤمن. كانوا كلّهم من كبار العلماء المعروفين والمحترمين. [ذكرنا السيّد أسدالله في ص ١٢٤ وابنه السيّد محمّد باقر في المجلّد الأوّل من «نقباء البشر» ص ١٩٥.][1] وقد بلغ ابنه السيّد أسدالله المتوفى سنة ١٢٩٠ مقام المرجعيّة كما كان مرآة أبيه العلّامة.

جاء في الروضة البهيّة: «كان خليفة أبيه في متابعة أمور الناس وصلاة

---

(١) الكرام البررة٢: ١٩٦.

الجماعة وهو الإمام المعظم والمولى المكرّم الفاضل العالم الزاهد الورع التقي المجتهد البصير والعالم الخبير الحاج الميرزا أسدالله دام عمره الشريف وأطال الله بقاه والذي لم ير مثله في الزهد والورع والتقوى وبلغ مبلغ أبيه في المقبولية العامّة والزهد.»[1]

كما ذكرنا السيّد أسدالله في مشاهير علماء بهبهان السابقين، فليراجع هذا الكتاب. وولده المعروف بحاج آقا المتوفى (١٣٣٣) هو أيضاً عالم ذائع الصيت.

١٣ـ الحاج محمّد إبراهيم الكلباسيّ

هو الحاج محمّد إبراهيم بن محمّد حسن الخراسانيّ الأصفهانيّ المعروف بالكلباسيّ من أجلّة العلماء وأعاظم الفقهاء، بحيث يقول عنه صاحب الروضات بإنه ولد في سنة ١١٨٠ وكانت أمارات الرشد والنبوغ بادية على جبينه منذ الطفولة. وعندما تشرّف بالذهاب إلى العتبات المقدّسة عازماً على الدراسة التحق بمجلس الآقا ونال حظّاً وافراً من الأنفاس القدسية لسماحته.

[يذكره صاحب الروضات الذي زاره في أصفهان قائلاً: «كان في الحقيقة مصدر العلوم والحكم والآثار ومركز دائرة الفضلاء النبلاء الأحبار، وقطب الشريعة، حيث كانت الشريعة تدور في هذه الأعصار

---

(١) الروضة البهية: ٢٣.

على مداره، وكان ركن الشريعة وشيخها ويتمتع بجلالة القدر والمنزلة. وإن سألت عن الفضل، فهو كشمس رابعة النهار، وإن سألت عن فيض الوجود فعليك أن تقارنه مع الأنهار الجارية، وباختصار فإنه أس أساس إمامة الفقاهة والاجتهاد وأستاذ الكلّ وكان له نظر دقيق في كلّ ما كان يفيد به. وقد أعلن كلمة الحقّ والتحقيق وأنار بكتابه الإشارات طريق الهداية...»[١].

كما كتب عنه الميرزا محمّد التنكابنيّ في قصص العلماء قائلاً: «من جهابذة الفقهاء وحذقتهم ومهرتهم، وصناديد من صناديد العلماء ورئيس جماعة الفضلاء والمسلم الكلّ عاش خمسة وتسعين عاماً، وارتحل إلى عالم البقاء في ١٢٦٢.] وكنت أنا الفقير أحضر لفترة مجلس درسه وكان من تلامذة المؤسّس البهبهانيّ وبحرالعلوم والآقا السيّد علي والشيخ جعفر والميرزا أبي القاسم القمّيّ، وسمعت منه شفويّاً قوله: أدركت درس الآقا محمّد باقر البهبهانيّ. وكتب في المجلّد الثاني من إشارات الأصول قائلاً:»... تتلمذت لمدّة طويلة لدى الآقا محمّد باقر البهبهانيّ والآقا السيّد مهدي بحرالعلوم، ولكنّني لم أطلب من هذين الفاضلين الإجازة ولو كنت طلبت لأعطياني.»[٢].

تعرّف الحاج الكلباسيّ على الآقا السيّد محمّد باقر حجّة الإسلام في

---

(١) كتب صاحب الروضات ترجمته كما ينبغي.

(٢) قصص العلماء ١: ٣٤.

العتبات حيث رسّخ هذا التعرّف الود والصداقة بينهما وقد اشتركا معاً في الدرس والبحث وبذلك فقد ساد بينهما صفاء وصدق وإخلاص من نوع خاصّ. وقد انشغلا سوية بتلقي العلم والكمالات لدى أساتذة كبار مثل الآقا والعلّامة بحرالعلوم وصاحب الرياض وكاشف الغطاء وفي الكاظميّة عند السيّد محسن الأعرجيّ. ثمّ عاد الحاجي إلى إيران وتتلمذ في قم عند المحقّق القمّيّ صاحب القوانين، ثمّ ذهب إلى كاشان وأكمل مطالعاته عند العلّامة المفضال الملا مهدي النراقيّ ثمّ ذهب إلى أصفهان.

والتف الناس حوله بمرور الأيّام وسارع الفضلاء إليه من كلّ جانب للنهل من ينبوع علومه، وبذلك شغل الزعامة الدينيّة والمرجعيّة المذهبية وأضحى من أكابر العلماء ومشايخ الفضلاء. وخاصّة صداقته مع السيّد العظيم الشأن السيّد محمّد باقر حجّة الإسلام والتي زادت من شعبيته وعزته واحترامه، ذلك لأن ذلك الفاضل كان دوماً يقدم حجّة الإسلام على نفسه رغم كلّ الفضل والتفقه الذي كان يتمتّع به ولم يكن يألو جهداً في احترامه وتوقيره، وكما قلنا في ترجمة السيّد محمّد باقر فكلّما كان ذلك الرجل الجليل يرتقي مدارج العلم كانت تزداد صداقته وصميميته مع الحاجي. وكما قيل فإن هذه الصداقة والصميمية لم تر في تاريخ حياة أي من العلماء.

وفضلاً عن أن الحاج الكلباسيّ كان يدرّس الفقه والأصول ويؤلّف ويصنّف ويشتغل بمثل هذه الأمور التي هي من مستلزمات العالم الفقيه،

فقد كان يعتلي المنبر في مسجد حكيم وكان يعظ الناس في نهاية سلامة النفس والتقوى والفضيلة والاحتّياط وخاصّة في مجال القضاء وبذل المال إلى المستحقّين حيث كان يحتاط كثيراً وكان بالضبط في الجهة المقابلة لصديقه المعاصر له السيّد محمّد باقر حجّة الإسلام. وتنقل عنه في هذا المجال قصص طريفة[١]

ومن جملتها ماجاء في قصص العلماء من أنّه: «إن طلب منه فقير شيئاً فقد كان يطلب منه شاهداً وكان يحلّف ذلك الشاهد كما كان يقسم على ذلك الفقير بأن لا يسرف في هذه النقود التي يعطيها له وأن ينفقها باعتدال ثمّ يعطيه نفقة شهر.

وقيل إن شخصاً شهد عنده في أمر مهمّ. فسأله عن شغله، فقال: أنا غسّال. فسأله عن شروط الغسل، فقال ذلك الرجل: عند الدفن نهمس في أذنه (أي الميّت) شيئاً. فقال الحاج: وماهو؟ فقال: هنيئاً لك لأنك توفّيت ولم تذهب إلى الحاج الكلباسيّ لأداء الشهادة!!»[٢].

وينقل صاحب أعلام الشيعة عن ابنه الشيخ جعفر في آخر كتاب منهاج الهداية لأبيه والذي طُبِع» توفى عليه الرحمة في (٨ ـ ج ١ ـ ١٢٦١) كما ذكره الشيخ جعفر في آخر منهاج الهداية المطبوع وقبره بمقبرة تخت فولاذ مزار معروف وله تصانيف نافعة هامة فى الفقه

---

(١) روضات الجنات ١: ٣٤.

(٢) قصص العلماء: ١١٨.

والأصول منها الإيقاضات أوّلاً والإشارات ثانياً ذكرتهما في الذريعة ج ١ وله أيضاً رسالة الصحيح والأعمّ ورسالة تقليد الميت وشوارع الهداية إلى شرح الكفاية للسبزواريّ ومنهاج الهداية وإرشاد المسترشدين والإرشاد والنخبة في العبادات انتخبها من الإرشاد فارسيّاً ومناسك الحجّ فارسيّ ورسالة في تفطير شرب التتن وغير ذلك وله الرواية عن غير الأوّلين من مشايخه وغيرهم ذكر الجميع في آخر مبحث حجّيّة الأخبار من الإشارات وهم الميرزا القمّيّ والشيخ الأكبر ومؤلّف الرياض والشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائيّ والشيخ عبد علي بن محمّد بن عبدالله ابن حسين الخطّيّ وذكر أساتذته في الرسالة الفارسيّة التي كتبها في جواب بعض أبناء السلطان فتح عليشاه القاجاريّ وقد سأله عن حكم استعمال الصائم للدخان فقد عد ممن أخذ عنهم العلم والده الماجد يعني الحاج محمّد حسن المتوفى بعد (١٢٩٠) والآغا محمّد البيد آباديّ وصي أبيه ومربيه بعده المتوفي (١١٩٧) والميرزا محمّد علي بن مظفّر الأصفهانيّ المتوفي (١٢٩٨) وقال كان كلاً منهم من أوتاد الأرض وأركان البلاد وعدّ أيضاً المولى مهدي النراقيّ المتوفى (١٢٠٩) والمولى محراب المتوفى (١٢١٧) والشيخ المولى علي بن جمشيد النوريّ الحكيم المعروف المتوفى (١٢٤٧) إلى أن قال وغيرهم مثل الشيخ محمّد الخواتون آباديّ والشيخ محمّد علي الهرنديّ والشيخ محمّد بن الشيخ زين الدين وغيرهم من فضلاء العصر. قام مقام المترجم بعد

وفاته ولده الأكبر المجاز منه في الاجتهاد الشيخ محمّد مهدي صهر السيّد حجّة الإسلام وله من الأولاد غيره الشيخ جعفر المترجم لوالده كما مر والشيخ محمّد المتوفى قبل الشيخ جعفر بشهر في (١٢٩٢) والشيخ محمّد رضا شيخ الإسلام والشيخ نور الله والشيخ أبوالمعاليّ ذكر المترجم تلاميذه في الروضات والقصص مفصلاً وكذا سيدنا الحسن الصدر في التكملة وألف ابنه الشيخ جعفر المذكور رسالة مستقلة في أحوال والده وألف حفيده الشيخ أبو الهدى بن أبي المعاليّ ابن المترجم كتابه البدر التمام في ترجمة الوالد القمقام والجد العلام...[1]».

وماتزال أسرة الحاج الكلباسيّ تعتبر حتّى يومنا هذا من الأسر العلميّة الكبيرة للشيعة حيث قدّمت للعالم الشيعيّ الكثير من العلماء والفقهاء.

ومن التصنيفات المعروفة للحاج الكلباسيّ كتاب إشارات الأصول في أصول الفقه، وهو في مجلّدين، واستناداً إلى ما نقله صاحب قصص العلماء فإنّ «هذا الكتاب يتميّز بالفصاحة والبلاغة والجزالة، ولأنّ أفهام أبناء الزمان قاصرة عن فهم العبائر (جمع عبارة) المشكلة الصادرة عن ذلك الفاضل، فإن ذلك الكتاب المرغوب لم ترق إليه أفهام الطلّاب.»[2] ومن كتبه الأخرى الإيقاضات في أصول الفقه.

---

(١) كان الميرزا أبوالمعاليّ الكلباسيّ من أساتذة آية الله العظمى البروجردي. وقد ذكرنا ترجمته في المجلد ١٢ من مفاخر الإسلام.

(٢) قصص العلماء: ١١٨.

ومن تصنيفاته كتاب منهاج الهداية في أحكام الشريعة في الفقه وهو مجلّدان يشتملان على فروع كثيرة، والآخر شوارع الهداية في شرح كفاية السبزواريّ، رسالة الصحيح والأعم، رسالة تقليد الميت، وإرشاد المسترشدين وكتاب النخبة بالفارسيّة وهو منتخب الإرشاد، ومناسك الحجّ ورسالة في تفطير شرب التبغ.

١٤ ـ الحاج الملا أحمد النراقيّ

عالم معروف وعلّامة فصيح بليغ. كان ماهراً في علميّ الفقه والأصول، وأستاذاً في الحكمة والفلسفة وفنون الرياضيّات وكان كاملاً وجامعاً في سائر العلوم الدينيّة المختلفة والاطّلاع على المذاهب الباطلة والأديان المنسوخة، كما كان يعتبر من مشاهير فقهاء عصره.

وقد ذكرنا في ترجمة أبيه الحاج الملا مهدي النراقيّ بأن ذلك النابغة الكبير هو والد العالم الشهير الحاج الملا أحمد النراقيّ المولود سنة ١١٨٥ والمتوفى في سنة ١٢٤٥. والحاج الملا أحمد هو كأبيه من مفاخر الفقهاء وعلماء الإسلام، بحيث كان مصداقه الأتمّ ومثاله الكامل في كلّ المراتب العلميّة والأخلاقية والآثار النفيسة.

جاء الحاج الملا أحمد مع أبيه إلى العتبات. وتلقّى العلم من مجلس الآقا، في آخر عمره، والميرزا مهدي الشهرستانيّ والعلّامة بحرالعلوم، وعاد إلى نراق في كاشان بعد إكمال دراسته وبلغ منصب مرجعيّة الشيعة وزعامتها. وله مؤلّفات قيّمة ونفيسة منها: معراج السعادة في الأخلاق،

مستند الشيعة في الفقه، مناهج الأصول في الأصول، مفتاح الأحكام، شرح تجريد الأصول، شرح شرايع الإسلام، وسيلة النجاة بالعربيّة والفارسيّة، عوائد الأيّام، الخزائن، سيف الأمة في الرد على يادري النصرانيّ، عيون الأصول، رسالة في منجزات المريض، وديوان شعر فارسيّ يعرف بـ طاقديس نظمه على غرار المثنوي، وكان يتخلّص بـ «صفائي».

والحاج الملا أحمد أستاذ خاتم المجتهدين الحاج الشيخ مرتضى الأنصاريّ وكان معاصراً للميرزا القمّيّ وكان المرجع المطلق في كاشان بعد أبيه. وقد ظهر من بين أبناء الحاج الملا مهدي والحاج الملا أحمد رجال علم كبار لايتسع هذا المختصر لترجمة أحوالهم. ومن أجل المزيد من الاطّلاع نرجو الرجوع إلى أعلام الشيعة. ووالده الحاج الملا مهدي النراقيّ من أقدم تلامذة الآقا الوحيد البهبهانيّ وقد ذكرنا ترجمته فيما سبق.

ولد الحاج الملا أحمد سنة ١١٨٥ في قرية نراق بكاشان ونشأ ونما فيها في أحضان والده النابغة وتلقى مقدمات العلوم لديه. ثمّ سارع بالذهاب إلى العتبات المقدّسة وتلقى العلم في كربلاء من مجلس درس الآقا في سني الشيخوخة.

وقد كتب الآقا أحمد الذي ذهب إلى كاشان سنة ١٢١٩، قائلاً: «وفيها الكثير من العلماء، ومنهم: سماحة مآب الفضائل زبدة المحقّقين الآخوند الملا أحمد خلف المجتهد الفاضل الكامل الملا مهدي النراقيّ

ولم يكن موجوداً هناك في ذلك الوقت.[١]

وينقل كتاب نجوم السماء عن الملا شفيعا في كتاب الروضة البهيّة أنه قال: «سمعت أنّ الملا أحمد كان يحضر مجلس درس أستاذ الكلّ الآقا باقر البهبهانيّ مع والده». كما تتلمذ في كربلاء عند الفقيه الكبير الميرزا محمّد مهدي الشهرستانيّ. وانتفع أيضاً في النجف الأشرف من محضر العلّامة بحرالعلوم والشيخ جعفر الكبير، ثمّ عاد إلى وطنه المألوف وبلغ بعد وفاة والده العظيم الشأن في (١٢٠٩) مقام الزعامة الدينيّة في تلك المدينة وكان معاصراً للمرحوم الميرزا القمّيّ والسيّد محمّد باقر حجّة الإسلام.

[ذكره صاحب الروضات بقوله: كان بحراً موّاجاً، ويمّاً عجّاجاً، وأستاذاً ماهراً، وعماداً كابراً، وأديباً شاعراً من كبراء الدين وعظماء المجتهدين، وقد صار بالعلم مليّاً، وأوتي الحكم صبيّاً. وكان له جامعيّة لأكثر العلوم، وخصوصاً الأصول والفقه والرياضيّ والنجوم. وكان رجلاً كبيراً، عظيم الجثّة والمنزلة، بطيناً مبتدناً في الغاية، وقوراً غيوراً صاحب شفقة على الرعيّة والضعفاء، وهمّة عالية في كفاية مؤناتهم وتحمّل أعبائهم وزحماتهم.][٢].

كان في فطرته رجلاً اجتماعياً رؤوفاً ورحيماً إلى درجة كبيرة بالفقراء

---

(١) مرآة الأحوال: ١٦٨، والروضة البهية: ١٨، وروضات الجنّات ١: ٩٥، ونجوم السماء: ٣٤٣.

(٢) الروضات: ٩٥.

والمحتاجين. ولذلك فقد سارع إلى عتبته طلّاب العلم والباحثون عن الفضل وأرباب الحاجات من كلّ صوب وكانوا ينتفعون مادياً ومعنويّاً من منبع الفضل ذاك وينبوع التقوى والعواطف والفضيلة، ولم يكن هو بدوره يحرم أي شخص وكان يشرف على الأمور الدينيّة والدنيويّة للجميع.

وقد كتب هذا العالم النابغة في كلّ فروع العلوم وفنون الإسلام واليوم فإن التصنيفات والتأليفات التي تركها تدل كلّ منها على أفكاره النورانية وذوقه وتبحره الكامل وتمكنه وجامعيّته، وهي شاهد صادق على هذا الادّعاء.

[جاء في نجوم السماء]: «كتب تلميذه الحاج السيّد شفيع في معرض ذكره لأساتذته قائلاً: «الفاضل العالم والمحقّق الماهر والبحر الزاخر، الفائق على الأوائل والأواخر، جامع المعقول والمنقول، صاحب الاستيعاب الواسع في العلوم الكثيرة وشيخيّ وأستاذي الحاج الملا أحمد بن محمّد مهدي النراقيّ مرجع خلق الله في الرئاسة الدينيّة والدنيويّة وكان الأوحد في القضاء والإفتاء. تصنيفاته في الفقه والأصول والأخلاق كثيرة وأفضل كتبه كتاب المناهج في علم الأصول، وكتاب مستند الشيعة في الفقه، وكتاب معراج السعادة في علم الأخلاق».

يقول المؤلّف: ومن تصانيفه الشريفة الأخرى، كتاب الخزائن المعروف بكشكول النراقيّ، وكتاب مفتّاح الأصول، وكتاب شرح تجريد الأصول وكتاب وسيلة النجاة وكتاب عوائد الإمام، ووسيلة النجاة

بالفارسيّة، وكتاب أساس الأحكام وكتاب سيف الأمة وغيرها، كما كان يتلقي الدروس عند جماعة من العلماء الأعلام وفي الأواخر من مجلس بحرالعلوم السيّد مهدي. وقد بلغ الكثير من تلامذة الملا أحمد درجة الاجتهاد العالية، ومنهم حجّة الإسلام الشيخ مرتضى النجفيّ الأنصاريّ طاب ثراه.][1]

ومن تأليفاته كتاب سيف الأمة في الرد على پادري النصرانيّ[2]، جاء في قصص العلماء: «استدعى الحاجي ـ الملا أحمد ـ عشرة من علماء اليهود وجمع من مكتبة ملاموسى اليهوديّ الكثير من الكتب في لغة التوراة وغيرها وكان يناظر اليهود لفترة فألف هذا الكتاب»[3]

ونحيل القراء إلى الكتب المفصلة بشأن أحوال ذلك العلّامة الشهير. توفي الحاج الملا أحمد في سنة ١٢٤٥ على إثر إصابته بمرض الطاعون. وحملت جنازته إلى النجف الأشرف ووري الثرى إلى جوار أمير المؤمنين عليه السلام، تغمّده الله بغفرانه.

---

(١) نجوم السماء: ٣٤٣.

(٢) كان پادري مسيحياً أجنبياً، وقد تلقى العلم لفترة من مجالس درس علماء الإسلام بزي تنكري، ثم ألف كتاباً في الرد على القرآن والإسلام. وقد رد على هذا الكتاب عدد من علماء العصر، ومن جملتهم المير محمّد حسين الخاتون آباديّ، الآخوند الملا علي النوريّ الحكيم الشهير، الملا محمّد رضا الهمدانيّ، والحاج الملا أحمد النراقيّ. وكلمة پادري مأخوذة من الكلمة الانجليزية أي الأب حسب اصطلاح القساوسة .FADER

(٣) قصص العلماء: ١٣٠.

كان الحاج الملا أحمد شاعراً قديراً ومتمكناً. وننقل هنا الأبيات التالية له والتي نظمها على غرار مثنوي المولوي وجاءت في كتاب «طاقديس» الذي هو ديوان شعره:

هر كه شد معشوق، عاشق نيز هست — در دل او عشق شورانگيز هست
عشق عاشق هم ز جذب عش اوست — گشته پيدا وين كشاكش هم از اوست
گر نبودي حشمت سلطان حسن — وآن مناعت‌هاى بى‌پايان حسن
كبر و ناز و بى‌نيازيهاى آن — دورباش از خود نمايى‌هاى آن
خوبرويان پرده بر مى‌داشتند — ناله‌ها از سينه مى‌افراشتند
پرده بر خود مى‌دريدندى همه — سوى عاشق مى‌دويدندى همه
رويشان بودي ز عاشق زردتر — آهشان از آه او پردردتر
مي‌زدندى فاش بى اندازه تر — كوس رسوايي بلند آوازه‌تر
آرى آرى عاشقان بر حسن يار — عاشقند و حسن باشد بردبار
حسن را جان بخشى و دلدارى است — عشق را خصلت همه خونخواهى است
حسن خوبان پرده شد بر حسنشان — عشقشان بر حسنشان آمد نهان
ورنه عشق دلبران افزونتر است — ليلى از مجنون بسي مجنون‌تر است

١٥ ـ الميرزا محمّد تقي القاضي التبريزيّ

جاء في المجلّد الثاني من أعلام الشيعة: «هو السيّد الميرزا محمّد تقي بن محمّد بن محمّد علي الحسينى القاضي الطباطبائيّ التبريزيّ من

أجلاء العلماء، كان من تلاميذ الأستاذ الأكبر الوحيد البهبهانيّ وله الإجازة من الشيخ محمّد مهدي الفتونيّ العامليّ كتبها له بخطّه على بعض مجلّدات [الوسائل].....».

[وذكر الأستاذ الفقيد العلّامة الطهرانيّ في أعلام الشيعة، (الكرام البررة)، ابنه الميرزا باقر القاضي في الصفحة ١٧٥ باختصار وقال: «هو السيّد الميرزا باقر ووالده السيّد الميرزا محمّد تقي القاضي الطباطبائيّ التبريزيّ عالم فاضل. كان والده من الأجلاء مجازاً من الشيخ مهدي الفتونيّ في «١٢٢٠» كما يأتي، وكان ولده المترجم من علماء عصره الموجهين في تبريز، وهو والد الميرزا محمّد تقي التبريزي تلميذ الشيخ المرتضى الأنصاريّ والمتوفى حدود «١٢٧٦» الآتي ذكره أنه صاحب حاشيه القوانين المطبوعة على الهامش».

واعتبر في ص ٢٠٩ ابنه الميرزا تقي الذي كان حفيد الميرزا محمّد تقي تلميذ الوحيد البهبهانيّ، عالماً فاضلاً وفقيهاً جليلاً وقال: «هو السيّد الميرزا محمّد تقى بن الميرزا محمّد باقر بن محمّد تقي الطباطبائيّ التبريزيّ المعروف بالقاضي. عالم جليل وفقيه فاضل. كان في النجف الأشرف من تلاميذ العلّامة الشيخ المرتضى الأنصاريّ وغيره من أعاظم عصره، وله آثار منها: حاشية المفهوم والمنطوق من (القوانين) فرغ منها في (١٢٧٠) وحاشية (رسالة الإجماع) فرغ منها في (١٢٧١) وقد طبعها في هامش (القوانين) في (١٣١٩)، توفي المترجم

في طريق الجبل راجعاً من الحجّ في (١٢٧٦) وحمل إلى النجف فدفن بها، وهو ابن عم الميرزا عبد الجبّار الذي توفي في (١٢٥٧).»

وكتب العلّامة الميرزا محمّد حسن الزنوزيّ ترجمة الميرزا محمّد تقي القاضي في كتاب رياض الجنّة وقال من جملة ماقال: «عالم فاضل كامل محقّق دقيق الذهن جيد الفهم له اطّلاع كامل في الفنون العربيّة والفقه والكلام والتفسير، متقلّد فى تلك البلدة إرثاً واستحقاقاً بأمر القضاء وهو من أعاظم النجباء في تلك الناحية وأكابرهم بابه مرجع لكل وارد وصادر، عظيم الحرمة عند الأمراء والسلاطين والأكابر والأصاغر، تشرفت بصحبته كثيراً وله رسالة في شرح دعاء الصباح لأمير المؤمنين عليه السلام توفي في [١٢٢٢] في بلدة تبريز ونقل إلى العتبات. إلى آخر ما قاله من ذكر ولديه الميرزا محمّد مهدي والميرزا محمّد رحيم الآتي ذكرهما. وذكره أيضاً المؤرخ عبد الرزّاق بن نجف قلي خان الدنبلي المتخلص بمفتون في كتابه تجربة الأحرار وتسلية الأبرار، واثنى عليه بما هو أهله أيضاً، استشهد والد المترجم في هجوم العثمانيّين ودفن في [مقبرة الدمشقية] بتبريز وهو والد العلماء الاجلاّء الميرزا محمّد والميرزا علي أصغر شيخ الإسلام والميرزا رحيم والميرزا باقر والميرزا علي نقي الذي لم يعقب، ومر ذكر السيّد محمّد باقر ابن المترجم في ص ١٧٥ وحفيده السيّد محمّد تقي في ص ٢٠٩.»[1]

---

(١) الكرام البررة ١: ٢٢٨.

وكتب العلّامة المحقّق الأستاذ العظيم الشأن الحاج السيّد محمّد حسن الطباطبائيّ صاحب كتاب الميزان في تفسير القرآن والذي هو من أحفاده كتب في مخطوطة كتاب أنساب آل عبد الوهّاب حيث كتب سلسلة نسب أسرته وتراجم المعروفين منها،[1] في ذيل اسم جده الميرزا محمّد تقي القاضي قائلاً: «إن المقام العلميّ والعملي الشامخ والمكانة الحكوميّة والوطنية لحضرته تفوق الوصف. وكان قد انتقل في أوائل عمره إلى العتبات المقدّسة وتتلمذ لدى أستاذ الكلّ آية الله الوحيد البهبهانيّ والشيخ محمّد مهدي الفتونيّ، وآية الله بحرالعلوم وأخذ إجازة بتاريخ ١١٧٣ بخطّه وكما يظهر فقد كان جامعاً في المعقول والمنقول، وعاد إلى تبريز في حوالي ١١٧٥ ليكتسب المرجعيّة التامة والقبول العامّ وكان قد تولى منصب القضاء من جانب كريم خان زند.

كانت الوثائق الشرعيّة منحصرة بختمه الشريف والميرزا عطاء الله شيخ الإسلام، ويتّضح من بعض الوثائق والسندات أنّ القاضي كان يشتري الملك بختمه ويظهر من هذه القضية العجيبة التي لا تظهر أي

---

(١) طلبت ذات يوم من الأستاذ الفقيد العلّامة الطباطبائيّ أن يذكر لي ترجمته، فقال: كتبت رسالة في الترجمة لأسرتي فتعال إلى البيت وشاهدها بنفسك. فذهبت إلى منزله ورأيت الرسالة المذكورة التي كانت بخط يده واقتبست منها ما كان يلزمني وذكرته هنا، وأبلغت أهل العلم لأوّل مرة بوجود هذه الرسالة. وللأسف فقد رأى الآخرون هذه الرسالة بعد ذلك، دون أن يؤدوا الحق ويذكروا أنهم اطلعوا عليها من خلال كتاب الوحيد البهبهانيّ.

تاريخ بخصوص أحد من الرؤساء ومصادر العامّة، أن وجاهة القاضي ومقبوليته ووثاقته وحسن سيرته وسريرته كانت تتجاوز الوصف كما ذكرنا في أوّل ترجمته. وكما يتّضح فقد كانت وفاته موافقة لسنة ١٢٢٠هـ». وقد جاء في رياض الجنّة: «توفي بتبريز في ١٢٢٢ ونقلت جنازته إلى العتبات.»

ونستنتج من مطالعة كتب التواريخ وتراجم العلماء خاصّة مخطوطة الأستاذ المعظم أنساب آل عبد الوهّاب والتي هي شجرة هذه الأسرة، أنّ هذه السلسلة الجليلة كانت معلومة النسب في كلّ عهود التاريخ الإسلاميّ وكانت تتبوأ بشكل عامّ المناصب العالية وكان أفرادها يعيّنون في الغالب من جانب ملوك إيران كسفراء وقضاة وشيوخ للإسلام ومفتيّن.

وجدّ هذه الأسرة المعروف هو الأمير سراج الدين عبد الوهّاب الحسنيّ الحسينيّ الذي ولد في سمرقند ونما ونشأ فيها، ثمّ قدم إلى تبريز وكان يتبوأ منصب شيخ الإسلام في آذربايجان على عهد سلاطين بايندري آق قوينلو حتّى ظهور الشاه إسماعيل الصفويّ. كما أنّ من أحفاده المير نعمت الله بن مير شاه بن عبد الوهّاب صهر يوسف بن ميرزا جهانشاه قراقوينلو والذي حكم آذربايجان وكرمان والعراق وفارس لمدّة طويلة.

وفي سنة ٩٢٠ حيث كانت قد نشبت الحرب بين الجيشين الإيرانيّ والعثمانيّ، توجه الأمير عبد الوهّاب من جانب الشاه إسماعيل الصفويّ

كسفير إلى بلاد الروم في بلاط السلطان سليم العثمانيّ، ولكنّه قُبض عليه وسجن عند وصوله إلى بلاد الروم. ومن المعروف أنه اكتسب وهو في السجن بعض الحالات الروحية وكتب وهو على هذه الحال وصية إلى أولاده هي في غاية الجزالة والمتانة والفصاحة والبلاغة وتدل على نهاية خلوصه وجلالته وصفاء باطنه». وقد أدرجت هذه الوصية في آخر شجرة أسرة ذلك حيث كتبها الأستاذ الطباطبائيّ.

ويضيف الأستاذ قائلاً: «ظلّ محبوساً في بلاد الروم لفترة وخرج من السجن بعد موت السلطان سليم ومجيء السلطان سليمان بكلّ عزة وإكرام واحترام وتوفي هناك عام ٩٣٧ ودفن إلى جوار أبي أيّوب الأنصاريّ.

والمير عبد الوهّاب هو الجد الأعلى لهذه الأسرة، واليوم فإنّ كلّ أسر سادة آذربايجان ينتهي نسبها إلى ذلك كما هو مبيّن أدناه:

١ ـ أسرة «الحاج ميرزا يوسف» المعروف بـ «فتّاحي» في تبريز. فهذه الأسرة يتصل نسبها بالحاج الميرزا يوسف المجتهد الذي سننقل ترجمته لاحقاً، وهذا هو الولد العاشر للمير عبد الوهّاب.

٢ ـ أسرة «وكيلي» في تبريز. وينتهي نسبها هي أيضاً إلى الميرزا محمّد علي جد الميرزا محمّد تقي القاضي حيث ينحدر نسبها بعد ثماني واسطات إلى المير عبد الوهّاب.

٣ ـ أسرة «القاضي» المتفرعة من الميرزا مهدي ابن الميرزا محمّد تقي القاضي صاحب الترجمة.

٤ ـ أسرة «شيخ الإسلاميّ» التي ينتهى نسبها إلى الحاج الميرزا علي أصغر شيخ الإسلام ابن الميرزا محمّد تقي القاضي صاحب الترجمة.

١٦ـ العلّامة الطباطبائيّ الفيلسوف المعروف (حفيده)

الأستاذ السيّد الطباطبائيّ الذي لخّصت هذه الترجمة من رسالته الخطية النفيسة واقتبست منها بأنّه هو أيضاً من هذه الأسرة نفسها أي من أسرة شيخ الإسلاميّ في تبريز وينتهي نسبه إلى الميرزا محمّد تقي القاضي بثلاث واسطات كالتالي: السيّد محمّد حسين بن محمّد بن محمّد حسين بن علي أصغر شيخ الإسلام ابن الميرزا محمّد تقي القاضي ويتصل الميرزا محمّد تقي القاضي نفسه بالمير عبد الوهّاب جده الأعلى بعد عشر واسطات.

والسيّد الطباطبائيّ المذكور هو حفيده، الحفيد العظيم[1] من فقهاء العصر الراهن وفلاسفته ومن الأساتذة الأجلاء في حوزة قم العلميّة. ويمكن القول إنه لم يهدر لحظة واحدة من عمره وكان دائم الانشغال بالمطالعة والتدريس والتأليف وتصنيف العلوم والفنون والكتب الدينيّة والفلسفية المختلفة. وهذا العالم الجليل فقيه قدير وفيلسوف شهير ومفسر أستاذ وذو ذوق فيّاض وقريحة سيّالة، وهو الآن يدرّس الفروع الثلاثة من العلوم اللازمة في ثلاثة أوقات لمجموعة مؤلّفة من عشرات

---

(١) ذكرنا مراراً أننا ألفنا هذا الكتاب في سنة ١٣٣٧ ش (١٩٥٨)، وهذه المعلومات تعود إلى تلك السنة.

التلامذة الأفاضل وهذه الفروع الثلاثة هي الفقه والأصول والفلسفة الجامعة بين القديم والحديث وتفسير القرآن الكريم.

ومن إبداعاته تأليف وتدوين كتب لا نظير لها منها الكتاب القيّم الميزان في تفسير القرآن في حوالي عشرين مجلّداً وقد نشر منه حتّى الآن ٥ مجلّدات، وترجم إلى الفارسيّة مؤخّراً من قبل العالم الجليل السيّد ناصر المكارم الشيرازيّ وطبع ونشر على يده المجلّد الأوّل منه،[١] وهنالك أيضاً كتاب صغير باسم وحي يا شعور مرموز (الوحي أو الشعور الغامض) وقد ألفه حول النبوة العامة وقد طبع ونشر هو أيضاً بمقدّمة مفصلة وهوامش مفيدة للسيد المكارم. والكتاب الآخر «أصول فلسفة وروش رئاليسم» بالفارسيّة وقد اعتبر المجلّد الأوّل منه كتاب السنة في سنة ١٣٣٢ في مسابقة أفضل الكتب. وهو الآن في متناول أيدي الجميع.[٢] بقلم العالم المعظم الشيخ مرتضى المطهّريّ[٣] تلميذه الكبير، وبذل الكثير من الجهد في إيضاح وشرح مواضيعه العلميّة العويصة، مؤدياً هذه المهمّة حقّ أدائها.

كما ستنشر الترجمة العربيّة لهذا الكتاب عاجلاً بواسطة العالم الحكيم

---

(١) ترجمت فيما بعد الدورة البالغة عشرين مجلداً من الميزان من قبل العالم المعاصر السيّد محمّد باقر الموسويّ الهمدانيّ أحد تلامذة سماحته في ٤٠ مجلداً وطبع ونشر بضع مرات حتى الآن.

(٢) طبع هذا الكتاب ونشر فيما بعد في ٥ مجلدات.

(٣) المصدر.

السيّد الحاج الميرزا جعفر السبحانيّ تلميذه الفاضل الآخر. ونحن نرجو دوام أيّام إفادته كي ينتفع الفضلاء والعلماء من وجوده الشريف أكثر فأكثر.